الجمهـــوريـــة الجزائريـــة الديمقـراطيـة الشعبيـــة
la R épublique alg érienne d émocratique et populaire
وزارة التعليـم العـالـي و البحـــث العلمـــي
Ministére de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

كليـة العلـوم الإنسانيـة و العلـــوم الإسلاميـــة
Facult édes Sciences Humaines et Sciences Islamique

قسم التاريخ و علم الآثار

التميّز الحضاريّ للصحراء الوسطى خلال العصور القديمة (مملكة جرمة انموذجا)

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د في التاريخ القديم

إشراف الأستاذة الدكتورة: أم الخير العقون

إعداد الطالب : خاتمي مصطفى

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	مؤسسة الإنتماء	الصفة
أ.د بن عبد المؤمن محمد	جامعة وهران 1	رئيسا
اة.د. أم الخير العقون	جامعة وهران 1	مقررا ومشرفا
أة.د مقرانطة عابد بختة	جامعة معسكر	مناقشا
أ.د رحماني بلقاسم	جامعة الجزائر 2	مناقشا
دة.صندوق ستي	جامعة وهران 1	مناقشا

السنة الجامعية: 1442 هـ / 2020 – 2021 م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ
تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

[سُورَةُ القَصَصِ:٥٨]

شُكر وعِرفان

يسّرني في البداية أن أردّ الفضل لأصحابه وأتقدّم بجزيل الشُكر للأستاذة الدكتورة أم الخير العقون التي توّلت الإشراف على هذا البحث ، وإظهاره إلى حيّز الوجود بصورته الحالية فكان لتوجيههَا المستمر وتشجيعها الدائم الذي لا ينضب دوراً كبيراً في إنجاز هذا البحث ، فكانت للباحث المعلم الجليل، فقد شملت إسهاماتها جميع جوانب البحث وأسهمت بلا حدود في تطوير موضوعه منذ أن كان فكرة بسيطة إلى أن أصبح عملاً ملموساً مدعماً بالأدلة والبراهين.

كما أتقدّم بالشكر والتقدير إلى كل أساتذة قسم التاريخ وعلم الأثار بجامعة وهران1 والذين أسهموا في تكويينا طيلة السنة النظرية ولم يبخلوا علينا من وقتهم فقد كانت لتوجيهاتهم العديدة وسّعة صدرهم الفضل في تكوين مسارنا.

والشكر موصول كذلك للأستاذة قيماطي حميدة من جامعة مرقب (زليتن) بدولة ليبيا الشقيقة، التي وجدتها ملبيتا لندائي لما طلبت مساعدتها في الحصول على بعض الوثائق المتخصّصة في دراسات الجرمية ، ولم تبخل عليّ بتوجيهاتها التي كانت لي معينا لي.

ولا أنسى صاحب الفضل الدكتور محمد المبروك الذويب من جامعة قاريونس ببنغازي (ليبيا) على ما أبداه من خدمة جليلة بمساعدتي للحصول على بعض المصادر المهمّة التي خدمت موضوع دراستي أيّما خدمة.

طالبكم مصطفى خاتمي

الإهداء

إلى من أمدتني بالغالي والنفيس وكانت نعم السند إلى أبعد حد ، دعواتها كانت سِر نجاحي وقد عانت ماعانت لأبلغ مرادي " أمي الغالية"

إلى روح والدي ، الذي تُوفي يوم 30 –10 – 2013 وهو الذي حرص على تعليمي منذ الصغر، و كيف لَأذكرك يا من كان لتوجيهاته وكلماته الرقيقة وتشجيعه لي أيام كنت تلميذاً بكل وسائل زادي وعوني للسير في دروب المعرفة ، لكن كل شيئ عند الله بأجل مسمى – طيب الله ثراك –

إلى روح أخي وأستاذي الدكتور بقة بلخير الذي ودعنا أيام قبيل شهر رمضان الفضيل 2021 فاللهم أنزل عليه شآبيب رحمتك وعزائم مغفرتك.

إلى من حبهم يجري في عروقي وإلى من عاشوا معي حلو الحياة ومرّها

" أخوتي وأخواتي"

إلى من وجدت فيهم مثلاً للصداقة والمحبة والإخلاص النقي ...والذين جمعتني بهم طريق العلم والمعرفة وعشت معهم أحلى وأغلى أيامي

" الأصدقاء والزملاء".

قائمة المختصرات

Ant.Afr	**Antiquité Africaine**
A.A.R.S	**Association des amis de l'art rupestre saharien**
B.M.S.A	**Bulletin Et Memoires de la société D'anthropologie**
B.S.P.F	**Bulletin de la Société préhistorique de France**
B.S.P	**Bull.De la Soc.Préhist**
C.R.A.P.E	**Centre Algérien de Recherches Anthropologiques, Préhistoriques**
C.N.R.P.A.H	**Centre algérien de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques.**
Ency – ber	**Encyclopédie berbère**
Ency-Ita	**Encyclopedia Italiana**
I.G.C.Y.R	**Inscriptions Of Greek Cyrenaica**
I.R.T	**Inscriptions Of Roman Tripolitania**
J.Soc.Af	**journal de La société des Africainiste**
Lyb – St	**Libyan Stadies**
M.E.F.R.A	**Mélanges de l'École française de Rome – Antiquité**
R.O.M.M	**Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée**

مقدمة

مقدمة

يُعَدُّ إقليم جرمة محور دراسات تاريخ الصحراء الوسطى قديما و البحث فيه قد قادني إلى فهم جملة من القضايا على سبيل المثال : قضية الإعمار البشري واستقرار الجرميين في الإقليم المذكور منذ العصر الحجري الحديث وبعد إدراك مختلف التغيّرات المناخية والحضارية التي عرفتها المنطقة والتأقلم معها خرج من هذا الإقليم المتميّز مجتمع عبر حيّز الوجود إلى حيّز التفاعل والاندماج مُسبباً سُبُل تواصلٍ بين الشمال والجنوب وتطوير منتوجه الحضاريّ.

ومن هنا، مكنّني الإفتراض بأنَّ المجتمع الجرمي القديم، قد عاش مختلف المحطات التاريخية التي عرفتها الصحراء الوسطى في العصور القديمة وكانت له إسهامات حضارية لعبت الدّور الأكبر في توثيق الصلات مع أقدم الحضارات بإنشاء علاقات تجارية وسياسية مُؤَثِرة ومُتأَثرة بها كالمصريين والفينيقيين والإغريق والرومان.

من هذا المنطلق، كان اختياري لموضوع البحث الموسوم بـ: التَّميُّز الحضاريُّ في الصحراء الوسطى خلال العصور القديمة (مملكة جرمة أنموذجاً)، أما سبب اختياري للفترة الزمنية المشار إليها آنفاً، فيرجع إلى طبيعة الموضوع الذي أعالجه من زاوية التواصل الحضاري والثقافي للأقوام الجرمية ومعرفة النواة الأولى لتواجدهم ومن ثمَّة استقرارهم في إقليم جرمة الذي يعُد حيزا متسع النطاق من الأجزاء الشرقية للصحراء الوسطى، منذ أقدم العصور وإلى غاية عصر إستقرارهم في إقليم جرمة وإنشاء المملكة ، على أن أُعرج بذلك على أهم التطورات التاريخية في مختلف المجالات التي عرفتها مملكة جرمة منذ تأسيسها في منتصف الألف الأولى قبل الميلاد إلى غاية عهد أفولها في منتصف القرن السادس للميلاد.

وعليه، فقد يتبادر إلى ذهن القارئ للوهلة الأولى أنَّ الفترة الزمنية للموضوع طويلة جداً ، بحيث يمكن القول أنها تُغطي كامل فترة العصور القديمة، لكن المتتّبع للتاريخ الجرمي سواء في المصادر المادية أو الأدبية يدرك مدى قِلة أخبارهم في شتى الجوانب، لذلك عمدت إلى دراسة الموضوع بشكل عام طوال تلك الفترة، مركزاً على الفترة التاريخية المحصورة بين القرن الخامس قبل الميلاد إلى منتصف القرن السادس الميلادي، وهذا راجع إلى معرفة الجرميين للتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني والحضاري بصفة عامة، كون الصحراء الوسطى في الفترة القديمة لم تشهد مجتمعاً منظماً من حيث القوة والتمدن مثلما عرفته مملكة جرمة.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في البحث و تتبع مسألة الاستقرار البشري في إقليم جرمة ودراستها من خلال رصد المعطيات الأثرية والأنثربولوجية، وما خلفه ذلك الإنسان من تميّز حضاريّ من خلال اهتمامه بتسجيل حياته اليومية عبر محطات الفن الصخري، كما بيّنت لي الدراسات المتخصصة أنَّ ذلك الإنسان هو نفسه الإنسان الذي سعى إلى تكوين مملكة جرمة في وسط الصحراء كأوّل مدينة صحراوية ليبية أصيلة مستقلة، بعد ابتكار الزراعة ثم الإستقرار في هذه المنطقة لرعاية نشاطه الإقتصادي ووضع نظاماً استيطانياً محكماً في حاضرته الأولى بـ: "زنككرا" ثُمَّ الثانية بجرمة القديمة وكان مسؤولاً عن دخول الحصان والجمل والنقل بالعربات ذات العجلات الطائرة وتدجين

المحاصيل والتعدين وصنع النسيج والفخار واستحداث أنظمة الري الخاصة التي كانت عبارة عن قنوات منقورة تحت سطح الأرض تسمى محلياً فُجَّارات سمحت بزراعة مساحات شاسعة في واحدة من أكثر البيئات والمناخات الصعبة التي عاش فيها الإنسان الجرمي فشكَّل حضارةً صحراوية بامتياز وشارك في كل الأحداث التي عرفتها ليبيا القديمة بقوةٍ وسيطرةٍ وصفتها المصادر بأنها لا يستهان بها على غرار ماجاء عند بلين الأكبر[1] وسترابون[2] في القرن الأول للميلاد.

إنَّ الهدف من هذه الدراسة ، هو تقديم رؤية شاملة وعامة للمجتمع الجرمي منذ البدايات الأولى لإستقراره وإلى غاية أفول وزوال مملكته ، بناءً على ما وصل إلينا من المعطيات الكتابية والمادية ويتحقق لنا ذلك من خلال البحث والتقصي عن النُظُم الثقافية للإنسان الجرمي في فترة ماقبل التاريخ ورصد تحركاته في ربوع نطاق الصحراء الوسطى وتمازجه مع مختلف التقاليد السُودانية والقفصية، أما في المرحلة التاريخية فالغاية فيها هي التعمق في دراسة النظم الحضارية لمملكة جرمة من خلال الحياة السياسية ونظام الحكام مع إدراك التركيبة الاجتماعية وسلوكياتها مع التركيز على التحركات التجارية ومسالكها كون جرمة كانت مركز القوافل التجارية في الصحراء، وهكذا رَصدُ مؤشرات الوازع الديني من خلال التعرف على الآلهة الرئيسية وبعض النماذج من القبور الجنائزية بالجرمة القديمة.

و من أجل الوصول إلى أهداف البحث ، كان لزاماً عليَّ أن أقوم بطرح إشكالية كبرى تكون توافقية بحيث تستقطب أطراف البحث، إضافةً إلى مجموعة من الإشكالات الفرعية والتساؤلات التي أتناولها وأجيب عنها في كل فصل من الفصول الستّة التي عالجت فيها موضوع بحثي ، وهي التساؤلات التي أفادتني في فهم مضمون البحث أكثر.

فأما الإشكالية الرئيسية فترتسم كالآتي:

إذا كان إقليم جرمة مركزا ووعاءً بشريا حضاريا منذ عصور ماقبل التاريخ، وكان نفوذ سكان هذا الإقليم يتشكل ضمن كافة الأجزاء الشرقية من الصحراء الوسطى في حاضرتها جرمة، وقد عرّفتهم المصادر الأدبية والمعطيات الأنثربووجية بأن لهم خصائص متشابهة مع المجتمع الصحراوي والليبي عامةً، وعليه نطرح السؤال التالي ، هل شَكَّل الجرميون وحدة عرقية مع الليبيين القدامى وهل أنشؤوا مملكة بالمفهوم العام أم أنها كانت منظومة قَبَليّة فحسب! بحيث لم ترتقِ إلى مصاف الممالك المعاصرة لها و ما هي الخصائص الثقافية والحضارية التي تميز بها المجتمع الجرمي القديم منذ استيطانه في إقليم جرمة وإلى غاية زوال مملكته في القرن السابع للميلاد؟

وقد تفرعت عن الإشكالية المحورية بضعة إشكاليات حاولت جاهداً الإجابة عليها في فصول الأطروحة يمكن صياغتها في القوالب التي جاءت على شكل التساؤلات التالية:

---

[1] بليني الأكبر ، الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي، ترجمة الذويب محمد مبروك، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2019.، ص64.

[2] سترابون، الكتاب السابع عشر من جغرافيته، ترجمة الذويب محمد المبروك، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003، ص26.

ما هي الطبيعة المناخية والنباتية في إقليم جرمة وكيف انعكست على الواقع اليومي للمجتمع الجرمي آنذاك؟ ثمَّ كيف تجلى الحضور التاريخي للجرميين في المصادر المادية والأدبية؟

هل عالج المؤرخون والجغرافيون القدامى مسألة الأقوام الصحراوية عامة والمجتمع الجرمي بصفة خاصة؟ وهل توافقت محدودية النصوص التي رصدوها عن الجرميين مع المعطيات الأثرية التي عثر عليها المنقبون والآثريون لاحقا في إقليم جرمة؟

هل الإنسان الجرمي الذي ورد ذكره في المصادر الأدبية يحمل نفس مواصفات الإنسان الذي عاش خلال فترة العصر الحجري الحديث وترك مخلفاته في إقليم جرمة؟ ثمَّ كيف شكَّلت هذه الأقوام النيوليتية لاحقا مملكة عندما توفرت لهم الظروف المناسبة؟

ماهي أهم الأقوام والممالك القديمة التي تواصل معهم الجرميون؟ فهل كان لهذه العلاقات دورٌ في توثيق الصلات الحضارية بين المملكة وجيرانها ومنهم القرطاجيين و الرومان ؟

ماهي الدوافع الكامنة وراء سعي الرومان الحثيث للسيطرة على مسالك القوافل الجرمية وهل نجحوا في ذلك ؟ وأخيراً، إلى أين أنتهى المطاف بالجرميين أثناء التواجد الوندالي ثمَّ البيزنطي في المنطقة؟، فهل كان لهم شأن ودور في الأحداث السياسية آنذاك ؟

أما عن الأسباب التي دفعتني لخوض الغمار في هذا البحث فهي عديدة ، وأبرزها ، ميُولي الشخصي للدراسات حول تاريخ الصحراء ، فقد كان يدفعني دوما إلى البحث عن دورها الحضاري المطمور والكشف عن أحد المراكز الحضارية المبكرة وفق ماورد في المصادر الكلاسيكية.

اهتمامي بالأبحاث الأستاذة المشرفة حول دراسة تاريخ الصحراء الوسطى في العصور القديمة وخاصة في عصور ماقبل التاريخ وفجر التاريخ ، حيث الجزء الشرقي من الجزائر يُكوِّن جزءا منها وتسليط الضوء عليه للبحث في مدى صدق الفرضية التي تقول بأنه كان المهد الذي ساهم في ظهور الحضارة الفرعونية المتميزة لاحقا ، كما لا أنسى اهتمامي الزائد بضرورة دراسة الفن الصخري والإستناد إليه في مرحلة لم تُخلف لنا تلك الأقوام كتابات، من أجل إعادة تصور ثم كتابة الحياة اليومية للمجتمع الجرمي القديم وأسلافه من خلال النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي تملأ صخور وجبال المنطقة.

التَّمعن في خصوصيات البيئة الصحراوية التي تواجد فيها الجرميون، ومسألة تأسيس الكيان السياسي في القرن الخامس قبل الميلاد أو بما يزيد عن ذلك بأربعة قرون وكذلك محاولة جمع ومقارنة مختلف المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية التي أشارت إلى تاريخ جرمة، بقدر الإمكان لتوضيفها في التحليل وكتابة هذه الصفحات من تاريخ الجرميين.

وفي محاولتي للإجابة عن الإشكالية وتساؤلاتها رسمت خطة أعتقد أنها مناسبة لتسليط الضوء على التساؤلات التي طرحتها سابقا للبحث متكونة من مقدمة و مدخل وستة فصول وخاتمة.

عرَّفت في المدخل بالصحراء الوسطى وأقسامها، مختصاً بذلك أجزاءها الشرقية المعروفة في نطاق إقليم جرمة ، الذي حدّدت إطاره الجغرافي أيضاً وجانبه الطبيعي من سطحٍ بتضاريسه المتباينة ومناخٍ بتطوراته التي عرفها وانعكساته التي خلفها على الوسط النباتي، مع استعراض الشبكة المائية وروافدها المختلفة.

وعنونت الفصل الأول: كالآتي: جرمة في المصادر القديمة والأبحاث الآثارية الجديدة، تمَّ تقسيمه إلى محورّين :

في المحوّر الأول من هذا الفصل درست ملامح الجرميين من خلال المصادر القديمة منها الآثار المادية كالفن الصخري، والرسومات التي وردت على جدران المعابد المصرية إضافةً إلى النقائش والفسيفساء.

وذكرت في المحوّر الثاني أنه نتيجةً لذكر الجرميين في المصادر الأدبية في مواطن عديدة من كِتَّابات الكلاسكيين، جعلها محّط أنظار الأثريين، فشدت إليها عدة بعثات وأجريت في نطاقها حفريات دلت على مدى أهمية هذه المملكة في تاريخنا القديم.

وفي الفصل الثاني عالجت بدايات استقرار المجتمعات البشرية في جرمة، وقسمته إلى ثلاثة محاور.

تطرقت في المحور الأول: تواجد الإنسان خلال العصر الحجري القديم في ثلاثة أصناف منها نشاطه في العصر الحجري القديم الأسفل، وفي العصر الحجري القديم الأوسط والمتأخر.

كذلك الحالة بالنسبة للمحور الثاني الذي فسَّر بداية الاستقرار البشري في جرمة خلال العصر الحجري الحديث، حيث نقف هنا على أنّ البحث في البدايات الأولى للتجمع البشري في الصحراء له علاقة بالمناخ وتغيراته، ، وقد تباينت أطروحات العديد من الباحثين حول قضية الاستقرار الفعلي في إقليم جرمة.

أما في المحور الأخير من هذا الفصل ، قدمت فيه إشكالية التسمية والأصل للأقوام الجرمية ، إذ بحثت فيه أصل التّسمية في ظل تطور وتعاقب الفترات التاريخية من خلال المصادر الأدبية التي كتبت عنهم أما مسألة أصول الجرميين فقد أولاها الدارسون اهتماماً كبيراً كلُ حسب اختصاصه.

وعالجت في الفصل الثالث: النظام السياسي والنشاط الإقتصادي في جرمة، تطرقت فيه لنشأة نظام الحكم وتطوّره عبر مراحل، إذْ كان نظام الحكم في جرمة ملكيا ،و دلتني المصادر عن أسماء الملوك الجرميين مثل "هيرباس" كما ورد عند فرجيليوس[3] و"مركين " عند بطليموس[4].

---

[3] فرجيليوس، الإنياذة، الجزء الأول ،مراجعة وتقديم شعراوي عبد المعطي، ط2 ، المركز القومي للترجمة،ط2، القاهرة،2001، ص 207

[4] بطليموس، الكتاب الرابع من جغرافيته، ترجمة : الذويب محمد مبروك ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2004 ، ص15.

كما بيّنت لنا النظم الاقتصادية التي استسقيناها من أمهات المصادر المادية والأدبية مدى تطور الجرميين إلى مجتمع غير بسيط يختلط فيه الرعي والزراعة التي توارثها عن أسلافه منذ العصر الحجري الحديث.

أما الفصل الرابع وقد أعطيته العنوان التالي: التّغيرات الإجتماعية والدينية في جرمة، حيث بيّنت أن للجرميين نظامهم الاجتماعي الخاص الذي يُخضع الفرد لأسرته وكان هذا المجتمع يعيش حياة يومية دلت عليها معطيات صخرية وبقايا أثرية حول نوعية اللباس وكيفية وضع الوشم في أجسادهم وطريقة تصفيف الشعر وقد تبين لي أنه من الجلي إدراك مدى خطورة المصادر الأدبية التي تجعل الجرميين في قالب غير حضاري وأنه مجتمع منحل همجي، لأن الآثار بينت لنا عكس ذلك من خلال مبانيهم ومقابرهم.

أما في المحوّر الثاني من هذا الفصل، فقد عالجت المعتقدات الدينية عند الجرميين وكانت لا تختلف عن بقية معتقدات القبائل الليبية مثل تقديس الإلهين حمون وتانيت، باستثناء الإله الخاص "جراما " وهو الجد الأعلى للجرميين حسب الأساطير.

ثم تّتجلى بوضوح دراسات العلاقات الخارجية والداخلية للجرميين بالمفهوم العام في الفصل الخامس، بعنوان علاقات جرمة بدول الجوار، عالجت ذلك بثلاث محطات، الأولى العلاقات الجرمية مع الكيانات الإقليمية ، فكانت علاقاتهم مع القبائل الليبية المجاورة والإغريق في مستوطنتهم بقورينائية، وا الثانية مع الفينيقيين في موانئهم أو عاصمتهم قرطاجة، والثالثة إلى علاقاتهم بالنوميديين في القرن الثالث قبل الميلاد.

وجاء في هذا الفصل أيضا دراسة العلاقات التي جمعت بين مملكة جرمة والرومان في الفترة الممتدة من القرن الأول ق.م إلى غاية 429 م، فتميزت بعلاقات عدائية تارةً وودية تارةً أخرى.

أما الفصل السادس فدرست فيه: جرمة في العصور القديمة المتأخرة(*)، والشيء الذي لمسته هو مدى غياب النفوذ الجرمي في تلك الفترة ، فهناك من المؤرخين من رأى ضعف مملكة جرمة الذي حلّ بها قبل الفترة الوندالية عندما أغارت عليها الحركة الدوناتية وخربتها عام 394م، وهناك من الباحثين من يرى استمراريتهم ونفوذهم حتى ولو كان ضعيفا، كون المصادر البيزنطية لم تُسَمِّ القبائل الليبية على حدى بل تحت التسمية الشمولية للمور.

وختمتا الأطروحة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، كما زودت البحث بالكثير من الوسائل التوضيحية من خرائط وأشكال وجداول ،علّها تساعد القارىء في معلومات إضافية تصاحب ما ورد في نص البحث .

(*) يقصد بالمصطلح " التاريخ القديم المتأخر" في هذه الدراسة ،الفترة التي تأتي بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية (الغربية) عام 476م ، وهي فترة انتقالية في بلاد المغرب القديم مابين نهاية التواجد الروماني (429م) وبداية الفتح العربي الإسلامي (حوالي 642م)، وهي تغطي فترتي الوندالية والبيزنطية، وأصبح هذا المصطلح يستعمل مؤخرا في الدراسات التاريخية في شمال أفريقيا.

وترتكز دراسة هذا الموضوع على جملة من المناهج ومنها ، المنهج الوصفي الذي استخدمته في وصف الأقاليم الجغرافية والحيّز الطبيعي لإقليم جرمة مروراً بعرض دقيق لما تضمنته ل لمصادر القديمة و تقارير البعثات التنقيبية التي قمت بجردها ووصف محتواها، في حين أنني استخدمت المنهج التحليلي: من أجل معالجة الحقائق والآراء التي أشارت إلى مملكة جرمة وتفسير مواضيعها و محاولة نقدها نقداً موضوعياً بهدف الوصول إلى إجابات عن الأسئلة التي تضمَّنتها الإشكالية السابقة وذلك من خلال استخدام المنهج المقارن نتيجة التباين والتضارب بين الأراء التي وردت سواء في المراجع أو المصادر الأدبية

وقد اعتمدت في إنجاز هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع المختلفة، ونظراً لطول الحيز الزمني المدروس، فإنه من الطبيعي أن تتنوع هذه المادة بشكل متفاوت، فلهذا ارتأيت أن أصنف المصادر حسب كل ميدان من ميادين موضوع البحث، وهذا لا يمنع أن تكون هنالك بعض المصادر المشتركة، فمثلا: عند دراستي للموضوع في الفصل الثاني قمت بجرد كافة النصوص الأثرية والأدبية التي تمحورت حول الجرميين، وكذا الحال مع الفصل الثالث –الذي أعتبره الركيزة– وجدت نفسي لا أتكلم في مجال معين إلا وقد عدت إلى ذلك المصدر الذي قمت بجرده آنفا!

ومع كثرة المصادر والمراجع(*) وتنوعها فإنني سأكتفي هنا بذكر أهم المصادر التي أفادتني في بناء البحث وهي كالآتي:

- **المصادر المادية** : من أهمها النقوش وتقارير الحفريات الخاص بالبعثات الأثرية:

1. **النقوش:**

رغم أنَّ الجرميين لم تكن لهم احتكاكات مباشرة في مناطق نفوذهم مع الرومان ،لكن نجد سلسلة من النقائش اللاتنية عبر المنظومة الدفاعية الرومانية التي طوَّقت إقليم جرمة خاصةً في حصن غدامس، أو أبي نجيم والقريات الشرقية والغربية، أفادتني هذه النقوش في الاطلاع على الجوانب العسكرية والسياسية التي عرفتها المنطقة خلال الفترة الرومانية مابين (سنة 19 ق.م إلى غاية 429 م)، ومن بين أهم تلك المدونات:

- سّجلات النقوش في طرابلس الرومانية (The Inscriptions of Roman Tripolitania) وتختصر (I.R.T) وهو مشروع قام بإعداده (ج.م) رينولد (Reynolds.J.M) و (ج.ب) وارد بركانس (Ward-Perkins.J.B) ، حيث أحصوا كافة النقوش في إقليم طرابلس الرومانية مما جمعوه من أبحاث (س) أوريغما

(*) وفي هذا السياق تجدر الإشارة بأن مجموع هذه المؤلفات التي أعرضها ما هي إلا نماذج لأخرى لا تقل أهمية عنها واستفادت منها بشكل كبير.

(Aurigmma.S.)و (ر) بارتوشيني (Bartoccini.R.)و (ج) كابيتو (Caputo.G.)، (ج.ر) جوتشايلد (Goodchild.R.D)، (ب) رومانلي (Romanelli.P)[5].

- مدوّنة النقوش الإغريقية الخاصة بإقليم القورينائية (Greek Verse Inscriptions of Cyrenaica)، برئاسة (ك) دوبياس لا لو .(Dobias-Lalou, Catherine) و (ج.م) رينولد (Reynolds. M) [6].

2. تقارير التنقيبية: استفدت من تقارير التنقيبية والمسح المعاصرة والمنشورة إلكترونيا من ناحية كشف بعض المعطيات العلمية والتاريخية وذلك خلال بعض الاسهامات التي قام بها علماء الآثار في مناطق الجرمية هي على شكل الآتي :

- تنقيبات وادي الآجال لبعثة الجمعية الملكية الإيطالية التي أصدرتها على شكل كتاب عُرف بحفريات الصحراء (Scavi Sahariani) برئاسة (ج) كابيتو عام 1934[7].
- تنقيبات الفرنسية التونسية سنة 1949 بجرمة القديمة،وقد صدرت بعنوان (Mission au Fezzan) كانت هذه البعثة برئاسة (ب) بلير (Bellaie.P.)[8]
- تنقيبات مصلحة الآثار الليبية برئاسة أيوب محمد سليمان بجبل زنككرا والجبانة الكبرى التذكارية الملكية بجرمة القديمة[9].
- تنقيبات البعثة الأكاديمية الملكية البريطانية بمواقع "جرمة القديمة" و"سانية جبريل" برئاسة كل من (س) ريتشمند (Ritchemand.C.) و (ت) دانيلز (Daniels.th)[10].

---

[5] Reynolds (J. M). and. Ward-Perkins (J. B), « Inscriptions of Roman Tripolitania », enhanced electronic reissue by Gabriel Bodard and Charlotte Roueché (**2009**). ISBN 978-1-897747-23-0.
Available: http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/

[6] Dobias-Lalou, Catherine, « Greek Verse Inscriptions of Cyrenaica », in collaboration with Alice Bencivenni, with help from Joyce M. Reynolds and Charlotte Roueché. Bologna: CRR-MM, Alma Mater Studiorum Università di Bologna, 2017. ISBN 9788898010684, http://doi.org/10.6092/UNIBO/IGCYRGVCYR

[7] Caputo (G.) Pace (B.), Sergi (S.), « Scavi Sahariani: richerche nell'Udi el-Agial, Monumenti Antich » i, Academia Nazionale dei Lincei, 1934.

[8] Bellaire (P.), Gobert (E.G.), Jodot (P.), et Pauphilet (D.), « Mission au fezzan» , Institut des histoires de tunis, 1953 = Belair (P.), « Mission Au Fezzan, Septentrional de L'ouadi El Ajal », copie électonique 14 -04 – 2019 https://horizon.documentation.ird.fr/exl-doc/pleins_textes/pleins_textes_4/sci_hum/19850.pdf

[9] Ayoub (S) el kilani (A.), « Excavations in Germa (Fezzan), Ministry of tourism and antiquites», tripoli, 1962

[10] دانيلز تشالز، أعمال الحفر والتنقيب في موقع الجرامنت، ترجمة مصطفى عبد الله الترجمان، مجلة آثار العرب، الجز الثاني، العدد الرابع، منشورات، مصلحة الآثار بطرابلس،1991 = Daniles (CH.), « Excavation and Field Work Amoust the Garamantes » , Libyan Studies, Vol,20,1989

3. المصادر الأدبية :فنذكر أهمها

يبدو للقارئ على المصادر الأدبية من نظرة الأولى أنَّ ما هو متوفر بها يمكنه أن يفي البحث حقّه ، وفي الحقيقة كثيرا ما نصطدم بشّح الفقرات التي تتناول معلمات عن الجرميون ، جلّها في نطاق سلبي ومختصر ، مما جعلني في إشكال لصعوبة مناقشتها ، وبالرغم من هذه العيوب ، إلا وأنه من الضروري العودة إليها للبحث في طياتها على ما يخدم موضوع بحثي وهي تتمثل في :

- **النصوص الأدبية الإغريقية :**

تعتبر الكتابات الاغريقية من أولى المصادر التي ذكرت لأول مرة عن الجرميين لكن باشارات مقتضبة جدا ولا تشفي غليل الباحث في معرفة المزيد من تاريخم ومن أهمها على الإطلاق كتابات للمؤرخ الإغريقي هيرودوت في الكتاب الرابع من مؤلفه التاريخ حيث تحصلت على إصدارات منقحة باللغة العربية من الترجمة الشهيرة لأعشى مصطفى في كتابه (أحاديث هيرودوت عن الليبيين الأمازيغ) من منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ومركز الدراسات التاريخية والليبية، الرباط 2009، وقد قارنتها بالإصدارات التي كانت باللغة الفرنسية، كما لا ننسى كتاب تاريخ هيرودوت ترجمة الذويب محمد مبروك من منشورات جامعة قاريونس، لكنني لم أستعمله ضمنيا لتناول أوّله مراجعة وتدقيق في تعليق حول الفقرات.

يعدّ هيرودوت أول من ذكر أسماء القبائل الليبية ومواقعها ومن بين تلك القبائل، ذكر "جرمة" ويعتبر هذا الذكر كأول تصريح واعتراف من المؤرخين على الإطلاق، وربما يكون قد استقى معلوماته عنها من أحد التجار الإغريق من سكان المدن الإغريقية الخمسة الذين يحتمل أنهم زاروا مواضع الجرميين أو التقوا بهم في المدن اليونانية بليبيا.

ويأتي بعد هيرودوت ، الكاتب السكندري أبولونيوس الرودسي (Apollonis Rhodes) المولود سنة 220 ق.م استفدت منه من خلال روايته المسماة بأرجونوتيكا (Argo) في الفقرة 13 التي ذكر فيها بأنّ أصل الجرميين من جزيرة كريت وقد أخذ هذه المعلومة من الروايات التي كانت شائعة في أيامه.

- Apollonius de Rhodes , « Argonatiques » , trad: Caussin (J.J.A.), le site de l'antiquité grecque et latin (en ligne) dephilippe remacle, http://remacle.org/bloodwolf/poetes/falc/apollonius/livre1.htm (17-04-20 : أخر مرة كانت).

- **النصوص الأدبية اللاتينية:**

بالنسبة لكتابات اللاتينية فلا نجد إلا القليل منها ممن أشار إلى مملكة جرمة ، فالمؤرخين الرومان لم يتحدثوا عن الجرميين إلا في سياق الأحداث الرومانية التي كانت جرمة طرفا ومن أهم المصادر هي :

- وقد اعتمدت على النصوص للجغرافي بطليموس الذي عاش بالإسكندرية خلال القرن الثاني بعد الميلاد أهم الكتاب الذين تكلموا عن البلاد الواقعة في الصحراء الكبرى ومن ضمنها فزان، فقد ذكر جرمة في مواطن كثيرة من كتابه الرابع وفي الفصل الثالث ضمن الفقرات 31 – 34 – 91 -93.
- ويعدّ كذلك ما كتبه الروماني بليني الأكبر الذي عاش ما بين (24 م إلى 84 م) في كتابه الخامس، مرجعاً هاماً للاحتكاكات التي حدثت بين الرومان وقبائل جرمة خلال فترة حكم الإمبراطور الروماني فسبازيان (Vespasian)، ويرجع إلى بليني الأكبر الفضل أيضا في سرد أخبار حملة رومانية قديمة حدثت في عهد أغسطس سنة (19 ق.م) ، ولا نعرف على وجه التحديد السبب الذي من أجله لم يذكر سترابون أنباء هذه الحملة ضمن ماذكر من أخبار الليبيين والرومان، ولعلّه لم يذكر أنباء هذه الحملة إما لعدم أهميتها وإما لأن الحملة فشلت في احتلال جرمة، وهو أمر تؤكده الحقائق الأثرية والتاريخية
- أما الجغرافي الروماني ســترابون (Strabon) الذي عاش بين (66 ق.م – 24 م.)، يعتبر من أول الكتّاب الرومان الذين تحدثوا عن جرمة، فقد سّجل ذلك في سَفْره الكبير الذي سماه بالجغرافيا (Geographicae) في الكتاب السابع عشر من جغرافيته، ترجمة الذويب محمد المبروك، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003.

– **المصادر العصور الوسطى:**

بالنسبة لهذه المصادر التي تبدوا متأخرة جدا عن أخبار الجرميين، لكنني استفدت منها في القضايا التي تطرقت إلى الفتوحات الاسلامية في مناطق الصحراء الوسطى ومن أهمها :

- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تقديم وتحقيق محمد صبيح، المكتبة الثقافة المصرية،القاهرة،1976.
- البكري عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، 1969.

4. **المراجع (الكتب والدراسات)** : ومن أجل تتبع هذه الدراسة كان حرِيًّا بي أن أعتمد على مجموعة من الكتب الخاصة بالتاريخ الليبي القديم منها الجرميات التي اختص بها أيوب محمد سليمان حيث يعتبر اللبنة الأساسية في موضوعي كونها تتسم بالجرءة في الطرح والتحليل، كما لا أنسى أنَّ الدراسات الغربية التي كان لها السبق في إبراز مملكة جرمة من الحيز الأسطوري إلى الوجود، على أنَّ منها ماحظيّ بترجمات منقّحة باللغة العربية ومنها ما لم يُتَرْجم بعد:

– **مؤلفات المؤرخ أيوب محمد ســليمان أهمها:** لا جدال أنّ أيوب من أوائل من ســطروا تاريخ الجرميين كحضارة قائمة بذاتها، إذ لا يوجد بحث في تاريخ الحضارة الجرمية إلا وكان في مقدمتها أما كتاباته فهي :

- أيوب محمد سـليمان، جرمة من تاريخ الحضـارة الليبية القديمة، ط1، دار المصـراتي للطباعة والنشـر، طرابلس، 1969.
- ـــــــــــــــ ، جرمة في عصر الازدهار الذهبي، مجلد ليبيا في التاريخ، طرابلس 1986.
- ـــــــــــــــ ، مختصر تاريخ فزان، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، ط1، 1993.

كل هذه الكتابات لأيوب مزالت من أهم المراجع الأولية العربية ، فقد إعتمد هذا المؤرخ على التحليل والاسـتنباط وبدرجة أقل على المقارنة حيث ناقش في كتابه الأول على فكرة الإفريقية الإثنية لصانع الحضارة الجرمية وبناء على المعطيات المادية التي اكتشفت بجرمة.

- **دراسات (ت) دانيلز(*) Daniles (CH.) :**

اتسـم أسـلوبه بموضـوعية مع الحيطة والحذر في تحليله للبينة الآثارية ، حيث جاءت تحليلاته عن العوامل الازدهار الحضـارة الجرمية فنوّه على أهمية دورها التجاري الصـحراوي مع الإمبراطورية الرومانية ، بالرغم من أنه يختلف إلى حد ما في ذلك مع أيوب، ومع أن المؤلف لم يتطرق إلى علاقة الجرميين بثقافات ماوراء الصحراء ، فإنه وخلافا لمعظم المؤرخين يفترض بأن جرمة ظلت مزدهرة إلى مابعد القرن الرابع الميلادي ، ومن أهم الدراسـاته نجد منها المعرّبة مثل:

- دانيلز تشـالز، الجرمنتيون سـكان جنوب ليبيا القدماء، ترجمة أحمد اليازوري ، دار الفرجاني، طرابلس، 1984.
- ـــــــــــــــ ، أعمال الحفر والتنقيب في موقع الجرامنت، ترجمة مصطفى عبد الله الترجمان، مجلة آثار العرب، الجز الثاني، العدد الرابع، منشورات، مصلحة الآثار بطرابلس، 1991، ص ص 58 - 90.

- **أعمال جون لوك لوكيلاك Le Quellec (J-L.):**

تعتبر الأبحاث التي قدّمها هذا الأخير من أهم المراجع التي خدمت موضـوع بحثي ، بالخصـوص البحث عن المشـاهد الفن الصـخري والنقوش التي يعدّ الجرميين مسـؤولين عنها في مناطق حمادة مسـاك ووادي الآجال الجرمي ، إلا أنه لفت انتباهي أن الباحث لوكيلاك Le Quellec (J-L.)، حاول تقزيم الانسـان الجرمي في هذا الفن اعتبره أنه مقلد للانسـان النوبي الذي وفد على مناطق الصـحراوية وعلى هذا الاسـاس سـيجد القارئ في المتن أنني أدحض هذا الكلام بمعطيات أنثربولوجية علمية لقت قبلا لجل الباحثين في دراسات الصحراوية أو في ما قبلها.

- Le Quellec (J-L.), « Art Rupestre Et Préhistoire Au Sahara Le Messak Libyen », editions Payot rivages, Paris, 1998, pp.13-26.

(*) من خلال اطلاعي لسلسة من أبحاثه ومقالاته ، تبيّن لي أنه تجنب النزعة العنصرية للمركزية الأروبية سعيه للوصول إلى إجابة عن من هم الجرميون ؟

- Le Quellec (J-l) et Gallin (A.), « Les ensembles ceramiques du bassin de marzuq une contribution de L'archéologique preventive ala connaissance du messak », cahiers de L' A.A.R.S., France, n°12,2008, ,pp.55-74.
- Le Quellec (J.L), « Rock Art And Cultural Responses To Climatic Changes In The Central Sahaa During The Holocene », Exploring The Mind Of Ancient Man, New Delhi, India,200, ,pp.112-134.
- Le Quellec (J.L.),« Nouveaux Documents Rupestres du Wadi Tiduwa Au Messak Mellet (Fezzan , Libye) » ,AARS ACTES, 1993, ,pp.36-51.

- **أبحاث موري فابريزيو وهي دراسة معّربة:**

- موري فابريزيو، تدرارات أكاكاوس – الفن الصـــخري وثقافة ما قبل التاريخ –، منشـــورات مركز جهاد الليبيين، 1988.

- **دراسات موزيليني ألفريد (.Muzzolini,(A**

تعتبر دراسـاته من الأعمال المهمة جدا ، حيث اسـتعملتها ضـمن المدخل والفصـل الأول فمراجعه من أهم الكتب القليلة التي تناولت منطقة جرمة خلال مراحل البلايســتوســان والهولوســان وكشــف عن أهم الثروة الحيوانية والنباتية التي تواجدت في منططقة جرمة خلال العصور الحجرية من أهم دراساته نجد:

- Muzzolini,(A.) « Akakus », Encyclopédie berbère, 3 | Ahaggar – Alī ben Ghaniya, Aix-en-Provence, Edisud,1986**,** ,pp.21-39.
- Muzolini (A), «les climats au sahara et sur ses bordures du pleistocene final a laride actuel», revue empuries , 1985,pp.255-271.

- **دراسات ماتنجلي ديفيد جون (.Mattigly (D.J**:

إنّ الأسـتاذ ماتينغلي ، بما عرف به من دراسـات أثرية وتاريخية حول ليبيا في منطقتها السـاحلية ودواخلها بالخصـــوص مناطق جرمة ، وماتبناه من آراء ونظريات ، يعتبر من كبار الباحثين المدققين الذين بذلوا على مدى ســنوات طويلة جهوداً علمية مضــنية ، ووضــعوا مؤلفات تُصــنف بين الأعمال التي يعتد بها ، ويعول عليها في الوقوف على الرأي السديد الذي تسمح به اللقى الأثرية والمصادر التاريخية القديمة ، وتمثل تطويرا للآراء التي توصل إليها علماء الآثار السابقون ، ومن أعمال الباحث ماتنجلي نجد :

- ماتنجلي ديفيد جون، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة الحراري محمد الطاهر وحيدر محمد عبد الهادي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2009.
- Mattinglay (D.J.), «In search of ramantesM Alost Civilization of the libyan sahara», text of lecture delivred at thebritish Ambassadors Resilence, Tripoli,24, Februray 2000,pp.215 – 247.
- Mattingly (D.J),« Preliminary results from 2010 field work on the human prehistory in the Libyan sahara» ,libyan studies 41,2010, pp.14-59.

- Mattingly (D.J.), «The Archaeology Of Fazzan »,Volume I, Synthesis, Published by the departments of Antiquities, Tripoli, The Society for Libyan Studies, London,2007,pp.89 -115.

- **أعمال كامبس غابريال (Camps (G.:**

تعتبر أبحاثه من المراجع المهمة التي اعتمدت عليها في دراســـتي وقد وظفتها ضـــمن محتويات الفصـــل الثاني وقد تميزت تعليقاته بالتحليل في تناوله أن الجرميين هم نتاج لثقافات ســـابقة كان لهم دور في تبلوّر الصحراء خلال العصور الحجرية ، ومن أهم دراساته هي :

- كامبس غابريال، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة حزال عبد الرحيم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،2014.
- Camps (G.), « La civilisation préhistorique de l'Afrique du nord et du sahara »,Paris, edition chéné,1974 (Livre).
- Camps (G.), « Les Gramantes, Conducteurs de Chars Et Batisseurs dans le fezzan antique»,https://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/les_garamantes_conducteurs_de_chars_et_bAtisseurs_dans_le_fezzan_antique. (en ligne 2019 - 04 – 22 الرابط أخر مرّة كانت)
- Camps (G.), «Le cheval et le char dans préhistoire nord- africaine», in mélanges delbeque,1983, pp.09-22.
- Camps (G.), « Recherches Sur Les Origines Des Cultivateurs Noirs Du Sahara», R.O.M.M,1970, pp.257-272.

هذا فضـــلا عن كتابات كثيرة لعل أبرزها كتابات هنري لوت (lhote.h.) في دراســـات حول معطيات الفن الصخري بالصحراء الوسطى[11].

واجتهادات جينات أوماسيب (Aumassip.g)[12] ومليكة حاشيد لدراسات الصحراء الوسطى فيما قبل التاريخ[13]، و (أ) باتس (O,Bates)في الليبيون الشـــرقيون[14]، و كذلك كتابات روبيفات رينيه (Rubbifat.R) حول المنظومة الدفاعية في تخوم الطرابلســـية و إقليم جرمة[15]،كما اســـتفدت أيضـــا من الدراســـات اللســـانية والتي ســـاهمت في معرفتي بحقائق كثيرة حول تســـمية الجرميين ومن دراســـات اللغة اللوبية مثل كتاب اللغوي (ج) مرسيه (Mercier.j) في اللغة الليبية وطبونيميات الشمال الأفريقي القديم[16].

---

[11] Lhote (H.), « Donnes Recentes sur Les Gravures et les peintures rupestres du tassili (Sahara Central) », simposio internacional de arte rupestre,barcelona,1966 , pp.354 – 369.

[12] Aummassip (G.) et Tauveron (M.) et Vernet (R.), « L'elevage Au Sahara Milieux, Hommes, Et Techniques du Sahara Prehistorique », L'harmatton,1994

[13] Hachid (M.), « L'art rupestre prehistorique en algerie revue de préhistorique et d'anthropologie culturelle», C.R.A.P.E ,Alger,1983.

[14] Bates (O.), « The Estern Libyan » , Franco Cassand, Id new Impression London,1970.

[15] Rebuffat (R.)., « La frontière romaine en Afrique : Tripolitaine et Tingitane », Ktéma,Paris, 1979.

[16] Mercier.G , « La langue Libyenne et la toponymie Antique de L'antique du nord », In journal Asiatique,1924

كما لا تفوتني المناسبة لأشير إلى إجتهادات الباحثين الجزائريين المهتمين بالإرهاصات الحضارية الأولى في غرب شمال إفريقيا بما فيها الصحراء الوسطى عبر العصور ومنها الأبحاث الأكاديمية الأستاذة العقون أم الخير.

- العقون أم الخير، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا (منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد،) رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الإسكندرية،1988.
- ــــــــــــــ، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2004.
- ــــــــــــــ، إطلالة على الصلات بين مصر و غرب شمال إفريقيا في فجر التاريخ ومرحلة ماقبل الأسرات .كتاب المؤتمر الثامن للإتحاد العام للأثاريين العرب .القاهرة .2005، ص ص 25-48.
- ــــــــــــــ، مدى تطابق المصدر المصري والرسوم الصخرية بالصحراء الوسطى.كتاب المؤتمر التاسع للإتحاد العام للأثاريين العرب .القاهرة 2006ّ ، ص ص 58 – 92.
- ــــــــــــــ، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة الإتحاد العام للأثاريين العرب ،العدد السابع المجلس الأعلى للدراسات العليا والبحث، القاهرة، 2006 ، ص ص 15-45
- ــــــــــــــ، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين، مجلة التاريخ العربي، العدد الحادي والأربعون، الرباط، 2007 ، ص ص 285 - 305.

5. الرسائل الجامعية

كما اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة إضافية من الرسائل الجامعية، منها دراسة راقية لنجلاء عبد الله عن علاقات الجرامنت التجارية والسياسية خلال فترة الرومانية ، وتعتبر في الحقيقة من الدراسات الجادة التي تناولت معلومات عن الجرميين ونشاطاتهم التجارية و صنائعهم الاقتصادية ، برغم من أنها لم تكن شاملة عن أخبار الجرميين في الفترات ماقبل التاريخ و في عصري الفينيقي والنوميدي، إضافة إلى رسالة دكتوراه للعقون أم الخير حول الليبيون ، استفدت منها بشكل الكبير لمعرفة إرهاصات الأولى للمظاهر الحضارية في منطقة الصحراء الوسطى باعتبارها المنبع الحضاري من ممكن أن نجد لها مساهمة بشكل كبير في بروز الحضارة المصرية القديمة.

6. المواقع الإلكترونية :

تجدر الإشارة إلى أنني استعنت بمواقع رقمية معينة ، تتمثل في المكتبات الإلكترونية التي تحتفظ بآلاف الكتب والمجلات العلمية المحكمة والمصورة على نظام (Pdf) ومنها:

- المكتبة الأدبية الفرنسية :www.remacle.org
- المكتبة الإلكترونية في ليون لمجلات العلوم الإنسانية والاجتماعية بيرسي :

.http:// www.persee.fr

- مكتبة المنهل للكتب والمجلات الفردية :https: // platform.almanhal.com/
- المنصة الآكاديمية للدراسات العليا : https: // academia.edu / Register

وقد سعيت جاهداً طِوال الفترة الدراسية ، إلى أن أبحث عن كل معلومة تفيدني في دراسة مملكة جرمة القديمة وحتى لو تعذر علي أن أقوم بزيارة ميدانية في دولة ليبيا الشقيقة، إلا أنه بفضل الله سبحانه وتعالى قد أمدني الأساتذة والزملاء الليبيون—ولهم الفضل أيضا- بكل ماسألتهم عن هذا الموضوع أو ما تعذر عليّ بسبب الظروف الأمنية هناك(*).

كما أريد ان أشير إلى أمر آخر ،وهو انني بقدر ما أردت التعمق في موضوع بحثي زاد من الأمر عناءاً وعِبئاً ، كون تاريخ منطقة جرمة مليئاً بالفراغات الزمنية (حلقات من تاريخه) وحتى المصـــادر فلا تعطينا إلا إشارات أو ملامح بعيدة نسعى من خلالها إلى تحصيل المقاربة بين بقية الليبيين والجرميين القدماء، إضافة إلى أنّ طبيعة الموضوع المتسع زمنياً استدعى مني أن أخصص وقتاً وجهداً ، نظراً لمحدودية الفترة الزمنية المقدرة بأربعة سنوات مقابل إنجاز بحث بهذه الأهمية.

كذلك واجهت صعوبة تمثلت في قلة المؤلفات المختصة بالدراسة الجرمية، إذ تكاد تحسب على أصابع اليد ، وهي مصادر أشارت باقتضاب إلى موضوع الدراسة، غير أنني كنت محظوظاً لأنني وجدت من المصادر الأدبية الهامة التي تكلمت عن المملكة الجرمية وكانت مترجمة باللغة العربية وهذا ما ســـهل علي عملية فهم العمل والمقارنة مع الكتابات باللغات الأجنبية، لكنني كثيرا ماكنت أقابلها وأقارنها بالنص الأجنبي على الأقل باللغة الفرنسية.

وفي نهاية هذا البحث، أوّدُ أن أتوّجه بالشكر الجزيل والعرفان والامتنان إلى الأستاذة المشرفة، الأستاذة الدكتورة العقون أم الخير على الرعاية التي غمرتني بها، وعلى سداد نصحها الذي أسّدته إلي خلال مراحل إنجاز هذا البحث، فقد صبرت عليّ طويلا وصحّحت كل جملة كتبتها مرات عديدة ليظهر هذا العمل على الصورة التي هو عليها وكانت في كل مرة تطلب النســـختين الأولى وعليها كل التصـــحيحات التي طلبتها والنســـخة الجديدة التي سرعان ماتصبح هي الأخرى قديمة وأصححها من جديد مرات عديدة ،وفي كل مرة كنت متيقن بأن النسخة المقبلة تكون أحسن من السابقة لها ، فلها مني كل الاحترام والتقدير، كما أتوّجه بخالص شكري إلى جميع أساتذتي الذين قاموا بتكويني في مرحلة السنة النظرية، الذين علمونا وتعلمنا منهم، وأعطونا من وقتهم

(*) في الحقيقية، لا تزال الدراسات الجرمية في طورها الجيني يرجع ذلك لأسباب عديدة منها: قسوة الظروف البيئية والمناخية، وغياب الكوادر العلمية الوطنية (ليبية وجزائرية) المدّربة في دراسة حضارة جرمة والصحراء الوسطى.

الثمين وبدون مقابل ولم نُوفِ حقهم، فنسـأل الله عزّ وجل أن يحفظهم ويبارك فيهم وأن يتقبل الله عملهم فهو لا يضيع أجر من أحسن عملا.

إنّني لأرجو في ختام هذه المقدمة أن يكون بحثي المتواضـع محاولة مني ومسـاهمة ولو بجزء ضـئيل في إماطة اللثام على أهمية الصحراء الوسطى في عصور ماقبل التاريخ و سلط الضوء ولو قليلا على تاريخ حضارة مملكة الجرميين التي لعبت دورا بارزا في الربط بين حضارات شمال إفريقيا.

الطالب مصطفى خاتمي

مدخل

مدخل : الجُغرافية الطبيعية للصحراء الوسطى

أولا / الأقاليم الجغرافية للصحراء الوسطى

I. أقسام الصحراء الوسطى.

1. الصحراء الوسطى الشرقية.

أ. تادرارت أكاكوس

ب. مساك.

ج. فزان.

2. الصحراء الوسطى الغربية.

أ. الطاسيلي نانجر.

ب. الآهقار.

ثانياً / السّمات الجغرافية لإقليم جرمة

I. الموقع

II. التضاريس الجغرافية.

III. الشبكة المائية.

IV. المناخ والنبات.

مدخل : الجُغرافية الطبيعية للصحراء الوسطى

لكي يصل الباحث إلى توضيح وإخراج هذا الموضوع قبل دراسته فلا بُد من تقديم مدخل حتى يتّم تحديد النطاق الجغرافي للصحراء الوسطى وأقسامها، لكن ما يعنيني في هذا الإطار الجغرافي الفسيح جزء مهم هو بالتحديد في الجانب الشرقي الذي يضم كافة إقليم جرمة، حيث ارتأيت أن أُعَرِّف بالمكان وبالبيئة التي سكنها الجرميون وبالمناطق التي انتشروا فيها، كذلك أسعى في هذا الفصل إلى إبراز الواقع المناخي والوسط النباتي والحيواني لجرمة خلال الفترة الزمنية المراد دراستها، استناداً على جملة من المصادر التاريخية والآثار والفن الصخري.

أولاً / الأقاليم الجغرافية للصحراء الوسطى:

الصحراء(*)هي منطقة جُغرافية شِبه خالية من النبات، يقلُ فيها تساقط الأمطار، وترتفع فيها درجة الحرارة في النهار بشكل كبير وتنخفض في اللّيل، وأكبر الصحاري في العالم هي الصحراء الكبرى الأفريقية، وهي حقاً أكبر فيافي العالم قاطبةً، حيث تُمثل أكبر نطاق جاف إذْ تقع معظم أجزائها بين دائرتي عرض (20° - 35°) شمالا،والتي تمتد من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر وتتجه شمالاً لتلامس البحر المتوسط في الشواطئ الليبية، غير أنها تنحصر في الغرب بسبب وجود جبال الأطلس في الجزائر والمغرب، وتنقسم هذه المساحة الشاسعة إلى عدة أجزاء تبعاً للجغرافيا والتضاريس(17).

وقد اجتهد الباحثان (ب) هاوارد (Huard.P.) و (ج) لوكيلاك (Leclant.J.) في تقسيماتهم للصحراء الكبرى التي تضم في طياتها أقاليم جزئية هي منطقة الصحراء المصرية وتضم السودان والنوبة وشرق ليبيا، وثانياً الصحراء التشادية وتضم (مرتفعات جادو، والتيبستي، وبوركو، إندي)، ثم الصحراء الوسطى وتضم (فزان وتادرارت الأكاكيس، الطاسيلي نانجر، الآهقار)، ومنطقة الصحراء الجنوبية الغربية الجزائرية، ومنطقة الأطلس الصحراوي وتضم معها جنوب المغرب الأقصى ومنطقة الصحراء الأطلسية تضم موريطانيا الغربية ومنطقة صحراء الساحل وتضم مالي وجزءا من غرب النيجر(18).

(*) تُعتبر كلمة الصحراء ذات أُصول عربية تعني الأرض الجرداء، فهي شِبه أرض واسعة مسطحة وقاحلة، كما أُعتبرت فضاءاً واسعاً، قاحلة من كل نبات...للمزيد يراجع : (الديناصوري جمال الدين وآخرون، جغرافية العالم، ج2، (إفريقيا وأستراليا)، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، بدون تاريخ، ص 250.) .كما ورد في لسان العرب لابن منظور على أنها: " تلك المستوية في ليّن وغلظ دون القفر" ،أما اليعقوبي فيعني بها المقبرة التي يدفن فيها الناس الموتى ....يُراجع : ابن منظور أبو الفضل، لسان العرب، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، 1997، ص16- اليعقوبي أحمد بن إسحاق، البلدان، تحقيق الضناوي محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002،ص 103.

(17) الجوهري يسري عبد القادر، شمال إفريقيا دراسة في الجغرافية التاريخية ، دار الجامعات المصرية،الإسكندرية، 1980،ص 43.

(18) Huard (P.) et (Leclant (J.), «La culture Des Chasseurs Du Nil et Du Sahara », Vol 01 – 02 , mémoire Du Centre De Recherches Anthropologiques Prehistoriques et Ethnograohiques, n° 29 , Alger,1980.p 21.

بالنسبة لجغرافية الصحراء الوسطى (الخريطة 01)، تمكّن الباحثون من تحديد تموقعها من خلال جرد جل المحطات الأثرية من مُخلفات الإنسان المادية ومن مشاهد الفن الصخري ، حيث ترى (ج) أوماسيب (Aumassip.g.) في مقالها حول الرعي والإنسان " أنَّ المساحة الإجمالية للصحراء الوسطى تقدر ب 350000 كلم^2، وتتكون من منطقتين مهمتين: الجزء الأول هي منطقة الآهقار، حيث يصل ارتفاع بعض قممها الجبلية ما بين 1000 م- إلى 2918 م وأعلى قمة تسمى (تاهات الآهقار)أما الجزء الثاني فهي هضبة الطاسيلي ناجر والتي تقع بين دائرتي عرض (18° - 27°) شمال خط الاستواء، وتتراوح بعض قممها الجبلية ما بين 1800 م، أما (م) كورنفان (Cornevin.M) في نفس السياق يرى معظم المواقع الأثرية تتركز في الجزء الجنوبي الشرقي للصحراء الوسطى للجزائر ، والتي يحدها من الجنوب صحراء الساحل (مالي والنيجر)، و من الجنوب الشرقي منطقة التيبستي و إندي، ويحدها شمالاً سلسة الأطلس الصحراوي، وأما شرقاً فالصحراء الليبية الشرقية التي تلي فزان، وتضم الصحراء الوسطى أيضاً مناطق من الجنوب الغربي اللّيبي (منطقة فزان، مساك، تادرارت الأكاكوس)[19]، أما في نطاقها الفلكي فتُحدَّد مابين دائرتي عرض (20° - 29°) شمالاً، وبين خطي طول (06° - 12°) شرق خط غرينيتش، وتقدر مساحتها بالتقريب (375000 كلم^2) [20].

وتعتبر الباحثة (أ.خ) العقون الصحراء الوسطى جزءا من مساحة الصحراء الكبرى[*] التي تُقدر بستة ملايين كلم^2،وكان قديماً يُطلق على هذا الفضاء الفسيح البلاد الليبية التي تحدد بكل مناطق شمال غرب إفريقيا، حيث ذُكرت لها إشارت عند قُدماء المصريين في نصوصهم كالتالي (.) وذلك تعبيراً عن كل المناطق التي تقع غرب النيل "بأمنت" (A'ment)[21].

أما (ت) باروسلاف يعتقد أنَّ كلمة "الصحراء" تُجسد أحياناً في الآثار المصرية بالعبارة " حا" أي صاحب الغرب، وهو إله وثني ذو أصل ليبي يحمل على رأسه رمزا للصحراء وعلى يده حربة منتشلة في جسد الإنسان[22]، و هذا هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد يرى الصحراء امتداداً لأراضي الليبين ورياحها الحارة

---

[19] Aummassip (G.) et Tauveron (M.) et Vernet (R.), « L'elevage Au Sahara Milieux, Hommes, Et Techniques du Sahara Prehistorique », L'harmatton,1994,p 63.

[20] Lefevre (Ph.) et Cabannes (R.) et Sendrail (A.), « Etude Hemotypologique des populations du Tassili N'ajjer », Bulletin Et Memoires de la societe D'anthropologie,Paris, seris 12,tome,01, fascicule,04,1967,p 420.

[*] الصحراء الكبرى: التي تمتد عبر البلدان الحالية التالية، المغرب الأقصى، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، السودان، تشاد، النيجر، مالي، موريطانيا، الصحراء الغربية، وتتمثل وحدة الصحراء في جفافها التام، الأمر الذي يجعل شروط قيام الحياة بها تكاد تكون مستحيلة خارج مناطق الواحات للمزيد يراجع: (العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983،ص 13.).

[21] العقون أم الخير، من مصادر التشريعات المحررة للفرد عند الفرعون " بوخريس" ذي الأصل الليبي، مجلة عصور العدد،12-13-14، جامعة وهران01، 2008-2009، ص ص303-315،ص313.

[22] باروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، ترجمة قدري (أ.)، دار الشروق،ط1، بيروت،1992،ص 28.

القاتلة، ورمالها الصفراء وفقرها، وهي تَعُج بالواحات[23]، وعند بطليموس في القرن الثاني الميلادي تستخدم كلمة الصحراء على أساس المنطقة الواقعة جنوب ليبيا و يقطنها الماكي (المكاي) مجهولة الأبعاد[24].

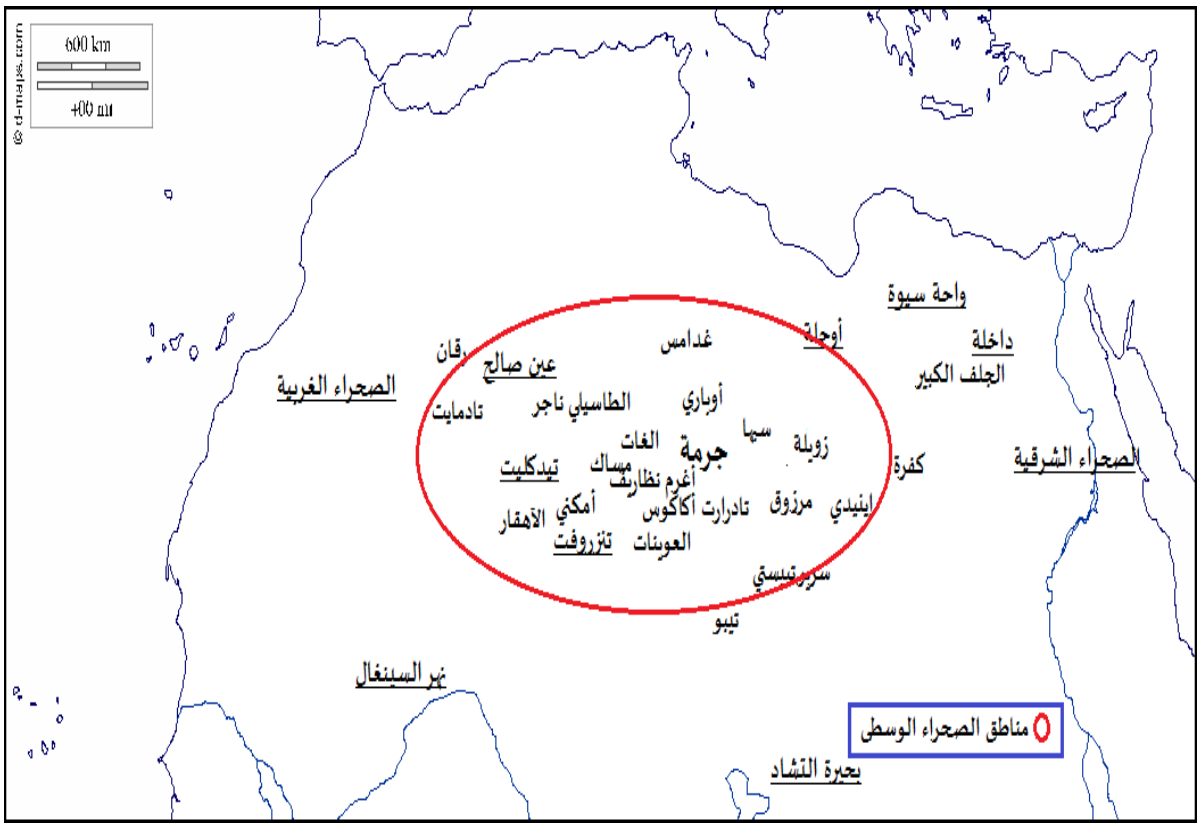

الخريطة رقم (01) : مناطق الصحراء الوسطى (من عمل الطالب) رصد الأقاليم حسب المعطيات :

Aummassip (G.) et Tauveron (M.) et Vernet (R.), « L'elevage Au Sahara Milieux, Hommes, Et Techniques du Sahara Prehistorique », L'harmatton,1994,p.52

[23] هيرودوت، التاريخ ، الكتاب الرابع، ترجمة: أعشي مصطفى، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ومركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط،2009، الفقرة،31.ص 24.

[24] بطليموس كلاوديوس، الكتاب الرابع من جغرافية ، ترجمة : الذويب محمد المبروك، منشورات جامعة قاريونس،ط1، بنغازي، ليبيا،2004، الفصل السادس، الفقرة 06، ص 93.

I. أقسام الصحراء الوسطى:

وذلك حسب التصنيفات الثقافية لمواقع الفن الصخري للصحراء الوسطى بشقيها الشرقي في الجنوب الليبي (الفزان، هضبة مساك،تادرارت أكاكوس) أما الصحراء الوسطى الغربية فتشمل مركزين هامين وهما (الطاسيلي ناجر،الآهقار).

1. الصحراء الوسطى الشرقية:

أ. تادرارت أكاكوس:

يُراد بكلمة تادرارت بلسان تماهق عند التوارق بالصيغة المؤنثة مايُطلق على الكتل الصخرية الكبيرة، وهي مشتّقة من كلمة أدرار (التيفناغ) فهي مذكرة تطلق على الجبل أي جبل الأكاكوس.

ويعرف العالم الأثريّ الإيطالي (ف) موري (Fabrezzio.M.) منطقة تادرارت أكاكوس قائلاً: (اسم أكاكوس يطلق على طرف الكتلة الصخرية التي ترى من غات ومن وادي تنزروفت ويسمى كذلك الجزء المتجه نحو الغرب بما في ذلك المنحدر الحاد الذي يحاذي طريق سردليس(*)، أما اسم تادرارت فيطلق بالتخصيص على باقي الجبل إلى القواعد المتصلة بالكثبان الشرقية[25].

تعتبر هذه المنطقة غنيّة بمحطات الفن الصخري وهي أول المناطق في شمال إفريقيا التي اكتشفت فيها النقوش و الرسوم الصخرية سنة 1850م من طرف الباحث الألماني (هـ) بارث (Barth.H)[26]

تقع منطقة تادرارت أكاكوس بالتحديد جنوب غرب إقليم فزان وشرق إقليم الغات تتشكل من ناحيتين، الناحية الأولى أكاكيس تحدّد عند دائرة عرض (24°) شمالا وخطيّ طول (45°- 11°) شرقاً، ويصل ارتفاعها حوالي 1200م، أما ناحية تادرارت فيبلغ عرضها حوالي 25 كلم، أما طولها فلا يتجاوز 120كلم[27].

(*) سردليس أو العوينات : هي واحة في جنوب غرب ليبيا. تقع إلى غرب أوباري بحوالي 250كم، وإلى الشمال من غات بحوالي 120كم. وتعني سردليس في لغة الطوارق (العيون الصغيرة)، وكان يتواجد في المنطقة عام 1934 ثمان وعشرون عيناً، وبذلك فإن لفظ العوينات على الأرجح ليس إلاّ تعريب للفظ سردليس...للمزيد يراجع : الزوام سالم محمد ، المعجم الجغرافي للأماكن الليبية، دار ومكتبة الشعب، مصراته، 2005، ص 84.

[25] موري فابريزو ، تدرارات آكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني، فؤاد الكعباري، مراجعة عبد الرحمن العجيلي، مركز الجهاد الليبين للدراسات التاريخية، طرابلس،1988،ص 29.

[26] Haurd (P.) et Allard (L.), « Gravures Rupestres Du Tadrart Akakous (Libye.s.w.) ».B.S.P.F,1977,tome.74,N°.09, p 279.

[27] Ibid,p 276.

وتفصل هذه الكتلة الجبلية الواقعة بالجنوب الغربي من فزان عن المنطقة مساك بحيرة مرزوق، ويظهر أمام القادمين من سردليس الجانب المواجه للغرب على شكل سلسلة غير متقطعة رمادية اللون غنية بالرؤوس والأودية[28].

تقع منطقة تادرارت أكاكوس شمال شرق مدينة غات بمسافة 150 كلم، ويظهر شكل الأكاكوس مستطيلاً وعلى وجه عام نتيجة أطول أضلاعه من الشمال إلى الجنوب ويقع بين (24°- 30°) شمال خط الاستواء وإلى شرقه أراضي مساك[29].

ب. هضبة مساك.

تعرف مساك بالحمادة وهي ذات ارتفاع متوسط تقع إلى الشرق من منطقة تادرارت أكاكوس وتفصلها عنها مسافة 85 كلم وتبلغ مساحتها 70250 كلم^2 يقع في طرفها الشرقي وادي الآجال (وادي الحياة حاليا) وهو مركز إقليم جرمة، وتنقسم مساك إلى قسمين وهما مساك ملت، ومساك ستافت وسميت بهذا الاسم نسبة للون صخورها (الأبيض و الأسود) بلسان تماهق (التيفناغ) عند طوارق ليبيا، وتتخذ شكلاً هلالياً ولا توجد بها أية وديان عريضة[30].

وتمتد أراضي مساك عند وصولها إلى وادي إيراون لتسير من الغرب إلى الشرق بدلاً من الجنوب إلى الشمال وهي تعرف في اتجاهها الجديد باسم حمادة مرزوق[31] ، نجد من ناحية الغرب وادي تنزروفت الذي يفصل الصحراء الوسطى إلى قسمين الغربي والشرقي، ويجمع هذا الوادي ثلاثة أقطاب طاسيلي من الغرب مع تادرارت أكاكوس وهضبة مساك، وطبيعة هذه السلاسل الصخرية تتقطعها طرق مائية عتيقة، ويتكون مجرى مياه وادي تنزروفت من مياه الأمطار التي تهطل على طول منطقة تادرارت أكاكوس ومناطق وادي ديريجي الرملية الواسعة التي تقع شمال غات وبعد مرور هذا الوادي بالمناطق يتعرج نحو الجنوب الغربي حيث يلتقي بالوادي الآخر بطبيعة الحال يصل هذه المنطقة عقب هطول الأمطار الغزيرة بحيث تغمر ضواحي غات [32].

أما وادي تنزروفت فيمتد بين كتلتين تأخذان نفس الاتجاه هما مساك ملت، ومساك ستافت ومنطقة تادرارت أكاكوس في الشرق بين منحدرات الطاسيلي الشرقية في الغرب وتتكون المنطقة من تكوينات تزداد حداثة كلما اتجهنا نحو الشرق إذ تنحدر الأرض من سفوح طاسيلي التي تتألف من الصخور وصفائح الطين نحو

---

[28] أيوب محمد سليمان، معالم أثرية من جنوب الجماهيرية، مراجعة سعيد علي حامد، محمد علي عيسى، ط1، مصلحة الآثار،طرابلس، 1991، ص08.

[29] الدّيناصوري جمال الدين ، جُغرافية فزان، دار ليبيا للنشر و التوزيع ببنغازي، د.ت ، ص402.

[30] أيوب محمد سليمان، معالم...،.المرجع السَّابق،ص 12.

[31] نفسه،ص 12.

[32] الشريف أحمد الريفي، مفهوم الفن البدائي في ماقبل التاريخ وإطاره الجغرافي، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد السابع، العدد الأول، جامعة سبها، ص15.

تكوينات تنزروفت من الطفل المختلط بالرمال وإن كان تتخللها تكوينات السيلوري الأعلى أحيانا وهو ما يعرف بحجر رملي آكاكوس المختلط [33].

ج. الفزان (Fezzan):

يعتبر إقليم فزان[*] جزءاً من النواحي الشرقية للصحراء الوسطى حيث يمتد هذا النطاق في الجزء الجنوبي الغربي من الصحراء الليبية، يُحدد من الناحية الشمالية على طول السفوح الجنوبية لجبل نفوسة وعرق أوباري، وتدخل فيه المرتفعات المعروفة باسم جبل الصالحات ومرتفعات مسلاتة،كما يتداخل في منطقة فزان وادي زازامت وواحات بونجيم وجالو، كما تعتبر منطقة غدامس إحدى المناطق المهمة من فزان ومن المحتمل أنّ الحدود الشرقية لفزان كانت تشمل واحات الكفرة، أما إلى الجنوب فنجد هضبة تبستي وطاسيلي تكونان الركن الجنوبي و الجنوب الغربي لحدود إقليم فزان مع هضبة مساك وتادرارت الأكاكوس، واعتبرت قديماً حلقة وصل بين حوض النيل و التبستي من جهة و الصحراء الوسطى من جهة أخرى[34].

أما فلكياً فتقع منطقة فزان بين خطي طول (12° -16°) شرق خط غرينيتش و بين دائرتي عرض (24° - 28°) شمال خط الاستواء، وتتربع على مساحة إجمالية تقارب 500000 كلم^2 [35].

وهناك شبه إجماع بين المؤرخين على أنّ أولى البدايات التي ذكرت فيها تسمية فزان، مما هو متعارف عليه بفزانيا (Phazaniae) عند المؤرخين القدماء، نجدها عند بليني الأكبر (Pline L'ancien) قبل حملة كورنيليوس بالبوس (Cornelius Balbus) على الجرميين، أما بطليموس فيقتبس من نبوبا جينوة (Nubjenoi) من تسمية [**] (Nefzaouae) التي يراها في الأصل (Phazanii)[36]،

---

[33] نفسه، ص 15.

[*] تُعرف فزان بلسان (تماهق عند التوارق) بالمصطلح تارقا (Targa)، وكذلك نجد تسمية نصابا (Nisba)، لكن يُمكننا أن نعتبر الأولى هي الأصل عند التوارق، " فتارقا " تسمية بربرية تعني بلغة تماهق: القناة، والوادي، فهي مناسبة لممرات الواحات، خاصة في وادي الأجال الذي يعتبر القلب النابض لإقليم فزانيا والجرميين، للمزيد يراجع: (LETHIELLEUX(J.), « Le Fezzân, ses jardins, ses palmiers », Tunis, Pubi, de L'IBLA, 1948, p 253.).

[34] رزقانة إبراهيم أحمد، جغرافية الوطن العربي المملكة الليبية، دار النهضة العربية، 1964،ص 12.

[35] نفسه،ص.12.

[**] يرى الباحث ماتنجلي (Mattingly) البريطاني أنَّ تسمية (Nefzaouae) عند بطليموس ما هي إلا اصطلاح جغرافي لكل المناطق التي تحاذي جبل نفوسة ويعتقد أنها تسمية محلية مشتقة من نفزة (Nefzzae). للمزيد يراجع: ما تنجلي ديفيد جون، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة الحراري محمد الطاهر و حيدر محمد عبد الهادي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2009، ص 81.

[36] Trousset (p.), Despois (j.), Gauthier (y.) Gauthier (ch.) and E.B., « Fezzân », in Encyclopédie berbère, 18 | Escargotière – Figuig [Online], Online 04 August 2018.URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2083.

ارتبط مصـــطلح الفزان بالســـكان الجرميين القدماء ، حيث نجد في بعض المصـــادر أنها تتكلم عن وطن الجرميين تحت تسـمية فزان الذين كانوا ينتسـبون إلى قصـبة بلادهم جرمة ، علماً أنّ إقليم جرمة في القديم لم يضـم فزان كلياً بل أجزاءها الغربية والجنوبية ، كون هضـــبة مســـاك وتادرارت أكاكوس كانوا ضـــمن نطاق هذا الإقليم أيضاً.

2. الصحراء الوسطى الغربية: (الجنوب الشرقي للجزائر).

أ. منطقة الطاسيلي ناجر:

تقع طاسـيلي ناجر(*) في الجنوب الشـرقي الجزائري ضـمن الصـحراء الوسـطى بكتلها الصـخرية من الحجر الرملي، يعرفها بشـي (إ.ل) بأنها عبارة عن هضـاب صـخرية جرداء وجبال تتقاطع بها أودية كثيرة تشـكل البطون الجافة لطرق مائية قديمة تستضيف بعض الكهوف الواسعة المنفتحة بفعل ظاهرة الحت(37).

تبعد الطاسـيلي ناجر حوالي 1500 كلم جنوب شـرق مدينة الجزائر العاصـمة، تنحصـر فلكياً بين دائرتي عرض (02° - 27°) درجة شمال خط الاســتواء، و بين خطي طول (08° - 11°) شــرق خط غرينيتش ، هي عبارة عن هضبة يتراوح ارتفاعها بين 1200م و 1500م، بينما نشـهد أعلى قمة بها تصـل إلى 2254 م في قمة جبل تيســـر، وتقدر مســـاحتها 120.00كلم^2، أما طولها يمتد لحوالي 700 كلم من الشـــمال إلى الجنوب وهي الإقليم الأكبر مساحة في الصحراء الوسطى(38) .

يعتبر الباحثون أنّ طاســـيلي هي الأراضـــي الموجودة داخل التراب الجزائري فقط وحدودها كالتالي " من الشـمال عرق "إسـاون نيغر غارن" وعرق "بوراغت" ومن الشـرق تادرارت أكاكوس الليبية ومن الغرب عرق أمقيد ومن الجنوب عرق أقدي وعرق تيهوادين وعرق أدمير.

أما فيما يخص الحدود الفاصـلة بين الطاسـيلي وفزان فيحددها (ج) لوكيلاك (Le Quellec.J.) في شـكل تكوين جيولوجي يأخذ شكل نتوء يمتد من الشمال إلى الجنوب ويتواجد في سهل غرب هضبة المساك يمكن رؤيته

(*) من ناحية المدلول للمصطلح حسب الباحث (البشي) الطاسيلي هي سلسلة الجبلية التي يُغطيها السواد أما أزجر فهي تعني جلد " الثور المسلوخ" أو " رأس الأقرع" ، أما (ه) لوت (Lhote.H.) فيقول إن "آزجر" تعني "نمراً " أو "بحيرة "، يسانده في هذا (ر) كابوت (Capot. R.) حول الآراء لمعنى كلمة الطاسيلي أزجر، بينما يخالف القمودي ماذهب إليه هؤلاء فهو يرى أنّ نطقها في لهجة التوارق " أزقر" وليس " آزجر" ، وأزقر نوع من الأشجار يكثر وجوده في أودية غات كما تشير أيضا إلى الوادي الأخضر ...للمزيد يراجع : القيمودي ضي الهلال، لمحات تاريخية عن قزان ، 2007 ، ص 12 (نسخة غير منشورة لُوحظ عنها يو 12 أبريل 2018 (18:25).

(37) بشي إبراهيم العيد، تاسيلي ناجر، البيئة الجغرافية و الحضارية،ج1 دار الحبر، الجزائر،2009،ص 133.

(38) سفروان حسيبة، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار واضواحيها (الطاسيلي ناجر، الصحراء الوسطى، الجزائر)، مذكرة ماجستير، معهد الأثار، 2007- 2008،ص 03.

من خلال الأقمار الصـــناعية وفي الأرض هو عبارة عن منحدر حاد يســـمى " ســـليطة الحمراء"، ويبدو أن تلك المرتفعات تمثل حدودا طبيعية وكذلك حدودا إثنية وثقافية بين الطاسيلي وفزان[39].

وتوجد بالطاســـيلي ناجر عدة مناطق وعددها ثلاثة وهي: الطاســـيلي الداخلي (Tassili Interne) وهو يمثل أول ارتفاع عمودي ويقل ارتفاعه كلما اتجهنا نحو المنطقة الموالية، الأخدود بداخل بالطاســيلي (Sillon Intra tassilienne) منخفض يقع بين الطاسيلي الداخلي وقاعدة الطاسيلي الخارجي، أما الطاسيلي الخارجي (Tassili Externe) فهو ثاني ارتفاع عمودي وهو يعلو الأخدود بحوالي (500م)[40].

ب. منطقة الآهقار:

وهي من أهم المناطق في الصحراء الوسطى، ولا يمكن فصلها عن منطقة الطاسيلي ناجر، وإنما هي امتداد ثقافي حضاري لها.

الآهقار يُمثل إقليماً شاسعاً يقع تقريبا بين خطي طول (01° - 10°) شرقاً، ودائرتي عرض (20° -22°) شمالاً ويتكون في حد ذاته من منطقتين صـغيرتين هما: الآهقار المركزي و يضـم (منطقة التافدسـت، والسـلسـلة الجبلية تاهات أتاكور وأغشـــوم، ومرتفعات الطورحة، ومنطقة: الإقري تشـــقها ثلاث أودية منها واد تاجرت وواد إغرغر وواد تين تغس، وســهل الأمدغوغ، وتضــاريس الأجرار ولآهقار الجنوبي هو غير مقســم مثل لآهقار المركزي لكن يشغل مساحة شاسعة يمتد من حدود المالي و النيجر إلى غاية دائرة عرض (22°) شمالاً[41].

يغطي إقليم الآهقـار أكثر من 500.000 كلم^2 فهو يمتـد على حوالي 1000 كلم من الشـــرق إلى الغرب و 760 كلم من الشـــمال إلى الجنوب كما يمتدّ إلى دولة مالي بســـلســـلة أدغاغ نفوغاس الجبلية إلى الجنوب الغربي وسلسلة الأبير بدولة النيجر إلى الجنوب الشرقي[42].

أعلى القمم الموجودة بالآهقار نجد: الأســـكرام، إيلمان، طاهات وهي أعلى قمة في الجزائر حيث يقدر ارتفاعها بـ3003م، و الهقار يُمثل كتلة تضاريسية موحدة النمط ومختلفة كل الاختلاف عن تضاريس بقية الصحراء من حيث بُنيتها المورفولوجية فهي عبارة عن كتلة صـــخرية منحصـــرة بذلك بين كل من هضـــبة تيدكلت شمالاً ، تنزروفت غرباً، صحراء تينري [43].

---

[39] Le Quellec (J.) « Art Rupestre Et Préhistoire Du Sahara Le Messak » ,Paris,1998.p 25.

[40] بن بوزيد لخضر، الطاسيلي آزجر في ما قبل التاريخ – المعتقدات و الفن الصخري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2015 ،ص 03.

[41] سيفروان حسيبة، المرجع السَّابق، ص12

[42] بن بوزيد لخضر، الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسيلي – أزجر خلال مرحلة الرؤوس المستديرة _8000 ق.م – 2500 ق.م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2009- 2010، ص17.

[43] نفسه، ص17.

وقد كان للباحثين تساؤلات مُعمقة إن كانت منطقتا طاسيلي نانجر والآهقار ضمن نطاق إقليم جرمة قديماً ، برغم أنّ المصادر أشارت إلى جغرافية المملكة باقتضاب على أنّ الجرميين أثناء المطاردة الرومانية لهم كثيراً ما كانوا يحتمون بتلك السلاسل الجبلية الواقعة بينهم وبين الآهقار، كما لدينا مؤاشرات أنثربولوجية ورسومات فنية أعطت نتائج بأن المسؤول عنها هو نفسه الإنسان الذي كان في نطاق جرمة، مع العلم أنّ منطقتي طاسيلي والآهقار مقارنة بمناطق فزان العليا هضبة مساك وتادرارت أكاكوس أقدم حضارياً وثقافياً.

ثانياً / السّمات الجُغرافية لإقليم جرمة.

I. الموقع:

يعتبر إقليم جرمة من أهم المناطق في فزان(*) بصفة خاصة وفي الصحراء الوسطى بصفةٍ عامةٍ، كما لا يمكننا فصلها عن منطقة الغات وطاسيلي ناجر بل هي امتداد حضاريّ لها، ويشكل إقليم فزان معقل قبيلة جرمة ويحدّد هذا الإقليم من ناحية الشمال حيث يتبع للحمادة الحمراء ويتلاقى بالزاوية مع الهُروج بجبل السودة، أما هضبة تبستي فتُشكل الركن الجنوبي له، ومن الشرق الهضبة بالهروج الأبيض والأسود، أما غرباً فإنها تتلاصق مع هضبة طاسيلي(44).

كما يتمتّع إقليم جرمة بأهمية كبيرة كونه غنيا بالواحات(**) ممّا جعله أهم المراكز الصحراوية وأكثرها استقرارا وكثافة سكانية، حيث تساهم تلك الواحات في تلطيف درجة الحرارة كما تقلص من مساحة الأراضي القاحلة، والصحراء الصخرية بين العرق الكبير، والحمادة الحمراء،(الخريطة 02).

ويرى الديناصوري (ج.د) في كتابه " جغرافية فزان" بأنّ الموقع الاستراتيجي للجرمة يتمثل في قربه من الساحل الشرقي لمدينة لبدة الكبرى، ولها امتداد فسيح قرب أوجلة شرقاً والتي تضم واحات الكفرة، والعوينات الشرقية أما من ناحية الشمالية الشرقية فتحدها سلسلة من الجبال تمتد إلى الجنوب من واحات الجفرة، والمعروفة باسم جبال السوداء وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتتصل بالحمادة الحمراء وتسمى مرتفعات

(*) كانت فزان محّل الأطماع القوى الأروبية في العصر الحديث خاصة إيطاليا وفرنسا وهذا ما يؤكده الجنرال (ديغول De Gaulle) بقوله في رسالته الموّجهة إلى الجنيرال (لوكليرك Leclerc) سنة 1942 " ستكون فزان هي معركة أفريقيا، فهي الرابط الجغرافي بين جنوب تونس وتشاد " ....للمزيد يراجع (الريان محمد رجائي ، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، إربد الأردن، 2001 ، ص 224.)

(44) أيوب محمد سليمان، مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1811، المطبعة اللّيبية طرابلس،ب.ت، ص 11.

(**)وتشير المصادر إلى مجموعة من الواحات التي تنتشر من الكفرة إلى غات مثل واحة مدينة (Garama) وهي عاصمة المملكة، وأوباري (Oebris) و تلغاي (Thelgae) وكل هذه المناطق في وادي لآجال. للمزيد...يُراجع البرغوثي: عبد اللطيف ، التاريخ الليبي القديم، دار صادر، بيروت، دت، ص38.)

جبال فزان، أما غربا فتمتد من غدامس وتتعرج بسهول الجفارة عبر سلسلة جبلية تسمى بجبال الحمادة الحمراء التي تنحدر نحو الجنوب وتنتهي بحوض وادي الشاطئ[45].

أما بالنسبة للركن الجنوبي من إقليم جرمة حيث تتواجد سلسلة طاسيلي نانجر فتتفرع منها سلسلتان داخل الإقليم، ويمتد الغربي منها شرقي غات حتى شمال قرية "سرديلس"، وهي ما يعرف باسم مرتفعات تادرارت، وإلى الشرق تقع سلسلة جبال الأمساك وتنقسم إلى قسمين أمساك بيضاء في الناحية الجنوبية وأمساك السوداء الواقعة في الشمال، ويقتربان من وادي الآجال غربي أوباري ثم يغير مسار امتدادهما نحو الغرب والشرق وبذلك تفصل وادي الأجال عن وادي برقوق وتسمى بحمادة مرزوق وإلى الشرق من هضبة طاسيلي تمتد جبال تبستي التي تفصل ليبيا عن النيجر وتشاد[46].

وقد دّلت المكتشفات الأثرية بأنّ مملكة جرمة متألفة من ثلاثة أحزمة من الواحات، والتي ذكرناها فيما بين الحمادة الحمراء وبحر الرمال الذي يمتد من أوباري حتى مرزوق[47]،وقد أوضح هيرودوت (Herodots) بأن موطن الجرميين يوجد بتل ملحي على مسيرة عشرة أيام من أوجلة، ومن المسافة نفسها عن الأطرانط، وعلى مسيرة ثلاثون يوما من موطن اللوطوفاجيين (أكلة اللوتس) [48].

أما سترابون (Strabon) فيقول إنّ الجرميين يبعدون عن الأثيوبيين المجاوريين للمحيط برحلة (مسافة) تسعة أو عشرة أيام، وعن أمون يبعدون خمسة عشر يوماً[49].

وفي الأخير نقول إن بلاد جرمة تقع في وادي الآجال (وادي الحياة) ما بين وادي الشاطئ وبرقوق، على بعد 1000 كلم^2 جنوب مدينة ويات.

---

[45] الديناصوري جمال الدّين ، المرجع السّابق، ص 61.

[46] الزدام نجلاء عبد الله، الجرامنت وعلاقاتهم السياسية والتجارية مع المدن الساحلية خلال العصر الروماني، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم جامعة مرقب، زليتن،2009، ص07.

[47] أيوب محمد سليمان، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر، ط1،طرابلس،ليبيا، 1969، ص12.

[48] هيرودوت، المصدر السّابق، الفقرة 183– 187، ص65- 72.

[49] سترابون، الكتاب السابع عشر من جغرافية،ترجمة: الذويب محمد المبروك ، منشورات جامعة قاريونس،بنغازي،2003، الفصل الثالث، الفقرة 19، ص 91.

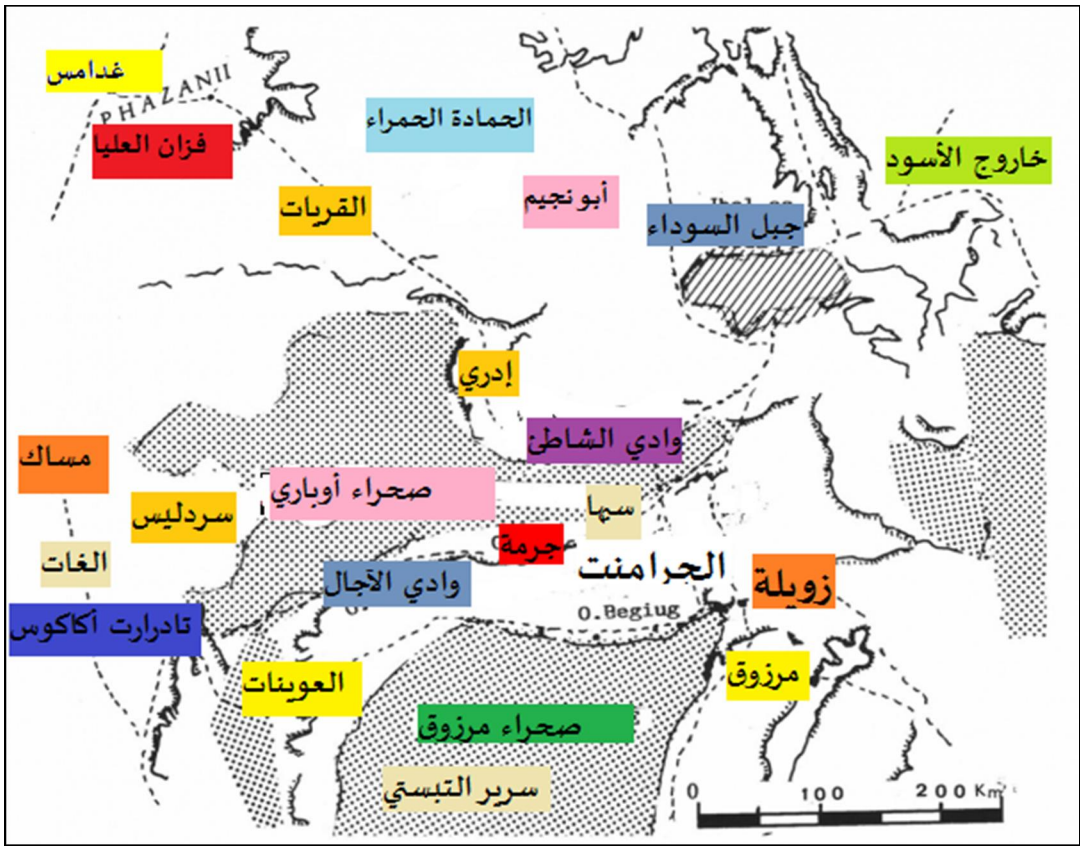

الخريطة (02) : تبيّن إقليم جرمة وأحوازها (ترجمة الطالب).

Trousset (P.), « Garama », in Gabriel Camps (dir.), *19 | Filage – Gastel*, Aix-en-Provence, Edisud(« Volumes », no 19) , 1998 [En ligne], le 01 juin 2011, consulté le 06 février 2019.

II. التضاريس الجغرافية:

تختلف المظاهر التضاريسية العامة لفزان (الشكل 01) من مكان إلى آخر من حيث الارتفاع و الانحدار ودرجة التقاطع، ومن حيث العوامل الباطنية المكونة لها، لكن عموما فهذا السطح الصحراوي المظهر لا يعني أنه عبارة عن بحر من الرمال، بل إننا نشاهد أن الصحراء الليبية في إقليم فزان تتكون من أشكال مختلفة فمنها السلاسل الجبلية والهضاب الصخرية التي تعرف باسم الحمادة مثل حمادة الحمراء التي تفصل غدامس عن وادي الشاطئ[50].

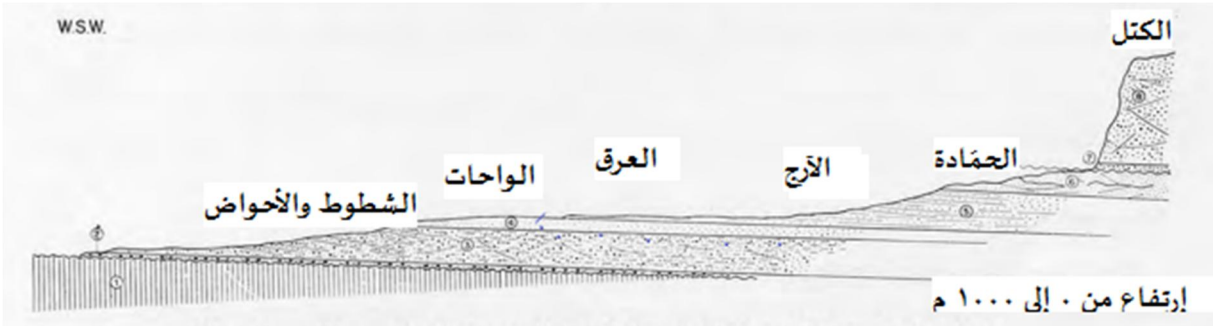

الشكل رقم (01) : مقطع تضاريسي لفزان بشكل عام (ترجمة الطالب).

Trousset (p.), Despois (j.), Gauthier (y.) Gauthier (ch.) **and** E.B., Op.Cit, Online 24 -02-2020.

وتفصل وادي الشاطئ عن واحة البوانيس كثبان عالية من الرمال تسمى الزلاف، والزلاف يمثل امتدادا للصحراء الرملية المسماة بأوباري، وهي بدورها تعتبر امتدادا لبحر الرمال الذي يغطي المنطقة الوسطى من الشرق الجزائري والمسمى بالعرق الشرقي الكبير[51].

وتعتبر صحراء أوباري من أشد الصحاري عبوراً بسبب كثبانها الرملية العالية حيث أصبحت تمثل بموقعها الجغرافي حماية طبيعية على وادي الآجال الواقع للجنوب منها ويوجد بهذه الصحراء سلسلة من البحيرات المالحة كانت بعضها فوهات لبعض البراكين الخامدة مثل بحيرة قبر فرعون، ووادي الآجال هو واد منخفض يقع بين صحراء أوباري في الشمال والهضبة الصخرية في الجنوب المسماة بحمادة مرزوق، وتتعرج السلسلة المكونة لحمادة مرزق في اتجاهها مكونة في الوادي برزخاً أو خلجاناً، وتنحدر الأرض من كلا الجانبين (جهة الهضبة الصخرية في الجنوب والهضبة الرملية في الشمال) تدريجياً حق تصل إلى أقل انخفاض لما في بطن الوادي، ولهذا السبب نجد أن المياه الجوفية تخرج هناك تلقائياً على شكل عيون[52].

---

[50] الديناصوري جمال الدين، مرجع السَّابق،ص 93 .

[51] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق ،ص 11.

[52] نفسه،ص 11.

كما توجد هناك كتلة من الجبال على شكل رأس صخري يمتد من الجنوب إلى الشمال حيث يتصل بالهضبة الرملية، وتقوم هذه السلسلة بتقسيم وادي الآجال إلى قسمين:

القسم الشرقي المعروف باسم الوادي الشرقي، والقسم الغربي المعروف بالوادي الغربي ووادي الآجال كوادي الشاطئ كثير المياه الجوفية لا سيما في بطن الوادي إذ أن المياه قريبة جداً للسطح.

ووادي الآجال تحده سلسلة من حمادة مرزوق من الناحية الجنوبية وهي تمتد غرباً قبالة وادي إراوان (Irawan) الذي يمكن اعتباره الامتداد الطبيعي لوادي الآجال، ثم نجد سلسلة حمادة مرزوق تنحني فجأة اتجاها نحو الجنوب وتعرف باسم سلسة جبال أمساك السوداء حيث تتصل بهضبة الطاسيلي الواقعة للجنوب منها طريق سلسلة من الجبال المسماة بالأمساك البيضاء[53].

وتنحدر السفوح الجنوبية لسلسلة حمادة مرزوق حيث تنتهي بأرض مسطحة تمتد على مدى البصر تكسوها طبقة خفيفة من الحصى وتعرف هذه المنطقة باسم: سرير مرزوق، وهي أرض قاحلة جرداء، وشرق هذه هضبة الهروج الأسود وهي كتلة ضخمة من الهضاب ذات الأحجار الداكنة الشديدة السواد وتمتد هذه الهضاب من الشمال إلى الجنوب لتفصل إقليم برقة عن إقليم فزان أما المناطق الجنوبية فنجد منطقة الكفرة في الجنوب الشرقي وبها هضبة متوسطة الارتفاع فيها بعض المرتفعات الصخرية والكثبان الرملية و أيضاً الأرض المسطحة المعروفة بالسرير، أما في الجنوب الغربي فنجد مرتفعات تادرارت وهي امتداد لهضبة الطاسيلي[54].

ولعل أهم أنواع التضاريس بالصحراء هي تلك المسماة بالأرج (L'Erg) أو المساحات المغطاة بالكثبان الرملية ويعرف (الجوهري) الأرج بأنه: "وشاح من الرمل يُغَطي الأرض وكانت في الأصل قاعاً لبحر جف في خلال الأجيال القديمة وأنّ الرمال نفسها كانت نتيجة لتحلل الصخور بفعل عوامل التعرية نتيجة للجفاف الشديد الذي أعقب الزمن المطير في بداية عصر الصحراء وهو يحمل ذلك التفسير في السطور القليلة التالية:

" عندما كانت الأنهر تجري في المناطق التي نراها اليوم جرداء والتي تسمى الآن بالصحراء كانت تلك الأنهر تحمل معها كمية لا بأس بها من الغرين والرمال، فلما توقفت تلك الأنهر عن الجريان خلفت في قيعان مجاريها الكثير من الرمال التي ظلت متماسكة في أماكنها بفضل الغطاء النباتي[55].

---

[53] الديناصوري جمال الدين، المرجع السّابق،ص 95 .

[54] نفسه، ص 94.

[55] الجوهري يسري عبد القادر، المرجع السَّابق، ص 23.

III. الشبكة المائية:

يبلغ طول حوض المنخفض في إقليم جرمة (الخريطة 03) من الشرق إلى الغرب حوالي 50 كلم، أما من الشمال إلى الجنوب فنحو 20 كلم، وفيه توجد طبقة غنية من المياه العذبة وإلى الشمال من منخفض الكفرة يوجد منخفض آخر يطلق عليه اسم منخفض زيغن حيث توجد واحات تازربو، التي تكثر بها أشجار النخيل[56].

1. حوض فزان:

هو حوض عظيم الاتســـاع تخترقه العديد من المنخفضـــات الطويلة وهي تحدد تحديداً طبيعياً من جميع الجهات، فمن الشمال توجد الحافة الجنوبية لهضبة الحمادة الحمراء، أما الشرق فتعد مرتفعات الهروج حداً طبيعياً، ومن الجنوب تحده مرتفعات تمور، في حين تشكل قمم الطاسيلي، وحمادة تنغرت الحدود الغربية[57]، وتخترقه العديد من الأودية أهمها:

أ. وادي الجفرة:

يقع في الركن الشمالي الشرقي من فزان، تقع عليه واحات سوكنه، هون، ودان، ويشمل هذا الوادي ســـهل مرزق، ووادي عتبة، ووادي برجوج الذي تتجمع فيه المياه المنحدرة من حمادة مرزوق، وتكثر في هذا الوادي أشجار الأثل، و السنط، والنخيل، ولقد كان هذا الوادي منذ القدم طريقاً للتجارة بين ساحل المتوسط والواحات الواقعة في داخل البلاد[58].

ب. وادي الآجال[*] :

وهو من أكبر الأودية بفزان، حيث يمتد هذا الوادي على شكل خط طويل ضيق يحتوي على منخفضين 180 كلم طولياً من الشرق إلى الغرب، حيث يمتاز القسم الغربي منه بوضوح مجراه ووجود الينابيع الدائمة، وتظهر به حافة حمادة مرزق الشـــمالية التي تمثل حدوده الجنوبية أكثر وضـــوحاً وامتداداً، وفي الجزء الشـــرقي من الوادي يلاحظ امتداده لمسافة تزيد قليلا عن 80 كلم طولياً، ويتميز بقلة منعطفاته وضيق مجراه[59].

---

[56] أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق، ص 13.

[57] رزقانة إبراهيم أحمد، المرجع السّابق، ص 24.

[58] أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق، ص14.

[*] أخذ هذا الوادي تسمية الآجال ، وفي اللغة الليبية مشتق من إجِلْ بكسر الألف والجيم، ووفق المتغيرة الليبية عند التماهق والتماشق (التوارق) تعني بالقطيع من البقر، وهذا ماي توافق مع رسومات الصخرية وطبيعة المنطقة التي تشهد بقطعان من الأبقار التي ربّاها الجرميين....للمزيد يراجع:(Mercier.G « La langue Libyenne et la toponymie Antique de L'antique du nord », In journal: Asiatique,1924,p 280.).

[59] الديناصوري جمال الدين، المرجع السَّابق، ص 93.

كما يتميّز هذا الوادي بوجود بروز على شـكل رأس الهلال داخل الوادي الغربي أو مايعرف باسـم جبل "زنككرا"، وفيه عثر على أقدم المستوطنات والملاجئ التي أنشأها الجرامنت منذ العصر الحجري الحديث، كما أن جرمة العاصمة القديمة لجنوب ليبيا في هذا الجزء[60].

وكان وادي الآجال يمتد شمالاً حتى يلتقي بوادي الشاطئ عبر واحات البوانيس التي تقع عليها مدينة سبها وكان نقطة الالتقاء عند نقطة لا تبعد كثيراً عن ملتقى طريق براك بطريق سـبها طرابلس الحالية، ومن المحتمل أن ذلك النهر كان يشق طريقه شمالاً عبر جبال السوداء ليصب في البحر المتوسط ومن المحتمل أنه كان نهرا ذا تصريف داخلي أي أنه كان يصب في بحيرة داخلية[61].

ج. وادي الشاطئ:

يعتبر مجرى لنهر قديم وثاني أكبر الأودية بفزان، حيث يمتد من الغرب إلى الشرق على طول الحافة الجنوبية للحمادة الحمراء، ويبلغ طوله حوالي (180كلم) وعرضه يتراوح بين (08 كلم إلى 20 كلم)، وتنتشر إلى الجنوب من داخل الوادي أشـجار النخيل، كما أنه يعد من أغنى مناطق فزان بالمياه الجوفية، تتفجر فيه العيون، وبعض العيون حارة مثل عين المحروقة، وتتناثر عليه من الغرب إلى الشـرق، وتقوم فيه بعض المراكز التجارية المهمة مثل براك، وأدرى، ثم القرى التالية: الحطبة وتمسـان، تزربك، لمحروقة، تاروت، وزوية، وفي هذا الوادي نجد واحة البوانيس فتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وبها في أقصى الجنوب مدينة سبها وإلى شمالها الشرقي قرى: تمنهنت، سمنو، الزيغن، أم العبيد[62].

وتفصـل ما بين "غدمس" و"وادي الآجال" واحة في الصـحراء بها الكثير من الآبار والعيون ويمتد منها وادي تناروت (Tanarut) الذي كان طريقاً قديماً يصلها بداخل فزان، ويكون جبل السوداء وجبل حسونة (فزان) خط تقسيم للمياه تنحدر من سفوحها الشمالية الأودية التي تصب في البحر الأبيض المتوسط مثل وادي المالحة (Malihah) ووادي غيلان أما من السفوح الجنوبية فتنحدر الأودية التي تصب في الأحواض الداخلية المغلقة بفزان مثل وادي زجرة ووادي مسعودة اللذان يصبان في وادي الشاطئ الواقع إلى الجنوب منهما[63].

---

[60] تشارلز دانيالز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا، ترجمة أحمد اليازوري، مكتبة الفرجاني،ط1، طرابلس، 1984، ص15.

[61] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص 15.

[62] نفسه، ص 25.

[63] الديناصوري جمال الدين، المرجع السَّابق، ص 95.

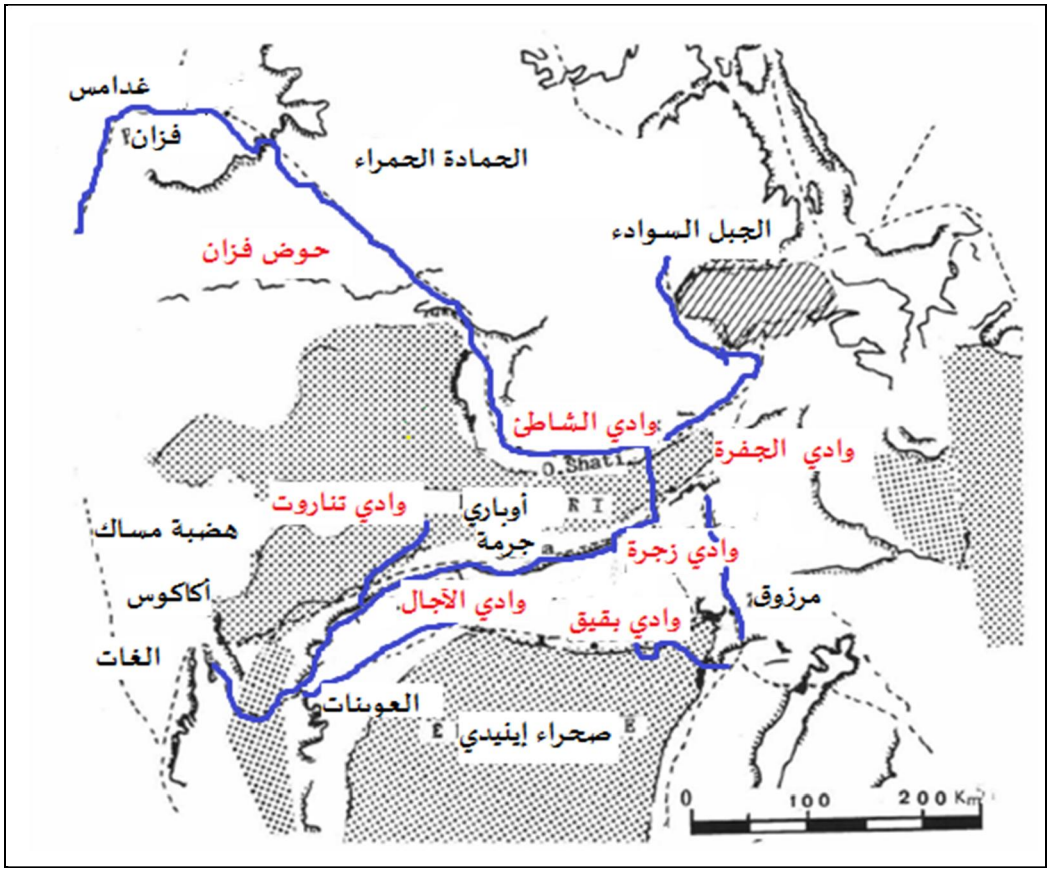

الخريطة رقم (03) : تبيّن الأودية في إقليم جرمة

الرابط: Trousset (P.) , « Garama », [En ligne], consulté le 06 février 2020 (14:21)

IV. المُناخ والنبات:

1. المُناخ:

قسّم الباحثون الزمن الجيولوجي الرابع إلى فترتين زمنيتين غير متساويتين الأولى تُدعى البلايستوسان (Pléistocéne) والثانية تُدعى الهلوسان (Halocéne) ، الفاصل بينهما يصادف نهاية آخر عصر جليدي وقبل بداية المناخ الأمثل أي حوالي 9800 ق.م [64]، وهناك اختلاف بين الباحثين في تحديد تاريخ بداية الهلوسان فقد حدد (ج) لوكيلاك (Le Quelllec.J.) بدايته بتاريخ يعود إلى عشرة آلاف سنة حيث انتهت الحلقة الجافة التي أعقبت البلاستوسان،[65]ويرى الباحثان (ب) هاوارد (Hauard .P) و (ل) ألارد (Allard .L.)أن هذه المرحلة الجافة ظهرت منذ حوالي (19 ألف سنة ق.م)، وانتشرت أثناءها صحراء كبرى تدعى في الأوساط العلمية باسم "الصحراء الباردة" التي غطت الجزء الشمالي من أفريقيا، وهذه المرحلة الجافة سبقتها مرحلة رطبة تسمى المرحلة العاترية الرطبة بين 38000 إلى 19000 ق.م، وهي التي شهدت فيها امتداد الحضارة العاترية، وبعد زوال هذه الثقافة وهجرة الإنسان من المنطقة نتيجة الجفاف الذي ضربها حيث امتدت صحراء أكثر من الصحراء الحالية فقد وصلت الكثبان الرملية إلى الصحراء الجنوبية، ويُعتقد أنها بدأت في الانحصار تدريجياً ابتداء من 10500 ق.م[66].

باختفاء هذه الصحراء الباردة عرفت منطقة شمال إفريقيا تواجدا بشريا كبيرا، وما يبدو أن الرطوبة أصبحت كبيرة بين 10500 ق.م – 8000 ق.م حيث ظهرت بحيرات جديدة كما اتسعت بحيرة تشاد بشكل كبير على حد تعبير (ج) كامبس (Camps.G.) حيث حصل على هذه المعلومات من خلال دراسة ترسبات الأنهار والبحيرات التي أعطت أدلة للباحثين عن التغيرات المناخية في الصحراء[67].

تمكّن الباحثون من خلال الدراسات التي قاموا بها في هضبة مساك غرب جرمة من التعرف على مختلف التغيرات التي مرت بها منطقة فزان خلال مرحلة البلايستوسين[*]، فقد كانت المنطقة تمر بفترة رطوبة وكانت الظروف مثالية في الصحراء إلى غاية (33 ألف سنة قبل الحاضر) حيث تغير الوضع إلى جفاف[68]

---

[64] سحنوني محمد، ماقبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1990، ص12.

[65] Le Quellec (J.L), «Rock Art And Cultural Responses To Climatic Changes In The Central Sahaa During The Holocene».P.C.R.D. Ed. Exploring The Mind Of Ancient Man, New Delhi, India,2002, Pp.173-188.p 176

[66] Haurd (P.) et Allard (L.), Op.Cit.p 273.

[67] Camps (G.), «La civilisation préhistorique de l'afrique du nord et du sahara »,Paris, edition chéné,1974,p 221.

[*] البلايستوسين هي الفترة الأولى من الزمن الرابع يبدأ من (2.5 مليون سنة و يمتد إلى.10000 قبل الحاضر)، تميز هذا العصر بتغيرات مناخية هامة تمثلت في مراحل جليدية وما بين جليدية في أروبا بينما شهدت مناطق أخرى كالصحراء فترات من الجفاف و الرطوبة للمزيد... يراجع (بن بوزيد لخضر، التغيرات المناخية في الصحراء الوسطى في عصر البلايستوسين (2.59 مليون سنة – 8000 سنة قبل الميلاد)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، المجلد 09، العدد 02، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016،ص 1025- 1048 ص 1029).

[68] بن بوزيد لخضر، التغيرات...، المرجع السّابق، ص1039.

والجليُّ أنَّ مرحلة الجفاف قد انتهت في حدود عشـــرة آلاف ســـنة قد خلت، وهذا التاريخ يُمثل بداية الهلوسـان(*)، بالنسـبة (ج) لوكيلاك (Le Quellec.J.)تميزت بسـقوط كثيف للمطر بكمية (500 ملم) في السـنة، فظهرت المستنقعات وقدوم فصائل حيوانية وتوافد الأجناس البشرية الزنجية والبيضاءوالملونة) [69] حسب دراسات (س) شـاملا (Chamla C.) الذي ركز أعماله على البحث الأنثربولوجي فيي هذه المرحلة من خلال ثمانية وخمسـين موقعا في فزان والصـحراء الوسـطى[70]، وهذه الفترة الرطبة جداً كانت مدتها الزمنية قرابة خمسـة آلاف سنة تخللتها فترات جافة لم تُؤثر بشكل كبير في الواقع النباتي و الحيواني والبشري، أما مليكة حشيد (Hachid.M) فتقول " إنّ الرطوبة عادت إلى الصحراء ما بين 13000 و 12000 سنة مضت، وهي تختلف حسب المناطق وقد أكدت أن الصـحراء كادت تفرغ من سـكانها بسـبب الجفاف الذي اسـتمر لعدة آلاف من السـنين[71]، ربما هذا ما يُفسـر فقدان بقايا للإنســان وللحيوان في الطبقة الأثرية قبل مسـتوى العصـر الحجري الحديث (Néolithique) في موقع هام في الطاسـيلي وهو كهف تين هناكتن(**)، حيث يقول (ي) قوتييه (Gauthier.Y.) أنّ الطبقة الأثرية التي تعود إلى مستوى أدنى من العصر الحجري الحديث خالية تماماً من البقايا الإنسانية و الحيوانية.

لم يتمكن الباحثون من تأكيد هذا الكلام، فربما قد تجيب الأبحاث الأثرية في السـنوات المقبلة على هذا الطرح، ومهما يكن من أمر، فإن الأمطار عادت إلى الهطول وعادت معها السـكينة إلى الصـحراء، حيث أصـبح المنـاح مثـاليـاً(***) في حوالي 7500 ق.م،وتـذكر كـل من (ج) أومـاســـيـب (Aumassip.G.) و (م) توفران

(*) الهولوسين (Holocéne) : هو المرحلة الحديثة في التقسيم الطبقي الجيولوجي وهو يبدأ من (10000 قبل الميلاد)، وتعني الكلمة " العصر الأخير"، وأول من استعمل الكلمة هو الفرنسي (ب) جرافييه (Gervais.P.)، بين سنوات (1867 – 1889 م)، وقد أطلقه على المرحلة التي انتهى بها العصر الجليدي الأخير، وفي سنة (1885م) اعترف المجلس الجيولوجي الدولي بأن الزمن الرابع يتكون من عصرين هما على التوالي: البلايستوسين والهولوسين...للمزيد يراجع... (بن بوزيد لخضر، التحولات المناخية في الصحراء الوسطى خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 08، ب ت، ص269.).

[69] Le Quellec (J.L),Op.cit,p.176.

[70] Chamla (M.C.), « Les Population Anciennes Du Sahara et des regions Limitrophes, Etude restes Osseux Humains Neolitique et protohistoriques », mémoire du Centre de recherches anthropologiques prehistorique et ethnographiques,n,09,Alger,1968,p.33.

[71] Hachid (M.), « Tassili – n'Ajjer au source de l'histoire ih y a 50 siécle avant les pyramids ».Ed Mediteranée, paris,p 168.

(**) تن هناكاتن: موقع أثري يكشف معلومات مهمة عن طبيعة المجتمعات خلال العصر الحجري الحديث، وبفضله تمكن الباحثون من خلال هذه المغارة من معرفة المناخ القديم الذي ساد الصحراء، تبعد هذه المغارة حوالي 150 كلم جنوب شرق مدينة جانت، أكتشفت سنة 1971، توالت عليها 10 بعثات علمية من 1973 إلى غاية 1983م. للمزيد... يراجع: (Aumassip (G.), Delibrias (G.), « Ages des Depots Neolitique du gisement de ti-n-hanakaten (Tassili –n-ajjer, Algerie) »,Libyca,C.R.A.P.E, tome.31-31,1983,pp.207-211,p.209.).

(***) إن المناخ الأنسب (الأمثل) أثّر بشكل كبير في الحياة اليومية للمجتمعات وبين أنَّ مجتمع الصيادين في هذه المنطقة قد بلغ تطوره الثقافي من الصيد البري والمائي وذلك من خلال وجود البقايا العظمية السمكية وأدوات الصيد(الخطاف والصنارة) ورسوم القوارب، كما لم تكتفِ هذه المجتمعات بممارسة الصيد بل أحدثت لنا نشاطاآخر وهو الوصول إلى ثقافة الرعي، من خلال وجود البقايا العظمية للحيوانات المدجنة ومشاهد متنوعة من واجهات الصخور تظهر لنا قطعانا من الغنم والبقر والماعز، كما مارس الإنسان في مرحلة المناخ الأمثل نشاطااقتصاديا وهو الزراعة عبر عنها ذلك الإنسان بواسطة محطات الفن الصخري. للمزيد يراجع... ،(وابل أمحمد، انعكاس مرحلة المناخ الأمثل على ثقافة المجتمعات في الصحراء الوسطى 7000 قبل الميلاد إلى غاية 2500 قبل الميلاد، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 01، 2013-2014، ص31.).

(Tauvron.M.) أنَّ المرحلة الرطبة تميزت بالرطوبة و البرودة، وأن البيئة والحيوانية فيها كانت متوسطية أو استوائية تبعاً للارتفاع وقد استمرت إلى 5500 ق.م ، ثم تعرضت الصحراء لخطر الجفاف مرة أخرى لكن هذه الحلقة الجافة لم تستمر لأكثر من ألف سنة 5500 إلى 4500 ق.م، وتستمر التذبذبات المناخية في الصحراء حيث في حوالي 2500 ق.م تحدث مرحلة جفاف أخرى تدوم ألف سنة مابين 2500 ق.م – 1500 ق.م وبين 1500 ق.م – 1000 ق.م ثم تعود الأمطار في مرحلة رطبة قصيرة تدوم خمسمائة سنة يليها الجفاف الذي يتزايد تدريجياً ويشتد مما أثر سلباً في الحياة اليومية للمجتمعات[72]،

وكانت فترة الجفاف الأخيرة سبباً في هجرة الحيوانات نحو مناطق أكثر ملائمة للعيش، كما أصبح هذا الجفاف يغطي 100 ٪ من مساحة الصحراء الوسطى، وهذه الحالة المناخية عكسها الفن الصخري حيث أصبح هناك غياب الرسوم المبينة للرعاة وقطعانهم، كما أنّ المواقع الأثرية وأماكن الإقامة انعدمت فيها أي مؤشرات للنشاط البشري ويؤرخ هذا من 2000 ق.م وتستمر إلى وقتنا الحالي[73]، (الخريطة 4).

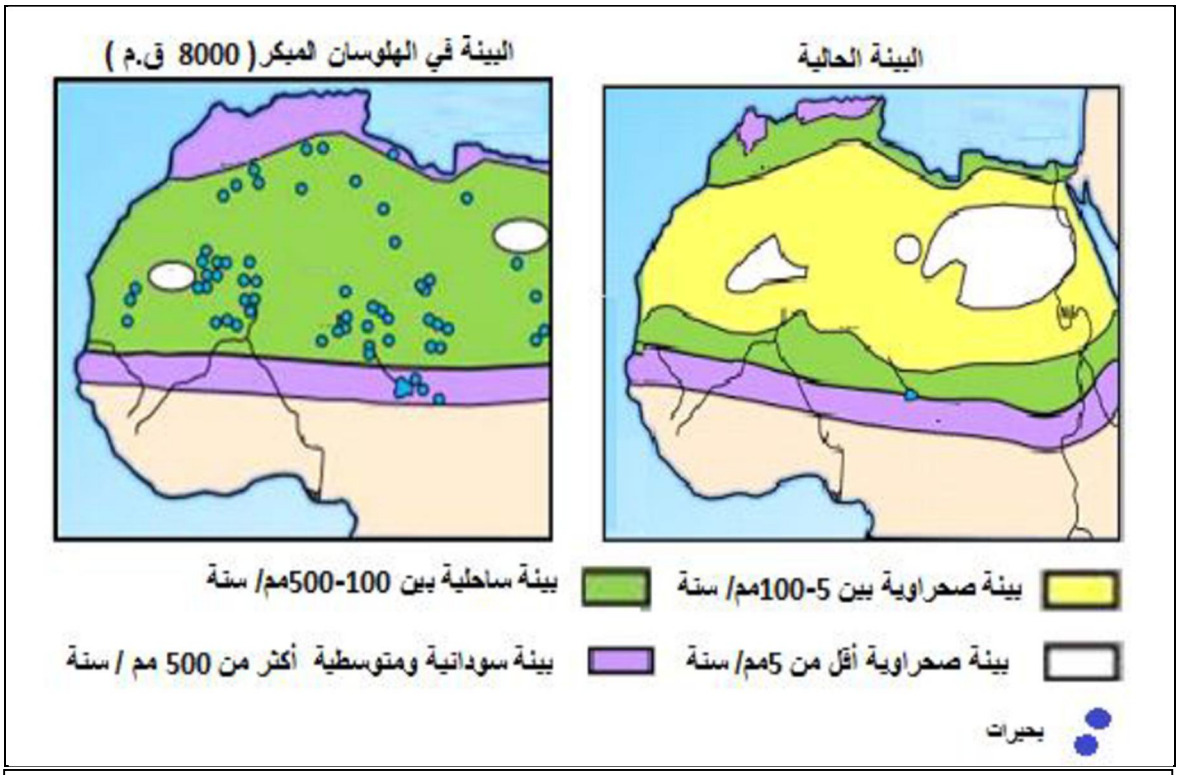

الخريطة رقم (04) : خريطة تُمثل الحالة المناخية القديمة والحالية في الصحراء الكبرى.

المرجع: بن بوزيد لخضر، التغيرات المناخية...، المرجع السَّابق، ص.208.

[72]Aumassip (G.) et Tauvron (M.), « Le Sahara Central a L'Holocéne »,Mémoirie Della Societa Italiana Di Scienze Naturali E del Museo Civico Di Storia Naturale du Milano XXVI/II.p66.

[73] Fantar (M.H.), « Le Sahara et L'homme : un savoir pour savoir – faire », Actes du colloque organisé a Douz du 27 au 29 décembre 2003, Tunis ;université de tunis el manar,p110.

وعندما نختص في قراءة المناخ في منطقة فزان من خلال الرُســومات الصــخرية التي يراها العلماء أنها تتبع زمنا سـابقا للعصـر الحجري الحديث، حيث اسـتنتج (ج) لوكيلاك (Le Quellec J.) من آخر المكتشـفات المتعلقة بتعاقب المناخ في منطقة فزان فيما بعد العصر الجليدي في أروبا، وذلك تأييدا لما قاله (ج) جريوزر (Graziossi. J) أنَّ جميع الأشكال المنقوشة في الفن الصخري ترجع إلى مابعد العصر الحجري الأقرب (البلاستوسان)، وأنَّ المرحلة التي يمكن أن تعيش فيها في ذلك العصـــر هي المرحلة الرطبة الواقعة مابين 5500 ق.م إلى 2500 ق.م، أي في منتصـف العصـر الألفي السـادس ق.م، وهذا هو الحد الأعلى لعصـر البلايسـتوسـان[74]، رغم أن لوكيلاك كان متأكداً من أنها بدأت بعد بداية الفترة المطيرية بقليل)، وقد وافق آخرون على هذا الرأي، رغم أن البعض رأى من الأفضـل القول بأن ذلك كان في الفترة المطرية فيما بين سـنة 9000 إلى سـنة 3000 ق.م، مع التبكير في اعتبار بداية العصر الحجري الحديث والفن الصخري.

وعليه، يُلاحظ اليوم أنّ المحور الأرضي الذي عاش فيه الجرميون من الصحاري الحارة ذلك لأنها ذات مناخ قاري يتسـم بطابع الجفاف الشـديد، بجانب التفاوت الكبير في درجة الحرارة بين الصـيف والشـتاء والنهار والليل، كما أن الفرق بين درجات الحرارة ليلاً ونهاراً كبير ما يسبب تفتت الصخور وتآكل التربة[75].

و بهذا تأكدت من قول الجغرافي الروماني سترابون (Strabon) في القرن الأول للميلاد أنَّ منطقة فزانيا في الداخل أعلى من ســـرت قاحلة وجافة[*] و نادرة المياه[76]، حيث تتميَّزُ هذه المنطقة على العموم بتدرج المناخ من الصــحراوي جنوباً إلى المتوســطي شمالاً، كما تشــهد ارتفاع المدى الفصــلي، والمدى اليومي للحرارة ارتفاعاً كبيراً عنهما في الأجزاء الشمالية من ليبيا[77].

وبالإضــافة إلى ذلك، يسُــود في إقليم جرمة رياح شمالية جافة ومعتدلة، إلا أنه تهب عليها خلال فصــل الصــيف رياح حارة تعرف باســم القبلي لأنها تهب من الناحية الجنوبية وتحمل هذه الرياح الكثير من التراب وقد يسـتمر هبوبها في بعض الأحيان بضـعة أيام وهي ذات آثار مضـره بالزرع والحيوان وكثيرا ما تطمر الآبار لا سـيما الموجودة في الأماكن النائية[78].

---

(74) Le Quellec (J.L.), «L'adaptation aux variations climatiques survenues au sahara central durant L'holocéne » in: Exploring the Mind of Ancient Man (Festschrift to Robert Bednarik), Reddy P.C. (Dir.), New Delhi, Research India Press, 2006, p. 173-188,p.173.

(75) أيوب محمد سليمان، مختصر...، المرجع السَّابق، ص 24.

(*) ليس سترابون من يؤكد ذلك، وهذا هيرودوت في القرن الخامس ق.م يشهد على زحف الصحراء وشح الأمطار بالصحراء، ويسترسل بقولـه " الآتالانتس ...وبعد مسيرة عشرة أيام يسكنون في كتل ملحية ضخمة ، لأن هذه الأجزاء من ليبيا تكون غير مطيرة وصحرائها جافة خالية من الوحوش ولا غابات فيها "...للمزيد يراجع (هيرودوت ، المصدر السَّابق، الفقرة 185).

(76) سترابون، الصدر السَّابق، الفقرة، 19، ص 91.

(77) الديناصوري جمال الدين المرجع السَّابق، ص 35.

(78) أيوب محمد سليمان ،جرمة...، المرجع السَّابق، ص 13.

أما عن التساقط فتنزل الأمطار الشتوية بقلة بمحاذاة وادي الشاطئ والآجال وواحات سبها والبوانيس إلا أن بعض السحب تسقط الأمطار بالنواحي الشمالية لفزان فتفيض بعض الأودية عبر مراحل متباعدة لكن مما هو متفق عليه عموما أن أرض فزان منطقة عديمة المطر كون معدل السقوط السنوي لا يقل عن (100 ملم) سنوياً، وفي جرمة تحديداً تنخفض لأقل من (10 ملم) سنوياً ولهذا نرى أن الجرميين لا يعتمدون على مياه الأمطار بل على المياه الجوفية الموجودة في باطن الأرض منذ آلاف السنين، والتي تسربت إلى الأرض خلال الطبقات المسامية حيث استقرت في صهاريج طبيعية من الصخور، وأخذت هذه المياه تسير في مسارب وقنوات جوف الأرض حتى إذا صادفت تربة ضعيفة انبثقت منها بقوة على شكل عيون وظهرت على سطح الأرض على شكل بحيرات، وتبعاً لذلك قام الإنسان الجرمي بحفر الكثير من الآبار(*) حيث يوجد الماء بجرمة على مستويات مختلفة ولكن هذا لا يعني أنَّ جرمة أرض ماء كلها بل كانت هناك جهات قاحلة لا يوجد بها مياه جوفية[79].

وللمحافظة على المياه عمل الجرميون على استخدام أنظمة تجميع المياه، وذلك عن طريق بناء السدود وقنوات التصريف والتي سوف نعالجها لاحقا في المقومات الزراعية.

ونخلص في الأخير أنَّ المناخ عامل مسبب للمياه وهما من المقومات الأساسية للحياة النباتية.

(*) وقد أكد المؤرخ بليني الأكبر على وجود الأبار في معرض تناولة لحملة كورنيليوس بالبوس على أن ذلك الجنس الملعون (يقصد الجرميون) بأنهم يملأون الآبار بالرمل، وهذه الآبار لا تحتاج إلى حفر عميق " ... للمزيد يراجع : بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي الكتاب الخامس، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس،2004 ، الفقرة 12، ص10.

[79] أيوب محمد سليمان ، المرجع السَّابق، ص 21.

2. النبات:

من خلال الدراسة التي قام بها (ج) كامبس (Camps.G) حول الترسُبات الموجودة وبقايا الأشجار المتحجرة على نطاق جغرافي واسع من الآهقار والطاسيلي وفزان وصولا إلى مرتفعات التبستي خلص بتقرير يفيد بوجود أنواع من الأشجار المتعددة والمختلفة التي بدورها شكلت غابات كثيفة ومتنوعة ككم (الأشجار، البلوط، الجوز، الدردار، العرعار، والزيتون في المناطق المنخفضة بفزان) ولاحظ الباحث بأنها تغطي كل مناطق الصحراء وتزداد كثافة في فزان، ومرتفعات التبستي، (الجدول رقم 01) ، كما يضيف قائلاً إن الصحراء الوسطى قد شهدت مستنقعات منذ حوالي (5000 ق.م) وشبكة مائية معتبرة ومجاري للمياه دائمة الجريان تعيش على ضفافها مختلف أنواع الحيوانات[80].

وقدَّم (ج) كامبس (Camps.G) أيضاً دور الأخشاب في تأريخ المواقع الأثرية حيث ساعدت هذه المادة المتفحمة في ضبط تواريخ النشاط البشري، كونها استعملت كوقود في الطهي، وأقدماستعمال لها في الصحراء الوسطى يعود 6700 ق.م بموقع أمكني، أما مغارة تن هناكاتن فأقدم تاريخ لها في حدود 6150 ق.م، أما في جنوب فزان فلحوالي 5200 ق.م [81].

المرحلة المناخية	نوعها	النباتات	تقديرها الزمني
الفورم – انتقالي –	بارد وجاف	السهبي	10000 ق.م
المطيرية الأولى	متوسطي	أشجار أرز- البلوط	6000 ق.م
المطيرية الثانية النيوليتية	متوسطي رطب	العرعار – الصنوبر	إلى غاية 2500 ق.م
الصحراوية	حار وجاف	نباتات الشوكية – النخيل	من 2500 ق.م إلى الآن

جدول رقم (01) : يبيّن تأثير المناخ على الغطاء النباتي في فزان وتبستي (ترجمة الطالب)

Camps (G.), « Les civilisations prehistorique de l'afrique du nord et du sahara »,doin, paris,1974,p222.

وقد جاءت النتائج عن الدراسة التي قام بها كل من (ك) مارتينيز (Martinez.C.) و (ب) كويزال (Quezel.P.) لأربعة وعشرين موقعا مختلفا من الصحراء الوسطى أن المجال الجغرافي لهذا الوسط الغابي كان يغطي معظم هذا الإقليم [82]. (الخريطة 05).

[80] Camps (G.), « Les civilisations prehistorique de l'afrique du nord et du sahara »,doin,paris,1974,p 222.
[81] Camps (G.),Op.Cit,p 221.
[82] Quzel (P.) Martinez (C.), « Le dernier interpluvial au sahara central », libyca, tome 06-08, 1958-1959.pp213-227,p 215..

ويدعم لنا (د) ماتنجلي (Mattingly.D.J.) الآراء السابقة، وأفرز بالنتائج التي توصل إليها خلال عمليات التنقيب في فزان ما دّل على بعض العينات النباتية التي تعود 2500 ق.م خاصة في زَنكَكِراَ حيث دل على وجود زراعات قديمة للقمح، وأشجار الزيتون وعدد من المحاصيل التي تزرع بواسطة الري[83].

ويبدو لي، أنَّ بعد التذبذبات المناخية انتشرت بواحات فزان أعداد هائلة من أشجار النخيل، كما زرعت الحبوب بكميات قليلة تحل مكان البلح كغذاء رئيسي بالإضافة إلى زرع الخضروات والحبوب والعنب في بعض الأماكن التي تروى بشكل مكثف في وادي الأجال.[84]

يكلمنا هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد عن وفرة المحاصيل الزراعية والأشجار كالنخيل التي كانت تزرع في الواحات، ويعد النسامونيين الليبيين التي كانت تترك قطعانها في الصيف ترتع على السواحل في مناطق إقامتهم ويذهبون لواحة أوجلة(*) لجني ثمار النخيل[85].

والنخيل تنبت عادة في الواحات وهي تشكل في بعض الأحيان غابات كثيفة تعرف باسم الحطية، وكانت لسكان الواحات بفزان يعتبرونها الغذاء الرئيسي ومن جذوعها تصنع أبواب المنازل والأعمدة لرفع السقوف[86].

تعكس أصناف من الأعشاب الأوضاع الجافة والخلفية الملحية للدلالة على قساوة المناخ، وهذا هيرودوت يقول " ...ويقوم أهالي جرمة بنشر طبقة من التراب على الملح ثم يزرعون ويذرون عليها البذور ..."[87] ومن خلال هذا النص تبيّن لي مدى معرفة سكان جرمة لتقنيات الزراعة و تمكنهم من التغلب على ملوحة الأرض وذلك بنشر طبقة من التربة مما يؤكد قدم ممارستهم للزراعة وخبرتهم الطويلة في هذا المجال، ومنه يمكننا القول إنّ سكان جرمة كانوا مزارعين متقدمين، قبل اتصالهم بالمصريين وباليونان والرومان، حيث مارسوا أعمال الري في منطقة شحيحة المياه، وتوجد بها طبقات مائية تحت الأرض، مما يعد بمثابة المصدر المائي المهم.

---

[83] Mattingly (D.J.), « In search of the Gramantes: Alost civilization of the Libyan sahara » , text of lecture delivered at the British Ambassadores Residence, Tripoli,24 Februray,200,p 13.

[84] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص 20.

[*] أوجلة (Augila): تنطق أودجيلة، وأوجيلة اسم لواحة تقع جنوب منطقة الطرابلسية بليبيا الحالية على بعد (250 كلم) من السيرط وقورينائية، والتي تكون مع واحة دجالو وواحة دجيكيرا مجموعة من ثلاث واحات في سهل رملي، تقع أوجيلة غرب دجالو على بعد (241 كلم) ، وتعود خضرة أوجية ونخيلها إلى فرشة مائية قريبة من السطح، وإلى العديد من الآبار التي تسهل زراعة الحبوب وعددا من الخضر وأشجار الفاكهة، وأول إشارة إليها أتى بها هيرودوت (IV، 174) ويذكر في إشارة ثانية (IV، 183)، أن أوجيلة تقع على بعد عشرة أيام من الجرامنت،وأشار إليها بعد ذلك الكتاب الكلاسيكيون (بليني الأكبر، وبطليموس الجغرافي، وبومونيوس ملا وبروكوبيوس) ممّا يؤكد أهميتها كمركز أساسي في التجارة الصحراوية..للمزيد يراجع (الأعشي، مصطفى، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، 2008،ص 6.)

[85] هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 172.

[86] محمد سليمان أيوب، جرمة...، المرجع السَّابق، ص 20.

[87] هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 183. ص 65.

كما اتضـــح لي، أنَّ التقلبات المناخية من بين العوامل الهدامة التي عملت على إزالة الغطاء النباتي من الصحراء الفزانية(**)، فعموماً لا تنبت بصحراء فزان أيّة نباتات اليوم إلا إذا استثنينا بعض أنواع الصبار، والنباتات الشوكية، والأعشاب التي تتحمل الجفاف الشديد، ولا يوجد جنوب غرب فزان سوى بعض الأشجار الشوكية وبعض النخيل التي يعتبرها الفزازنة اليوم أثمن شيء في الوجود نظرا لاستعمالاتها المتعددة.

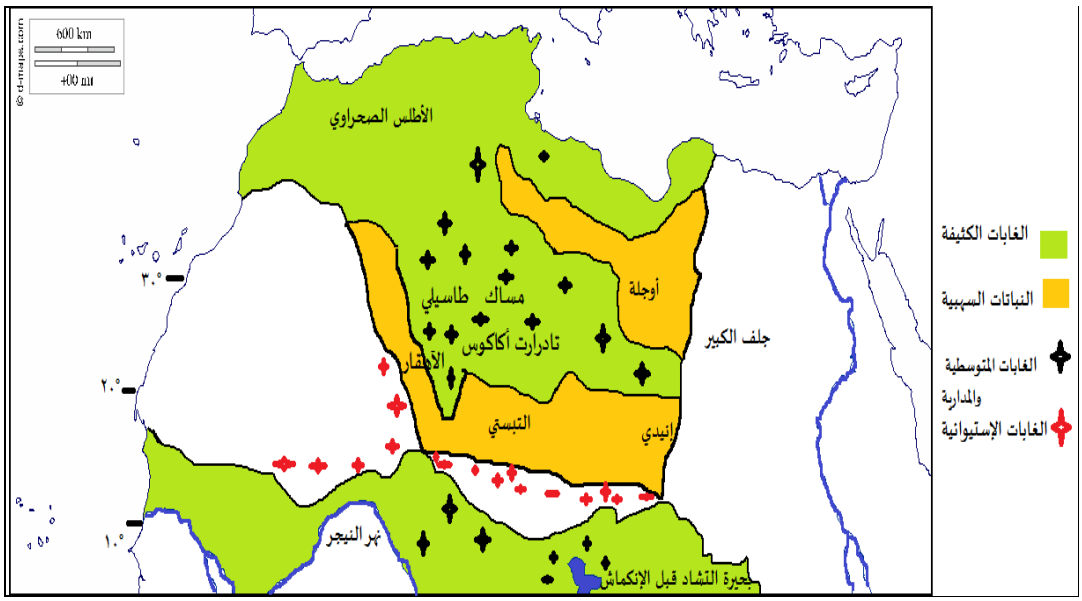

الخريطة رقم (05) : خريطة تبيّن النطاق الجغرافي للغابات المطيرة والنباتات في الصحراء إبتداءً من 8000 ق.م.(من عمل الطالب) ، نقلاً عن:

Quezel (P,) et Martinez (C,), Le Dernier, Op,Cit,p 221.

(**) وزيادة في تأكيد على ندرة الغطاء النباتي مقبولة جدا ، حيث نجد ذلك أثر عند ديودورس الصقلي " إنّ الصحراء التي تقع وراء حدود قورينائية في إقليم يشق منه الخروج تبعاً فإنه لا طائر واحد يُرى هناك ولا نبات لأن الأرض الممتدة إلى الداخل تشمل طولها كثبانا رملية متوالية "...للمزيد يراجع :

Diodurs de Sicile, Bibliothéque Historique II,L,Trad: l'Abbé Terrasson, http://remacle.org/bloodwolf/historiens/diodore/livre2a.htm (01-03-2020)

الفصل الأول

الفصل الأول : جرمة في المصادر القديمة والأبحاث الآثرية

أولاً / في المصادر القديمة

I. المصادر المادية:

1. الفن الصخري.
2. المصدر المصري.
3. النقائش والفسيفساء.

II. المصادر الأدبية:

1. المصدر الإغريقي.
2. المصدر اللاتيني.
3. المصدر العربي.

ثانياً / الأبحاث الأثرية التنقيبيّة

I. تنقيبات الجمعية الجغرافية الملكية الإيطالية.

II. تنقيبات الفرنسية التونيسية.

III. تنقيبات البعثة الليبية.

IV. تنقيبات البعثة الأكاديمية الملكية البريطانية

الفصل الأول : جرمة في المصادر القديمة والأبحاث الآثرية:

جاء ذِكر الجرميون في المصادر القديمة سواء الآثرية أو التاريخية ، ومن الملاحظ أنَّ المصادر الكتابية أنها كُتبت من جانب واحد وهو الجانب غير الليبي، لهذا وُجب الحذر من تعامل معها في ظل المبالغات وعدم التحيّز المؤرخين حولها، ومما سجلته كملاحظة أساسية من خلال تفحصي للتقارير تبيّن لي أنَّ أعمال الآثار قبل الحرب العالمية الثانية لم تكن فعالة في توفير المعلومات عن ماتركه الجرميين من مخلفاتهم ، لكن بعد الحرب العالمية الثانية بدأ تحسن في هذا المجال مقارنة بالنتائج المشاريع الأثرية الإيطالية مثلا، فجاءت البعثات الأخرى لتقدم المعلومات والنتائج حيادية عن الحضارة الجرمية حسب تقاريرهم.

أولاً / في المصادر القديمة :

يمكن التعرف على الجرميين القدماء من خلال قسمين من المصادر القديمة : منها المادية التي تحتوي على بعض المشاهد الفن الصخري والتي يعد الجرميون مسؤولون عنها خاصة في مرحلة العربات إضافة إلى المصادر المصرية التي تمتد من عصر ما قبل الأسرات حتى مجئ الإغريق، والملاحظ عنها أنها لم تأتي بمعلومات قيّمة عن الجرميين، في حين نرى ملامحهم في عدد من النقوش والصور المعمارية البارزة (الفسيفساء).

I. المصادر المادية :

1. الفن الصخري:

ترجع أُولى الاكتشافات للرسوم والنقوش الصخرية في العالم في منطقة فزان إلى عام 1850 وذلك على يد الرحالة الألماني هانريتش بارث (Brath.H) عندما قام بتنصيب خيام معسكره "بوادي تليزاغن" المنعزل في إقليم جرمة بنواحي "مرزوق" حينما عثر صدفة على صور كبيرة الحجم محفورة على ضفاف الوادي الصخرية الوعرة التي يصعب الوصول إليها وقد نشرها في كتابه "الرحلة والاستكشاف في إفريقيا الصحراوية" (Journey and exploration in desert Africa) وقدم فيه وصفا دقيقا لبعض نقوش وادي البرجوش[88].

وتعد الرسوم الصخرية أو اللّوحات التي تركها الأقدمون على جدران الصخور من المصادر المهمة التي نعتمد عليها لحد بعيد في رسم صورة الحياة بجرمة من عصور ماقبل التاريخ حين كانوا ينحتون على سطح الصخور التي عاشوا بجوارها، مظاهر حياتهم اليومية والحيوانات التي عاشوا معها

[88] جرزيوري باول ، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، ترجمة إبراهيم أحمد إمحمد المهداوي،منشورات جامعة قاريونس، ط 1 ، ، بنغازي، ليبيا،2008،ص 18.

بكل أمانة ودقة وسطروا بعضها عن طريق الحز (الحفر الغائر) بآلة حادة أو بالرسم بالتلوين سواء باستعمال ألوان الشجر المختلفة لإظهار الأشكال أو باستعمال الأصباغ الملونة[89].

وقد بدأت عناية العلماء بتسجيل هذه الرسوم بفزان سنة 1914 حيث نذكر (ز)كورادو (Corrado.Zoli) الذي يعد أوّل إيطالي عثر على بعض النقوش في وادي الأجال قلب عاصمة الجرميين، وتضاعفت في العشرينيات من القرن الماضي عمليات البحث عن مخلفات فنية تعود إلى أدوار ماقبل التاريخ[*]، خاصة في مناطق جرمية مثل وادي الشاطئ ووادي الآجال اللذين كانا موضوعي بحث من قبل الإيطاليين بصفة خاصة قبل الحرب العالمية الثانية بسنوات وفي الجزء الشمالي من فزان توجد محطات وادي زقرة ووادي مسعودة الهامين وقد درسهما جرازيوري وحققهما باهتمام[90].

ومع سنة 1932 قام فروبنيوس (Frobenius) بتوثيق الرسوم التي عثر عليها قرب مدينة جرمة مانيين في "وادي متخندوش" و "الورير" و "تبني إبتير" وهي من الأودية التي تصب في وادي برجوج الواقع للغرب من مرزوق، كما أضيف سنة 1955 محطة كبيرة في فضاء تادرارت الأكاكوس بقيادة (م) فابريزيو (Fabrizio M.)[91].

على العموم تعد البحوث التي قدمها الباحث الإيطالي جرزيوري أروع ماتم في هذا الحقل الفني، إذْ قام بزيارات مختلفة في إقليم جرمة من سنة 1933 وفيها قدّم دراسات لخصها في كتابه "الفن الصخري في صحراء ليبيا" (Rock Art in the libyan sahara) وقسّم الرسوم الصخرية إلى عصور مختلفة وهي نفسها التي عزّزت بدراسات الباحث موري (Mori.F) و موزيليني (Muzzolini.A) و جون لوكيلاك (Lequellec.J.) كآخر تحديث إلى يومنا هذا (الشكل 02) وتتمثل في:

أ. **مرحلة الصيادين** (Bubalius):

يعتبر مجتمع الصيادين أوّل التّجمعات البشرية التي استقرت في منطقة الصحراء الوسطى، ويصعب جدا إعطاء تاريخ بدايتها وحتى نهاية فترتها، أرّخت الباحثة (العقون أ.ح) لهذه المجتمعات في حدود 6000 ق.م وتعتقد أنَّ نقوشهم وجدت محفورة على واجهات الصخور و تتمثل في الحيوانات

---

[89] أيوب محمد سليمان، جرمة من تاريخ ...المرجع السَّابق، ص65.

[*] يرجع الفضل إلى الدّارسين الإيطاليين في مسألة رصد الدراسات الفن الصخري ومايتصل به من أدوار جاءت على أُسُس منهجية، من خلال إرسال بعثات حققت نتائج عالية (الطالب بالتصرف).

[90] جرزيوري باول ، المرجع السَّابق، ص35.

[91] نفسه، ص35.

المتوحشة والحيوانات البرية التي كان الصيادون يقومون بصيدها[92]، وتشمل هذه الرسومات مناظر للرجال قصر القامة ويرى "جرزيوري" أنَّ أقدم هذه الرسومات هي التي تمثل الحيوانات البحرية مثل فرس النهر والتمساح وهي من الحيونات التي عاشت في فزان عندما كان مناخها شبيها بمناخ المناطق الاستوائية أي قبل ستة آلاف سنة تقريبا قبل الميلاد[93].

ويرى (ف) موري (Mori.F) أنَّ أحسن الأمثلة لهذه الرسومات هي النقوش التي عثر عليها في وادي "متخندوش" "ووادي تليزاغين" جنوب غرب إقليم جرمة (الشكل 02) ، لكن لا تزال عملية التزمينية المطلقة لهذا الدور في هذا الإقليم موضع شك أما الأسلوب في هذه الفترة الأولى فيعبر عن نزعة طبيعية[94].

ويؤكد (ج) كامبس (Camps.G.) أنَّ هذا الأسلوب الفني لفئة الصيادين يعتبر هو الأقدم في الصحراء الوسطى وهي تضم ثلاثة أنواع فالصنف الأول لحيوانات بأحجام كبيرة مع رسمها بخط غائر وهي المرحلة القديمة، والصنف الثاني يتميز بصقل المكان المخصص للرسم مع الرسم بخط منعرج، أما الصنف الثالث وهو الأحدث فيتميز برسوم كثيرة بواسطة الطرق الغير متواصل واعتبر أنها تتميز بثقافة الرعاة الابتدائية[95].

ومن خلال دراسة هذه الرسومات يتبين لنا أنّ الصياد في إقليم جرمة استعمل أنواعاً من الأسلحة مثل (القوس والرمح، الترس) ، وكان عموماً يفتقد للألبسة باستثناء جراباً العورة وهو ما يسمى بالكرنطة[96] ويرى (غانم.م.ص) أنَّ هذه الفترة لم نر فيها أي مؤشر على استئناس الحيوان باستثناء الكلب الذي يمكن أنه استعمل للصيد[97].

---

[92] العقون أم الخير، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا (منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الإسكندرية،1988، ص 112.

[93] جرزيوري باول ، المرجع السَّابق، ص 42.

[94] موري فابريزيو ، المرجع السَّابق، ص 65.

[95] Camps (G.), les civilisations…, Op.Cit,p 258.

[96] العقون أم الخير، المرجع السَّابق، ص 112.

[97] غانم محمد الصغير، مواقع وحضارات ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2003، ص170.

ونظـرا لعـدم التوافـق في تحديـد الفـترة الزمنيـة بالتـدقيق في منطقـة فـزان الجنوبيـة و الأكـاكوس مقارنـة بالمنـاطق الأخـرى بالصـحراء الوسـطى لجـأ (ج) لـوكيلاك (Lequellec.j-l) إلى تقسـيمها إلى ثـلاث مجموعـات أقـدمها فـترة الصـيادين القـدامى جـدا وتأريخهـا حـوالي 9000 ق.م ، وتليهـا فـترة الصـيادين القـاطفين للفواكـه، وأخـيرا الصـيادون المتطـورون وتـؤرخ مـرحلتهم حـوالي 6000 ق.م، ويفسـرها حضـاريا أنَّ الفـوج الأول مـن الصـيادين تعامـل مـع الحيوانـات الكبـيرة ولم يسـتعملوا الأسـلحة مثـل القـوس والسـهم المسـنّن، والمجموعـة الثانيـة عاصـرت بالتقريـب مرحلـة الـرؤوس المسـتديرة، والمجموعـة الثالثـة هـي الـتي طـورت الرسوم وكانوا أكثر اجتماعيا وعرفوا الاستقرار بشكل نهائي على الغالب[98].كما تبين (الخريطة 06).

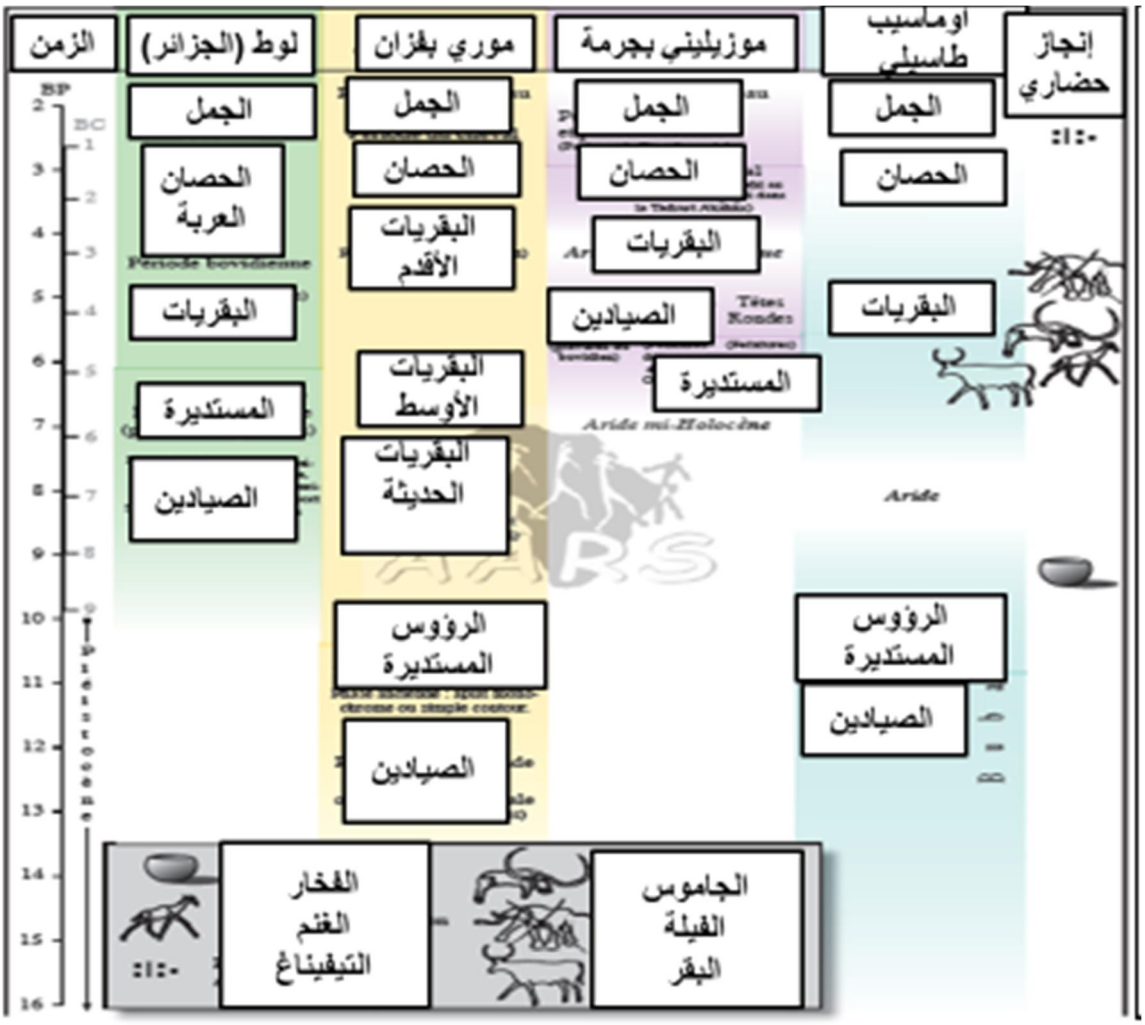

الشكل (02): جدول يبيّن دراسات التقسيم الزمني لمراحل الفن الصخري (ترجمة الطالب).

الرابط: Amis de l'Art Rupestre Saharien https://aars.fr/Sahara #Fezzane(17/07/2018) 14:37

(98) Le Quellec (J-L), Art Rupestre, Op.Cit,p 250.

الشكل (03): نقوش رسمت في مرحلة الصيادين بمتخندوش وتليزغن – جرمة.

الرابط 10:13 (25-04-2019) **Amis de l'Art Rupestre Saharien** https://aars.fr/Tlizighen_fr.html#messak

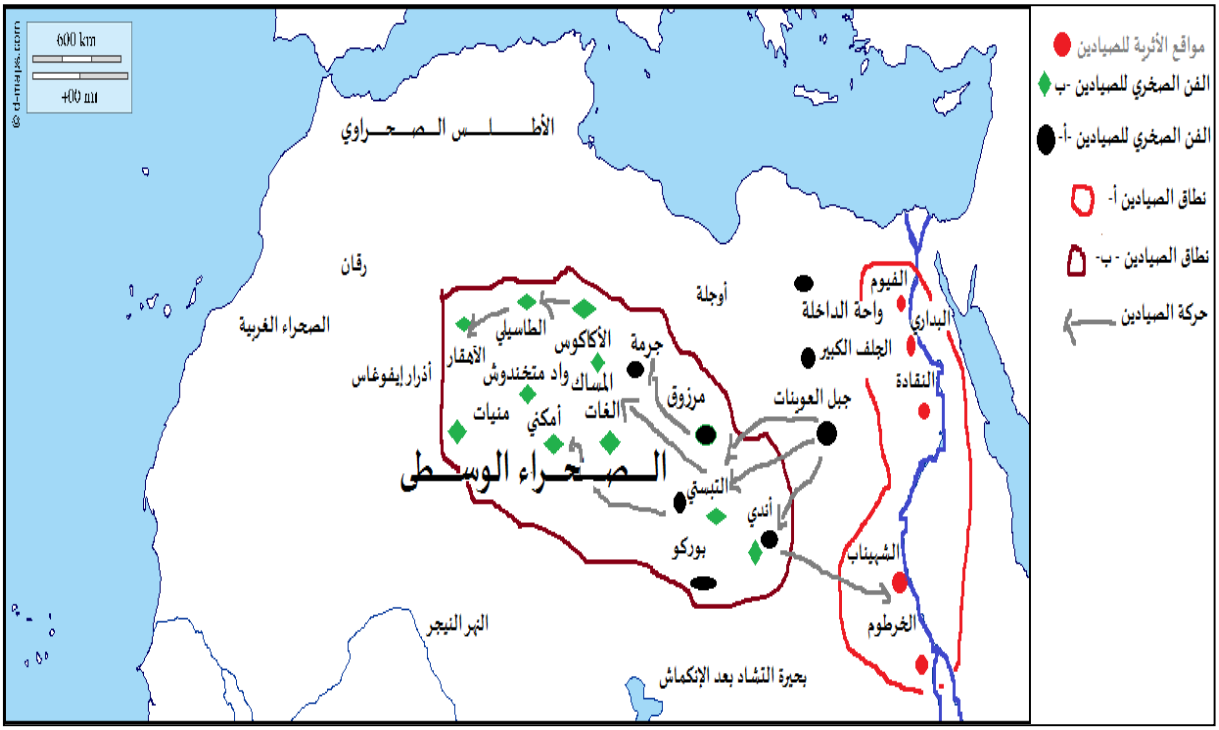

الخريطة (06) : تبيّن أهم مراكز تواجد الصيادين في الصحراء الوسطى والنيل ابتداءاً من 6000 ق.م

نقلا عن معطيات : **Le Quellec (J-L), Art Rupestre…,p.249.**

ب. مرحلة الرؤوس المستديرة: [*] (Les tétes rondes)

يعتقد (ف) موري (Mori.F) أنَّ هذا الدور الذي سبق زمنيا الفترة الفنية التي رسمت فيها القطعان الكبيرة من الثيران و الأبقار (Bovidienne) هو غنيٌّ جداً بأعمال الرسم في جُل نواحي جرمة وتادرارت الأكاكوس ومساك ولا يمثله إلا عدد قليل من النقوش ولا نستطيع أن نقدم من الأكاكوس سوى أنموذجاً واحدا لا نستطيع أن نستخلص معطيات كثيرة منه[99].

والظاهر أنَّ أسلوب الرسم في عصر الرؤوس المستديرة لا يخلو من رصانة فقد رسم الحيوان جانبياً ووضعت القوائم في مستوى واحد أما جسم الإنسان فقد رسم بكفاف متتابع وظهر الرأس في شكل يميل إلى الإستدارة و الحلزونية (الشكل 04) ، أوّل من أشار إلى هذه التسمية القس (ب) آبي (L'abbé.B) لكن هنري لوت (Lhote.H) هو من سماهم بالرؤوس المستديرة[100].

يفسر (أ) موزيليني (Muzzolini.A.) تقنية الرسم عند أصحاب بالرؤوس المستديرة بأنها تمثل سيطرة تامة للجوانب الدينية السحرية أما مشاهدها الكلية فمختلفة عن الأسلوب الواقعي مقارنة بالمرحلة السابقة [101]،لكن المشكل فيهذه المرحلة هو الإطار الزمني الذي اختلف حوله الباحثون ويمكن أن نضع تقسيم الباحث جون لوكيلاك الذي يبدو في نظري هو الأشمل والأحدث وقد قسم آراء الباحثين إلى ثلاث[102]:

الصنف الأول منها أصحاب الزمن الطويل ويدخل في هذه الفئة كل من (ف) موري(Mori.F) الذي يرى بأن مرحلة الرؤوس المستديرة تؤرخ مابين 8000 إلى 4500 ق.م ، مع إمكانية أن تكون أقدم الرسوم عائدة إلى البلايستوسان[103]، وقد تبنى هذا التصنيف أيضاً كل من ميشال توفرون (Tauveron.M) وجينات أوماسيب (Aumassip.G) و مارينا لاباسيولو (Lapacciolu M) التي اعتبرت أنّ أقدم النقوش و الرسوم في الأكاكوس تعود إلى البلاستوسان الأعلى أي مابين 38 ألف و 18 ألف سنة قبل الميلاد، أما إيمانويل أناتي (Anti E) فقد حصرها بين 7000 و 5000 ق.م أما إمبرتو سانسوني فهو (Emberto S.) متأثر بأستاذه أناتي حيث يعتبر مرحلة الرؤوس المستديرة في فزان متزامنة مع الصيادين.

(*) يعتبر موري فابريزيو (Mori.F) أنّ هذه المرحلة تتضمن نقوشا ورسومات ، بينما يقول هنري لوط أنَّ الرؤوس المستديرة لا تتضمن إلا رسوما للمزيد يراجع (موري فابريزيو، المرجع السَّابق، 69.)

[99] موري فابريزيو ، المرجع السَّابق،ص.92.

[100] بن بوزيد لخضر، الأثر...، المرجع السَّابق،ص.18.

[101] Muzzolini (A.), "Masques et thromophes dans l'art rupestre du Sahara central", archeonil,1991,p 43.

[102] Le Quellec (J-L), Op.Cit,p 26.

[103] موري فابريزيو ، المرجع السَّابق، ص92.

أما الفئة الثانية كما يراها لوكيلاك تشمل أصحاب الزمن المتوسط فيمثلها هنري لوط ما بين 5500 و 4000 ق.م.

ويمثل (أ) موزيليني (Muzzolini.A) الفئة الثالثة أصحاب الزمن القصير، فاقتبس نماذج من فزان وتادرارات الجنوبية ووضع هذه المرحلة في إطار زمني قصير ما بين 4000 إلى 1000 ق.م[104]،

ونلاحظ بأنه إضافة إلى إختلاف الباحثين حول عمر المرحلة فقد اختلفوا أيضاً حول الأصول والموطن الأول للرؤوس المستديرة قبل مجيئهم إلى الصحراء الوسطى ويمكن تقسيم آرائهم إلى أربع فرضيات (حاولت توضيحها على الخريطة 07).

الفرضية الأولى: هي تلك التي قال فيها (هـ) هوجو (Hugot H) أن أقدم موجة من هذه الشعوب قد قدمت من منطقة الخرطوم، حيث نجد شواهدها الحالية في التوبو الذين يسكنون التبستي والفولاني غرب إفريقيا وقد تكونت على ضفاف النيل في مستوى موازٍ من الخرطوم والشهانب وتحركت إلى الغرب في فزان حوالي 8000 و 7000 ق.م[105].

الفرضية الثانية: الدراسات التي قام بها الباحثان الألمانيان هالي إلريش وزوجته (Ulrichr H- Ulriche B) في منطقة العوينات وافترضوا أماكن جديدة حول أصول الرؤوس المستديرة من منطقة إينريس في جادو النيجيرية بسبب تشابه فن الرؤوس المستديرة في منطقتي فزان ومساك[106].

الفرضية الثالثة: وتتمثل في أصول من منطقة تادرارت الجنوبية حسب أبحاث ميشال توفرن وفرحات نجيب ويعتقدان وجود طور أولي للرؤوس المستديرة من منطقة تادرارت الجزائرية، سمي بإكيل إسوق نسبة إلى قبيلة الطوارق المشهورة[107].

الفرضية الرابعة: مصدر الهجرة هذه المرة من الشمال الليبي تؤكدها تيارات الثقافة القفصية مثل تزيين بيض النعام، كما أن تواجد الجنس الأبيض في مرحلة الجاموس أكيد على حد تعبير هنري لوط[108].

---

[104] Muzzolini (A.), Op.Cit,p 45.

[105] هوجو (هـ)، الصحراء...المرجع السّابق، ص607.

[106] Ulrich (H.), Briitte, Rond heads in the djao (nord de niger and tassili mountains sud Algeria),stone wath magazine,2005 (Copie électronique 26-10-2020)., p 20.

[107] Ferhat (N.) et Tauveron (M.) Ferhat (N.) et Tauveron (M.),«Essai de bibliographie di nord de l'afrique», l'harmattan.,Alger, 2001,p 67.

[108] Lhote (H.), Les Graveurs…Op.cit,p 24.

وبعد عرض هذه الفرضيات نطرح الإشكال التالي: هل عاشت المجموعة البيضاء إلى جانب الزنوج في جنوب فزان ؟

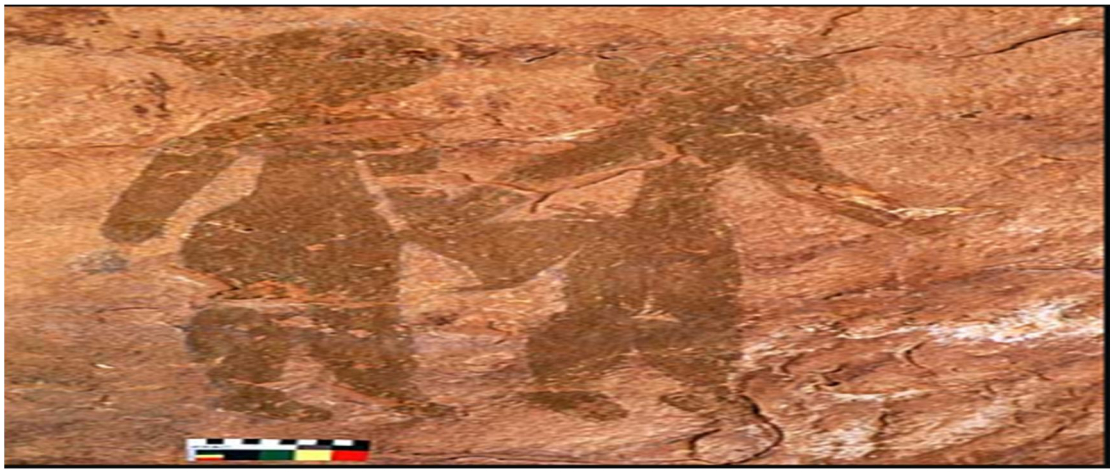

الشكل رقم (04) : ذكر وأنثى من أسلوب رؤوس المستديرة بأفوزي جيار بأكاكوس –جنوب الشرقي من إقليم جرمة

الرابط:(2019/06/01) **Amis de l'Art Rupestre Saharien**https://aars.fr/Akakus_fr.html#messak

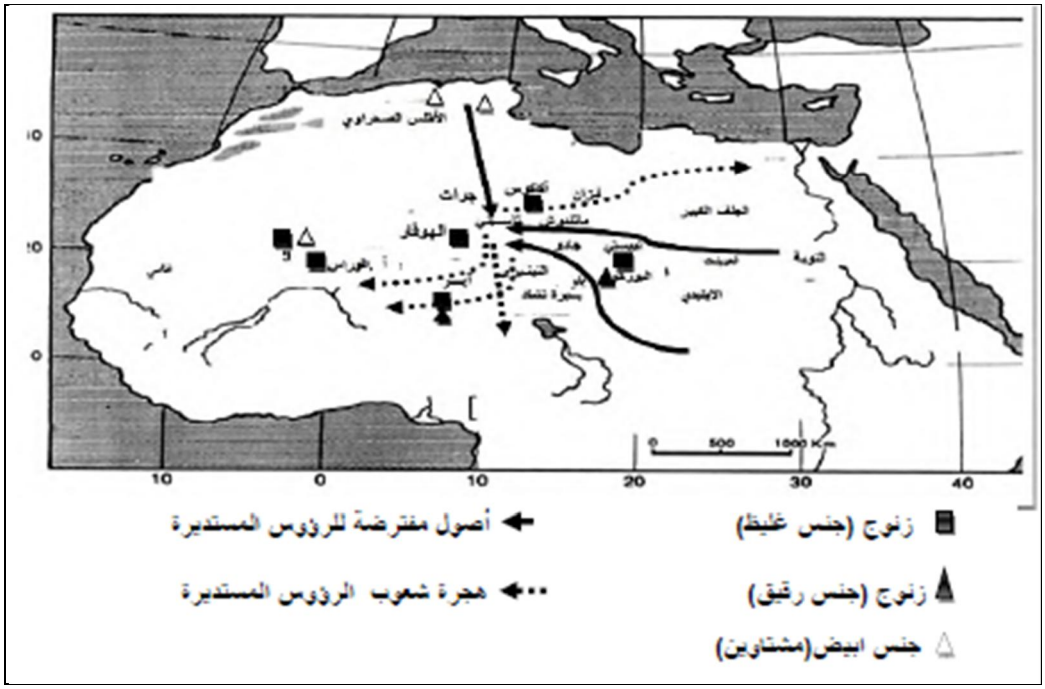

الخريطة (07): تبيّن أصول والهجرات المُفترضة للرؤوس المستديرة بالصحراء الوسطى

المرجع : بن بوزيد لخضر، الأثر الديني...، المرجع السَّابق، ص 20.

ج. مرحلة الرعاة (Les Pasteurs):

وهي فترة طويلة من الزمن يظهر فيها الرعاة ،وهم يقودون قطعانا من الأبقار الطويلة القرون الشبيهة بالأبقار التي تعيش في السودان الآن وهي فترة يرى "جرزيوري "بأنها تبدأ عندما بدأ الطقس في فزان يتحول إلى ما يشبه مناخ السودان الآن، ويظهر فيه الرعاة الذين يمثلون عادة طوال القامة شديدي التزنج أكثر شبهاً بسكان السافانا الآن ويظهر بأن هؤلاء القوم قد حلوا محل الصيادين القصر القامة (الشكل 05). [109]

كان من الضروري لدى الباحثين أن يضبطوا المدة الزمنية للفترة الرعوية، حيث ترى (العقون أ.م) أن هذه الفترة تمتد من 5500 سنة ق.م إلى غاية 1200 سنة ق.م، وتستنتج هذا التاريخ من خلال استقراء الرسوم الصخرية المتنوعة في الصحراء الوسطى أن قدوم الرعاة للمنطقة قد يكون في حدود 4500 ق.م، كما تعتبر هذه الفترة ثالث مرحلة بعد مرحلة الصيادين وفترة الرؤوس المستديرة[110].

ولا تختلف معها الباحثة و تؤكد(م) حاشيد (Hachid.M) أن مجتمع الرؤوس المستديرة قد يكونون رعاة أيضاً، حيث توصلوا إلى فكرة التدجين وهم شعوب زنجية الأصل قادمة من الجهة الشرقية[*] من منطقة الصحراء الوسطى وتعتبرها محطة ثالثة بعد الشرق الأدنى ومصر وتؤرخها في تادرارت الأكاكوس في حدود 5000 ق.م وفي العوينات ب 4100 ق.م، كما توضح أنهم برعوا بشكل لافت في الحقل الفني عن طريق استعمال الألوان في رسوماتهم، وأظهرت المشاهد المنسوبة إليهم قطعانا من الأبقار والأغنام والماعز[111] (الشكل 06).

---

[109] جرزيوري باول،المرجع السَّابق، ص 79.

[110] العقون أم الخير، المرجع السَّابق، ص 113.

[*] يُعتقد أنّ الرعاة كانت حركتهم من الشرق نحو الغرب، ولهم طريقان ، طريق ساحلي إلى بلاد المغرب قديما ثم ينحرفون في الاتجاه الجنوبي نحو الصحراء الوسطى، أما المسار الثاني فيعتقد أنه مطابق لدائرة عرض (14°) شمال خط الاستيواء في اتجاه منطقة الصحراء الوسطى قادمين إليها من ضفاف النيل للمزيد يراجع: (Jacquet (G.), Au Cœur du Sahara Lybien d'etranges gravuers rupestres,Archeologia,n,123,1978,p54.).

[111] Hachid (M.), L'art rupestre prehistorique en algerie revue de préhistorique et d'anthropologie culturelle, C.R.A.P.E., 1983,p 09.

الشكل (05): رسوم لأشخاص من مرحلة الرعاة في منطقة "وان تابو" بالأكاكوس
الرابط: Amis de l'Art Rupestre Saharien https://aars.fr/images/uantabu.jpg (01/06/2019)12:14.

الشكل (06): أسلوب تازينا تبيّن نقش لبقر في منطقة "الأوار" بالمساك.
الرابط: Amis de l'Art Rupestre Saharien https://aars.fr/images/el_awrer.jpg: (03/06/2019) 17:30

د. مرحلة الحصان (Caballins):

وهي تمتاز بالنقوش التي تمثل العربات والجياد كما أن الأشكال التي تميّز الأشخاص قد رسمت على شكل المثلثين المتقابلين من الرأس، ويرى (ب) جوزيوزي أن هذا الفن من نتاج الجرميين ودوّن العديد من الرسوم التي تمثل هذه المدرسة في جهات مختلفة من الصحراء الليبية وبعضها في أماكن بعيدة مثل وادي زجرا وتين عوينان (الشكل 07) الواقعة شمالي وادي الشاطئ (الشكل 08) وبعضها في جبل بن غنيمة الواقعة للجنوب من فزان[112].

وقد أولى المؤرخون اهتماما بهذه المرحلة أي: مرحلة العربات الصحراوية، ويمكننا القول إنه اهتمام يعود إلى بدايات التاريخ، فهذا هيرودوت قد أشار إليها مرتين، فمرة في قوله إن الجرميين كانوا يطاردون الإثيوبيين وهم ركوب

[112] جرزيوري باول ، المرجع السَّابق، ص 63.

على عرباتهم ذات الأربعة جياد[113]، وثانية في تأكيده أنَّ الليبيين هم من علَّم الإغريق كيف يشدون إلى العربات أربعة جياد[114]، وتوجد العديد من الرسوم في فزان و تادرارت الأكاكوس تظهر هذا النوع من العربات ذات الجوادين و التحليق الطائر (Galope volant) (الشكل 09) والتي تتشابه مع العربات ذات الجياد الأربعة في كل من الأطلس الصحراوي وطاسيلي، وهي تبدو أحدث من الأولى.

ويعتقد كامبس أنَّ العربات في فزان أخف من عربات طاسيلي التي كانت تستعمل في نقل البضائع، بل إنه من المتعذر أن يركبها شخصان اثنان، بسبب ضيق المقعد المصنوع من سيور الجلد المضفورة (الشكل 10) ويزعم حسبه أنها تمثل مؤشراً لطرق العربات، التي تملؤها الأنقاض، والمرتفعات التي لا تقدر الجمال و الخيول على بلوغها إلا بعسر أو مشقة[115]، ويصورها على أساس ألة للتباهي أكثر مما كانت وسيلة للاستخدام النفعي[116](*).

الشكل (07): رسوم من وادي زجرة شمال جرمة تبين عربة من أربعة جياد
المرجع: كامبس غابريال ، المرجع السَّابق،ص101.

الشكل (08): مشهد من تيناوين بفزان يبين العربة و كتابة التبفناغ في المرحلة الأولية
الرابط :Amis de l'Art Rupestre https://aars.fr/images/tinanneuin32.jpg **(01/06/2019) 14:07**

(113) هيرودوت، المصدر السّابق، الفقرة 183، ص65.

(114) نفسه، ص176.

(115) Camps (G.), « Le cheval et le char dans préhistoire nord-africaine»,in Mélanges Delbecque,1983,p 201.

(*) يُوحي لنا الباحث كامبس بعدم نفعية هذه العربات مثل شأنها في الإلياذة التي تصوّر لنا الأبطال وهو يركبون عرباتهم ليذهبوا إلى ميدان القتال، لكنهم يتقاتلون وهم راجلون... للمزيد يراجع: غابريال كامس، المرجع السَّابق،ص 101.).

الشكل (09) : عربات الركض الطائر بأفا جنوب جرمة

Amis de l'Art Rupestre Saharienhttps://aars.fr/images/afa_i_04_b.jpg 29-05-2019 - 17:25

الشكل (10) : انموذج من العربات الجرمية بالمتحف جرمة الأثري

الرابط :https://www.temehu.com/Cities_sites/museum-of-germa.htm(29-05-2019) 17:25

هـ. مرحلة الجمل (Camilius):

وهي الأشكال التي تمثل الجمال وراكبيها ويصاحب هذه الرسوم الأخيرة في العادة كتابات بحروف التيفيناغ (الشكل 11) ويرى (ج) لوكيلاك ,Le Quellec (J.L.)) بأنها ترجع للعصر الحديث نسبيا ويتميز الأسلوب في هذه المرحلة ببساطة يصور أصحابها على شكل مثلثين متقابلين نجده في مساك بكثرة مقارنة بالطاسيلي[117]، يرجعهما (ج) كامبس(Camps.G) إلى السلالات البيضاء أي الليبيين كما ترسم زرائب الحيوانات بشكل دائري أو مستطيل، وتستعمل تقنية المساحة اللونية الحمراء والبيضاء تماما مثل أسلوب المرحلة السابقة(الحصان)[118].

ونلاحظ أن الجرميين قد استغنوا عن الحصان نوعا ما في هذه المرحلة من خلال رسومات الركض الطائر بالأكاكوس والتي تعود إلى مرحلة الجمل (كما يبينه الشكل 12).

الشكل (11): الجمال وكتابة التفيناغ من إنتاج الجرميين.

Yves et Christine Gauthier ,Op.Cit,p 340

الشكل (12): أكاكوس- المرحلة الجمال للركض الطائر

الرابط : https://aars.fr/images/archei_2.jpg (01/06/2019) 14:57

[117] Le Quellec (J.L.), «Nouveaux Documents Rupestres du Wadi Tiduwa Au Messak Mellet (Fezzan , Libye)»,AARS-ACTES 1993-N°1,p 20.

[118] غابريال كامبس، المرجع السَّابق، ص 104.

2. المصدر المصري:

ورد الكثير من أسماء القبائل اللّيبية في النُصوص المصرية منذ فجر عصر الأسرات لكن من الملفت أنَّنا لا نجد تسمية "الجرميين" أو "جرمة" أو " أغرم" وهذا ما يضعنا أمام ثغرات وفجوات مليئة بما يدعو إلى التساؤل والاستفهام حول الأقوام التي وردت في النصوص المصرية، هل لمحّت هذه النصوص إلى الجرميين بمؤشرات ما ؟ أم أطلقت عليهم تسميات أخرى ؟ وهل لفظ التمحو الذي ورد ضمن أسماء القبائل الليبية في المصدر المصري والذي اتفق عليه الباحثون بأنه يدل على الأقوام التي كانت تقطن الجهات الجنوبية من ليبيا والتي كان منهم الجرميون ؟

كل هذه التساؤلات تجعلنا نفترض على أنّ المخلفات الأثرية في الصحراء الوسطى وخاصة في منطقة فزان قد أثبتت جذور الحضارة(*) التي أثمرت بامتدادها إلى ضفاف نهر النيل(**) منذ أقدم العصور فيما يعرف بالحضارة المصرية القديمة وهذا مايمكن أن يؤيد اليوم طبقا لما توفر لنا من أدلة أثرية، جاءت بها الصحراء الليبية متمثلة في نقوش ورسوم تشير في مجموعها إلى قيام حضارة صحراوية في عصور ماقبل التاريخ في أودية فزان والأكاكوس والعوينات والطاسيلي ناجر، قد لوحظ لها وجود مؤثرات وتشابه في المخلفات المصرية(***) وخاصة في بداياتها الأولى ، هذا الإفتراض سمح لنا بصياغة هذا المبحث وفي مضمونه نفترض وجود ملامح جرمية في المشهد المصري.

و في إطار التواصل بين الحضارتين يرى الباحث (م) بن عبد المؤمن أنه تمَّ الكشف عن مومياء طفلة صغيرة عثر عليها بكهف (أم مجهج) بمنطقة الأكاوكوس يعود تاريخها إلى 1800 سنة، وهذا دلالة على أنّ الليبيين هناك قد آمنو بخلود الميت، متأثرين بطقوس المصريين القدماء بتحنيطهم للجثة[119].

ومن أنصار وجود الملمح الجرمي في المشهد المصري هو (أ) باتس (Bates .O) الذي خصص جزءا من دراسته من أجل إثبات هذه الملامح في قوله " ...ليكون تصورنا لليبيين الصحراويين معقولاً عندما أعتمد على

(*) يثبت (م.س) دورني(Durney.M.C) استنادا إلى دراسته لحضارة العصر الحجري الحديث بنظرية الربط بين شعوب هذه المنطقة ليس على أساس هجرات من الشرق إلى الغرب أو من الغرب إلى الشرق وإنما على أساس نشأتها بالصحراء وانتشارها في الاتجاهين، وقد أشار بأن الصحراء الوسطى والنيل شملتهما وحده حضارية واحدة من خلال التشابه من حيث الرسومات والمواد المستعملة في الصناعة للمزيد يراجع : حسين عبد العالي مراجع ، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ماقبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبين لمصر، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، قسم الدراسات التاريخية والآثرية، كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس، الجماهرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية،ب.ت،ص 10.

(**) يسجل دانيلز مما كتبه المؤرخ كلوديان أنّ: الجرميون قوم يشربون من النيل،أهمية هذا القول عندي يرجع بأنّ الإنتشار الإثني للحرمين يصل إلى النيل.

(***) كان التقليد السائد لدى المصريين أن يسّجل الملك أخبار انتصاراته وليس كل تاريخه فوجب علينا أن نتناول الوثائق المصرية التي تدل على الاحتكاك بالليبين بكل حذر لأنه كما قال باتس (Bates.O) أنّ تاريخ الليبين الشرقيين في هذه الفترة (ماقبل الأسرات) يجب ألا يدعى تاريخا بالمعنى المفهوم لأن هذه الوثائق عبارة عن تقارير سجلها الجانب الآخر للمزيد يراجع : (العقون أم الخير، الدولة...، المرجع السَّابق، ص 18).

[119] بن عبد المؤمن محمد ، عقائد مابعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1، 2011-2012، ص 100.

الوثائق المصرية من الواجب القول أنَّ التمحو التي سكنت عند الحدود الغربية وتلك القبائل التي تقطن الصحراء الليبية كانت عبارة عن شعب واحد"[1].

أ. مؤشرات تواجد الجرميون (التمحو) في عهد ما قبل الأسرات والدولة القديمة (3100 ق.م – 2263 ق.م) :

ومن أجل تأكيد هذه الفرضية وجود السِّمات الجرمية في الرسومات المصرية، يرى العديد من الباحثين أنّ الجنس المهزوم في موضوعات نقوش صلاية "الأسد والعقبان" إذ يرجح أنهم من أهل حواف الصحراء الليبية حيث يقربهم جاردينير (Gardner) من الملامح الجرمية، كون العلامة التصويرية التي كانت بجانب الأمير الليبي الذي يدفع أسير عرفت (بتامخيت) وتعني بأرض الجنوب ومن المرجع أنّ بعض السكان من غرب النيل وقفوا في وجه الليبين القادمين من الصحراء الغربية بفعل الجفاف[2].

واعتمادا على أنَّ التمحو ظهروا على مسرح تاريخ خلال الألف الثالثة ق.م وذلك في عهد الأسرة السادسة التي تعاصر حلول فترة الجفاف الثابت جيولوجيا لدرجة جعلت بعض الباحثين يعتقدون بوجود ارتباط بين التمحو (في المصدر المصري) و الأقوام التي سكنت فزان [3].

إذًا ليس من المستبعد احتمال أن يكون أولئك هم رعاة ليبيُون قد تركوا أوطانهم تحت ضغط الجفاف إلى جهات تيسرت فيها الحياة شرقا إلى النيل وهذا مابينته رسومات تادرارت الأكاكوس ومساك وزنككرا جنوب جرمة من مشاهد للهجرات وردم الأكواخ المتنقلة وتحميل الأبقار، وكلها تدل على رحلة كانوا يقوم بها هؤلاء نحو الشرق حسب مسارات تلك الرسومات من الأقدم إلى الأحدث (الشكل 33) مما أقر جاردينير (Gardner) على عدم وجودها في شمال النوبة وهي نقطة الالتقاء مع المصريين، فظهور التمحو في الجنوب أمر تؤكده النصوص المصرية منذ عهد الأسرة السادسة كما سبقت الإشارة له، نعتقد أنّ كان سبَّب الهجرة هو الجفاف الذي دفعهم للإقامة على ضفاف النيل في مصر والسودان.

وتواجد التمحو في مصر، جعل في إمكان المصريين التعرف عليهم آنذاك على أساس أنه في عهد الأسرة السادسة نشطت بعثات الكشوفات إلى الجنوب والتي تمثل نهاية الدولة القديمة[*]، ومما يعزز لنا احتمال ظهور التمحو

---

[1] Bates (O.), «The Estern Libyan», Franco Cassand, Id new Impression London,1970,p 41.

[2] صالح عبد العزيز، حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة،1962، ص191.

[3] مصطفى عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي،1966، ص09.

[*] يقّرُ هنري لوت أيضا أنَّ فترة الجفاف في الصحراء الوسطى يقابلها انهيار الدولة القديمة فمن المحتمل أن سكان الصحراء الليبية رعاة الماشية دفعتهم ندرة الأمطار من طاسيلي والأكاكوس إلى العوينات عبر فزان بحثا عن الاستقرار...للمزيد يراجع: (Lhote (H.), « le peuplement du sahara

بعد الجفاف مباشرة في شمال النوبة وجنوب مصر ما أكدته النصوص المصرية على لسان أوني (Ouni) قائد جيش الفرعون (بيبي الأول) الذي قام بتجنيد فرقة من التمحو من سائر قبائل النوبة[1].

ويبدو أنَّ حلول المهاجرين الصحراويين من الغرب إلى المناطق الجنوبية من مصر قد خلق وضعاً جديدا يسوده الاضطراب بين القبائل النوبية في وادي النيل، وقد سجل لنا (حرخوف)[*] حاكم الجنوب و رئيس القوافل في نقوشه على مقبرته إحدى قصص هذا الصراع في عهد الفرعونين "مرنع" و"بيبي الثاني" والذي كان بين التمحو وإحدى القبائل النوبية حيث قال بهذا الصدد: "إن رئيس (يام) ذهب إلى أرض التمحو ليضربهم حتى الركن الغربي من السماء" ومن ثم سارع وصالح بينهما وقد جاء هذا الخبر في قوله "وذهبت وأدخلت السكينة على قلبه"[2].

وقد حاول الكثير من الباحثين أن يتعرفوا من نصوص حرخوف عن المواقع الجغرافية على مواطن الليبيين الجنوبيين ومنهم التمحو والركن الغربي من السماء الذي قصده ،حيث يرجح جاد الله فوزي حسب كوس (Koos) أن يام كانت هدف جميع الرحلات السابقة فهو يرى أن موقعها عند جزيرة (ساري) شمال الشلال الثالث[3].

بيما يرى أركل (Arkell) في احتماله أنّ ما كان يقصده الرحالة حرخوف هو موقع بلاد يام ضمن شمالي دارفور وركن السماء، يقصد به عمق التراب الصحراوي الليبي، كونه يرى أن هذه الرواية تعني بالنسبة لحرخوف أنه فخور جدا بوصوله إلى ما لم يصل إليه أحد من قبل ويرجح أركل أنّ بلاد التمحو مازال باقياً في اسم القبائل التاما أو(Tema) من التبو جنوب فزان ويبدو أنه بفعل الجفاف أو كثرة العدد، تمكنوا من الانتشار شمالاً فشرقاً على مشارف وادي النيل في النوبة كون الجرميين نراهم في الساحة مع بداية الألف الأولى ق.م من حيث المخلفات المادية والأدبية مع القرن الخامس من الميلاد[4].

ويسجّل لنا الفنان المصري مبلغ إحساسه بخطر قبائل التّمحو ولعل نفوذهم في مصر جعل "أوني" يجند بعضهم إبان فترة تزعزع الأوضاع والدلائل تشير أنه حدث زحف قام به هؤلاء من الجنوب في فترة قبيل عهد

---

néolithique , d'aprs l'interprétation des gravures et des peintures rupestres»,jour,Soc,Africanistes,XL,II,Pp.91-102.p 91.).

(1) جاردينر سير ألن، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1973، ص65.

(*) حرخوف رحالة مصري عاش في عهد الأسة السادسة واشتهر برحلاته إلى الجنوب وكان حاكما للجنوب ورئيساً للقوافل وقد خدم في عهد الملك (مرنع) خليفة بيبي الأول، ويدعى عند البعض (حوف حر) ... للمزيد يراجع (لجنة من الأساتذة، تاريخ مصر وأثارها الموسوعة المصرية، المجلد الأول، الجزء الأول، د،ت، ص 333.).

(2) حسين عبد العالي مراجع، المرجع السَّابق،ص41.

(3) جاد الله فوزي، بين ليبيا و السودان، المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية، طربلس،1981،ص05.

(4) جاد الله فوزي، المرجع السَّابق، ص05-06.

الاضمحلال الأول في مصر بمحاذاة النيل شمالا وقد تخطوا في زحفهم الشلال الثاني ثم اكتسحوا في طريقهم سكان بلاد النوبة السفلى ثم تابعوا سيرهم حتى الشلال الأول[1].

وتدّل الأبحاث الأثرية في الجهات التي درسها علماء الأجناس، أن هؤلاء القوم أي التمحو من جنس واحد وهم ليسوا من الزنوج وكذلك ليسوا مثل سكان النوبة الأقدمين وليس أمامنا مايشار إليهم على هذا النحو،إلا أنَّ التمحو الذين سلكوا طريقهم من الجنوب الغربي للصحراء الليبية كنواة أولى متجهين نحو الشمال (الخريطة 08)، لا سيما أنّ الكشوف الأثرية تدعم مثل هذا الاحتمال.

فقد عثر المنقبون في بلاد النوبة على مجموعة من المقابر لأقوام ليسوا بمصريين أطلقت عليهم البعثة الآثرية البريطانية في مطلع القرن العشرين مصطلح " المجموعة (ج.) "وذلك لعدم معرفة اسمهم الحقيقي إلى غاية اكتشاف جماجم أثرية أخرى بمنطقة الطاسيلي ناجر مشابهة لها تماما حتى في طريقة الدفن[2].

ويدعم لنا (ف) موري (Mori.F.) هذا تشابه، إذْ يستعين هذا الباحث بما وُجد في أودية هضبتين "أكاكوس" و"طاسيلي" و"جبل العوينات" المتمثلة في الرسوم المخطّطة والملونة ومنها يتضح لون بشرة وشعر الإنسان ويفترض أنه من التمحو، نستطيع القول أن موضوع هذه الرسوم التي صنفت في عصر الرعاة، بالإضافة إلى مظهره الخارجي، توضح لنا نماذج لأناس لونت بشرتهم باللون الأصفر أو الوردي وتركت شعورهم بيضاء مما يقربهم من سمات التمحو الواضحة على الآثار المصرية[3].

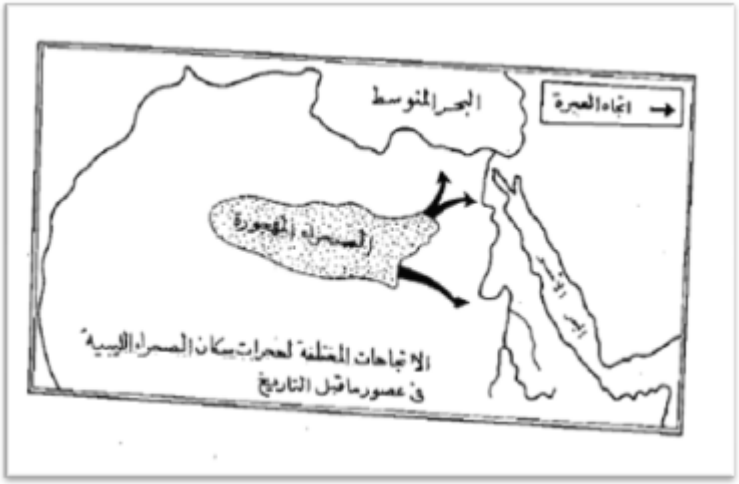

الخريطة (08): تبين الإتجاهات المختلفة لهجرات سكان الصحراء الليبية بعد الجفاف ألف ثالثة ق،م
المرجع : حسين عبد العالي مراجع، المرجع السَّابق،ص.30.

---

[1] العقون أم الخير، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين، مجلة التاريخ العربي، العدد الحادي والأربعون،2007، ص291.

[2] حسين عبد العالي مراجع، المرجع السَّابق، ص41

[3] موري فابريزيو، المرجع السَّابق، ص86.

ب. مؤشرات تواجد الجرميون (التمحو) في مصادر الدولة الوسطى والمرحلة الإنتقالية الثانية (2050 ق.م – 1570 ق.م) :

ووجد على بعض صخور النوبة مجموعة من النقوش الكتابية يرجع تاريخها إلى فرعون امنتوحوتب الثاني التي عبرت عن مايتمناه كل مصري من التخلص من شبح خطر الليبيين إذ جاء فيها حسب أركل (Arkel) " إن الفرعون القادم للحكم سيحرق لهيبه الليبيين القادمين من الغرب "[1]، ومن المعلوم أنّ هذه النبوءة صيحت باعتلاء الملك أمنمحات الأول 1991 ق.م – 1962 ق.م الذي انتهج سياسة تشيد الحصون على الحدود الغربية والتي مازالت بقايا منها في وادي النطرون، وقام بإرسال ابنه وشريكه في الملك سنوسرت في حملة وصفتها قصة سنوهي[*] بأنها كانت إلى أرض التمحو، فيعود منتصرا بعد أن استولى على أسرى وأنواع من الماشية التي لا تحصى[2].

أما في شمال النوبة فنرى أنّ فرعون أمنمحات الأول قاد الحملة ضد المجموعة (ج.) حيث نجد كتابة ورد فيها " لقد سيطرت على شعب الواوات بالقوة وأسرت المأجوري ..." وهذا ما جعل أركل يرجح أن هذا الصراع الدامي كان ضد الأقوام (ج.) في النوبة القادمين من الصحراء الليبية[3].

أما في عهد الملك سنوسرت الأول 1972- 1928 ق.م الذي تابع سياسة أبيه في مراقبة الليبيين من الحدود الغربية وهي نفس السياسة التي تابعه فيها خلفاؤه هو أيضاً وهناك إشارة في النصوص إلى قيام تجريدة على أيام سنوسرت في طيبة (الأقصر) ويذكر النص" لقد وصلتُ إلى الواحات الغربية، وكشفتُ عن الطرق المؤدية إلى المتمردين، وأسرت الذين وجدتهم هناك وبقي جيشي سالما وبدون خسائر"[4]، والدليل على اهتمامه بالأمر هو أنّ هذا الفرعون أوجد موظفاً خاصاً بهذه الجهات، إذْ لقباً جديداً يظهر في تلك الفترة، وهو مراقب الصحراء الغربية الذي حمله كبار الموظفين.

والظاهر أنه، بعد أن أقام المصريون منشآتهم الدفاعية في الصحراء الغربية أدى إلى الاستقرار والسلام فتناسى الفراعنة المسألة، ونتيجة لهذا أخذت بلاد النوبة تفلت من قبضة المصريين وذلك تحت ضغط من الهجرات الليبية

---

[1] جاد الله فوزي، المرجع السَّابق، ص07.

[*] سنوهي نبيل مصري: يذكر في قصته أنه قد رافق سنوسرت عندما كان وليا للعهد وشريكا في الحكم مع الملك أمنمحات في حروبه ضد الليبيين وعندما مات الملك أثناء غياب الحملة بلغ موته معسكر المصريين رأى سنوهي لسبب غير معروف أنه معرض للخطر فعمد إلى الفرار وقد استطاع أن ينجو بنفسه حتى الحدود الشرقية لمصر، وكانت قصة سنوهي من أحب القصص إلى قلوب المصريين القدماء وقد كتب بعض من أجزائها على البردي... وللمزيد يراجع (الموسوعة المصرية، المرجع السَّابق، ص283.).

[2] العقون أم الخير، العلاقات...،المرجع السَّابق ،ص42.

[3] Bates (O.),Op.Cit,p 21.

[4] العقون أم الخير، المرجع السَّابق، ص69.

أدى إلى تشكيل خطر على طريق المصريين إلى كرما لأنه استنادا إلى العلاقة بين حضارة (ج.)[**] وحضارة كرما(في السودان) التي أصبحت عاصمة لمنطقة جغرافية أطلقت عليها النصوص المصرية اسم كوش[1] ،

وتذكر المصادر بعد ذلك أنّ الفرعون سنوسرت الثالث 1878 ق.م – 1839 ق.م فشل في صّد هجمات التمحو ولم يتمكن من التقدم إلى "كرما" من أجل تأمين حدوده الجنوبية وبقيت العداوة متأصلة بين المصريين و الأقوام المجموعة (ج)، نتيجة الحروب السابقة، ويُعتقد جمع من الدارسين بأن هذا السبب كان وراء لطلب التحالف مع الهكسوس[*] ضد المصريين كما يتضح من لوحة كاموسا الذي قبض على رسول لملك الهكسوس عبر الواحات وهو يحمل رسالة إلى التمحو ورئيس الكوش يعده باقتسام الأراضي المصرية شريطة التحالف.

ويعتقد أيضاً أنها نتيجة لهذه العلاقات أخذ التمحو (الجرميون) عن الهكسوس العجلات الحربية مما مكنهم من الانتشار حتى دارفور إلى الصحراء الليبية في فزان، وربما نستدل على ذلك من خلال قول بطليموس الجغرافي (Ptoléme géo) بأن الجرميين ينتشرون جنوب فزان حتى بلاد النوبة[2]، و يرجع الفضل في ذلك لشهرة الجرميين بالعربة في ذلك العهد مثلما لا نستبعد أن يكون التمحو هم الأجداد القدامى لليبيين الجرميين.

ومما يدعم رأيي الذي يقول بأنّ الجرميين هم التمحو نأخذ بما قاله "ديقونواه" (Doguinot) بأن هناك منطقة تقع بين هضبة طاسيلي وتيبستي تسمى حتى اليوم (Tammo) وهي في رأيه شديدة الشبه بلفظ التمحو الوارد في النصوص القديمة[3]، أضف إلى ذلك بأن الطوارق يطلقون على أنفسهم تماهق (Tamahaque)وهي تسمية يختلف في نطقها من منطقة إلى أخرى فنجد تماشك أو تماجك أو تماحك عند طوارق فزان.

ومن هذا المنطلق، أي بعرض كل هذه المؤشرات الكتابية أو نتائج التنقب الآثرية نتساءل، هل يكون تماحك فزان هم قبائل التمحو المعروفين في النصوص المصرية ؟

وقد يبدو أنّ هذا التساؤل في محله، كون التسميات التي استعرضتها سابقاً تشترك في مقطعها الأول "تما" (Tama) ولدينا تغير واحد يطابقها تماما عند الطوارق تماحك (Tamaheque) واسم "تما" في نظرنا هو من بقايا

[**] يرى أركل أنَّ فرعا من (المجموعة ج) هم التمحو الجنوبيين للمزيد يراجع : (Arkell, «Rock pictures in Narthorn Darfur», SNR,V.20 ,Part,2,1936.p 49.).

[1] Bates (O.),Op.Cit.,p 49.

[*] الهكسوس: هم شعوب بدوية من أصول عمورية دخلت مصر من سيناء في فترة ضعف خلال نهاية حكم الدولة الوسطى، تقريبا في نهاية حكم الأسرة الرابعة عشر، استمر حكمهم لمصر حوالي مائة عام، ولم تكن إقامتهم هادئة، بل قوبلت بكثير من الثورات وانتهت بطردهم على يد فرعون أحمس الأول في عصر الأسرة الحديثة للمزيد يراجع : (سليم حسن، موسوعة مصر القديمة ، عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية، الجزء الرابع، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2001، ص51.).

[2] Bates (O.),Op.Cit.,p.51-52.

[3] Camps (G.), « Avertissement » in Encyclopédie berbère, 1 | Abadir – Acridophagie [En ligne], mis en ligne le 01 septembre 1989, consulté le 05 juin 2019. URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/765

لفظ "التمحو" وهذا بطليموس يؤكد أن الجرميين ينتشرون من فزان إلى شمال النوبة، وقد نجد سنداً لهذا القول في تلك العلاقة بين الجرميين سكان فزان وسكان شمال النوبة حيث يشتركون في بعض العناصر ومنها:

- ظهور رسوم للماشية في دارفور تشبه ماشية فزان والتي حدثنا عنها هيرودوت بأنها ترعى وتمشي القهقرى بسبب انحناء قرونها إلى الأمام.
- ظهور رسومات لراكبي الخيول في فزان مشابهة لرسومات في السودان
- أسلوب الجرميين في رسوم الأشكال الإنسانية بمثلثين مقلوبين مزدوجة وهي طريقة تظهر في بعض الرسومات الإنسانية بالنوبة.
- ظهور مميزات الليبيين الشرقيين الذين وصفوا بالتمحو على الآثار المصرية ومنها خصلة الشعر والذيل في المؤخرة والريشة وجراب العورة نفسها الموجودة في الأكاكوس و فزان وفي بعض رسومات النوبة.

وفي الأخير نخلص بأن موصفات التمحو ربما تؤكد بقوة الرأي القائل بأنهم الجرميين المعروفين في المصادر الأدبية ورسومات هؤلاء التمحو المعروفون جنوب مصر هم نفسهم (الأقوام ج.) بالنوبة ونفسهم الجرميون بالفزان وجبال الطاسيلي بالصحراء الوسطى وأنّ مثل الانتشار بالصحراء الليبية من مواطنهم إلى مسافات بعيدة شرقا حتى وادي النيل، نجد له دليلاً في تنقل قبائل "القرعان" الحاليين في دارفور حتى الصحراء التي تحد وادي النيل غربا إلى النوبة العليا إبان القرن السابع عشر والقرعان كما يقول كيروان (Kirwan) هم أحفاد الجرميين عرفو بالتمحو عند المصريين[1].

[1] Kirwan (L.P.), Op.Cit.,p 141.

3. النقائش و الفسيفساء

أ. من خلال النقائش:

لقد بيّنت النقائش اللاتنية وصفاً عن الجرميين ومن أهم هذه الكتابات التي عثر عليها في مدينة سوسة (Hadramutem) تلك التي تصف عبدا جرميا فتقول

FAEX GRAMANTARUM NOSTRUM PRICESSIT AXEM ET PICEO GAUDET CORPOR VERNA NIGER QUEM NISI VOX HOMINEM LABRIS EMISA SONARAT TERRET VISU NORRIDA LAVA VIROS DIRA ? HARUMETA TUUM VAPIANT CUSTODEM HUNC DITIS DEBET HABERE DOMUS FECIT. [(1)].

وترجمة النص إلى اللّغة العربية كالتالي:" يأتي حثالة الجرمي إلى عالمنا ، ويفخر العبد الأسود بجسده الداكن، إن لم يكن من الصوت البشري الصادر من شفتيه، فإن هذا الشيطان بوجهه المروع سيخيف الرجال، ويسمح لغضب من الجحيم أن يأخذ الوحش لأنفسهم بيت العالم السفلي يجب أن يكون هذا الشخص حارسه، أنجز.".

وتشير الدراسات إلى نص خر مأخوذ من نقيشة عثر عليها الباحث (ر) روبيفات (Rebuffat R) في التخوم الطرابلسية (بونجيم بنواحي شمالية للفزان) على نقيشة لاتنية مكرسة في عدة كلمات هي: عبر عدد من الجرميين في مهمّة يسوقون حميرا (GARAMANTES DVCENT ASINVS.)[(2)].

ب. من خلال الفسيفساء:

كشفت لنا فسيفساء فيلا "دار بوك عميرة" بالقرب من زليطن شمال غربي لليبيا حالياً، جانباً مهما من حياة الجرميين، على أساس أنهم من المجرمين والأسرى الضحايا المنحوسي الحظ وقد ربط كل منهما على عمود خشبي مثبت على عربة ضحيته، بينما يدفع العامل المختص بالحلبة (البستياروس) بالضحية الأخرى اتجاه أحد الوحوش (الشكل 13)، وفي منظر آخر يسحب عامل الحلبة عبداً جرمياً من شعره نحو أحد الأسود لافتراسه[(3)] (الشكل 14).

---

(1) Kay (N.M.), « Epigrams from the anthologia latina, text, translation and commentary», first publishe, london,2006,p 60.

(2) Rebuffat (R)., « La frontière romaine en Afrique : Tripolitaine et Tingitane », Ktéma, 1979, 4, Pp 226-233,p 226.

(3) أنديشة أحمد محمد، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، ط1، جامعة التحدي،سرت ليبيا، 2008، ص349.

وفي هذا الشـــأن يؤكد فريق من الدارســـين أن هؤلاء الأســـرى هم الجرميون الذين انتصـــر عليهم القائد الروماني فاليريوس فسـتوس (VALERIVS FVSTVS) عام 80م في حملته ضـد الجرميين عندما حاصـروا مدينة لبددة فقام هذا الأخير بنجدتها وطرده للجرميين وأســـر عددٍ منهم وقدمهم كطعام لأســـود في حلبات المصـــارعة بمدينة لبتيس ماجنا[1].

ومع ذلك يرى فريق الآخر من الباحثين مثل (س) أوريغاما (Auirigemme.S.) أنَّ أولئك الأســرى كانوا من النوميديين والذين يحرونهم هم من الجرميين حيث يظهر لنا هذا الأخير ببشــرة ميالة للزرقة،أما النوميد فبالبشــرة السمراء الداكنة، وقد بين هذا الباحثُ أنّ النوميد تمَّ أسرهم من طرف الرومان بعد مقتل تاكفاريناس عام 24م[2]، ولكن الأقرب إلى الصواب حسب ما يبدو لي أن أولئك الأسرى الذين صوروا على الفسيفساء السابقة كانوا من الجرميين بدليل أنهم هاجموا لبتيس ماجنا، فكان من الضـروري زرع الطمائنية في نفوس سـكان منطقة المرافئ الليبية عامة ومدينة لبتيس ماجنا بصـفة خاصـة وإظهار قوة روما وسـطوتها وهزيمتها على الجرميين الذين تجرأوا على سيادة روما في ذلك الوقت تحذيرا غير مباشـــر لليبيين الذين ربما يفكرون في الثورة ضـــد الرومان، أما الثورة تاكفاريناس فكانت بعيدة عن أراضيها.

الشكل (13): أسير من جرمة مثبت بالعمود الخشبي على العربة

الرابط: https://mediterranees.net/art_antique/oeuvres/zliten/garamantes.html (10-06-2019) 20:40

[1] أنديشة أحمد محمد ، المرجع السَّابق، ص349.

[2] Auirigemma (S.), «Imosici Di Zliten» , Africa Italiana,Vol,2,1926,p.35.

الشكل (14) : أسير من جرمة يُضرب بالسوط ويقدم كفريسة للأسد

الرابط : http://www.livius.org/articles/place/garamantes/ (10-06-2019) 11:59

II. المصادر الأدبية:

حظيَّ الجرميون بمكانة خاصـــة من بين القبائل الليبية التي كتب عنها قدماء الجغرافيين والمؤرخين وهم ينتمون إلى فترة تاريخية بعيدة، وقد جاء الاهتمام من قبل هؤلاء الكتَّاب الكلاســـيكيين نتيجة الاحتكاك بين الجرميين وهذه الأطراف، الإغريقية، الرومانية، أو العربية ، سواء كان هذا الإحتكاك سلمي أو عدائي(*) وهذا ما نستخلصه في التمثيل البياني (الشكل 15) أي أنَّ الكتّاب الرومان هم من أكثر المؤرخين الذين تحدثوا عن قبائل جرمة.

1. المصدر الإغريقي:

من المعروف أنَّ اســم ليبيا وبعض قبائلها قد ورد ذكرها في كثير من النصــوص اليونانية القديمة التي ترجع بعضـــها لعصـــر مبكر جدا، إلا أنَّ هيرودوت المؤرخ الإغريقي(*) يعدّ أول من ذكر أسماء القبائل الليبية ومواقعها بشيء من التفصيل والإسهاب ومن بين تلك القبائل، ذكر "جرمة" ويعتبر هذا الذكر كأول تصريح واعتراف من المؤرخين على الإطلاق، وربما يكون قد استقى معلوماته عنها من أحد التجار الإغريق من سكان المدن الإغريقية الخمسة الذين يحتمل أنهم زاروا مواضع الجرميين أو التقوا بهم في المدن اليونانية بليبيا.

و في هذا الشـــأن يقول هيرودوت في كتابه الرابع من كتابه "تمحيص التواريخ" (Hitopinaise Historia) الفقرة 174:

"ووفق هؤلاء من جهة رياح الجنوب يقطن الجامفانتســـفي (Gamphantes) المنطقة المعروفة بالحيوانات البرية وليســـت لهم صـــلات مع غيرهم من الناس وليســـت لديهم أســـلحة وهم لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم."[1].

غير أنّ الباحث أعشي (م.) يرى أنَّ هؤلاء لا يمكن أن يكونوا جرميون بل الجامفانت (Gamphasantes) لأن الجرميين شعب مشهور وكثير العدد ولعب دوراً كبيراً في تاريخ شمال إفريقيا ، أما الجامفانت فهم مجموعة بشرية

(*) ينبغي أن نتوخي الحذر في تقبل المعلومات الكتّاب ربما بعضهم لم تطأ أقدامهم أرض فزان، وانما جمعوا معلوماتهم من تجار واستمعوا من أشخاص لم يكونوا شهود عيان وبالتالي فقدوا الأهلية (الطالب بالتصرف).

(*) هذا المؤرخ الذي عاش خلال القرن الخامس قبل الميلاد قد زار عدداً كبيراً من الأقطار ويظهر من كتبه الخمس أنه كان ملماً بأحوال عالمه، ومن المحتمل أن يكون هيرودوت قد زار برقة حيث كانت تقوم في أيامه خمس مدن إغريقية كبرى أنشأها المستعمرون اليونان في الأراضي الليبية، وكانت علاقة الليبيين و الإغريق الساكنين بتلك المدن علاقات سلام أحيانا وعلاقات حرب أحيانا أخرى، وكانت القوافل توفد من الداخل المواد الأولية وتطلع التجار الإغريق إلى معرفة أخبار وجغرافية البلاد الواقعة في وسط الصحراء الليبية وخلفها من بينها جرمة التي استقى منهم هيرودوت معلومات قيمة عنها...(الطالب بالتصرف).

[1] هيرودوت، المصدر السّابق،الفقرة 174، ص52.

ذكرها بومبونيوس ميلا وكانت تستوطن المنطقة الثانية من جنوب ليبيا وهي معروفة بالحيوانات المتوحشة وكانت تبتعد عن الإنسان ولا تستعمل السلاح بل وغير قادرة على الدفاع عن نفسها، كما يذكر هيرودوت ، ولا ندري هل هذا الكلام صحيح أم لا[2].

أما (ج) ديزانج (Desanges J.) فيرى أن هذه التسمية الجامفاسنتس تتكون من ملحقين جام (Gam) و فازانتس (Phasantes) ويقصد بها الفزانيين أي بمعنى جرمة الفزانيين وهناك من يكتب اسمهم بالجرامان وهذا هو الأصوب[3].

إن كان الجرميون في فزان حسب هيرودوت يجهلون استعمال السلاح ونحن نعرف من خلال المنحوتات والنصوص الفرعونية أنَّ الليبيين الشرقيين كانوا يستعملون أسلحة معدنية نحاسية وبرونزية ودروعا متنوعة من جلود الحيوانات.

ويواصل هيرودوت في الجزء الرابع من نفس الكتاب، الفقرة 183:

" وعلى مسيرة عشرة أيام أخرى من أوجلة يوجد تل آخر من الملح تتوسطه عين مياه متدفقة وحولها الكثير من النخيل المثمرة على غرار الأماكن الأخرى، ويسمى الأهالي الذين يسكنون هذه الجهات بالجرميين، وهم أقوام كبيرة من الناس، وهم يمارسون العادة التالية في الزراعة: يغطون الأرض التي تكسوها الأملاح بطبقة من التربة ثم يبذرون عليها البذور وهي وسيلتهم في الزراعة.

والمسافة بين بلادهم وبلاد الوتوفاجي (أكلة اللوتس بطرابلس الآن) على الأقصر ثلاثين يوماً.

وهم يقتنون نوعا من الثيران ترعى وهي تسير القهقرى (إلى الخلف) وذلك لأن قرونها الطويلة الممتدة للأمام قد تنغرز في الأرض و تمنعها من السير للأمام عند الرعي وهي تمتاز كذلك بكثافة وخشونة جلودها وفيما عدا ذلك فإنها لا تختلف عن غيرها من الثيران.

ويخرج هؤلاء الجرميون في عربات تجرها أربعة من الخيول لاصطياد الأقوام المسمين بالأثيبو تروجلودي من سكان الكهوف. ويعتبر القوم الأخيرون من أسرع من نعرفهم في العدو وهم يعيشون على أكل الثعابين والزواحف وليست لهم لغة بل إنهم يحدثون أصواتاً تشبه خفيف الخفافيش."[4].

---

[2] أعشي مصطفى، هيرودوت يتحدث عن الليبيين (الأمازيغ)، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009، ص47.

[3] Desanges (J.) « Garamantes », in Gabriel Camps (dir.), 19 | Filage – Gastel, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes », no 19) , 1998 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 02 février 2017. URL : http://encyclopedieberbere.revues.org/1993

[4] هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 183، ص62.

ونعتذر من القارئ الكريم أنَّ الإقتباس طويلاً وأخذنا الفقرة كاملة ، ترجع أهمية هذا النص كونه أقدم نص تعرض لقبائل جرمة بالذكر.

فحسب رواية هيرودوت كان الجرميون يعيشون في فزان وهي منطقة مشهورة عند الإغريق خلال القرن الخامس قبل الميلاد وكانوا يمارسون الزراعة والصيد بما أنهم أقوام مستقرة، كما كانوا يستعبدون أقواما آخرين أقل منهم في مدارج الحضارة، وكان هؤلاء الأخيرون يسكنون الكهوف.

غير أننا بمقارنة هذا النص بنتائج الأبحاث الأثرية تبين خطأ النص كونه منافٍ للآثار الموجودة في جرمة والتي تعود إلى الألف الأولى ق.م.

لقد تبيّن للباحث "أيوب محمد سليمان " بعد مقارنة نصيّ هيرودوت اللذين عرضنهما أي النص الثاني (الفقرة 183) بالنص الأول (الفقرة 174) التناقض بين قول المؤرخ هيرودوت في النص الأول" ... أن الجرميين ليس لديهم أسلحة وهم عزل وأنهم لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم..." وبين قوله في النص الثاني "...أنهم يملكون عربات تجرها أربعة من الجياد وأنهم يصيدون بها العبيد النروجلودي..."، يبدو واضحاً أن المؤرخ الإغريقي قد التبس عليه الأمر في النص الأول فذكر الجرميون بدلا أن يذكر الأثيوبو تروجلودي.

ويظهر أنّ الإغريق القدماء كانوا يعرفون قبائل جرمة، وقد ذكروا عند الكتَّاب الذين جاؤوا بعد هيرودوت فهذا الكاتب السكندري أبولونيوس الرودسي (Apollonis Rhodes) المولود سنة 220 ق.م يشير إلى أنّ أصل الجرميين من جزيرة كريت وقد أخذ هذه المعلومة من الروايات التي كانت شائعة في أيامه، حين كتب في رواية أرجونوتيكا (Argo) :

ولا بأس أن أُلخص هذا النص "... وقتل كافاراس (Caphauras) أحد بحارة السفينة أرجو المدعو كانتو (Kanto) وكان كافاراس هو أكبر أبناء فوباس ليكوس (Phoebas Leceus) من محبوبته أكاكاليس (Akakalis)، وهي نفسها ابنة الملك مينوس، ولقد نفاها والدها إلى شواطئ ليبيا عندما علم بأنها على وشك وضع مولودها الإلهي، وهناك أنجبت أكاكليس المدعو أمبليثنكس (Amplishenex) الذي أطلق عليها جاراما (Garama) ولقد أحب جراما بدوره الخنثى تريتونيا (Tretonia) وأنجب منها ناسامون (Nasamon)..."[5].

أما عن المصادر الفينيقية والقرطاجية لفم يصل إلينا منها شيء، لكنها تشير في عمومها إلى العلاقات بين المدن الفينيقية لا سيما قرطاج وجرمة، ونعلم ذلك من بعض الشذرات التي وردت في كتابات الرومان والتي

[5] Apollonius de Rhodes , Argonatiques, trad: Caussin (J.J.A.), le sitede l'antiquité grecque et latin (en ligne) de philippe remacle, http://remacle.org/bloodwolf/poetes/falc/apollonius/livre1.htm (17-04-20) 20:43.

يظهر بأنهم نقلوها عن القرطاجيين أو التجار الفينيقيين، ولعل تدمير قرطاج على يد الرومان سنة 146 ق.م على ذلك النحو القاسي (حرقها) الذي يعد إحدى مآسي التاريخ قد ذهب بوثائق تلك المدينة التاريخية الكبيرة.

2. المصدر اللاتيني:

يعدّ الكتاب الرومان من أهم المصادر الرئيسية التي نستمد منهم معلوماتنا عن الجرميين لا سيما خلال فترة الإحتلال الروماني للسواحل الليبية.

أ- مصادر القرن الأول قبل الميلاد :

- **مصدر الجغرافي سترابون** : يعتبر الجغرافي الروماني سترابون (Strabon) الذي عاش بين (66 ق.م – 24 م.)، أول الكتّاب الرومان الذين تحدثوا عن جرمة، فقد سّجل ذلك في سَفْره الكبير الذي سماه بالجغرافيا (Geographicae) مايلي:

الكتاب السابع عشر، الفصل الثالث، الفقرة 13 :

" إننا لا نعرف شيئاً عن أغلب القبائل التي تسكن ليبيا لأن الجيوش الأجنبية أو الرحالة الأجانب قليلا ما ارتادوا البقاع الداخلية، كما أنّ القليل جداً من سكان تلك الجهات هم الذين يجيئون إلى مدننا بالشاطئ، وحتى هؤلاء القلة لا يذكرون أية أخبار مفصلة عن بلادهم، وعلى أية حال فإنني أنقل المعلومات التالية رواية عنهم:

يسكن في أقصى جنوب ليبيا الأقوام المسمون باسم الأثيوبيين، وإلى الشمال منهم سكن جرمة، وإلى جوارهم الفاروسي (Pharusu) و الزنوج (Nigriti) وإلى الشمال منهم يعيش الجاتولي(Gattoli)."[6]

وفي مكان آخر من نفس الكتاب، الفقرة الثانية، يعطينا سترابون الكثير من مواصفات وعادات الجرميين فيقول:

" تمتد بلاد الليبيين المنحدرين من أرومة فينيقية إلى جبال الجاتولي وفيما وراء أرض الجاتولي، وفي اتجاه مواز له توجد بلاد الجرميين حيث يوجد ما يسمى بالحجر الكارخيدونيون (القرطاجي) (Carthagenian Stones) ويحكى بأن بلاد جرمة تمتد من مسافة تسعة أو عشرة أيام من بلاد الأثيوبيين الذين يعيشون على شاطئ المحيط إلى خمسة عشر يوما من معبد أمون ، وهؤلاء القوم المسمون بالجرامنت يوجدون بين أرض الجاتولي وشواطئنا في سهول كثيرة وجبال عديدة وبحيرات كبيرة وأنهار بعضها يجري تحت الأرض بجنب الواحات فالجرميون معتدلون في

[6] سترابون ، المصدر السَّابق، الفصل الثالث، الفقرة 19، ص113.

طعامهم وزينتهم ومتقشـفون جداً في حياتهم وملابسـهم، ويقتني الواحد منهم الكثير من الزوجات ولديهم الكثير من الأبناء، وفيما عدا ذلك فهم يشبهون البدو الرعاة العرب ويعني ملوكهم بتربية الخيول حتى إنهم ليقيمون سنويا حفلاً يحضره الملك ليشاهد تعشير الخيول التي تلد لهم سنوياً حوالي الألف مهر، أما الثيران فلها رقاب أطول مما عليه في المناطق الأخرى، أما الخراف عندهم فهي تغذي بالحليب واللحم خصوصاً قرب أثيوبيا، هذه هي الأحوال في المناطق الداخلية."[7].

وفي الفقرة 23 في الفصل الثالث نفس الكتاب، يتكلم سترابون في مجال اختصاصه أي جغرافي، فيمدنا بمعلومات قيمة عن أرض وبلد الجرميين يقول:

" ...وتكون أرض الجرميين منتجة للسلفيون ضيقة وطويلة وشبه جافة ويبلغ طولها باتجاه الشرق حوالي ألف ستاديون والعرض ثلاثمائة ستاديون[*] أو أكثر بقليل، الجزء المعروف على الأقل، يعتقدون أن كل المنطقة التي تقع على خط العرض نفسه بشكل متصل تتشابه في المناخ وإنتاج النبات، ولكن طالما أن الكثيرا من الصحاري تفصل فإننا لا نعرف جميع الأماكن، وللأسباب نفسها تقريباً تكون الأماكن التي وراء أمون والواحات حتىأثيوبيا مجهولة ، ولا يمكننا أن نذكر حدود أثيوبيا ولا حدود ليبيا ولا حتى المنطقة التي وراء مصر بوضوح ولا المنطقة التي قرب المحيط."[8].

- **أشعار فرجيليوس (70 ق.م– 19 ق.م):**

أما أشعار فيرجيليوس الخالدة فتحكي لنا عظمة الإمبراطورية الرومانية أكثر من ذكرها للجرميين، رغم أبياته التالية التي تعتبر نظرياً حديثاً عن الجرميين أنفسهم فقد قالها عندما وصل أحفاد طروادة إلى ليبيا هاربين من الموت: " هذا هو الرجل الخالد الذي سمعتم عن وعد القدر به، أوغسطين العظيم والقيصر الخالد، الذي سيعيد مجد العصور الذهبية بين حقول لاتيوم، والذي سيبسط إمبراطوريته إلى ما وراء الجرميين والهنود، تمضي إلى عالم النجوم ومجرى الشمس". [9].

---

[7] سترابون، المصدر السّابق، الفصل الثالث ، الفقرة 2. ص94.

[*] هو عبارة عن مقياس لتحديد المسافات كان يستخدم في عهد روماني،وإستخدمه أرسطو سنة (300 ق.م) لملعب (ستاد) ديلفس بأثينا الذي يقدر بالمتر 177.50 م وكان ملعب (ستاد) الذي إستعمله كلا من إراتوسثينس (200 ق.م) يساوي 157.5 مترا وهو نفس مقياس عملت به الإمبراطورية رومانية حيث يقابلها 5.7 ميل للمزيد يُنظر: (جوليان (ش.أ.) ،تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى غاية الفتح الإسلامي،ج2،تر:محمد مزالي، مؤسسة تاوالت الثقافية،2011، ص214.).

[8] سترابون ،المصدر السَّابق ، الفصل الثالث ، الفقرة 23– 119 ، ص.135 – 174.

[9] فرجيليوس، الإنياذة، ج1،مراجعة وتقديم : شعراوي عبد المعطي، المركز القومي للترجمة،ط2، القاهرة،2001، الفقرة 291،ص207.

ويقدم لنا الشاعر فيرجيليوس أيضاً سابقة تاريخية لأهم الملوك الجرميين وهو الملك المدعو "هيرباس" من القرن التاسع قبل الميلاد، وهو نفسه الذي تحدثت عنه أسطورة تأسيس قرطاجة التي أوردها لنا يوستينيوس الذي يكون قد طلب الزواج من عليسا وفق نفس المؤرخ، يقول لنا فرجيليوس في إنياذته الكتاب الرابع الفقرة 196:

"كان هيرباس هذا هو ابن آمون من جرمانتس، الحورية التي اغتصبها آمون، وكان قد شيد لجوبيتر مائة معبد شامخ ومائة مذبح في مملكته الجرمية المترامية الأطراف، وخصص له نارا دائمة الاشتعال، ونذر للآلهة حراسا دائمين... " [10].

ب- مصادر القرن الأول الميلادي:

- **مصدر بلين الأكبر: (Pline L'ancien)**

ويعدّ ما كتبه الروماني بليني الأكبر الذي عاش ما بين (24 م إلى 84 م) ، مرجعاً هاماً للاحتكاكات التي حدثت بين الرومان وقبائل جرمة خلال فترة حكم الإمبراطور الروماني فسبازيان [11](Vespasian)، ويرجع إلى بليني الأكبر الفضل أيضا في سرد أخبار حملة رومانية قديمة حدثت في عهد أغسطس سنة (19 ق.م) ، ولا نعرف على وجه التحديد السبب الذي من أجله لم يذكر سترابون أنباء هذه الحملة ضمن ماذكر من أخبار الليبيين والرومان، ولعلّه لم يذكر أنباء هذه الحملة إما لعدم أهميتها وإما لأن الحملة فشلت في احتلال جرمة، وهو أمر تؤكده الحقائق الأثرية والتاريخية ويقول بلين الأكبر في كتابه الخامس من التاريخ الطبيعي (Naturalis Historiae) الفقرة 12 :

" تقع بلاد جرمة على مسافة اثني عشر يوماً للغرب من واحة أوجلة."[12].

وفي الفقرة الموالية من نفس الكتاب، يسرد فيها بليني أنباء الحرب التي دارت بين الجرميين والرومان:.

"... في ذلك الاتجاه تقع أرض فزانيا (فزان) التي استولينا عليها وفتحناها بقوة أسلحتنا إذ غزونا مدن أليلي (Alele) وكيلابا (Cillaba) وكذلك كيدانوس (Cydanus) (غدامس) الموجودة قبل صبراتة، ومن هذه النقطة تبدأ سلسلة من الجبال تمتد لمسافة طويلة من الشرق إلى الغرب، ولقد أطلق عليها الرومان جبل السوداء (Ater) وذلك نسبة للونها الذي اكتسبته بفعل العوامل التكتونية أو نتيجة لاحتراقها بفعل أشعة الشمس، وخلف هذا الجبل تمتد صحراء تقع على أطرافها الشمالية ماتلجا (Matelga) المدينة الجرامنتية ثم دبريس (Debris) حيث

---

[10] فرجيليوس، المصدر السَّابق ، ص209.

[11] أيوب محمد سليمان، جرمة ...المرجع السَّابق، ص156.

[12] بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي ، المصدر السَّابق ، الفقرة 12، ص10.

يوجد نبع ماء ينطلق منه ماء ساخن لدرجة الغليان في منتصف الليل بينما يطلق ماء في برودة الثلج في منتصف النهار، وكذلك مدينة جاراما (Garama) الشهيرة عاصمة الجرميين.

لقد استولت القوات الرومانية على كافة النواحي المذكورة، وكلل 'كورنيليوس بالوس' (Cornelius Balus) بأكاليل النصر لفوزه في تلك الغزوات فزف في عربة النصر وحصل هو وعمه بالبوس الكبير (Balbus Maximum)، على شرف (Quiritium) وحق المواطنة لأنهما لم يكونا من مواليد روما بل كانا أجنبيين من مدينة قادس "[13].

ومما هو جدير بالذكر أنه رغماً من أنَّ السلطات الرسمية الرومانية لم تدوّن في سجلاتها الرسمية إلا أسماء المدن التي ذكرناها إلا أنَّ بالبوس قد حمل في حفلات النصر شعارات البلاد و المدن على الترتيب التالي: –

" مدينة تابيديو (Tabidio)، قبيلة نيتري (Niteri)، مدينة نيغي جميلة (Neghigemela)، قبيلة بابيوم (Bubeium)، قبيلة أنيبي (Enipi)، مدينة ثبن (Thuben)، جبل السوداء، مدن نيتيرن (Nitirun)، رابسا (Rapsa) ، قبيلة ديسيرا (Discera)، مدينة دبريس (Debris)، وادي ناثابر(Nathabar)، مدينة تابساجو (Tapsago)، قبيلة ناناجي(Nannagi)، مدينة بون(Boin)، مدينة بجي(Pege) ، وادي داسيباري (Dasibari)، وكذلك المدن المجاورة التالية: باراكو (Baraco) وبالوبا (Baluba) و الاسي (Alasi) وبالسا (Balsa) وجولي (Goli) وماكسالا (Maxula) وزيزاما (Zizama) وجبل جيري أو غيري(Gyri) وهي التي يظهر من اسمها أن بها الأحجار الكريمة المعروفة[*].

ويواصل بلين الأكبر كلامه ووصفه فيقول ... وإلى يومنا هذا لا يوجد درب مطروق يصل ساحل البحر ببلاد جرمة لأن ذلك الجنس الملعون قد دأب على طمر الآبار الواقعة على الطرق المؤدية إلى بلادهم، هذا علما بأنَّ هذه الآبار من السهل حفرها نظرا لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض ، إلا أنها تتطلب معرفة الأماكن التي يمكن العثور فيها على المياه.

---

[13] بلين الأكبر، المصدر السَّابق، الفقرة 13، ص10.

[*] هناك مجموعة كبيرة من الأسماء التي لم يتعرف عليها حتى وقتنا الحاضر بعضها لأسماء مناطق والأخرى لأسماء أنهار وقد كانت فترة الحملة التي قام بها الرومان بقيادة بالبوس في العام 19 ق.م أكبر فترة توثيق للمناطق الجنوبية من ليبيا وقد نقل لنا بلين كبير هذه المعلومات في فترة حياته مابين (33-29م)...للمزيد يراجع: أيوب محمد سليمان، حملة كورنيليوس بالبوس، ليبيا في التاريخ القديم، منشورات الجامعة الليبية،1968، طرابلس، ب.ت، ص157.

وفي خلال الحروب التي خضـــنا غمارها في هذه الأيام ضـــد أهالي مدينة أويا (Oeenses) تحت قيادة الإمبراطور فاســـبازيان عثر الرومان على طريق أقصـــر بأربعة أيام عن الطريق المعروفة، وقد أطلق على هذا الطريق الجديد اسم الطريق الواقع خلف الرأس الصخري(Caputa Saxi)"[14]

- **مصدر بومبيوس ملا** :(Pomponius Mela)

وتظهر عناية جغرافيّي الرومان بتقصـــي أنباء البلاد المحيطة بعالمهم في مؤلفاتهم الجغرافية التي حوت الكثير من الحقائق، فنجد أن الكاتب بومبيوس ملا (Pomponius Mela) الذي ولد ســـنة 40 م يذكر في كتابه المدن الحضرية (De Situ Orbis) كالتالي:

" ويملك الجرميون نوعاً من الثيران تميل برؤوســـها للجنب عندما ترعى وذلك لأن قرونها الطويلة الممتدة للخارج تمنعها من أن تتجه برؤوسها مستقيمة للأرض.

وهم يعتبرون النســاء متاعاً مشــاعاً بينهم ويعتبرون الأبناء الذين يتوالدون من مثل هذا الجماع أبناء لأكثر الرجال الذين جامعوا أمهاتهم شبهاً"[15].

ت– مصادر القرن الثاني ميلادي:

- **بطليموس كلاوديوس : (Ptolemy Claudius)**

ويعدّ بطليموس الجغرافي الذي عاش بالإســـكندرية خلال القرن الثاني بعد الميلاد أهم الكتاب الذين تكلموا عن البلاد الواقعة في الصـــحراء الكبرى ومن ضـــمنها فزان، فقد ذكر في كتابه الجغرافيا الرابع،في الفصـــل الثالث ، الفقرة 91، المعلومات التالية:

" في دواخل ليبيا فيما وراء منابع ســـينيفس (Cinyphus) ' وادي كعام" توجد المدن التالية : فانياس (Vanias) ساباء (Saba) ' سبها' بدريم (Bedirum)، جاراما (Garama) المدينة الرئيسية..."[16].

ويقول أيضا في فقراته 93:

---

[14] بليني الأكبر، المصدر السّابق،، الفقرة 25-27 ،ص31.

[15] Pomponius mela, «Géographie», Trad: Louis Baudet, livre III, 2.
http://remacle.org/bloodwolf/erudits/mela/livre3.

[16] بطليموس كلاوديوس، المصدر السّابق، الفصل الثالث، الفقرة،.91، ص113.

" أما أسفل من أفريكي (فريقيا) وكيرينايكي (قورينائية) فتقع صحراء ليفي (ليبيا) وقبائل كبيرة تسكن ليبيا، إذ تمتد قبيلة جارامانتس من منابع نهر فاغرادا حتى بحيرة نوفا (النوبة)."[17].

- **تاكيتوس** : (Publius Cornelius Tacitus)

أما تاكيتوس فقد ذكر في كتابه "التواريخ" الذي يعد من أعظم أعماله التاريخية في الفقرة 50 :

" ...وأثناء النزاع بين مدينتي لبتيس ماجنا وأويا، استنجدت أويا بالجرميين ضد لبتيس ماجنا، وقد لبى الجرميون نداء أويا وحاصروا مدينة لبتيس ودمروا حقولها، ورغم انسحابهم عقب تصدي القائد الروماني فستوس لهم ومحاولته استرداد بعض الغنائم منهم، إلا أن الجارامانتيين قاموا ببيعها أثناء تراجعهم إلى موطنهم للقبائل البعيدة."[18].

ويصف لنا تاكيتوس (Tacitus) في منبره الأخر سماه " بالحوليات" ذكر للفُجَّارة الجرمية وتقنية صنعها قائلا: " أنَّ الجرميين إعتادوا على تشييد الأبار للإستخراج المياه الباطنية عن طريق الرقيق،لكن في حالة الحرب يقومون بطمرها حتى لا يدرك الأعداء الطريق المؤدي إلى موطنهم."[19].

- **فلوريس** : (Publius Annius Florus)

وقد أخبرنا المؤرخ الروماني الأفريقي الأصل فلوريس (Publius Annius Florus)في القرن الثاني للميلاد عن تحالف الجرميين مع قبيلة المارمريداي في فترة قديمة فيما قبل الميلاد تعود لعهد الأمبراطور أغسطس ليشنوا هجوما على مدينة قورينة، الأمر الذي دفع بالإمبراطور إلى تنصيب القائد بوبليوس سرليكوس كورينيوس حاكما لكيرينايكي وكريت وكلفه بمهمة التصدي لهجوم هذه القبائل التي ما لبثت أن حقق النصر عليها عام 15ق.م. ويبدو أنه من بين قادة هذه الحملة قائد يدعى كوسوس الذي ورد ذكره عند فلورس عندما تحدث عن حروب الرومان ضد هذه القبائل:

---

(17)بطليموس كلاوديوس، المصدر السّابق، الفصل الثالث ، الفقرة 93،ص.113.

(18) Tacitus, « L'histoire» ,IV,50.,les Oevres complétes de tacite, trad: brunou (JL) Libraraire de Hachette (L), Paris, 1859.http://remacle.org/bloodwolf/historiens/tacite/histoires4.htm.,(20-02-20) 11:54.

(19) Tacitus,Annals,IV.2.3, Tacite, Annales, Oevres complétes de tacite, trad: brunou (JL) Libraraire de Hachette (L), Paris, 1859.http://remacle.org/bloodwolf/historiens/tacite/annales4.htm (20-02-2020) 13:14.

"بعد القضاء على الموسولامي والجيتولي الذين كانوا يسكنون قرب سرت تعهد القائد كوسوس – الذي لقب باسم الجيتولي – بإخضاع المرمريداس وجرمة لكويرينيوس وهو الذي كان يلقب المارمريكوس، وكان متواضعا عند تقييم انتصاره."[20].

ث– مصادر القرن الثالث ميلادي :

– **أرنوبيوس : (Arnobius)**

وذكر أرنوبيوس (Arnobius) في مؤلفه (Comm.ad.Psalm) الفقرة 104، أن الجرميين في زمانه (القرن الثالث الميلادي) كانوا يجيدون التحدث بالفينيقية في مدننا (المدن الثلاث)[21].

– **أما لوكان السميساطي (Lucian):**

أما "لوكان السميساطي" (Lucian) من القرن الثالث الميلادي فقد أشاد باحترافية الجرميين في الصيد في قوله :"كان الجرميون يصطادون الفيلة وطيور النعام في الجهات الجنوبية منهم" [22].

وملفت للإنتباه أنّ الأخبار الجرميين قد انقطعت في القرن الرابع الميلادي، هذا راجع بسبب ضعف السلطة الرومانية خاصة في التخوم الطرابلسية وحل الوحدات العسكرية هناك، فوجدنا فجوة تاريخية غاب عنها الجرميين إلى غاية ظهورهم من الجديد مع الفنوحات العربية خلال القرن السابع للميلاد.

3. المصدر العربي:

لقد عرفت منطقة شمال إفريقيا خلال القرن 7م تحولات عميقة –وهو ما يبدوا لي أكاديميا "بالقطيعة التاريخية" في الكتابة عن ملمح الحضاري لمملكة جرمة التي صرنا لا نسمع أخبارها منذ نهاية القرن الثالث الميلادي– وهذا الفراغ غير مرتبطة فقط بتغيير في نظام الحكم أو زوال الإحتلال فقط، ولكنها انتقال إلى مرحلة الاحتكاك بين المشرق وبلاد المغرب، وفي هذا الصدد نرى أنّ المصادر المتعلقة بتاريخ بلاد المغرب، والجزء الخاص بإقليم فزان على وجه التحديد، متعددة ومتنوعة سواء من حيث طبيعتها أو محتوياتها أو من تكوين أصحابها. وبالرغم من غياب

---

[20] Florus, « Abrégé de l'histoire romaine », trad: jules pierrot, http://remacle.org/bloodwolf/historiens/florus/index.htm (17-04-2020).

[21] جوتشايلد ريتشارد جورج، الدراسات الليبية، ترجمة: المبار عبد الحفيظ فضيل، دراسات ليبية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس الغرب، 1999، ص12.

[22] Lucien de Samosate ,« Oeuvres complètes de Lucien de Samosate Dipsades »,2 , trad. nouvelle avec une introd. et des notes par Eugène Talbot: Hachette,Paris, 1912http://remacle.org/bloodwolf/philosophes/Lucien/pecheur.htm

فهرسة متعلقة بموضوع الدراسة، إلا أن هذه المصادر تكتسي أهمية قصوى في إلقاء نظرة شمولية حول تاريخ جرمة خلال الفترة تاريخ القديم المتأخر.

- **ابن عبد الحكم:**

يعدّ ابن عبد الحكم المتوفى بمصر عام 871م، أقدم الكتّاب العرب الذين ذكروا بشيء من التفصيل أحوال فزان خلال الفتح العربي الأول لشمال أفريقيا والذي وقعت حوادثها خلال القرن السابع الميلادي.

ما يهمنا في كتاب ابن عبد الحكم هو الجزء الخاص الذي يصف فيه الكاتب أنباء الفتح العربي بقيادة عقبة بن نافع الفهري لفزان في القرن السابع الميلادي.

" ...واستخرج منهم ماكان بسر فرضه عليهم ثلاثمائة رأس وستين رأساً، ثم سألهم عقبة: هل من ورائكم أحد، فقيل له: جرمة وهي مدينة فزان العظمى، فسار إليها ثماني ليال من ودان، فلما دنا منها أرسل فدعاهم إلى الإسلام فأجابوا، فنزل منها على ستة أميال، وخرج ملكهم يريد عقبة وأرسل عقبة خيلا فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راجلا حتى أتى عقبة وكان ناعما فجعل يبصق الدم فقال له: لم فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعاً؟ فقال عقبةّ أدباً لك إذا ذكرته لم تحارب العرب، وفرض عليهم ثلاثمائة وستين عبدا، ووجه الرجل من يومه إلى قصور فزان..."[23].

- **اليعقوبي:**

أما جغرافيّو العرب الذين تكلموا عن فزان وجرمة خلال نهاية القرن الثامن الميلادي فأولهم أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الشهير باليعقوبي المتوفى 809 م، ولد هذا الكاتب في أصفهان بفارس ودون في كتابه المسمى بالبلدان طائفة من أخبار وأوصاف بلدان شمال أفريقيا نقتطف منها مايلي:

" ...ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة وهم قوم مسلمون إباضية كلهم يحجون البيت الحرام، وأكثرهم يخرجون الرقيق السودان من الميريين والزغاويين وغيرهم من أجناس السودان عن طريق واحات يقال لها جرمة وهي أرض نخل ومزارع، وجنس يعرف بفزان أخلاط من الناس لهم رئيس يطلع فيهم وبلد واسع ومدينة عظيمة وبينهم وبين مزاته حرب لاقح أبداً..."[24].

- **المسعودي:**

---

[23] ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، تقديم وتحقيق محمد صبيح، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر ،1976، ص262.

[24] اليعقوبي ، البلدان، المصدر السَّابق، ص97.

أما أحوال فزان وجغرافيتها في القرن العاشر فنجدها في كتاب مروج الذهب لمؤلفه أبي الحسن المسعودي المتوفى سنة 956 م، وتهمنا مما ذكره هذا الكاتب على وجه الخصوص الجملة التالية:

"... أما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن أمعن في المغرب مثل الزغاوة والكوكو والقراقرة ومديدة ومريس والمبرس والملانة و القوماطي و ذويلة (زويلة) و القرمة (الجرمة) أو الخرمة فلكل من هؤلاء وغيرهم من أنواع الأحابيش ملك ومملكة"[25].

- **البكري:**

ويقدم لنا الكاتب العربي أبو عبد الله ابن عبد العزيز بن محمد بن أبي أيوب بن عمرو الشهير بالبكري المتوفى حوالي 1094 م، صورة للأوضاع السياسية والأحوال الجغرافية لبلدان شمال أفريقيا والصحراء الكبرى في خلال القرن الحادي عشر وذلك في كتابه " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب".

" ومن أراد الطريق من نفوسة إلى مدينة زويلة فإنه يخرج إلى مدينة جادوا ثم يسير ثلاثة أيام في صحراء ورمال إلى موضع يسمى تيري وهو في سفح جبل به آبار كثيرة ونخيل ثم يصعد في ذلك الجبل فيمشي في صحراء مستوية نحو أربعة أيام لا يجد ماء ثم ينزل على بير يسمى أودري ومن هناك يلقى جبالا شامخة تسمى تارغين....وبين زويلة ومدينة سبهى مسيرة خمسة أيام وهي مدينة كبيرة بها جامع وأسواق، وبين مدينة سبهى ومدينة جرمة مثل ذلك، وهي مدينة عامرة كثيرة النخل وعيون الماء ومنها إلى ودان يوم واحد وبها قلعة حصينة..."[26].

الشكل 15: أعمدة بيانية تمثل عدد الفقرات ذكراً للجرميون من خلال كتّاب الكلاسيكيون (الطالب بالتصرف)

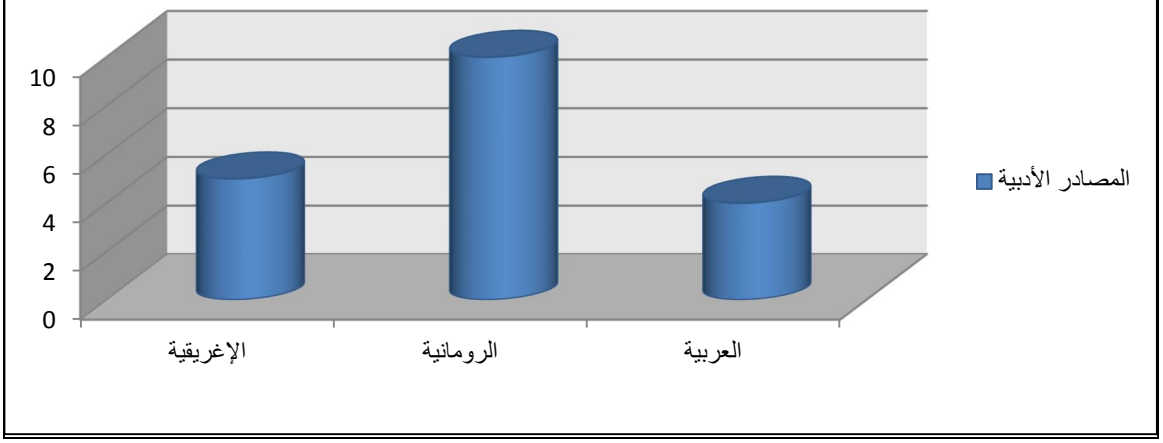

[25] المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجواهر،الجزء 1، قميحة محمد مفيد،دار الكتب العلمية، 1982، ص20.

[26] البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د،ت،ط، ص10.

ثانياً / الأبحاث الأثرية الحديثة.

I. تنقبات الجمعية الجغرافية الملكية الإيطالية سنة 1934:

تبع استيلاء الإيطاليين على ليبيا عام 1911 إجراء أولى الحفريات الأثرية النظامية رغم أنها تركزت بشكل رئيسي على المدن الساحلية مثل لبدة الكبرى وصبراتة وخصت الدور أو الفيلات الغنية مثل زليتن[27].

ونظراً لعدم استقرار الحال في المناطق الجبلية الوعرة والبلاد الواقعة على تخوم الصحراء لفترة طويلة بعد بداية الغزو الإيطالي فقد كان العمل هناك ضئيلا ولم يتم احتلال فزان نهائياً إلا في ثلاثينيات القرن العشرين، وهو الأمر الذي سمح لبعثة الجمعية الجغرافية الملكية الإيطالية سنة 1934 برئاسة الدكتور كابيتو (Caputu) بإجراء سلسلة من الحفريات في نواحي مختلفة من فزان وكانت أهم هذه الحفريات في منطقة جرمة "بوادي الآجال" وقد أصدرت البعثة كتاباً قيماً باسم حفريات بالصحراء (Scavi Sahariani) وسوف نأخذ ثلاثة أمثلة من هذه الحفريات أولاها تمثل المساكن والمستقرات وثانيها تمثل الشواهد والنصب وثالثها تمثل الجبانات والمقابر.

1. موقع الإستقرار (المساكن):

أما الأولى فهي بزنككرا[*](Zencacra) و هو الموقع الأول الذي تمّ التنقيب فيه، وتأتي من الناحية الشرقية لجرمة حيث عثر فيها على سور طويل يمتد لمسافة غير معلومة و يبلغ عرضه حوالي 1.52 م مبني بالقوالب المنتظمة من الطوب الأحمر وفيه فتحات على شكل نوافذ ربما كانت تستعمل لخروج مياه الأمطار وبجانب السور يوجد مدرجات ربما كانت تستعمل للزراعة، وفي أعلى الجبل توجد آثار مستقرات ولكن المباني الموجودة في الجهة الشمالية حيث عثر على بقايا ثلاثة مساكن أولاها يتكون من غرفتين وردهة خارجية تتكون من الأساسات وجدران مبنية بالحجر الأحمر ويتكون المبنى الثاني من ثلاث غرف يتوسط أحدهما موقد، أما الثالث وهو أصغر من المبنيين السابقين وقد عثر في هذه المباني على عدد كبير من شقاف الفخار من النوع المحلي ولم يعثر على شقفة واحدة من الفخار الروماني وبعض قطع الظران النيوليتية[28].

وقد نعتبر هذا دليلاً يمكننا القول من خلاله بأنّ الاستقرار في هذا الموقع قد سكن قبل ظهور الرومان على مسرح الأحداث بالصحراء.

---

[27] ماتينجلي ديفيد جون، المرجع السَّابق، ص28.

[*] زنككرا : بلسان (المتغيّر) التماهق عند الطوارق في الجنوب الغربي لفزان تعني العسل، فزَنكَكْرَا أطلق على القمة الصخرية البارزة من جبل حمادة مرزوق وهي تمتد على شكل طولي داخل الوادي الممتد من الجنوب الغربي للشمال الشرقي في منتصف المسافة بين منطقتي جرمة والغريقية... للمزيد يراجع (البرغوثي عبد اللطيف، المرجع السَّابق، ص316.).

[28] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص81.

2. الشواهد والنصب:

أما المثال الثاني وهو الشـــواهد والنصـــب، فقد كتب أعضـــاء البعثة الإيطالية وهما الباحثون (ب) باس (Pace.B) و (س) ســرجي (Sergi.S.)، (ج) كابيتو (Capitu.G) تقريراً مفصــلاً حول موزاليوم جرمة و قد جاء فيه : (الشكل 16)

" يعتبر هذا الشــاهد أي (الموزاليوم) أشــهر شــواهد جرمة وقد ســبق وأن كتب عنه أودني الذي زار المنطقة سنة 1922 وبارث (Barth) ودوفيرييه وزولي (Devrier.Z.)، ويقوم الموزاليوم في السـرير الواقع للجنوب من جرمة منطقة قصـر الوطواط،أما من حيث البناء فهو عبارة عن مسـتطيل تواجه واجهاته الأربع الجهات الأصـلية، وهو مبني بكتل من الأحجار المنتظمة والمتماسكة فيما بينها بملاط، وقد شيدت القاعدة بأحجار أكبر نسبياً على الأساس، وداخل المبنى مفرغ مملوء بكتل من الأحجار والملاط..."[29].

أمــا عــن الجبانــة الملكيــة الــتي يســميها كــابيتو (Caputu) بالجبانــة التذكاريــة (Nicropoli Monumentale) فإنه يقول :

" علــى بعــد حــوالي الخمــس كيلــومترات للشــرق مــن الموزاليــوم وعلــى مســافة حــوالي الكيلــومتر الواحـد للجنـوب مـن طريـق سـبها يوجـد حـوالي 25 قـبراً كبـيراً تمتـد علـى خـط واحـد مسـتقيم مـن الجنـوب إلى الشــمال، قبالــة بلــدة جرمــة القديمــة، ويشــير كــبر حجــم القبــور الموجــودة بهــذه الجبانــة، إلى وجــود بلــدة قريبــة كانــت هــذه القبــور جبانتهــا، وهــذه المشــكلة لم نتوصــل إلى حلهــا بعــد ، إذ لازلنــا نجهــل المدينــة أو البلــدة الــتي كــان يســكنها ســكان هــذه المقــبرة(*)، وجميــع قبــور هــذه الجبانــة مبنيــة بكتــل كبــيرة مــن الحجــر المتماسكة فيما بينها، بينهما الجزء السفلي من القبر عبارة عن حفرة عميقة وواسعة."[30].

وقــدّ أوردت البعثــة الإيطاليــة وصــفاً مستفيضــاً للقبــور الثلاثــة الــتي تمّ فتحهــا في هــذه الجبانــة وضــمن الوصــف نــذكر المعلومــات التاليــة :"... القــبر الأول وهــو القــبر الــذي يقــع إلى أقصــى الناحيــة الجنوبيــة مــن هــذه المجموعــة، يظهــر وكأنــه بقايــا مبــنى مربــع وأن البقايــا المتبقيــة منــه لا تتعــدى ســوى جــزء مــن الســور الشــرقي يبلــغ طولــه 1.50 مــتر ،بينمــا ترقــد بــاقي أجــزاء الحــوائط الــتي تهشــمت تحــت أكــوام الأحجــار....ويقول كــابوتو بــأن القــبر كــان عبــارة عــن مصــطبتين مــربعتين تعلــوا صــغراهما الكــبرى وأنهــا

---

[29] Pace (B.), Sergi (S.), Caputo (G.), « Scavi Sahariani: richerche nell'Udi el-Agial, Monumenti Antichi », Academia Nazionale dei Lincei, 1951,p 152.

(*) لم يكن يعرف كابوتو ورفقائه أن تلك البنايات المشيدة بجرمة القديمة أنها ترجع للعصر الإسلامي وظل هذا المشكل رائدا إلى غاية قدوم البعثة الفرنسية في الثلاثينات من القرن الماضي للمزيد يراجع: أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص132).

[30] Pace (B.), Sergi (S.), Caputo (G.),Op.Cit,p 158.

كانت تتكون من قطع كبيرة من الأحجار المتماسكة بملاط ومكسية بالطين ومطلية بالجير الأبيض، ويوجد أمام القبر شاهدان على هيئة القرنين يواجهان الجهة الشرقية.

ويشير التقرير أيضا، أنه قد عثر في هذا القبر على بخور تقليدية وبقايا من الفخار المحلي وأواني زجاجية رومانية وعلى بعض النقوش المكتوبة، ويرجح كابوتو أن محتويات هذا القبر ترجع للقرن الثاني الميلادي.

أما القبر (02) وهو الذي يلي القبر الأول للناحية الشمالية منه، فتقول البعثة الإيطالية بأنه يشبه القبر الأول من ناحية الشكل، وقد عثر فيه على أمفورا رومانية وعلى شقاف لأواني زجاجية، كما عثر به على بعض حلي الزينة من العظام و الخرز الملون، أما القبر رقم (03) وهو الذي يقع للجنوب من الأول، فيعتبر أكبر مقابر هذه المجموعة ، ويظهر من جدرانه التي لم يتبق سوى واجهاتها الشرقية و الشمالية بأنها كانت من النوع المربع ذي المصطبتين، وعثر أمامها على مائدة قربان وأجزاء من شواهد على شكل القرون أما داخل القبر فقد عثر على أواني زجاجية رومانية مزخرفة، كما عثر على قطع جلدية ملونة[31].

الشكل (16): الضريح الروماني بقصر الوطواط - جرمة -
Trousset (P,), « Garama »,Op.Cit, consulté le 06 février 2019 21:12. URL
الرابط: .http://encyclopedieberbere .revues.org/ 2019:

[31] Pace (B.), Sergi (S.), Caputo (G.),Op.Cit, p 155-159.

II. تنقيبات البعثة الفرنسية التونيسية سنة 1949:

قامت البعثة الفرنسية التابعة لمعهد البحوث بزيارة فزان وأجرت بعض الحفريات في وادي الآجال خلال سنة 1949 وكانت هذه البعثة برئاسة بيار بلير (Bellair.P.) وجاء في تقريرها التالي:

" يسمى وادي الآجال بشارع الجبانات، وترجع أغلب هذه الجبانات إلى عمل الجرميين، ووادي الآجال في الحقيقة تقع بين صحراء الأرح شمالاً وجبال الحمادة جنوبا وعلى امتداد حوالي مائتي كيلومتر، يوجد عدد كبير من القبور من بينها جبانة الحطية (الشكل 17)، ويشاهد أيضا عدد كبير من الفُجّارات التي تمتد من سفح الحمادة الصخرية إلى بطن الوادي وقد أمكن العثور على مواقع كثيرة للصناعات النيوليتية خاصة بالقرب من بنبيا (benbia) وقد قدر عدد القبور بستين ألف قبر، وقد استدل بعض العلماء من هذا العدد على كثرة سكان وادي الآجال الذين ساهموا في بناء الفجارات التي وقف استعمالها منذ مدة طويلة.

ويعتقد أن الأصل من إنشاء الفجارات هو البحث عن عيون الماء أو مايسمى بالآبار الارتوازية، وليس من المستبعد أن يكون هذا الاختراع من عمل الجرميين، إذ شهد كل الكتاب القدامى أنَّ العصر الجرمي كان عصر زراعة ورعي وأنه كان يعتمد على مياه الينابيع، فمن الأصح أن نفترض بأن هذه الفجارات إنما أقيمت في عصر بلغ شعبه أوج كماله المادي وأراد أن يؤخر أفول مجده لانخفاض مستوى المياه الجوفية.

أما عن الجبانات، فالمهم هو أن نضع لها مكاناً في خط التاريخ العام، فالعناصر الوحيدة التي يمكن أن تعطينا تاريخاً ثابتاً مؤكداً هي المحتويات التي عثر عليها بها والتي تنتمي إلى حضارات البحر المتوسط القديمة، ولقد تمكنت البعثة الإيطالية التي قامت بحفريات لا سيما بمنطقة جرمة من تحديد تاريخ الكثير من القبور، بفضل العثور على الكثير من الأواني الفخارية و الزجاجية الرومانية المعروف تاريخها، ولكن مع الأسف فإن الكثير من القبور الجرمية خالية من العناصر المعروفة للتاريخ[32].

ويتضح من معاينة سريعة قام بها (ب) بلير (Bellaire.p) وجود ثلاثة أنواع من القبور، أولها النوع المربع الذي يتكون من مصطبتين تعلو صغراهما الكبرى، ويقوم في العادة بالقرب منها شاهد (Stéle) ومائدة للقربان (Mansa) والنوع الثاني عبارة عن طراز دائري كفم البئر، وهي أيضا مصحوبة بشاهد ومائدة للقربان، ونوع ثالث عبارة عن طراز دائري كسابقه ولكن تغطي فم البئر لوحة صخرية"[33].

---

[32] Bellaire (P.), Gobert (E.G.), Jodot (P.), et Pauphilet (D.), « Mission au fezzan, Instit des histoires de tunis », 1953,p135.

[33] Belair (P.), « Mission Au Fezzan, Septutres de L'ouadi El Ajal » (copie électronique) 15-02-2019,p81

الشكل (17) : قبر الحِطية الموجود بالمتحف الآثري لمدينة جرمة.
Belair (P.), « Mission Au Fezzan, Sepututres de L'ouadi El Ajal » (copie électronique) 15-02-2019,p.84 :**المرجع**

III. تنقيبات البعثة الليبية سنة 1962:

لا مشاحة انَّ الايطاليين هم من وضع اساس التنقيب عن الآثار في ليبيا على الرغم من وجود اهداف استعمارية كانت وراء اهتمامهم بالآثار الكلاسيكية وسار إثرها الفرنسيون والبريطانيون ، وفي ستينيات القرن العشرين بدأ إحلال العناصر المحلية بدلاً من الاجنبية في ادارة مصلحة الآثار. وازدهرت هذه المصلحة برئاسة الباحث الليبي " محمد سليمان أيوب" و هيكّل مصلحته إلى ستة مراقبات من بينها مراقبة الجنوب وجاء في تقريرها الفقرات التالية:

1. الرسوم الصخرية بجبل زنككرا:

" وجدت البعثة الليبية في الجدار الذي يكون في حافة القمة، مجموعة من الرسوم أنجزها الجرميون بطريقة التي الحفر بالحز بآلة حادة وقد وجد ضمن هذه المجموعة صور تمثل الأبقار ذات القرون الطويلة الممتدة للخارج والشبيهة بالأبقار السودانية، وربما هي نفسها التي قال عنها المؤرخ الإغريقي هيرودوت بأنها ترعى وهيتسير إلى الخلف، كما وجدت رسوم تمثل الزراف بعضها قعيد القدمين، وهناك بعض الرسوم تمثل النعام والحمير و النسوة الرعاة في المرحلة البقرية (الشكل 18).

ولعل أهم هذه الرسوم جميعا الرسمان، يمثل أحدهما، فارساً جرمياً يمتطي حصانا ويمثل الآخر وجه رجل جرمي وترجع أهمية النقوش أنها تبين الفن الجرامنتي المبكر في عصر زنككرا"[34].

[34] Ayoub (S) et el kilani (A.), Excavations in Germa (Fezzan), Ministry of tourism and antiquites, tripoli, 1962 ,p.11.

الشكل (18) : ملحق من الرسوم الصخرية بزنككرا، من إكتشاف المصلحة الآثار الليبية.
الرابط: https://www.temehu.com/Cities_sites/museum-of-germa.htm (02 -03- 2020) 11: 17

2. الجبانة الكبرى التذكارية الملكية (الشكل لمخطط (19):

تقع الجبانة الملكية عند سفح الجبل، على بعد حوالي خمس كيلومترات إلى الجنوب من جرمة القديمة، وقد بنيت القبور عند المنحدر الذي يبدأ في التدرج للانخفاض نحو بطن الوادي، وتعتبر هذه البقعة المنعزلة من أكثر الجهات قفاراً، فلا يوجد بها مزارع أو آبار أو أية منابع للماء، ولا يقوم بها سوى عدد محدود من الأشجار الشوكية، والأعشاب الصحراوية التي ترعى عليها الإبل أو الأغنام[35].

قد سبق وأن أشرنا إلى تقرير البعثة الإيطالية سنة 1934 المفصل ولذلك سوف نقتصر على ذكر المقابر التي قامت بعثة الآثار الليبية بالكشف عنها.

كشفت البحوث أن هذه الجبانة تحتوي على ثلاث مجموعات من المقابر : المجموعة الأولى وهي عبارة عن أربعة قبور متناثرة على رصيف الحمادة الوسطى وكل منها مبني على شكل مربع يتكون من مصطبتين تعلو صغراهما الكبرى وهو الطراز السائد في مقابر هذه الجبانة، وقد أشارت البعثة الإيطالية أنّ اللصوص قد سبقوا أعضاء البعثة في فتح هذه القبور والاستلاء على محتوياتها[36].

[35] Ayoub (S) el kilani (A.),Op.Cit,p 11-12.
[36] Ayoub (S) el kilani (A.),Op.Cit.,p.13.

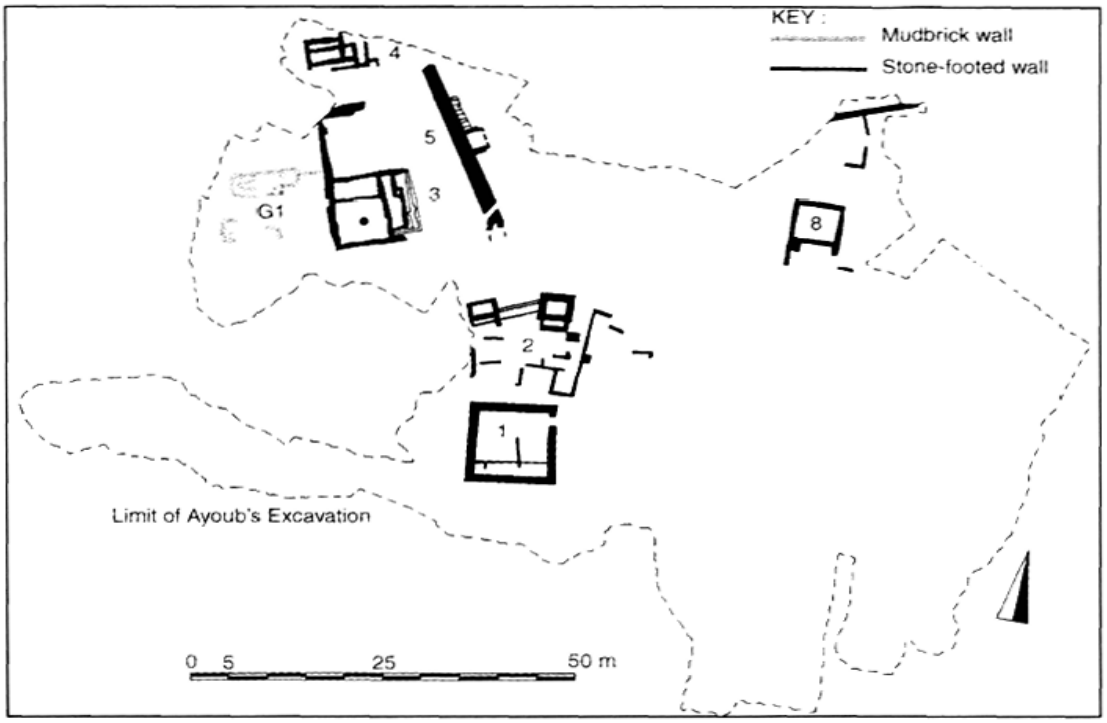

الشكل (19) : يبين المخطط للجبانة الكبرى التذكارية (حفريات مصلحة الآثار)

المرجع: Ayoub (S) et el kilani,Op.Cit ,p 11

IV. تنقيبات البعثة الأكاديمية الملكية البريطانية سنة 1965:

في سنة 1963 قام بزيارة مواقع الحفريات بجرمة، كل من " السير ريتشمند" أستاذ الآثار بجامعة أُكسفور، والدكتور "دانيالز" الأستاذ بجامعة نيوكاسل، وقد فحصا الموقع ووجدا أنه لا بد من مساعدة البعثة من طرف الأكاديمية الملكية البريطانية للوصول إلى نتائج مرضية فيما يتعلق بإجراء حفريات علمية لها قيمتها في المنطقة،بعد أن تبين للأساتذة الزائرين أنه توجد في جرمة فعلاً آثار تستحق الكشف والمعرفة.

وفي سنة 1965 تم فعلاً إعداد بعثة تحت رعاية الأكاديمية الملكية البريطانية بالتعاون مع جامعة نيوكاسل، وقامت البعثة برئاسة الدكتور دانيالز بالحفر في المواقع التالية:

أ. جبل زنككرا.

ب. جرمة القديمة.

ت. سانبة جبريل.

أ. جبل زنككرا :

قام الباحث" ريتشمند" سنة 1966 بحفر خندق اختبار عند أساسات المبنى (A)وفي أماكن مختلفة من جرمة القديمة، اتضح منه أن أقدم مستقر بجرمة القديمة لا يرجع لأبعد من القرن الأول الميلادي، وهذا يعني بأن قبائل جرمة الذين ذكرهم هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، إنما كانوا يسكنون في مكان آخر قبل مجيئهم للسكنى في جرمة القديمة وكان هذا هو السبب الذي حدا بنا للاتجاه بأنظارنا إلى حيث عثر كابيتو (Caputu) الإيطالي على مستقرات جرامنتية يرجع تاريخها لما قبل الميلاد، وفعلاً بدأت المصلحة العمل بزنككرا التي تبعد حوالي ميلين للجنوب الغربي.

لقد لاقت الحفريات الليبية هناك بعض النجاح لتحقيق هذه الفكرة وبالقرب من قاعدة زنككرا عثر على رصيف صخري عليه مجموعة من المباني التي أقيمت من قوالب الطوب كما وجدت بقايا مخلفات روث الأبقار بكثرة ، مما يدل على أن الأبقار كانت ترعى على هذه السفوح، كما عثر على بقايا عدد كثير من الأشجار مما يدل على أن هذه المنطقة الصخرية الجرداء في وقتنا الحالي كانت يوما ما مغطاة بالأشجار والأعشاب[37].

[37] Mattingly (D.J),« Nouveaux apercus sur les garamates un étas saharien » , A.Af, vol.37. 2001,p 45.

ولم يكتشـــف في هذا الموقع على أي فخار روماني، لكن تم العثور على عدد لا بأس به من شـــقاف الفخار الأسود اللون المحلى بالزخارف التي تنتمي للعصر الحجري الحديث، ويدل التعارض الواضح بين المخلفات التي وجدت بزنككرا وتلك التي وجدت في موقعي جرمة القديمة وســـانبة جبريل أن جبل زنككرا كان قد هجر تماما عندما بدأت البضائع الرومانية تفد إلى وادي الآجال[38].

ب. جرمة القديمة:

وبعد زيارة أعضاء البعثة البريطانية لموقع جرمة القديمة سجّل ريتشمند الملاحظات التالية:

- طبيعة المباني التي عثر عليها محمد أيوب وإعطاء تأريخ مضـبوط لها، وكذلك معرفة الغرض الذي من أجله أقيمت هذه المباني، وقد دلت الدراســات التي أقيمت بها هذه البعثة أن هذه المباني العظيمة قد أقيمت على الطراز الصحراوي ولكن بشكل أروع من أي مبنى سابق لهذا التاريخ.
- كانت المشــكلة الثانية هي عمل تأريخ متتابع للفخار الجرمي الذي عثر عليه هناك، ولا شــك بأن عمل مثل ذلك التأريخ سيساعد مستقبلاً على تأريخ المواقع الجرمية المختلفة، وللوصول لهذه النتيجة فقد تم عمل عدد من حفر الخنادق لأخذ نماذج من شقاف الفخار في الطبقات المتتابعة المختلفة وعمل دراسات عليها وكانت هذه الطبقات تغطي جميع الفترة المحصورة من القرن الأول حتى يومنا هذا[39].

ت. سانية جبريل (الشكل : المخطط 20) :

استرعى انتباه رئيس البعثة البريطانية "ريتشمند" ماورد في أحد تقارير "سليمان أيوب" رئيس البعثة الأثرية الليبية من أنه عثر على أفران لصنع الفخار في الموقع المعروف باسم "سانية جبريل" وهو موقع يقع شرق سور جرمة القديمة مباشرة، وقد قام ريتشمند بفحص المنطقة وإجراء بعض الحفائر بها، وعثر على سلسلة من المساكن المبنية من اللَّبِن (الطوب المشــوي) وبعض شــقاف من الفخار المحلي وكانت جُدْران اثنين من المســاكن مطلية بالجير أو الجص ومزخرفة باللون الأحمر، ويظهر بأن هذا الموقع كان مسكونا خلال القرن الأول والثاني الميلاديين[40].

---

[38] Mattingly (D.J), Op.Cit,p 45.

[39] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص124.

[40] Mattingly (D.J.), Op.Cit,p 49.

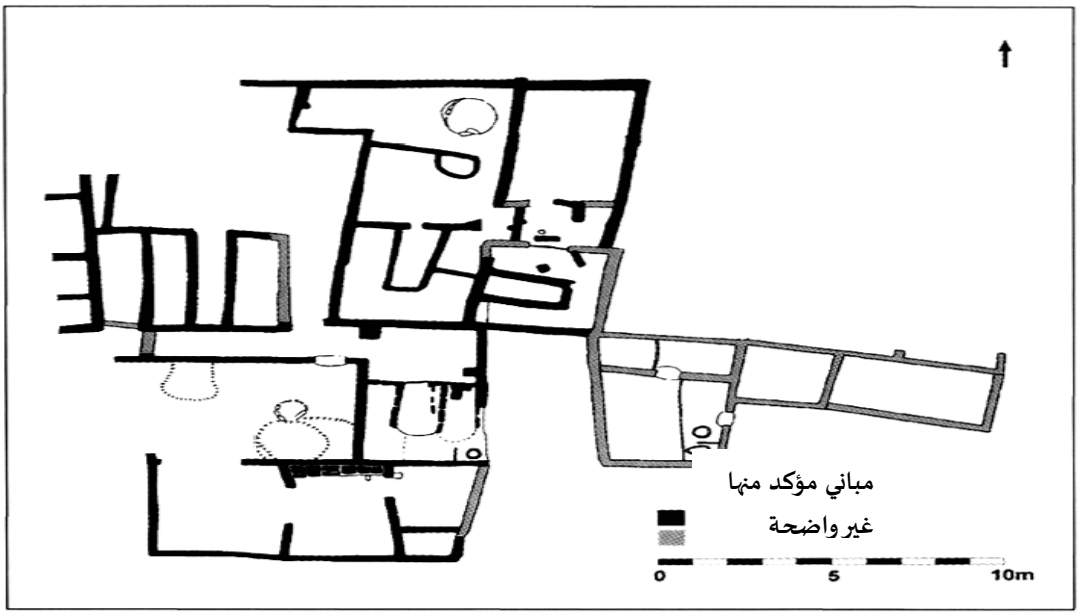

الشكل (20): مخطط لمباني سانية بن هويدي بجرمة

المرجع:.Mattingly (D.T.), Nouveaux… Op.Cit,p.49

الفصل الثاني

الفصل الثاني : بدايات الاستقرار وظهور المجتمعات البشرية في جرمة.

أولاً / مؤشرات تواجد الإنسان في إقليم جرمة خلال العصور الحجرية القديمة

I. العصر الحجري القديم (Plaéolithique)

II. العصر الحجري الحديث (Néolithique)

ثانيا / الجرميون بين الملامح الزنجية والمتوسطية:

I. الجرميون ذوو الملامح الزنجية السُودانية

II. الجرميون ذوو المِلامح القفصية المتوسطية

ثالثا / الجرميون، التَّسمية والأَصل:

I. التّسمية

II. أصل الجرميين

الفصل الثاني : بدايات الاستقرار وظهور المجتمعات البشرية في جرمة.

أولاً / مؤشرات تواجد الإنسان في إقليم جرمة خلال العصور الحجرية القديمة:

إنَّ العقبة الرئيسية في سبيل دراسة تاريخ منطقة جرمة خاصةً و الصحراء الوسطى عموماً خلال العصر الحجري القديم تكمن في ندرة المعطيات الأثرية مقارنة بالمناطق الشمالية خاصة ببرقة وطرابلس، بالرغم مما تمَّ كشفه من مخلفات آركيولوجية تثبت أنَّ المنطقة الصحراوية في ليبيا مرت بجميع مراحل ماقبل التاريخ.

اعتمد الباحثون في تحديد بداية الزمن الرابع وفقا للمقايس التالية وهي: مقياس مستحاثي حيواني وإنساني، ومقياس مناخي وهو الأهم في هذا الفصل، ومقياس جيوفزيائي، وبعد لقاءات الأخيرة لجيولوجيون الدولي في مؤتمر أقيم أستراليا 2007 ومؤتمر أوسلو 2008، تمكن العلماء من تحديد الزمن المقدر ب2.59 مليون سنة كبداية للزمن الجيولوجي الرابع،وهو زمن الإنسان[41].

I. العصر الحجري القديم (Plaéolithique):

الإنسان صانع الحضارة بامتياز خلال العصر الحجري القديم، ويذكر العلماء أنّ أولى التغيرات التي أحدثها الإنسان على الطبيعة، هي تلك التي حدثت في شرق إفريقيا، والتي يعد الإنسان شبه القردي (Astralopéthaque) مسؤولاً عنها،وقد شملت مناطق عديدة كينيا وتنزانيا وجنوب إفريقيا،وشمال إفريقيا، وكل الظروف المناخية الرطبة كانت مجرد عوامل مساعدة، ولكي نستنتج متى بدأ هذا الإنسان يتوافد على إقليم جرمة بشكل خاص وكذلك على منطقة صحراء الوسطى بشكل عام، فقد بينت لنا عدة معطيات أن هذه المنطقة احتوت على العديد من المواقع لهذه الثقافة التي يطلق عليها حضارة الحصى المشذبة[42].

1. العصر الحجري القديم الأسفل:

أ. الثقافة الألدُوانية:

وقد قام الإنسان بصناعة أدواته الحجرية بواسطة تشظية النواة الحجرية أولا ثم معالجتها مرة أخرى لصنع أي أداة أخرى، وقد قام بصنع معظم أدواته من قطع الصوان أو من الكوارتز في شرق إفريقيا، أماأقدم حضارة إنسانية في الصحراء فهي حضارة الحصى المشذبة، وهي من الناحية الجيولوجية والطبوغرافية تعود إلى بداية الزمن الرابع، وإلى المرحلة الستراتوغرافية المسماة الفيلافرانشيان والتي تسمى أيضا البلايستوسان الأسفل، ويعتقد الباحثون

---

[41] سحنوني محمد، المرجع السَّابق، ص52-57.

[42] نفسه، ص57.

أنها معاصرة تقريباً للحضارة الألدوانية في شرق إفريقيا، وقد تمَّ تزمينها في الصحراء الوسطى بواسطة (البوتاسيوم – أراغون)(*) بتاريخ يقدر ب1.000.000 سنة[43]

وقد عثر على أكثر من ثمانية وثلاثين موقعا في فزان لهذه الثقافة (الخريطة 09)، وذلك في منطقة وادي أشاشي، ووُجدت صناعة قديمة في حوض أوباري وفي حمادة زكار مختلطة مشابهة لصناعة منطقة أشاشي الألدوانية، وأما بحيرة مرزوق جنوبا فقد شهدت تطورا في شكل الحصاة وفي طريقة صنعها البدائية[44]، وقد استعمل الإنسان هذه الأداة الحجرية مدة طويلة من الزمن تجاوزت المليون ونصف، وقد اكتشف عالم الآثار الإيطالي ماكبرني نماذج من الأدوات مصنوعة من حجر الصوان بمواقع بئر دوفان، ووادي قرزة والمردوم شمال جرمة تمثل فؤوسا يدوية معروفة بالحصوية (Pabble Culture) ويرى هذا الأخير أن هذه الأدوات تسبق أقدم دور من أدوار العصر الحجري ويرجع تأريخه إلى نهاية عصر البيلوسين[45]، والشيء الذي نؤكده بأنه لم يعثر إلا على بقايا الإنسان الصانع في الصحراء الليبية بالرغم من وجود عدة صناعات مسؤول عنها خاصة في موقع عين حنش حيث وضع له الباحث سحنوني زمنا يتراوح بين 1.95 و 1.77 مليون سنة وفي موقع عين بوشريط ب2.4 مليون سنة إلى أن أصبحت منذ مليون سنة تقريباً على شكل فاس يدوية خاصة في مواقع فزان الصحراوية ببحيرة المرزوق القديمة التي تعتبر جزءا هاما من إقليم جرمة، وهذا ما يدفعنا إلى القول بوجود علاقات حضارية وبشرية منذ البدايات الأولى للإنسان بين هاتين المنطقتين (فزان وعين حنش) [46].

ولا يمكننا أن نهمل ذلك الاكتشاف الذي يعتبر مهما في موقع رقان بالصحراء الوسطى حيث يحتوي على الحصى المشذبة من مادة الكوارتز وتعود هذه التقنيات إلى ماقبل الأشولية مما يدل على الاستقرار البشري القديم في المنطقة الصحراوية[47].

وفي جزء آخر من الصحراء الوسطى في جبال الأهقار غير بعيد عن فزان اكتشفت راوسب بحيرية تؤرخ لمرحلة ماقبل الأشولية،حيث وجدت بقايا أسماك من نوع (Tilapia)، وإسفنجيات وطحالب وحيدة الخلية

(*) طريقة (بوتارسيوم أراغون)، فهي من الطرائق الحديثة في تأريخ الآثار حيث يتم تحديد تاريخ الآثار بأخذ عينات صغيرة من الصخور التي تكونت بالزمن المعاصر لزمن الإنسان القديم، وتوضع بجهاز خاص لفصل الذرات (الأراغون 40) لتجري عليها عدة عمليات تحليلية فيزيائية ثم تسجيل النتائج على شريط بياني ومعرفة الزمن الذي تعود إليه تلك الصخور، وإذا عرف زمن الصخور عرف زمن النشاط الإنساني المعاصر لها قديما...للمزيد يراجع : (الغزاوي عمر جسام، مُوجز علم الآثار، دار الكتب العلمية، بيروت،1998، ص80.).

(43) بالو ليونال، إفريقيا الشمالية في ما قبل التاريخ ، الفصل الثاني والعشرون، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في إفريقيا، المشرف كي زيربون، جين أفريك، اليونيسكو،1980،ص ص.583 -590 ،ص585.

(44) Mattingly (D.J.),« Preliminary results from 2010 field work on the human prehistory in the Libyan sahara », libyan studies 41,2010,Pp.151-155,p.153.

(45) أبو شحمة، محمد علي ، الاستيطان البشري بإقيم تريبوليتانيا خلال عصور ماقبل التاريخ،المؤتمر الدولي الخامس بعنوان الكلمة والصورة في الحضارات القديمة، مركز الدراسات البردية والنقوش، العدد 03، جامعة عين شمس، مصر، 2014،ص.422.

(46) سحنوني محمد ، المرجع السَّابق، ص.83.

(47) نفسه،ص.88.

(Diatomie) التي تعيش في المياه الدافئة، أما البيئة الحيوانية الحفرية في بحيرة المرزوق بإقليم جرمة فتتميز بكونها بيئة البحر المتوسط والبيئة الاستوائية وهي متواجدة في طبقة موروث من مرحلة الميوسين– بليوسين(Mio-Pliocéne)، من هذه الحيوانات: وحيد القرن ،الفيلة ، التماسيح... وهو مايدل على أن المناخ كان مداريا أو استوائيا حارا ورطبا، وإلى جانب تلك الحيوانات وجدت بقايا تعود إلى الحضارة الأشولية القديمة[48].

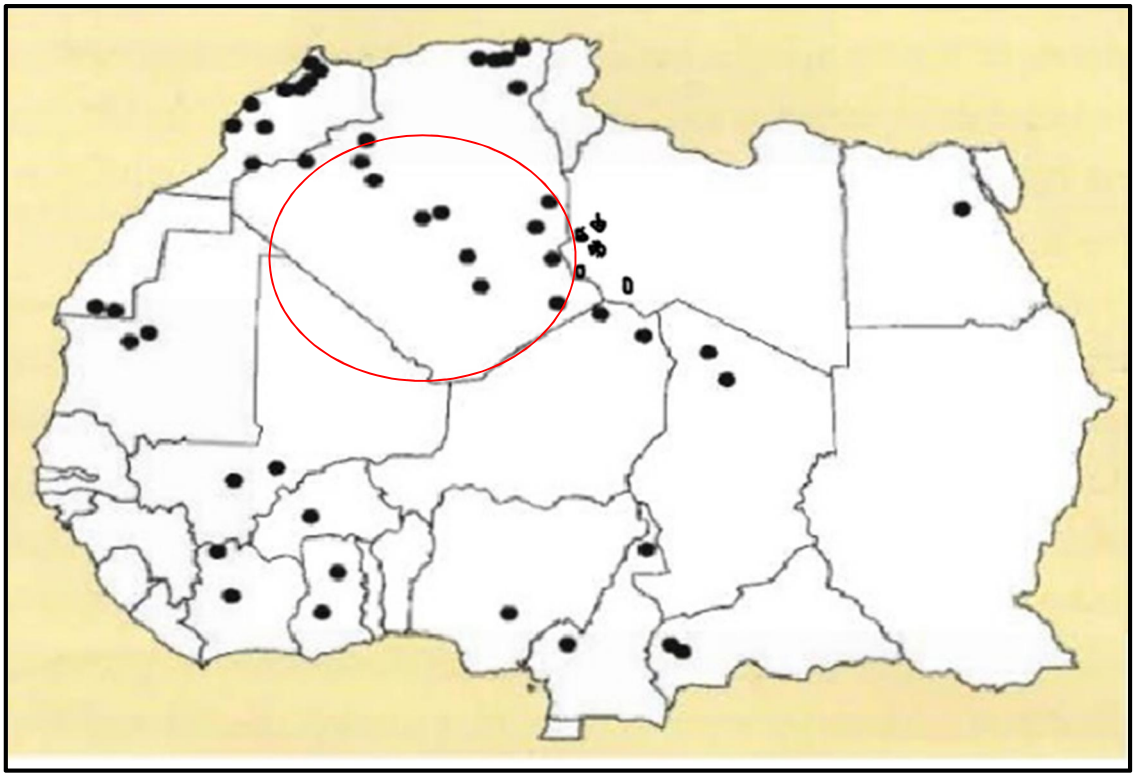

الخريطة (09): تبيّن موقع الحضارة الألدُّوانية وما قبل الأشولية في شمال أفريقيا

بن بوزيد لخضر، الأثر...، المرجع السَّابق، ص76.

ب. الثقافة الأشولية:

تنسب الثقافة الأشولية إلى منطقة سانت أشول بالقرب من مدينة أميان في شمال فرنسا تمثلت الأدوات النموذجية لها في فؤوس يدوية أو ذات وجهين ومكاشط، والصناعة الأشولية هي التي تمثل العصر الحجري القديم الأسفل وتنقسم هذه الصناعة إلى أربعة أقسام وهي: الصناعة الأشولية السفلى والوسطى و العليا و النهائية ومواقعها في الشمال الأفريقي و الصحرءا كثيرة منها موقع تغنيف قرب معسكر وهو ينتمي إلى المرحلة الأشولية القديمة اكتشفت به بقايا إنسانية تمثل إنسان الأطلس الذي ينتمي إلى الإنسان المعتدل (Homo Erectus) ووجدت به أدوات مختلفة منها فؤوس يدوية، يؤرخ الموقع بحوالي (500 ألف سنة)[49]، ومن المواقع الأخرى سيدي الزين بتونس

[48] بن بوزيد لخضر، التغيرات...، المرجع السّابق، ص1040.

[49] سحنوني محمد، المرجع السَّابق، ص93.

وموقع الماء الأبيض و المواقع الجزائرية أوزايدان و بحيرة سفيان أما في الصحراء الليبية فوادي الهاروج، وادي الحياة وبحيرة مرزوق كلها بإقليم جرمة، ولا نستثني موقع تيهوداين بالصحراء الوسطى (الخريطة رقم 10) [50].

ويعد موقع تيهوداين (Tihodaine) بالصحراء الوسطى من المواقع المهمة في الصحراء وتبرز أهميته في أنّ صناعته تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل، فهي شبيهة بموقع عين الحنش و حيرة كيرار من حيث الصناعة الأشولية، إضافة إلى عدد كبير من عظام الحيوانات المحجرة كالفيلة وأفراس النهر ووحيد القرن كما أنّ بصمات الإنسان الذي عاش في منطقة الصحراء الوسطى تدل أنه أقرب ما يكون إلى إنسان شرق أفريقيا منه إلى إنسان الأطلس، وموقع عرق آدمير التي وجدت به قطع ذات صناعة أشولية، كما وجدت قطع مماثلة في وادي الحياة شرق جرمة، وأدوات لوفالوازية من منطقة الآهقار نسبت إلى الآشولية الموستيرية[51].

على ضفاف البحيرات مثل بحيرة مرزوق الجرمية عاش أناس تركوا الصناعة الأشولية التي تطورت إلى اللوفولوازية (Levalloisien) بعد (115 ألف قبل الحاضر) ،لم يكن المناخ مستقرا في فترة الثقافة الأشولية فقد شهدت رطوبة ثم تلاها مناخ استوائي جاف، ومن الحيوانات التي كانت متواجدة على جوانب بحيرة مرزوق في صحراء فزان: الفيلة، وحيد القرن، فرس النهر، الضباء، الغزلان، حمار الوحش، التماسيح، وقد ذكر الباحث (ش) قوتييه (Gauthier.E.B.) أن الأمر يتعلق بحيوانات تعيش في السفانا الأفريقية[52].

وكشف الباحثون أن الحرارة التي حلت بإقليم جرمة من خلال بروز هذه الثقافات الأشولية المتطورة، بدأت في الارتفاع فيها منذ حوالي (140 ألف سنة قبل الحاضر)، تصل أقصاها إلى حوالي (125 ألف قبل الحاضر) مثل ما هو حاصل في وادي الهاروج بإقليم جرمة خصوصاً وبالفزان عموما[53] (الشكل 21).

لم يكن المناخ مستقراً في فترة الحضارة الأشولية فقد شهد رطوبة ثم تلاها مناخ استوائي جاف ، وكان المناخ مثاليا في : 500.000 وفي 370.000 و بعد 300.000 سنة، وفي حوالي130.000 و125.000 وهي مختلف مراحل الحضارة الاشولية[54].

والمتداول بين أهل الاختصاص أن الحضارة الأشولية بشكل عام قد تكون في فترة ما بين 500.000 و 100.000 قبل الحاضر في أوربا وفي شمال إفريقيا، أما في صحراء فزان فالأشولية المتطورة قد تكون معاصرة للمرحلة الجليدية ريس أي بين 300.000 و200.000 سنة قبل الحاضر[55]، ولاحظ المنقبوناستمرار تواجد للأشولية خلال

---

[50] سحنوني محمد، المرجع السَّابق ،ص94.

[51] غانم محمد الصغير، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، دار الهدى، الجزائر، ص75.

[52] Trousset (P.), Despois (J.),Gauthier (Y.),Gauthier (CH.) et E.B., Op.Cit, [En ligne], mis en ligne le 24 février 2020 , consulté le 01 février 2019. URL : http://encyclopedieberbere.revues.org/2083

[53] Aumassip (G.), et Roubet (C.), Les premiérs Resultas d'une Mission Archéologique (Grand Erg Oriental-Grand erg d'admet) ,paris,p.61.

[54] بن بوزيد لخضر، المتغيرات...، المرجع السَّابق،ص.1042.

[55] Balout (L.), Chronologie absolue et préhistoire saharienne . In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°11, 1972,p 15

البلايستوسين الأوسط حيث توجد علاقة واضحة بين تحسن المناخ ووجود بقايا أشولية في البلايستوسان الأوسط في مواقع إقليم جرمة خاصة قرب بحيرة شاتي القديمة[56].

ومن جانب الشبكة المائية خلال هذه الثقافة تكونت العديد من البحيرات خلال مختلف فترات الثقافة الأشولية، منها البحيرة القديمة بهضبة مساك التي تنسب إلى هذه الفترة، والجدير بالذكر أن الثقافة الأشولية كانت كثيرة الانتشار حتى في فترات الجفاف في صحراء فزان [57]..

كما أن التزايد السريع في مستوى سطح البحر خلال العصر ما بين الجليدي المسمى إيميان (Eemian) والتزايد في درجة الحرارة الذي بدأ في 140 ألف قبل الحاضر ووصلت قوتها في 125 ألف قبل الحاضر كما ذكرنا مسبقاً، فهي تتزامن مع تزايد درجة الإشماس في الصحراء الوسطى، المناخ المثالي يتزامن مع توسيع في البحيرات شمال منطقة مرزوق بضواحي جرمة التي تمثل اليوم بحرا من الرمال، بينما نجد أن بحيرة شاتي (Chati) في فزان توسعت لأكثر من (2000 كلم^2) في حوالي100 ألف قبل الحاضر، وقد وجدت حول هذه المنطقة العديد من المواقع الثقافية التي تعود إلى الأشولية النهائية و إلى اللفلوازية الموستيرية كما وجدت بقايا حضارية تعود إلى العاترية وإلى النيوليتي مما يدل على توسع البحيرات وانحصارها[58].

ونخلص إلى أنّ تحسن المناخ كان سبباً في وجود بقايا أشولية في البلايستوسان الأوسط في موقع جنوب فزان خاصة في بحيرة شاتي القديمة، وهناك أدلة أخرى عن وجود بحيرات في الأوسط شمال مالي.

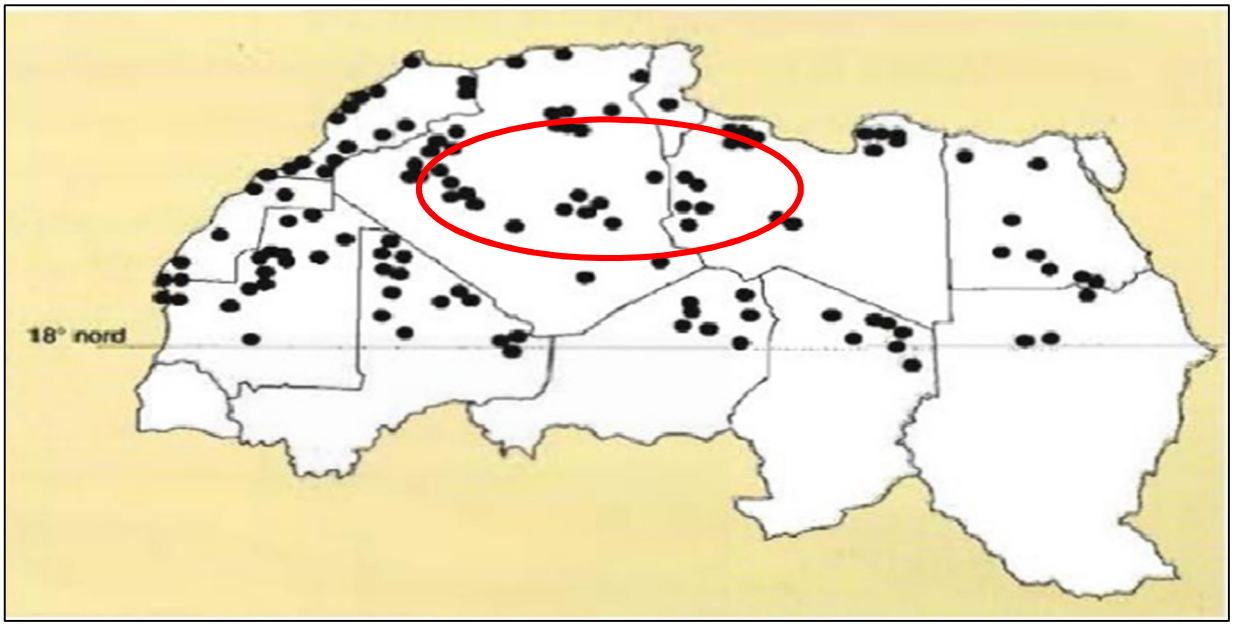

الخريطة رقم (10) : تبين مواقع الثقافة الأشولية في شمال إفريقيا
المرجع: بن بوزيد لخضر، التغيرات....المرجع السَّابق،ص1094

(56) Balout (L.),Op.Cit ,p15.
(57) Le Quellec (J-L.), Art Rupestre Et Préhistoire AuSahara LeMessakLibyen », editions Payotet Rivages , paris 1998.p31.
(58) Ibid,p03.

الشكل (21): نماذج من الصناعات الأشولي المتأخر المكتشفة ببحيرة شاتي ومرزوق
(الصور من متحف الآثري بجرمة)
https://www.temehu.com/Cities_sites/museum-of-germa.htm (11-1-20) 14:

أ. الثقافات الموستيرية والعاترية.

مواقع الحضارة الموستيرية في شمال إفريقيا قليلة على العموم وهي نادرة في الصحراء ، وأقدم موقع لها في شمال إفريقيا هو موقع قورنية حيث تعود البقايا الحضارية فيه إلى حوالي 80 ألف سنة قبل الحاضر، وجدت في بحيرة مرزوق صناعات متطورة عن الأولى حيث تنسب إلى اللوفلوازية الموستيرية التي كانت بين 80.000 – 50.000 قبل الحاضر[1] (الشكل 22– 1)، وعموماً بالإمكان الاستنتاج بأن هذه الصناعة جد نادرة في صحراء فزان كذلك. كذلك.

أما الحضارة العاترية[*] الأكثر انتشاراً بين جميع حضارات ما قبل التاريخ فقد امتدت إلى الصحراء الوسطى لكنها كانت متأخرة في ظهورها قليلا عن الشمال الإفريقي وذلك لوجود فترة جافة مرت بها الصحراء في

[1] البرغوثي عبد اللطيف، المرجع السّابق، ص34.

[*] تنسب هذه الثقافة إلى موقعها الأثري بكاف الأبيض قرب بئر عاتر بولاية تبسة، وكان فريديرك موروهو أول من أشار إليها في مقتبل 1888م وذلك عندما عثر على أدوات مذنبة يضاف إليها العنق في وادي سلخة قرب قفصة في تونس، وكان كرير قد سبقه عام 1886 عندما التقط أحد تقنياتها واصفا إياها بأنها موستيرية القدم، إلى أن جاء موريس ريغاس الذي كرّس مجهوداته في بئر عاتر وخرج بنتائج إيجابية تدل على أن هذه الثقافة محلية أصيلة...للمزيد: يراجع (بالو ليونال، الجزئر في ما قبل التاريخ،ترجمة: غانم محمد الصغير ، دار الهدى، عين مليلة،2005، ص64

البلايستوسين الأعلى تم تسجيلها في تشاد الجنوبية حسب (ن) بالو (Balout.N.) مابين 50.000 و40.000 قبل الحاضر [1].

ويعد الموقع المكتشف بوادي غان على الجانب الشمالي الغربي من جرمة من أهم المواقع العاترية (الشكل 22–2)، إلى جانب موقع آخر بمنطقة عين ويف بترهونة، وموقع بوادي المردوم، كما تم اكتشاف ذات العنق بالقرب من الحصن الروماني جولايا في أبو نجيم على مساحة تقدر بكيلومتر واحد تقريبا وتتمثل في تقنيات الحراب والمثاقب وبعض الأسلحة المسننة[2] .

عادت الأمطار في صحراء فزان مع بداية كل من الموستيرية والعاترية ولكن يبدو أن المناخ تحسن فيما بعد، تعد هذه المرحلة الرطبة هي المرحلة الثالثة المطيرة الكبرى في البلايستوسين وفق أبحاث رونون (Rognon) في جبال الآهقار وفزان (الأولى شهدت قيام حضارة الحصى والثانية شهدت قيام الحضارة الأشولية والعاترية) ، أما المرحلة الثانية فقد تميزت بالبرودة خصوصا في المرتفعات وكانت رطبة ودافئة في السهول تتوافق مع العودة القوية للأمطار مع تأثيرات متوسطية وهذه هي البيئة التي عاش فيها الإنسان العاتري[3].

و يشهد على تحسن المناخ هذا في منطقة إقليم جرمة ما تم تسجيله من ظهور البحيرات الصغيرة ما بين 40.000 و 26000 قبل الحاضر، حيث حدثت مراحل رطوبة أقل امتدادا تزامنت مع ظهور الثقافة العاترية في المنطقة، وقد وصلت إلى جنوب تبستي وبين 26.000- 20.000 قبل الحاضر [4].

أما بعد ذلك فقد وصلت المجلدة القارية الأوربية أقصى اتساعها في 15.000 حيث وصلت إلى جنوب المتوسط ، وهو ما يضع ضغطا شبه استوائي كبير على الجنوب ، يؤدي هذا الضغط الكبير إلى عدم ظهور الرياح الموسمية الممطرة عندئذ في الصحراء مما أدى إلى الجفاف الكبير حسب الباحث موزيليني، فعندما بدأت مرحلة " الفورم" الجليدية في التوسع في أروبا، بدأت الصحراء ما قبل الاستوائية في الامتداد، وقد أطلق العلماء عليها اسم الصحراء الأوقولية (Ogolien) التي امتدت من الأطلس الصحراوي في الشمال حتى جرمة في جنوب ليبيا و إلى جنوب النيجر ابتداءا من حوالي 20.000 سنة قبل الحاضر[5]،غير أنّ الباحث (ث) تيلي(Tillet .Th) يؤكد أنه مع نهاية المرحلة الجليدية الفورم في أوربا في حوالي 18000 وإلى غاية 12.000 قبل الحاضر ساد الجفاف الاستوائي وشبه الاستوائي مناطقَ صحراويةً واسعة، بينما ساد مناخ شبه جاف في المناطق الاستوائية.[6]

---

(1) Balout.(L.) ,Op.cit.p 14

(2) أبو شحمة، محمد علي، المرجع السَّابق،ص425.

(3) بن بوزيد لخضر، المرجع السَّابق، ص1041.

(4) Tillet (Th.), «Le Paleolithique Du Bassin Tchadien Septentrional (Niger-Tchad)» , Editions Du Centre National De La Recherche Scientifique,1983,p 24.

(5) Muzolini (A), «les Climats au sahara et sur ses bordures du pleistocene final a laride actuel ». revue empuries ,1985 , n°47,p 71.

(6) Tillet (Th.),Op.cit,p31.

تُظهر منطقة الغات إلى غاية الآهقار بوضوح الانقطاع الذي حدث للفترة الرطبة العاترية مع نهاية البلاسيتوسين الأعلى وبداية مرحلة جافة صحراوية متزامنة في المناطق المنخفضة من الصحراء وفي موقع تيهوداين الذي كان يمثل بحيرة في الفترة العاترية وكذلك في الحدود الجنوبية للهقار مثل عين قزام حيث تشكلت الكثبان الرملية ، بينما آثار هذا التصحر قليلة في المناطق الجبلية،لذلك نلاحظ وجود اختلاف بين الباحثين حول الإطار الزمني للجفاف الذي انتهت به الحضارة العاترية فالأبحاث التي قام بها ج فابر (Faber J)وضعت بداية الجفاف بين 25 ألف و20 ألف،بينما نجد أبحاثا أخرى ترى تناقص في الأمطار قد سُجِّل في جميع الأماكن بين 18.000 و16.000 ق.م وحدث جفاف كامل لبحيرة تشاد كما غزت الرمال بحيرات شامشان في أدرار الموريتانية [1].

الشكل (22) : الأدوات الحجرية (الموستيرية والعاترية) التي وجدت بإقليم جرمة (صور من متحف الآثري بجرمة)
الرابط: https://www.temehu.com/Cities_sites/museum-of-germa.htm (14- 01- 18) 09: 41

[1] Tillet (Th.),Op.cit.p 37.

3. خلال العصر الحجري القديم المتأخر:

أ. الثقافة الوهرانية:

ويبدو لي أنّ السجل الأثري في شمال إفريقيا لا يزال يحتفظ بالكثير من البقايا الإنسانية التي تمثل الحضارة الوهرانية التي تتراوح زمنيا بين 23 ألف و 9 آلاف قبل الحاضر ، والتي اعتُقد إلى وقت قريب أنها لم تتعدَ الصحراء الشمالية إلى أن تم اكتشاف بقايا لما يقرب من150 من الهياكل العظمية في حوض تاوديني (Taoudenni) شمال مالي[1]، حيث إنّ هؤلاء الأفراد يشبهون جنس كرومانيون الذي وجد في أوربا والذي يتلاقى من حيث الصفات مع إنسان الحضارة الوهرانية [2].

وهناك تفسيرات أخرى لصانع هذه الثقافة الوهرانية[*] لعبوره الصحراء، علماً أنّ الإنسان الوهراني قام بتزينات جسدية، حيث يُغطي أجزاءً من جسمه بالألوان ذات الدلائل السحرية والدينية، كما نفذ التزين والنقش على بيض النعام في شكل خطوط عمودية وأفقية أو مُموجة أو منقطة، والغريب في أمر ذكرنا ذلك أننا نجد تشابها واضحا بين التزيين الجسدي الذي لاحظناه في الرسوم الصخرية وبين النقش على بيض النعام وزخارف الفخار الطاسيلي فالخطوط المتموجة تمثل أسلوبا فنياً موحدا ما يدل على أنها مجموعات بشرية ذات أصول واحدة ويحتمل أنهم من ذوي الرؤوس المستديرة[3].

قد يبدو لي، من الوهلة الأولى لوجود هؤلاء كونهم اتخذوا طريق ساحل المحيط الأطلسي في هجرتهم من الشمال إلى الجنوب حسب ما دلت عليه المعطيات الأثرية والمناخية التي تعطيها كل منطقة وأخرى ولكن إذا ما ألقينا نظرة على خريطة التضاريس لشمال إفريقيا يتضح لنا الأمر بوجود تناقضات، فسلاسل جبال الأطلس تمثل تقريبا حاجزاً بين شمال إفريقيا والصحراء بحيث تحجب عن الصحراء التأثيرات المتوسطية، وتحجب التأثيرات الصحراوية عن الشمال، لذلك ففي الوقت الذي كانت فيه الصحراء تتعرض للجفاف القاسي كانت الحضارة الأيبرومغربية مزدهرة في الشمال، كما لوحظ تقلص كبير في البقايا الحضارية في الفترة التي تتناسب مع نهاية البلايستوسان في كامل الصحراء، ولم يسجل وجود أي من المجموعات البشرية بين نهاية العاترية حتى 8000 ق.م[4].

---

(1) Camps (G.), Op.Cit,p 230.

(2) Ibid,p 230.

(*) الثقافة الوهرانية أو الإيبرومغربية ، مصطلح أطلق على صناعة موقع مويلح بالمغنية على أساس وجود صلة تربط بين حضارة النصال في إسبانيا، والوهرانية في ساحل شمال أفريقيا، غير أن الأبحاث أثبتت عدم وجود هذه الصلة ، هذا فضلا عن أن البعض عرب المصطلح (Iberoumurisien) إلى " إيبرو– موريطانيا"، وهذا غير صحيح لأن لفظ موريطانيا اسم روماني أطلق على مملكة يوبا، وبعد الاحتلال استعمل هذا المصطلح كدلالة إدارية عندماانقسمت إلى شقين الأول في يول (قيصرية) وثانية في (طنجيس)، وتؤرخ الثقافة الوهرانية مابين (20000 ق.م إلى غاية 10000 ق.م) ...للمزيد يراجع (العقون أم الخير، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003 –2004، ص29.).

(3) Camps (G.), Op.Cit.,p.231.

(4) بن بوزيد لخضر، المرجع السَّابق، ص1043.

وقد تجاوب الإنسان مع هذه التغيرات المناخية القاسية بالهجرة ففي الغالب هاجر إلى سواحل الأطلسي أو إلى سواحل البحر المتوسط، والدلائل على هذه الهجرة قد تكون موجودة في مرحلة البلايستوسين المتأخرة في بلاد المغرب، حيث كان المناخ جافا وباردا واستمر كذلك إلى غاية الألف العاشرة قبل الحاضر[1].

عودة الامطار لم تكن متزامنة في جميع الاماكن، فقد بدات مبكرة في التيبستي وفي تشاد ،لكن عموما مع بداية الهلوسان في الالف العاشرة عادت الامطار وعاد معها الانسان الذي يستقر بكثافة في الصحراء لتزدهر عندئذ حضارات النيوليتي الصحراوية خاصة في مناطق الطاسيلي والهقار وفزان حيث تبرز مظاهره خاصة في الفن الصخري والفخار المبكر[2].

التغيرات المناخية التي شهدتها الصحراء خلال البلايستوسين كانت لها نتائج وتاثيرات واضحة على الانسان وعلى الانتشار الحضاري فقد إمتدت حضارة الحصى المشذبة التي تشبه الالدوانية إلى الصحراء كما إمتدت إليها الحضارة الاشولية ، فالانسان الموستيري والعاتري بدوره إستغل تحسن المناخ ليعمر الصحراء لفترة طويلة من البلايستوسين الاوسط والاعلى وعندما حل الجفاف هاجر منها[3].

وتفترض العقون (أ.م) الفترة الواقعة مابين 10.000 ق.م- 9.000 ق.م – أنّ الصناعات الوهرانية كانت قد سادت منطقة الساحل الليبي حتى جنوبي برقة، وربما شرق جنوبي ليبيا (فزان)، وفي المرحلة الرابعة تُقدر مابين 9.000 ق.م-5.000 ق.م وتبدأ الحضارة القفصية في الازدهار والانتشار لتشمل كل الشمال الليبي وشمال أفريقيا لتحل محل الوهرانية[4].

---

[1] بن بوزيد لخضر، التحولات...، المرجع السَّابق، ص280.

[2] Tillet (Th.),Op.Cit,p 41.

[3] بن بوزيد لخضر، التغيرات...،المرجع السَّابق، ص1043.

[4] العقون أم الخير، العلاقات الحضارية...، المرجع السَّابق، ص43.

II. العصر الحجري الحديث (Néolithique):

1. البدايات الأولى للاستقرار البشري:

يجمع مؤرخو ما قبل التاريخ أنّ بداية الاستقرار البشري في الصحراء الوسطى عموماً كان خلال العصر الحجري الحديث(*)، وذلك قبل قرابة ألفي سنة من ظهور الكيانات الإجتماعية في الجهة الشمالية، ولئن كانت قاحلة نوعاً ما وشهدت فترات فراغ حضاري ما بعد العاتري، فإن في جنوب تيبستي وفزان وطاسيلي نانجر والأهقار ومخيمات أمكني وتن هناكاتن ومنيات كانت تشهد بحيرات وأودية يصل عمقها عشرات الأمتار باتت اليوم تغمرها الكثبان من الرمل والصخر[1].

إنَّ البحث في البدايات الأولى للتجمع البشري في الصحراء له علاقة بالمناخ وتغيراته، حيث عندما تكون الرطوبة تكون مظاهر ثقافية متميزة، أما الفترة الجافة فتكون الصحراء في شبه غياب للمظاهر الثقافية، فالمناخ الذي ساد الصحراء الوسطى وبالخصوص إقليم جنوب فزان مابين 10000 ق.م إلى غاية 5500 ق.م كان رطباً جداً وأحدث تنوعاً في الوسط النباتي والحيواني[2]، وقد شهدت إستقراراً بشرياً متميزاً مختلطاً، وأنتجت لنا حضارة حجرية في غاية الإتقان وكان الصيادون والرعاة في أوج تألقهم الثقافي والفني، مادام هناك مناخ ملائم وبيئة مساعدة للمظاهر الحضارية.

ويمكن إستخلاص التغير المناخي المهم في الصحراء من خلال كرونولوجية (ج) لوكيلاك (Lequellec.J.L.) أنّ صحراء فزان مرت بمايلي: إبتداءً من 18000 ق.م كان هناك جفاف قاس جداً وإمتد ذلك من الشمال الإفريقي حتى الدرجة الخامسة جنوباً (دائرة عرض) ثم عودة هطول الأمطار الغزيرة مابين 10500 ق.م إلى غاية 10000 ق.م، وفي 8500 ق.م، بدأ المناخ أكثر إعتدالاً ومناسباً للإستقرار البشري، ثم في 6500 ق.م كان المناخ رطباً جداً، ومع بداية العصر الحجري الحديث في الصحراء بدأ الإستقرار الفعلي من حيث أماكن الإقامة وشهد نوعاً كثيفاً من الغابات المتنوعة، وبعدها كان هناك فترة جافة قصيرة وتاريخها المرجح هو 5500 ق.م ودامت على الأكثر خمسمائة سنة، وكانت توافق أواسط الهولوسان، أما تاريخ 4500 ق.م فنلاحظ بداية المرحلة الرطبة النيوليتية الثانية، وتزامنت مع تطور حالة تدجين الحيوانات، أما في 2500 ق.م فبدأت تظهر بوادر

(*) تستعمل مرحلة العصر الحجري الحديث كدلالة على ظهور تقنيات جديدة لا سّيما فن الخزف وصقل الحجارة، وبداية تأهيل الحيوان، والزراعة والعمران...إلخ، ففي الصحراء الوسطى يبدو أن أقدم تاريخ لهذه الفترة تنسب إلى الألف الخامس أو السادس قبل الميلاد، وهذه الفترة، تعبر عن معرفة كاملة بالتقنيات المذكورة ، وهي بمثابة الإنفجار التقني والذهني للإنسان الحجري ...للمزيد يراجع (هوغو هـ. ج، الصحراء في ما قبل التاريخ، الفصل الثالث والعشرون، تاريخ إفريقيا العام،المجلد الأول، المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في إفريقيا، المشرف كي زيربون، جون أفريك، اليونيسكو، 1980، ص604.).

(1) كامبس غابريال، المرجع السَّابق، ص92.

(2) أيوب محمد سليمان، مختصر...، المرجع السَّابق، ص.14.

الجفاف في الصحراء، وفي 1500 ق.م عاد المناخ للتحسن، وكان رطباً أما 1000 ق.م فشهدت الصحراء مناخا شبيها بالحالي[1].

وفي العصر الحجري الحديث نقف على تغير واضح في سياق التحول الإناسي الذي عرفه الشمال الأفريقي، فنحن نلاحظ إستمرارا لنوع المشتى العربي[*] وتقدمه نحو الجنوب بطول السواحل الأطلسية، وأما بالنسبة للصحراء الوسطى، فلم يكن يقطنها غير أشباه الزنوج وقد وجدت لهم بقايا بشرية في جنوب خط يتراوح بين 25° و27° الموازية، وفي هذا الإطار الطبيعي قامت أول حضارة فد تهيأت لها صناعة الخزف، ولا يبدو أنها أخذت شيئاً من مكوناتها من الخارج،ويصر (غ) كامبس (Camps.G) على أنها حضارة سابقة على العصر الحجري الحديث في بلدان حوض النيل، وفي جميع الأحوال فإن هذه الحضارة الأولى لم يكن لها جذور متوسطية، بل كانت ساكنتها من أشباه زنوج[2].

ويذهب في نفس السياق (ب) تروسيه (Trousset.P.) والآخرون أنّ الصحراء الوسطى خاصة المناطق المرتفعة بفزان و التيبسي وطاسيلي شهدت تجمعات بشرية متنوعة إبتداءً من (8000 ق.م)، حيث تمّ إحصاء ثلاثة عناصر أساسية من خلال المعطيات الأنثربولوجية كانت أولها الشعوب الزنجية التي إستقرت على ضفاف الأودية و حواف البحيرات (35 ٪)، والشعوب الأثيوبية والسودانية إستقرت على العموم في المرتفعات ما بين العوينات والتبسي إلى الطاسيلي غرباً (31٪) ، والعنصر الثالث هو الشعوب المتوسطية (43 ٪) ذات الملامح البيضاء التي إستقرت في منطقتين من بينها المرتفعات و المناطق السهلية[3] (الشكل 23).

---

[1] Le Quellec (J-l.), « Repartition de la grade faune sauvage dans le nord de l'afrique durant l'holocene,anthropologie » ,paris,tome,103,199,n,1,p.166.

[*] كان مشتى العربي معتدل القامة (172 سم في المتوسط) ومستطيلي الرؤوس وله جبهة ضيقة وشفاه طويلة وربما كان أول من اتخذ شمال غرب أفريقيا موطناً، مارس عادة خلع الأسنان القاطعة، ثم بدأ يظهر تحول نحو قصر الرأس ونحافة الجسم، في مناطق معينة أظهرها موقع سيدي الحسني (Columnata) بتيارت، وذلك حوالي عام (6000 ق.م)...للمزيد يراجع (ديزانج جيهان، تاريخ أفريقيا العام، البربر الأصليون، الفصل السابع عشر، المجلد الثاني، تاريخ الحضارات القديمة، إشراف جمال مختار، جين أفريك، اليونيسكو،1985، ص831-832.).

[2] كامبس غابريال، المرجع السّابق، ص94.

[3] Trousset (P.), Despois (J.),Gauthier (Y.),Gauthier (CH.) et E.B., Op.Cit, [En ligne], mis en ligne le 24 février 2020 , consulté le 01 février 2019. URL : http://encyclopedieberbere.revues.org/2083

الشكل (23) : دائرة نسبية تمثل التّجمعات البشرية خلال عصر الحجري الحديث بإقليم جرمة (الطالب بالتصرف) نقلاً عن معطيات تروسيه (.Trousset P) .

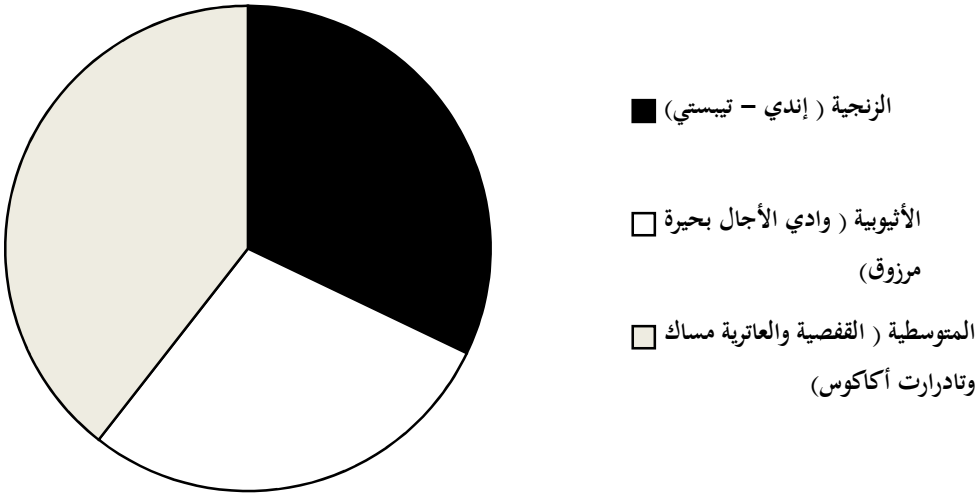

وبناءً على معطيات خاصة بالبقايا الفخارية يعتقد (ج) لوكيلاك (Lequellec.J-l) أنّ بداية ظهور التجمعات البشرية في الصحراء الوسطى تكون على الشكل الآتي: موقع أمكني للصناعة الفخارية حوالي 8250 ق.م وسيتي لوني بالآهقار يؤرخ له 7750 ق.م، أما موقع التينيري وهضبة الآبير بالنيجر فيؤرخ لهما في حدود 9150 ق.م، ويبقى هو الأقدام في الصحراء، أما منطقتي تادرارت الأكاكيس و طاسيلي أجر يؤرخ لهما بتاريخ (795ق.م، أما (ج) كامبس (Camps.G.) من خلال التنقيبات التي أجريت في مواقع فزان تاشيني ومرزوق أن بداية الاستقرار البشري يمكن أن تكون حوالي 6700 ق.م وتستمر إلى غاية 3550 ق.م، أما منطقة طاسيلي فيمكن أن يؤرخ لها مع نهاية 7000 ق.م وهي أقدم من موقع أمكني[1].

وبهذا الصدد يلخص الباحثون هذه الآراء باعتقادهم أنّ منطقة الصحراء الوسطى شهدت هجرات متنوعة إليها وشهدت نزوحاً للشعوب المتمركزة في الشمال الأفريقي، (الثقافة الوهرانية، و الثقافة العاترية) وهم من العناصر البيضاء، كما توافدت عناصر لها أصول شرقية، وتبين لنا أنه بداية مرحلة الهولوسان بدأت تتحرك مجموعات بشرية من جنوب النيل،وحتى شعوب أخرى زنجية من جنوب صحراء الساحل أو سودانية الأصل، وانتهى الأمر بالصحراء الوسطى أن تصير وعاء كبيرا به خليط من المجتمعات (الخريطة 11)[2].

و في مجال البحث عن البدايات الأولى للإستقرار في فزان ومساك وتادرارت أكاكوس، قام (س) شاملا (Chamla.M.C) بإعداد دراسة أنثربولوجية في ثمانية وخمسين موقعا فخرج بنتائج أن التجمع البشري كان في المنطقة الشرقية من الصحراء الوسطى كونها تتوفر على المجاري المائية والاستقرار على ضفافها، والملاحظ في الجدول

---

(1) Le Quellec (J-L), Op.Cit.p163-164.

(2) كامبس غابريال، المرجع السَّابق، ص68.

أنّ أعمار تلك الجماجم تبين أنّ غالبيتها لم تتجاوز أربعين سنة، أما نسب لكل جنس فكانت كالآتي: الجنس الأبيض يمثل (36.8%)، ويتميز بجمجمة متوسطة الحجم، أما الجنس الزنجي يمثل (23.6 %) ويتميز بالجمجمة التي تميل إلى الإستطالة، أما الجنس المختلط ذو الملامح المشتركة بين الأبيض و الأسود فيمثل نسبة (36.6 %)[1]، تبقى هذه النسب في غاية العقلانية مقارنة بموقع آخر يعتبر معقل الشعوب الزنجية حيث الحصول على النسب الآتية من موقع أثري بمنطقة السودان، فالعنصر الزنجي يمثل نسبة (40%) أما العنصر غير الزنجي فيمثل نسبة (12 %)، فالعنصر المختلط يمثل نسبة (32%)، وإذا تعمق الباحث في الدراسات الأنثربولوجية سيجد حتماً أنواعاً أخرى من الأصل الواحد من العنصر الزنجي (كالسوداني الشمالي، الأصلي، الخشن)[2].

أما (ج) كامبس (Camps.G.) فرأيه يتناقض مع شاملا فيما يخص الوجود البشري في فزان فدراسته قد أفرزت النتائج التالية: الجنس الأبيض يمثل نسبة (48 %)، أما الجنس الزنجي والمختلط ففي قسمين من النسب المتبقية و المقدرة ب (26 %) لكل واحد منهما، ويؤكد أن الجنس الزنجي في فزان ينحدر من أصول سودانية وهو الأقدم من الجنس الأبيض[3].

و يعتقد (س) حاشي (Hachi.S.) أنّ الاستقرار في الصحراء الوسطى كان حوالي (7000 ق.م)، والجنس الزنجي له سبق حضاري في كل من فزان ولآهقار، واستدل بهذا الطرح من خلال الهياكل العظمية الأقدم من الناحية التاريخية[4].

وبالرجوع إلى معطيات الفن الصخري والبحث الأثري يتبين وجود جنسين مختلفين فأولهما الجنس الأسود وهو الأقدم و أما الجنس الأبيض فيعتبر داخيلاً قادماً من الشمال كما تمت ملاحظة فصيل آخر وهو الجنس المختلط في فترة الرؤوس المستديرة ابتداء من (6000 ق.م).

وبالتالي أمكننا القول أنّ كلا الجنسين السابقين تواجدا بفزان وتادرارت أكاكوس قبل مرحلة الرؤوس المستديرة ، و كانت دائرة (24°) هي نقطة لقاء وتعايش بين الطرفين.

ولتدعيم هذه الفرضية على وجود هذا التعايش بينت لنا النصوص المصرية وجود جنسين من شعوب الصحراء الليبية، فقد أشارت إلى المجتمعات الزنجية بعبارة التحنو ( )، أما الشعوب البيضاء ذات الشعر الأشقر والعيون الزرقاء فيقال لهم التمحو (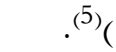)[5].

---

(1) Chamla (M- C.),Op.cit.,p 38.

(2) Ibid.,p 38.

(3) Camps (G.), Recherches Sur Les Origines Des Cultivateurs Noirs Du Sahara . R.O.M.M, n°07,1970,p 38.

(4) Hashi (S.), Place du gisements de ti-n-hakaten dans le context climatique saharien, paleoecologie des regions sahariennes, centre national d'étude historique, beni abbes, 1983 , p.116.

(5) العقون أم الخير ،الدولة الأمازيغ في مصر الفرعونية (950 ق.م-715 ق.م)، دار القدس العربي، وهران، 2015، ص14.

ونتيجة لهذا التنوع في منطقة الصحراء بين الجنسين خلال فترة العصر الحجري الحديث ترك لنا هؤلاء الشعوب بصمات من خلال الفن الصخري، وبقايا الأواني الفخارية، والأدوات الحجرية التي وجدت في أماكن إقامتها، وكانوا سببا في ظهور ثقافتين، حيث تميزت كل مرحلة بخصائصها المتنوعة، فهناك مرحلة العصر الحجري الحديث ذي التقليد السوداني، وهناك مرحلة العصر الحجري الحديث ذي التقليد القفصي، ونرى أنّ ذا التقليد السوداني انتشر على شريط من النيل إلى غاية موريطانيا، أما التقليد القفصي فانتشر شمال الصحراء وغطى قسما صغيرا من غرب فزان، كما يبينه لنا (الخريطة 12).

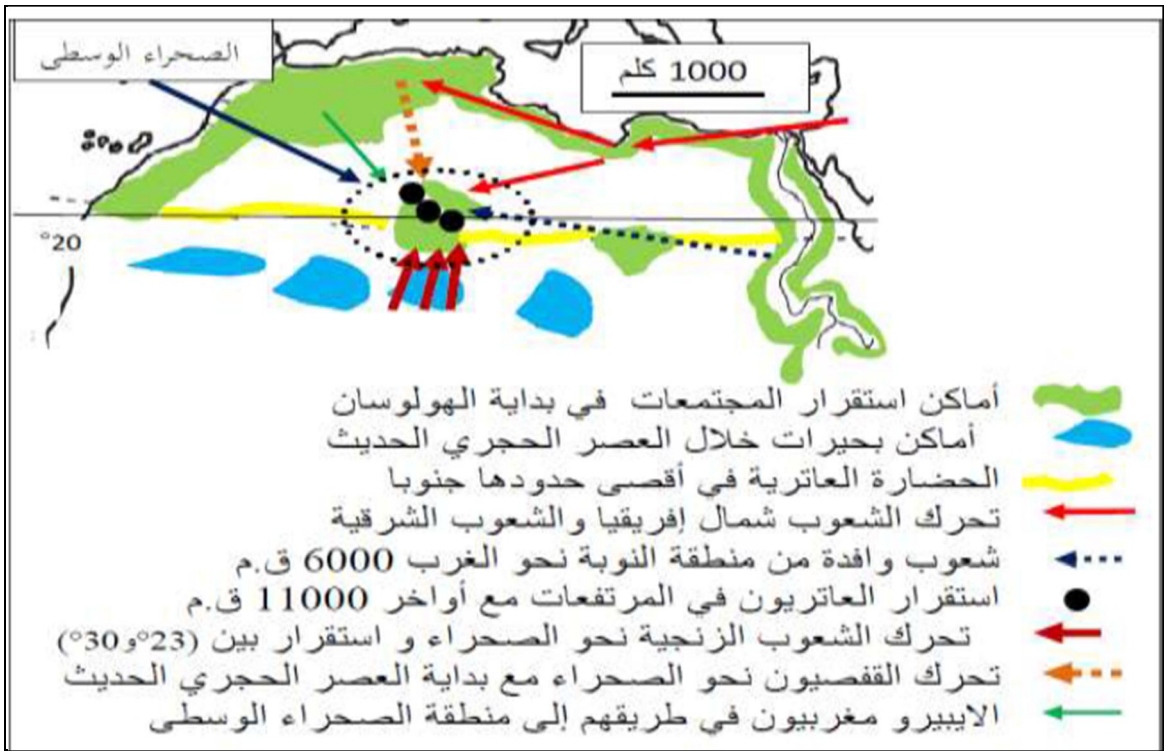

الخريطة رقم (11): تبين توافد الشعوب على الصحراء الوسطى

المرجع: وابل أمحمد،المرجع السَّابق،ص46.

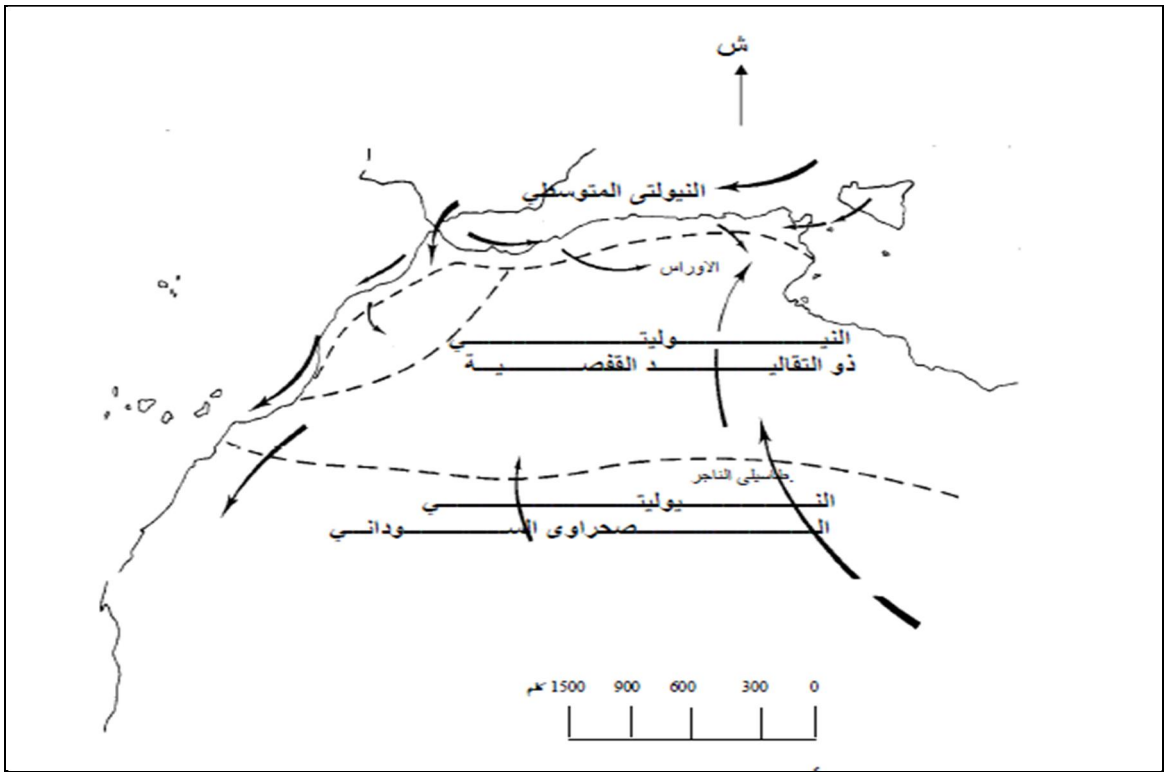

الخريطة رقم (12): تبين أقسام النيوليتي بالصحراء الوسطى

المرجع: جراية محمد رشدي، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م– 1000 ق.م) رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة،2007–2008، ص 75 .

2. العصر الحجري الحديث ذو التقليد السوداني:

يرى (ج) كامبس (Camps.G.) أنّ الصـــحراء الوســـطى عرفت نوعين من النيوليتي أولهما النيوليتي ذي التقاليد السودانية، وثانيهما النيوليتي ذي التقاليد القفصية، حيث إنّ التقليد السوداني انتشر على شكل شريط من النيل إلى غاية موريطانيا، أما التقليد القفصي فانتشر في الحواف الشمالية للصحراء [1].

يعتبر النيوليتي ذو التقاليد السودانية من أقدم حضارات ما قبل التاريخ المعروفة، ينسب إلى موقع شهيناب بالقرب من الخرطوم بالسودان، وهو حضارة زنجية صعدت من الجنوب الشرقي للصحراء الكبرى متجهة إلى شمالها الغربي في تبستي وفي ربوع إقليم فزان ثم غمرت مرتفعات تادرارت أكاكيس والطاسيلي ولآهقار.[2].

[1] Camps (G.), « Les Civilistion préhistoriques De L’afrique Du nord et du sahara »,éd doin,paris,1974.p 223.

[2] جراية محمد رشدي، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م– 1000 ق.م) رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة،2007–2008، ص 75 .

وقد امتدت هذه الثقافة الصحراوية ذات التقاليد السودانية على جل المساحة الجغرافية للصحراء الوسطى : من فزان، وحبال عوينات وتادرارت أكاكوس، والهقار، ومنطقتي أدرار إيفوراس وتلمس، ثم منطقة التنيري إلى غاية الصحراء الغربية[3].

إن كان هوجو (Hugot) يرى بأن أهل هذه الثقافة هي مجموعات بشرية تحركت من السودان في اتجاه الغرب، ويعتبرهم من أوائل السكان في الصحراء[4]، فإن (ج) كامبس (Camps.G) يخالف هذا من خلال النتائج التي توصل إليها بموقع أمكني بالآهقار، حيث يطرح فكرة التسمية من النيوليتي الصحراوي ذي التقاليد السودانية إلى النيوليتي الصحراوي السوداني، لأنه يرى بأن النيوليتي تزامن في الصحراء وفي السودان، ومن ثم استحالة تأثر الصحراوي بالسوداني، وقد وضَّح هذا باشتقاق المصطلح السوداني في التسمية الجديدة (الصحراوي السوداني) من المعنى العربي لكلمة السودان التي يقصد بها، بلاد الزنج، أي بمعنى النيوليتي الصحراوي الزنجي[5].

ويرى (هـ.) هوجو، مستنتجاً من خلال حفريته بالمنية، أنّ الإنسان الذي عاش في تلك المنطقة كان زنجياً وأصوله الحضارية ترجع لموقع شهيناب بالسودان،ويضيف قائلاً إن تلك الجماعات يمكن أنها تكونت على ضفاف النيل موازية للخرطوم، والشهيناب، ولقد تقدم من هذا المكان الأخير متجها دوما إلى الشمال الغربي، حيث إن شواهدها الحالية نجدها في التوبو الذين يسكنون التيبستي جنوب ليبيا، والفولاني في غربها، وعلى طول البحيرات الكبرى ثم توغلت في الشمال إلى فزان حتى الطاسيلي والآهقار[6].

يرى فريق أخر من الدارسين أن توافد الشعوب الزنجية لم يكن من الجنوب دائماً، بل تم رصد جماعات قادمة من الجنوب الغربي وقد بنى دراساته على هيكل عظمي يعتبر الأقدم، والذي استقر مع التغير المناخي أوائل الهولوسان، وبعد بحثه المعمق على الجمجمة والفك من الهيكل نفسه، استنتج أن أقدم المجموعات البشرية التي كانت سباقة إلى التواجد بمنطقة الصحراء الوسطى هي صحيح من الأصول الزنجية لكنها غير سودانية، وهذه الموجة لها ارتباط كبير مع إنسان (أسلار) الذي تواجد على الحواف الجنوبية للصحراء الوسطى[7].

ويطرح الباحثان الألمانيان هالي إلريش (Hallier.U.) وزوجته بريجيت (Halier.B.) العكس تماما أنّ الهجرة لم تكن جنوبية غربية أو جنوبية شرقية بل جنوبية شمالية بحجة أنّ إعمار الصحراء الوسطى من طرف الشعوب ذوي البشرة السوداء خلال العصر الحجري الحديث كان بسبب هجرته من جادو النيجيرية (Ineris) ثم انحدر نحو

---

(3) سحنوني محمد، المرجع السَّابق، ص 132.

(4) هوغو (هـ.ج)، الصحراء فيما قبل التاريخ، الفصل الثالث والعشرون، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في إفريقيا، المشرف كي زيربون، جين أفريك، اليونيسكو،1980،ص ص.591-614، ص601.

(5) Camps.(G.), Les Civilistion préhistoriques… ,Op.Cit.,p 224.

(6) هوغو (هـ.ج.)، المرجع السَّابق، ص605.

(7) وابل أمحمد، المرجع السَّابق، ص59.

الشمال حتى وصل منطقتي طاسيلي وفزان، وبسبب تشابه فن الرؤوس المستديرة في المنطقتين، ثبت أن المنطقة الأولى أقدم من المواقع الأثرية في المناطقة الثانية بالصحراء الوسطى[8].

و هنا أوّد من خلال الفرضيات السابقة حول البحث في أصول الزنج أن نقول : " وماذا لو أنَّ الزنجي الصحراوي لم يأت من أي مكان؟ " أي أن تكون هذه الأقوام ترجع بأصولها إلى المنطقة الصحراوية نفسها، وأنها لم تهاجر إليها، أو تنتشر فيها، من أي واحدة من تلك الجهات، حيث دَّلت الأبحاث التي قدمها فرحات نجيب و (م) توفران (Michelle Touveran) أنَّ الموطن الأصلي لهذه الشعوب الزنجية كانت منطقة تادرارت الجنوبية جنوب غرب إقليم جرمة، وسُمي باسم كيل إسوف (Kel Essuf) نسبة إلى قبيلة مشهورة من التوارق، و أن التركيبة البشرية التي نجدها في الفن الصخري، تجعلنا نعتقد بوجود شعب محلي منحدر من كيل إسوف (Kel Essuf) وإنتقل إلى العيش مع مجموعات أخرى بحيث جذبته الظروف الطبيعية[9].

وقد تمَّ الكشف عن الخصائص الحضارية للإنسان السوداني في حوالي (46) موقعاً أثرياً في الصحراء الوسطى، وكان عددها بفزان (24) موقعاً، أما في طاسيلي ناجر فبلغت (32) موقعاً، وأسفرت دراسة بقايا جماجم الإنسان الصحراوي النيوليتي ذي التقاليد السودانية على أنه لاينتمي لأي من مجموعتي الإنسان العاقل المعروفتين بالمنطقة خلال العصر الحجري القديم المتأخر، فهذا الإنسان ينحدر من فصيلة زنجية سودانية، تتميز بالفك المتقدم و الأنف الأفطس العريض، وبإستطالة السيقان والسواعد[10].

ووجد ضمن الطبقات الستراتيغرافية في موقع يرجح أنه كان مخصصا للإقامة البشرية، مثل موقع تاقديت بالآهقار الذي يوجد به أكثر من هيكل وتم تحديد عمر أحد العظام أنها تعود لإنسان بالغ في مرحلة الشباب وينتمي إلى الشعوب الزنجية الخشنة ذات الأصول السودانية، وأرخ لهذا الهيكل بالتقريب إلى المرحلة الرطبة (4500 ق.م)[11]، ويعتبر كل من (مليكة حاشيد) و(ديدا بادي) أن بقايا الإنسان تين هنكاتن وان موهجاج بالأكاكوس تعود للزنوج،و يتعلق الأمر بخمسة هياكل كاملة لبالغين وهيكلين لطفلين في تين هناكتن تؤرخ ب(5950 ق.م) وكذلك أطفال مدفونين في وان موهجاج بالأكاكوس أقصى جنوب غرب فزان[12]، وبالتالي من خلال هذه المواقع تبين أن الحضارة الصحراوية ذات التقاليد السودانية قد شغلت معظم مناطق الصحراء الوسطى.

---

(8) Ulrich (H.), Briitte, « Rond heads in the djao (nord de niger and tassili mountains sud Algeria) »,stone wath magazine,2005,p 27. (Copie pdf elctronique)

(9) Ferhat (N.) et Tauveron (M.), « Essai de bibliographie di nord de l'afrique », l'harmattan ,Alger, 2001.

(10) Maitre (J-P.), «Contribution a la préhistoire de L'ahaggar,Téfdest Central» ,Mém, Du,c.r.a.p.e ,17,France ,1971, p 55.

(11) Ibid.p56-57.

(12) Hachid (M.), «Tassili-N-Ajjer Au Source De M'histoire Il Ya (50 Siécle Avant Les Pyramids» ,France,Edition Paris – Mediteranean,1998,p217.

يتميَّز الإنسان الزنجي بأنف خشن وشفاه غليظة وذقن طويل، ويظهر في الرسومات في مساك وأكاكوس بشكل جانبي كونه طغى مرحلة الرؤوس المستديرة حسب (هـ) لوت (Lhote.H.)، وكانت رؤوسهم دائرية الشكل، يضعون طاقية عليها ويستعملون الأقنعة بشكل كبير، ويضعون الأشرطة العمودية على أجسامهم، ويتمركزون عند دائرة عرض (24°) حيث يؤرخ استقرارهم في تلك منطقة بحوالي (6022 ق.م)[13]،

وللتعمق في الناحية الأنثربولوجية يمكن الاستعانة بالبقايا العظمية الموجودة في المدافن حسب (س) شاملا (Chamla.M.C.)، الذي يؤكد أنَّ المجموعات الزنجية تنقسم إلى مجموعتين: أولاهما صنف يتميز بجمجمة طويلة ووجه مائل إلى الإستطالة ومحجر عين دائري وأذن متوسطة الحجم وأسنان قوية، وبنية عظمية خشنة وجمجمة على شكل سداسي تقريباً، ووعاء جمجمة عميق ومقدمة وجه مسطحة، والمجموعة الثانية فيغلب عليها الطابع السوداني ويتميز بجمجمة متوسطة ومنخر أنف عريض، وهو قوي جداً من ناحية البنية الجسمانية، والفك السفلي متوسط الحجم مقارنة بالصنف الأولوله جمجمة عريضة، ويمكن إعتبار الجنس السوداني هو الفصيل الأقوى في الجنس الزنجي من خلال قوة الفك وله جبين عريض جداً، وعظام سميكة نوعاً ما[14].

ويصف (هـ) هوغو هذه الأقوام بأنها من أوائل السكان في الصحراء كانو صيادي السمك و الحيوانات المائية والبرية بامتياز، وكما قاموا بجني الثمار، كانوا يحبون كثيراً لحم فرس البحر وثمار النشم في طعامهم مع العلم أنهم لا ينفرون من أكل سمك البحيرات أو سلحفاة المياه الحلوة وفثاء الماء، كما لوحظ اهتمامهم بصناعة القادوم الحجرية وأدوات السحق والدرس والهرس، واشتهروا في حياتهم بملأ الجرار بثمار النشم ولب القرعيات كما دلت عليه الحفريات التي جعلته يعتقد بوجود شبه فلاحة بدائية، كما صنعوا الفخار من النوع المتموج (Wavy.Line.)، وعرفوا صناعة الخزف المحلي ولم يؤخذ من مكوناته من الخارج ولم تكن له جذور متوسطية، وكما اعتمدوا في حياتهم على استعمال سلاح القوس والرمح وآلات العزق والفأس، فقد برعوا في صناعة واستعمال المخاطيف والصنارات العظمية، واختصوا بصناعة المثاقب[15].

وهنالك من الباحثين مثل (هـ) هوغو، يناصرون فكرة تواجد الإنسان الغيني في الصحراء الوسطى، وأطلق على تلك الموجة العصر الحجرب الجديد الغيني، وهم أول من هاجر إلى المنطقة، وقد سار في اتجاه الصحراء وبقي الآخر محتلا للغابة، فهو رغم أهميته التي أخفاها كثيراً الغطاء النباتي، ويمكن أن يكون أصله من الصحراء الوسطى[16].

---

[13] Lhote (H.) , « Le peuplement du sahara neolithique d'après L'interprétation des gravures et des peintures rupestre » , journal de La société des Africainiste,1970,p 97.

[14] Chamla (M- C.),Op.cit.,p38.

[15] هوغو (هـ.ج.)، المرجع السَّابق،ص605.

[16] نفسه، ص 606.

3. العصر الحجري الحديث ذو التقليد القفصي:

من المعلوم أنه لا توجد شواهد على وجود النيوليتي ذي التقليد الوهراني، كون الإنسان مشتى العربي ممثل هذه الثقافة كانت ساحلية ولم تتعد منطقة كيلومناطة بتيارت وموقع الهامل ببوسعادة، لكن يجدر الإشارة إلى وجود تزينات جسدية و تلوين ذي طابع سحري ونقش على بيض النعام في شكل خطوط عمودية وأفقية متموجة أو منقطة، وهذه الثقافة الساحلية تشبه تلك الرسومات الصخرية وزخارف الفخار في مناطق طاسيلي و تادرارت أكاكوس مما يدل على أنَّ مجموعات بشرية ذات أصول واحدة مسؤولة عن كل هذه المظاهر[17].

بينما يرى الأنثربولوجيون أن هذا التشابه يرجع إلى تأثير الإنسان القفصي[*] الذي حدث أواخر الألف السابعة قبل الميلاد، وكانت ثقافته داخلية أمكنت له التوغل في الصحراء على حساب المناطق الخاضعة للنفوذ الزنجي (السوداني)، وممن تبنى هذا الرأي مليكة حشيد وغابريال كامبس بالقول أنّ القفصيين الذين وصلوا إلى الصحراء كانوا مسؤولين عن جانب مهم من الفن الصخري[18]، وعلى سبيل المثال نذكر أنّ بعض المواقع للثقافة القفصية الواقعة جنوب سلسلة الأطلس الصحراوي وجدت بقربها محطات للفن الصخري المشابه للفن الصحراوي، وهذا ما أثبت لنا وجود صلة بين القفصين والفن الصخري بالصحراء الوسطى.

يعتبر جوبرت (Gobert) أوّل من أطلق المصطلح القفصي النيوليتي سنة 1914، وذلك بعد تقسيمه المستوى القفصي إلى ثلاث أقسام ، منه الأسفل ويقصد به القفصي النموذجي،والأوسط ويقصد به الصناعة المختلطة، والأعلى سماه بالقفصي النيوليتي وذلك بعدما اختفت أدوات القطع الكبيرة، وأصبحت نادرة، وعوضتها أدوات الحز القزمية وندرة الأزاميل. في سنة 1933م نعت (ر) فوفري (Vaufrey.R.) هذا الأخير بالنيوليتي ذي التقاليد القفصية وسرعان ما انتشرت هذه التسمية وطغت على غيرها[19]

لم يوافق (ج) كامبس (Camps.G.) هذه التسمية حيث فضل تسمية النيوليتي الممتد من التل المتوسطي إلى حواف مرتفعات الهقار بالنيوليتي الأطلسو – الصحراوي، غير أن تسمية النيوليتي ذي التقاليد القفصية كانت

---

[17] Hachi (S.), « Les Cultures de L'homme de Mechta Afalou, Les Gisment D'afalou bou rhmmel (Massif des Babors , Algérie)» ,Mémoire de C.N.R.P.A.H, nouvelle série,n°02,p 28.

[*] نجد القلة من الباحثين يتحدثون عن جنس متوسطي مقارنة بالإنسان المشتوي، فالقفصي يكون قد ظهر منذ بداية الألف الثامنة ق.م، وهو جنس لا تزال جماعات عديدة من شعوب البحر المتوسط تحمل ملامحه (متوسط القامة 1.75 م عند الرجال و 1.62 م عند النساء، مستقيم الأنف له محجران رباعيان وأما الوجه فمتناسق في أقسامه...)،وهذا الجنس أطلق عليه المختصون اسم الفجر متوسطي (Proto Méditerranée) الذي يوجد في مختلف بلاد البحر المتوسط...للمزيد يراجع (Camps (G.),« L'Homme de Mechta el-Abi et sa civlisations contribution a L'étude des origines gaunches »,1969,Pp.257-272.p.269.).

[18] Hachid (M.), « Les Premiers Berbéres Entre Méditerranée – Tassili – et Nil » , Paris,Edition Edisud,2000,p77.

[19] جراية محمد رشدي. المرجع السَّابق،ص117.

سريعة الانتشار والتداول ومن ثم الأكثر استعمالاً، ويقول أنَّ هذا التقليد القفصي كما سمي انتشر شمال الصحراء ويقصد بذلك منطقة الأطلس الصحراوي[20].

إنَّ توغل النيوليتي ذي التقاليد القفصية في الصحراء على حساب المناطق الخاضعة لنفوذ النيوليتي ذي التقاليد السودانية جعل هذا الأخير يتراجع نفوذه لحساب الأول وهذا يفسره عثور علماء الآثار على أدوات النيوليتي القفصي، في الطبقات العليا بينما يعثر على الآثار المادية للنيوليتي السوداني في الطبقات الوسطى والسفلى، وهذا ما جعل الباحثين يقولون إن النسل التاريخي للنيوليتي ذي التقاليد القفصية تام بما فيه الكفاية، إذ يغطي الفترة الممتدة بين نهاية الألف السادسة و إلى غاية الألف الثانية قبل الميلاد، بينما يمتد النيوليتي ذي التقاليد السودانية من الألف السابعة حتى نهاية الألف الأولى قبل الميلاد[21].

وجاءت هذه الثقافة[*] كناتج عن أثر العصر الحجري الحديث بمكان مدينة قفصة التونسية والمكونة للعصر الحجري القديم المتأخر، فبفضل بعض التوغلات النادرة من القفصيين للصحراء الشمالية، تحققت هجرة إنسانية بأتم معنى الكلمة[22]، غطت كل المنطقة الواقعة بين الأطلس الصحراوي، شمالاً و موريطانيا غرباً وخط غير منتظم يمتد إلى الشمال الأدرار إيفوراس وشمال الطاسيلي جنوباً، ومن ثم يمتد إلى غاية التبستي شرقاً بالجنوب الليبي، لكن وجود هذا الأخير بالصحراء الوسطى كان شحيحاً مقارنة بمنطقة الأطلس الصحراوي والمناطق الشمالية، ويتواجد في المواقع الليبية حيث يؤرخ له بتادرارت أكاكوس جنوب غرب فزان. (4500 ق.م)[23]، ولتتبع الخط الجغرافي لتلك المواقع لابد من التركيز على اختفاء الفخار ذي القاع المخروطي والرسم على قشور بيض النعام.

اتّسم العصر النيوليتي ذي التقليد القفصي بظهور ثقافة زخرفة قشور بيض النعام، والفخار العادي، و غابت صناعة الأدوات العظمية باستثناء المتعلقة بالناحية الجمالية (الحلي) والنحت على حجر الصوان[24]، كما عرفوا فن الصيد البري لإتقانهم صناعة العديد من الأسلحة كحدود السهام و الفؤوس المصقولة، ولم يدركوا الصيد المائي كون الشعوب القفصية أهملت هذا الجانب بشكل الكبير لأنها استقرت بالمرتفعات فلا مبرر لوجود هذه الأدوات[25]، كما نجد أيضا أنَّ إنسان ذلك العصر كان يعرف كيفية صقل القطع الحجرية الصلبة المصقولة التي تعطي طابعاً جمالياً ويضع منها كرات مستديرة وتماثيل صغيرة ذات أشكال حيوانية جميلة، مثل بقرة السلت، وكبش

---

[20] Camps (G.),Op.Cit.p 268-269.

[21] جراية محمد رشدي، المرجع السّابق، ص 119.

[*] نسبة إلى اسم القديم لكافصا (قفصة الرومانية Capsa) التي عثر بالقرب منها لأول مرة على العناصر المكوّنة لهذه الثقافة التي تمتد من الألف الثامنة إلى الألف الخامسة تمركزت في الهضاب العليا بتونس وقسنطينة بشرق الجزائر.للمزيد ينظر (العقون (أ)، العلاقات الحضارية...،المرجع السّابق،ص45

[22] جراية محمد رشدي، المرجع السّابق، ص 119.

[23] Maitre (J-P.), Op.Cit, p 129.

[24] هوغو (هـ-ج)، المرجع السَّابق،ص608.

[25] Camps (G.), « Nouvelles Remarque Sur Le Neolithique Du Sahara Central et meridional », libyca,tome. 23,1975, p 126.

"تمنيت"، وغزالة "إيمكاسن"، إلا أن صناعة الفخار عندهم كانت تعتبر أقل ثراء من حيث الأشكال و التزويقات والفن أي افتقروا للفخار المزخرفمقارنة مع الفخار عند ذوي التقاليد السودانية، وهذا لا يعني أن الصناع كانوا محدودي الخيال بل العكس، وهو ما ظهر من خلال نقش وتزويق بيض النعام الذيي يصنعون منه أواني ودرُراً عديدة، ونجد خرزا للنظم يتكون أجزاؤه من سوسن البحر وغالبا من قطع أسطوانية الشكل مصنوعة من قشرة بيض النعام[26].

ويرى الباحثان (ر) كابوت (Capot.R.) و (أ) فورمنت أنّ توافد الشعوب القفصية من الشمال الإفريقي إلى الصحراء كان قبل مرحلة الهولوسان وجاءت بانتظام، حاملة معها مقومات حضارية، وازدادت أعدادها في وسط المرحلة المطيرة، وأصبحت تنافس الجنس الزنجي، وإنّ أقدم أثر للشعوب المتوسطية قد يكون في حدود (7000 ق.م)، واستقرت كأقصى حد لها جنوباً عند دائرة عرض (19°) شمال خط الإستواء، ومنه يمكننا القول أن هناك ترابطاً بين هذين الفصيل القفصي، والسوداني ابتداء من الألف السادس قبل الميلاد، وبدأوا في إنجاز حضاري متميز ويمكن القول دائماً أنّ الشعوب المتوسطية القادمة من الشمال الإفريقي لها عدة فروع، وبالتالي كل فصيل له ثقافة خاصة به، ومن خلال المواقع الأثرية والمدافن نستنتج أنّ الشعوب المتوسطية لم يكن لها حضور قوي مقارنة بالشعوب الزنجية[27].

ويرى (هـ) لوت (Lhote.H.) أنّ المجتمعات الزنجية عند توافد الشعوب المتوسطية كانت في أوج حضارتها وتركت مؤشرات في الفن الصخري[*] والمدافن والمنحوتات وتواجدت وتعايشت جنباً جنباً مع الشعوب المتوسطية في الطاسيلي ناجر وواد جرات، وكانت بداية الاستقرار الفعلي للشعوب المتوسطة منذ الألف الخامس قبل الميلاد، وشملت مرحلة الصيادين، لكن بشكل لافت طغى العنصر الزنجي في الرؤوس المستديرة والمرحلة الرعوية[28].

لقد قدم الإيطالي (أ) موزيليني (Muzzolini .A.) دراسة مشاهد عديدة بفزان رأى من خلالها خصائص عدة تتميز بها المجتمعات المتوسطية من حيث البنية فيرى أنها رشيقة الأجسام ولها شفاه، وجبهة مائلة إلى الخلف وأنف أنيق ولحية قصيرة أما لباسهم من الجلود الطويلة وخاصة النساء يظهرن بجانب قطعان الثيران الإفريقية ذات القرون الطويلة، وقطعان الماعز والكباش، وفيما يخص الحيوانات البرية نرى على الأغلب فرس النهر ووحيد القرن وبعض الفيلة، ومن أسلحتهم نجد بشكل أساسي القوس العادي، والعصا المعكوفة، والرمح والهراوة (الدبوس)، وكانت أماكن إقامتهم في المرتفعات الجبلية، كونهم لا يشعرون بالأمان الجماعي وهذه خاصية ورثوها من عند

---

[26] هوغو (هـ. ج.)، المرجع السَّابق، ص608.

[27] وابل امحمد، المرجع السَّابق، ص59.

[*] يستشهد لوت من منظر اكتشفه في جباران في طاسيلي ويتكون من أربعة أشخاص، ثلاثة منهم يسرعون إلى رد قطيع من الأبقار وآخر يجري باتجاه في الجهة الأخرى، والأشخاص الثلاثة هم امرأة وطفل ورجل ، ويلاحظ أنّ المرأة زنجية الملامح والرجل بملامح متوسطية والإبن ظهر هجينا ... للمزيد يراجع : (Lhote (H.), Op.Cit, p 92).

[28] Lhote (H.), Op.Cit, p 92

القفصيين الأوائل[29]، وتذكر (العقون.أ)، أنه عاش في الصحراء شعوب متوسطية، حيث يظهرون من خلال الفن الصخري بأجسام عارية إلا من ساتر العورة، وزينوا أذرعتهم بما يشبه القلادة أو الوشم، وتضيف أنه تم إيجاد رسوم لبعض الصيادين حليقي الرأس وبعضهم كان لهم شعر كثيف مسترسل يشبه الشعر المستعار، ولهم لحية مدببة وسلاحهم القوس والهراوات.، وتشير الباحثة أن هذه القبائل من الفروع الليبية استقرت غرب النيل (الصحراء) في وقت متأخر من العصر الحجري الحديث وبالضبط في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وأنها تعايشت مع قبائل ذات ملامح زنجية وصفها المصدر المصري بتسمية التحنو، بينما الشعوب التي تحمل ملامح متوسطية (بيضاء) تسمى بالتمحو[30].

ثانياً / الجرميون بين الملامح الزنجية والمتوسطية:

I. الجرميون ذوو الملامح الزنجية السُودانية:

كشفت البعثة الإيطالية الملكية سنة 1934م بالجبانة التذكارية بمدينة جرمة عن ثلاث مقابر النيوليتية ، تحتوي عن بقايا عظمية تعود للإنسان الزنجي اعتُبرت من الجيل الأول، وبوادي الآجال قامت نفس البعثة بعدة حفريات تم فيها كشف عدة مدافن بما يقارب ستين ألف قبر مختلفة كرنولوجيا ، وعند دراستها من طرف العلماء الإيطاليين الأنثربولوجيين وجدوا علاقات وتواصلا ثقافيا بين الشعوب الزنجية في المنطقة مع الملامح الزنجية للجرميين نسبة لمدافنهم في الألف الأولى قبل الميلاد ووجدوا نفس الملامح مع الشعب التارقي الحالي[31]، إلا أن هناك باحثين آخرين انتقدوا هذه الآراء بشدة.

ويخلص المختصون أنه سكن في فزان ثلاث سلالات وهي الأثيوبية القديمة في الجنوب الغربي، ثم البوشمن (الفزازن) في الشرق عند وادي الآجال (وادي الحياة حالياً)، وأخيرا الجرميون في الوادي نفسه، بل هناك من يعطي مقاربةً أن الجرميين ما هم إلا فصيل نتج عن امتزاج تلك السلالات الزنجية[32]، وهذا (ج) كامبس (Camps.G.) يرى أن الوجود الزنجي من فصيلة سودانية أثيوبية لها حضور قويجنوب فزان مقارنة بشماله، وهو الأقدم[33].

ولقزال (Gsell.St) رأي آخر مفاده أنه لا يمكن اعتبار الجرميين من أحفاد الأثيوبيين، ويستدل برأي هيرودوت الذي قال أنّ الجرميين يطاردونهم وهذا دلالة على التمايز العرقي، فللإثيوبيين كلام عبارة عن أصوات كأصوات الخفاش يعني صوت كالصفير، وهناك من يرى أن أمثال هذا الكلام يوجد لدى سكان التيبستي (Tibesti) الذي يسمون بالتيبو (Tibu) أو تيدا (Tida)، وكانوا يسكنون الكهوف ويشتهرون بالسرعة الخارقة،

---

[29] Muzzolini,(A.) « Akakus », Encyclopédie berbère, 3 | Ahaggar – Alī ben Ghaniya, Aix-en-Provence, Edisud, 1986, p. 399-408,p 402.

[30] العقون أم الخير، الليبيون...،المرجع السّابق،ص66.

[31] Belair (P.), « Mission Au Fezzan, Sepututres de L'ouadi El Ajal »,p.81.

[32] الماعزي محمد الأمين، حضارات الصحراء " سكان فزان"،ط1، 2001،ص88.

[33] Camps (G.), Recherches… , Op.Cit,p 39.

فهل هم أحفاد الإثيوبيين سكان الكهوف الذين يتحدث عنهم هيرودوت، أما الجرميون فهم أصحاب القصور والبنايات فلا يمكن أن نعتبرهم من أثيوبيين وإن كانوا سود البشرة[34].

لذلك نجد (ج) كامبس (Camps.G.) يوضح وجهة نظره فيقول : إنّ الزنوج أو أصحاب البشرة السوداء يمثلون أجداد الذين أصبحوا يعرفون بالحراثين، وإذا أردنا أن نفهم أصول الزنج في فزان، لا بد أن نربط الموضع بالمتغيرات المناخية منذ بداية عهود الهولوسان التي عرفتها الصحراء الوسطى، والمتمثلة في تحول الأرض إلى قاحلة وبدء الجفاف والتصحر في دفع الجماعات الزنجية للتوجه إما للواحات الفزانية، أو الانحدار نحو مناطق الساحل أو غرب إفريقيا، فأما المجموعات التي اتجهت نحو الواحات فخضعت لعمليات تهجين عديدة فصاروا يتمايزون باللون المختلط مقارنة بالمجموعات الأخرى من ذوي البشرة السوداء[35]،

وفي كتاب آخر يؤكد لنا (ج) كامبس (Camps.G.) أنّ العنصر الملوّن منحدر من الزنج فكلاهما بقي يشكل عنصرين هامين في الصحراء الليبية بنسبة (52%)أما النسب المتبقية فتعود للجنس المتوسطي في المناطق الشمالية لفزان، أما في تادرارت أكاكوس لاحظ (Chamla.M.c) أن الزنجي يمثل نسبة (25 %) أما النوع المختلط (Eura Racine) يمثل (41 %) وهي تقريبا نفس دراسات سرجي(Sergi) في مقابر جرمة حيث يرى أن السود (Negroid) يمثل (26 %)، أما البقية ويطلق عليهم غير النيجيرين فتمثل (41 %) وهم متغايرون تماما مع الإنسان الجرمي حسب هذا الباحث[36] (الشكل05).

ومن بين المجموعات الزنجية التي استوطنت شرق وادي الآجال عاصمة مملكة جرمة مجموعة تسمى البوشمن وهم من الأفارقة ليسوا شديدي السواد، إذ قيل إنهم ذوو لون أحمر برونزي، وقد سكن هؤلاء الصحراء الفزانية في العصر الحجري الحديث، وكشفتالناحية الأنثربولوجية لهذه الشعوب أنهم امتازوا بالبنية القوية ، وقد استمر هذا الفصيل إلى غاية القرن العاشر ق.م، وفي الجهة الأخرى نرى أن المنطقة شهدت موجة جنوبية شرقية من الأثيوبيين تحديدا، فقد سكنوا جنوبي الوادي فيما عرف بأودية أمساك وأكاكوس، غرب منطقة مرزوق حالياً[37].

ولهذا فإن هذا العنصر تنسب إليه حضارة الرؤوس المستديرة والرعاة، وكان مجيئهم للاحتماء بالكهوف والبال، أو جاءوا بحثا عن سبل الحياة في الأودية التي تتغنى بها هذه المنطقة، ووجود سهول قرب بحيرات ملحية، وقد ترك هؤلاء آثارا خاصة في موقع "أبو درنة"، تنسب إلى الصناعات النيوليتية، وكذلك من ناحية زنككرا عثر على عدد كبير من قطع الظران النيولوتية والفخار لم ير عليه المؤثرات الخارجية، وهذا مايؤكد وجود تجمع سكاني

---

(34) Gsell (St.), « Textes Relatifs a L'histoire de L'afrique Du Nord (L.-IV du 168- 199) », Hérodote (484-420 an)" , imp de jourdan,1915,p.154.

(35) كامبس غابريال، المرجع السَّابق،ص،106.

(36) Camps (G.), Op.Cit,p.39.

(37) ماتنجلي ديفيد جون، المرجع السَّابق، ص.241.

في هذا المكان، وهنالك من يصفهم بأنهم صانعو المجاري المائية فيما بعد، كما قاموا بإنشاء قرى، وينسب إليهم زراعة النخيل، الذي أحسن الجرميون فيما بعد العناية به والدفاع عنه[38].

وقد دلّت الدراسات الحديثة عن طريق (ج) كامبس(Camps.G.) أنّ الأقوام السود تعيش مباشرة إلى الجنوب من مدار السرطان الوهمي الذي يقسم الصحراء، وهي من المجموعات التي استوطنت فزان وترجع للأصول الأثيوبية التي وفدت خلال العصر الحجري الحديث، فالأدلة العظمية تبين أن أولئك الأثيوبيين قد تباينوا عبر العصور وتباينوا في النمط الغذائي، لكن اكتسبوا خصائصهم الجسمانية، فالتوبو (Tubu) في تبستي والفولانيين في ساحلهم أصول سودانية[39].

ومما لا شك فيه أنّ هذه المجموعات التي استوطنت منطقة فزان حصل بينها وبين المتوسطين بعد توافدهم تعايش وتجانس وتزاوج مما أدى إلى ظهور جيل ثان كانت له مكانة وشأن فيما بعد وهم الجرميون[40]، وما يدعم ذلك أن الإيطالي سرجي (Sergi) رأى أن الجرميين قبل التهجين هم في الأصل زنوج، ولهم مميزات سودانية حافظت عليها في الزمن المتأخر[41].

ويستشهد دانيالز (Daniels.Th) من الجداريات التي تعود للفترة البقرية (Epoque Bovidienne) خاصةً في موقعين تادرارت أكاكوس ومساك على وجود أنماط وتنوع جسماني أسود اللون، ولا نستثني صورا لصيادين أقوياء صغيري الرؤوس يؤلف كل ثمانية مجموعات بشرية بالغة الجمال والأناقة لشبان وشابات زنوج ممتلئة أجسامهم بالوشم[42]

---

[38] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص73.

[39] كامبس غابريال، المرجع السَّابق، ص105.

[40] الزدام عبدالله نجلاء، المرجع السَّابق، ص25.

[41] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص150.

[42] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق، ص43.

II. الجرميون ذوو المَلامح القفصية المتوسطية:

شـــهد إقليم جرمة هجرات متنوعة إليها، وعرفت شـــعوبا كانت تتمركز في الشـــمال الأفريقي (الثقافة العاترية، القفصية)، وهم من العناصر البيضاء(*)، كما لوحظ توافد للعناصر الشرقية ذات الملامح البيضاء في بداية مرحلة الهووسان، مما يؤكد طغيان هذا العنصر في الصحراء ولم يستطع العنصر الزنجي مقاومته[43]، يستنتج الباحث الأنثربولوجي (س) شاملا (Chamla.M.C.) من خلال دراسته لبعض الجماجم في الصحراء الوسطى بما فيها فزان، أنّ الجنس الأبيض يمثل (36.8%) بالإضافة للعنصر الملون الذي له ملامح متوسطية [44](39.6%)، ويدعم في هذا الرأي (ج) كامبس (Camps.G.) هذا البحث بأنّ الوجود البشـــري ذا الملامح المتوســـطية خلال فترة العصـــر الحجري الحديث في صحراء فزان شهدا تفاوتا[45].

أما أبحاث الأنثربولوجي الإيطالي سـرجي (Sergi) الذي تمكن من معرفة عدد سـكان فزان القديمة، وقدم دراســات في مقابر وادي الآجال، حيث جمع فيها الجماجم، وقدرنســبة (46%) للشــعوب البيضــاء والتي يطلق عليها (Eurafricanus)مقارنة بالجنس الزنجي الخشـــن (26%) والتي يطلق عليه (Eurafricanus Negrifliés)، واعترف بأنّ الجنس الزنجي هو الأقدم (الشكل 24).

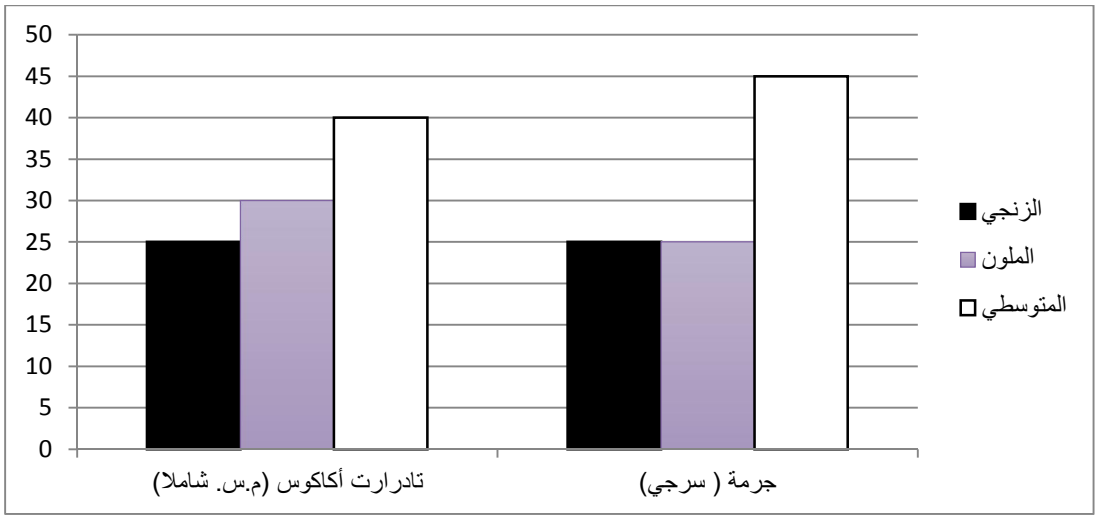

الشكل رقم (24) : النسب للعناصر البشرية التي كانت تتمركز بفزان والصحراء الوسطى حسب المعطيات الأنثربولوجية للباحثين سرجي (Sergi) م. س. شاملا (Chamla ,M.C) (الطالب بالتصرف).

Camps (G.), « **Recherches**… »,Op.Cit,p.39

(*) وجود الشخصية القفصية في الملمح الجرمي حاضر بقوة من حيث الإستخدام لا محدود لبيض النعام وهذا طبقا لنتائج حفريات بونجيم وهون وزويلة....للمزيد يراجع (ديزانج جيهان ، المرجع السأبق (البربر الأصليون) ، ص 834.

(43) Gallin (A.), et Lequllec (J-l), « Les Ensembles ceramiques du bassin de marzuq une contribution de L'archeokoique preventive ala connaissance du messak » , cahiers de L' A.A.R.S., France, n°12,2008,p 72.

(44) Chamla (M-C), La population… , Op.Cit.,p.33.

(45) Camps (G.),Op.Cit,p.39.

ويقدم فابريزيو موري أبحاثا من بقايا هيكلية من المقابر المنتشـــرة على الأطراف الجنوبية لوادي الآجال والمكتشفة من قبل سرجي (Sergi) حيث تبين له أن الصحراء الفزانية قد سكنها جنس بشري ليس زنجيا ويتبع تشكيلة أورو – إفريقية من العائلة الأروبية الكبيرة أو المتوسطية، وظهر أن هناك أربع فئات بشرية:

1. أفراد من ذوي القامات العالية، وجه ضيق وطويل، جمجمة مستطيلة (مقاربة قفصية).
2. أفراد ذوو قامات عالية أو متوسطة، وجه غير ضيق كثيرا وطويل، أنف أطول للفئة

الأولى، الفك الأسفل مواز للفك الأعلى، الشكل الهيكلي غير شكل الزنوج.

3. أفراد ذوو مميزات أورو – أفريقية ومميزات زنجية
4. أفراد ذوو مميزات جنسية متوسطية، وهؤلاء هم الكثرة.[46]

وهناك من يرى أنّ الجنس الأبيض المتوســطي[*] توافدوا على الصــحراء في المرحلة البقرية (Bovidienne) خلال الألف الرابعة قبل الميلاد، حيث نلاحظ ذلك في رسوماتهم ويبدو فيها الرجال ذوو شعور طويلة، ومعظمهم ذوو لحى رقيقة وعلى وجوههم وشــم، أما من ناحية اللباس، فكان الرجال يلبســون التنانير ويزيدون إليها طاقيات (القبعات) أحياناً، بينما النساء ترتدي أثواباً توحي زخارفها بأنها من النسيج، كما تبدو النساء في بعض المناسبات قد تزينَّ على صور باذخة وارتدين تنانير ذات حواش وأوشحة طويلة الأطراف وإذا أقبلن على الأشغال المنزلية ثبتن لباسهن عند مستوى العجيزة[47].

إنّ الرسوم تقدم صورا واضحة لأوائل السكان المتوسطيين الذين توغلوا في الصحراء، ولا يزال يصعب تحديد تاريخ لوصــول هذه الأقوام إلى الصــحراء، أو التثبت من أماكنها الأصــلية، وقد عمرت المرحلة البقرية من الألف الرابعة إلى منتصـــف الألف الثانية قبل الميلاد، ولا نزال غير عارفين في أي لحظة من تلك الحقبة كان أول ظهور للبيض، والذي يبدو حسب كامبس أنه لا توجد إحضائيات في هذا الباب، ويبدو من خلال محطات الفن الصخري أنهم اشتغلوا بتربية الماشية الصغيرة وفاقوا فيها ذوي البشرة السوداء الذين أصبح يقل عددهم وهذا مايبرر لنا الاعتقاد بأنهم وصــلوا إلى الصــحراء في أواخر الفترة الأســلوبية لدى البقريين والتي تمثل المرحلة الأخيرة الرطبة وبداية الجفاف في الصــحراء وأما عن أصــول البقريين (البيض) فالاعتقاد يذهب إلى أنهم ينحدرون من الشــمال

---

[46] موري فابرزيو ، المرجع السَّابق ص.56.

[*] يلاحظ الباحث (Chamla.M.C.) أنَّ المتوسطيين ينقسمون إلى ثلاث أنواع منه إيبيرو جزري، وهوذوقامة متوسطة، ونحيف، ويمتاز بوجه صغير وطويل، أطلنطي–متوسطي (الشمال إفريقي) وهو النوع الثاني، يمتاز بضخامة وذو قامة طويلة، أما النوع الثالث فذو قامة طويلة، ووجه طويل، وقوي البنية...للمزيد يراجع:(Chamla.(M.C), « Les Populations... », Op.Cit.,p.34.)

[47] غابريال كامبس، المرجع السَّابق،ص.97.

الأفريقي وصـــاروا باتجاه مرتفعات الصـــحراء، حيث قد يكونون اتصـــلوا بأحفاد أشـــباه الزنوج، الذين عاشـــوا في الصحراء السودانية خلال العصر الحجري الحديث[48].

ويســـــتخلص (ج) كامبس (Camps.G) أن هذه الأقوام من البيض قبل توغلها في الصـــــحراء، أنها من الممكن أن تكون ذات أصـول مشـرقية، وأنها التفت على تيبسـتي من جهة الشـمال، بل ربما تكون إنما جاءت إلى وسـط الصـحراء، واسـتقرت بفزان، وبعدها سـارت بطول شـواطئ برقة، أي أن توافد البيض كان على هذا الخط شرقي- جنوبي- شمالي(*).

بينما يجتهد رودلف كوبر بأنّ رســوم حضــارة الرعاة بالأكاكوس بينت أناس أكثر بياضــاً من الزنوج وأنّ هذه الرســومات أنجزت خلال مرحلة الجفاف الشــديد وغالبا ما تعالج الرحيل وبناء الأكواخ وهدمها وتحميل البقر التي ربما تعبر عن رحيل من مناطق جافة خالية من المراعي إلى مناطق أكثر خصوبة يتوفر فيها المرعى[49].

ويعطينا (ج) كامبس أهم السمات للأقوام المتوسطة البيضاء خلال فترة عصر الخيالة (Eques) أوعصر الأحصنة (Caballus) وسميت تلك الفترةبـ" :الأحصنة "نسبة إلى الأقوام التي تقوم بتربية الخيول وتصويرها على أوجه الصخور والأحجار، ويمكن التعرف على الفن الذي أنجزها لخيليون البيض بفضـل أسـلوبهم المميز :فهيئة الحيوانات وحركات الأشخاص شديدة الخشونة وفي بعض الأحيان نجد وجوه الأشخاص غير مبينة ويستدل عليها بأعوادٍ أو ألواح، أما الخيول فنجدها مرسومة في حالة عدو طائر شدت إليها عربات خفيفة وغالباً ما تكون بحصانين(*)، أما في منطقة فزان فنجد العربات رسمت وهي تجرها أربعة خيول، وهؤلاء الخيليون نجدهم يتســـلحون بالحراب والرماح،و يلبس الرجال تنانير أوجلابيب قصـيرة تنتهي عند منتصـف الفخذ، وأما النسـاء فنجدهن من خلال بعض الرسـومات يرتدين تنانير قصيرة[50].

كما يفهم أيضــاً من خلال هذه النقوش الصــخرية أنّ الخيالة ســائقي العربات كانوا فئة محاربة فرضــت سيطرتها على أصحاب البشرة السوداء، ولذلك يختفي العنصر الزنجي في الرسومات والنقوش الصخرية ،وهو أمر طبيعي فالعنصر المهيمن هو وحده الذي سيظهر في الفن الرسمي.

---

[48] غابريال كامبس، المرجع السَّابق ،ص.96.

(*) لقد بالغ الباحث كامبس (Camps.G) في هذا الطرح، وجعل من منطقة الشمال الإفريقي شاغرةً، وأنَّ أصول الأقوام البيض مشرقية، سارت عبر صحراء تبستي وفزان،ثم وفدت عبر هجرات جنوبية شمالية إلى برقة ومن ثم عمّت كافت السواحل المتوسطية والأطلسية، علما أن العلم الحديث أثبت مدى قدم الإنسان العاقل وسليله من الكرومانيين وأنَّ إنجازاتهم وصناعاتهم منفردة ولا أثر لها في الشرق، وأن كرومانيي شمال إفريقيا أقدم من كرومانيي فلسطين (الطالب بتصرف).

[49] كوبر رودلف ، من الصيد إلى الرعي في الصحراء الكبرى، ترجمة مكاييل محرز،(النسخة الإلكترونية)،ب.ت،28-08-2019،ص.86.

(*) وللمزيد حول عربات الركض الطائر، لا بد من عودة إلى المقال : (خاتمي مصطفى ، العقون أم الخير، الفُجارات وعربات الرّكض الطائر: دورها ومكانتها لدى المجتمع الجرمي القديم (فترة ما قبل الإحتلال الروماني)، مجلة عصور الجديدة – مجلة محكمة صنف ج، المجلد 10 العدد 1، مارس،2020،ص ص.09-31.

[50] غابريال كامبس، المرجع السَّابق ،ص.97.

لذلك لا نستبعد أن تكون جماعات قدماءالبربر(Paléoberbére) المتمثلة في :الرعاة المتعلقين بمرحلة البقري (Epoque Bovidienne) و المحدثين المتعلقين بمرحلة الحصان (Epoque Cabaline) لهم بدون شك علاقة مع الجرميين الذين تحدثت عنهم المصادر القديمة حيث ذكرهم هيرودوت بأنهم قوم من الليبيين يسكنون في الصحراء (الفزان) ويستعملون العربات التي تجرها أربعة خيول[51].

كما تجدر الإشارة إلى أنّ الباحثة مليكة حاشيد قسمت مرحلة الأحصنة إلى مرحلتين فرعيتين، مرحلة الليبين الصحراوين وهي الأقدم ويظهر فيها الرجال يلبسون عباءات ويضعون الريش على رؤوسهم أما الإناث فيلبسن فساتين بحمالات ، وقدرسمت من خلال تلك المرحلة العربات والخيول المركوبة، والمرحلة الثانية أطلقت عليها تسمية: "المرحلة الجرمية"حيثي طغى فيه اللون الأحمر، و يلبس الرجال السترات على شكل جرس، وتلبس الإناث فساتين طويلة بنفس الشكل وفي هذه الرسومات يتم تصوير الرؤوس على شكل عصي كما يتم رسم العربات والخيول، وتكون الأشكال أكثر تبسيطا[52]

أما الفترة التي يطلق عليها مرحلة الجمل في منتصف الألف الأولى قبل الميلاد، فلا تختلف عن مرحلة الحصان إلا في ظهور الجمل على النقوش الصخرية، فكلا المرحلتين تمثلان فترة إعمار الصحراء من طرف السلالات البيضاء المتوسطية[53].

لم يختفِ السود في فزان تماما فبعد طغيان المتوسطي يظهر المزارعون أشباه السود وهم من الجيل الأول الملون، وهذا دليل على التعايش والتزاوج، وبهذا الصدد يعالج (ج) كامبس قضية أحفاد الصحراويين من الملونين (Cromagnoides) يعرفون بالحراثين[*] وأنهم أحفاد الإثيوبيين الذين تهجنوا بنسبة معينة خلال الآلاف الأخيرة من السنين، بفعل الاختلاط الذي وقع لهم بعناصر من البيض المتوسطين فخرج جيل يعتقد أنهم الجرميون، وقد يسمون في التماشق (إزغارن) ومعناه الأسمر بميل للحمرة ،لكن هذه الفئة لم يكن لها أن تحتفظ بالخصائص الأثيوبية بل تشهد ملامح متوسطية دون أن يلحقها تبدّل[54].

لذلك نجد "أيوب محمد سليمان" يسمي الجنس المتوسطي الأبيض الميّال للسُمرة في فزان بالجرميين ويرى أنَّ التوارق الموجودين في الصحراء الكبرى هم حفدة الجرميين الأقدميين[55]، ويؤكد (دانيلز Daniels) أنَّ الجرميين

---

[51] هيرودوت، المصدر السّابق، الفقرة 183، ص.65.

[52] بحيرة نادية، المرجع السَّابق،ص.37.

[53] Lhote (H.), « Le peuplement du sahara neolithique d'après L'interprétation des gravures et des peintures rupestre » , journal de La société des Africainiste,1970,p 92.

[*] إنّ البحث في كلمة الحراثين عند (Camps.G.) : يعطي مدلولاً إجتماعياً عرقياً وإقتصادياً، فالحرثاني هو البستاني الذي وقع في ما يشبه الإستعباد، وقد اتفق أن هؤلاء كانوا الغزاة الذين وفدوا إلى منطقة الصحراء في نهاية العصر الحجري الحديث، وهم من الجنس الأبيض، إختلطوا بالساكنة الزنجية فخرج منهم جيل ملون..للمزيد يراجع (كامبس غابريال، المرجع السّابق ص107).

[54] كامبس غابريال، المرجع السَّابق، ص103-105.

[55] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص.101.

ينحدرون من جنس البحر المتوسط الذي سكن الصحراء خلال العصر الحجري الحديث وقد اختلط فيما بعد بالجنس الزنجي ذي الأصول المحلية[56].

فلو دقّقت في الصفات المميزة للجرميين كما صورتها فسيفساء دار بوك عميرة بزليتن ستظهر لنا ملامح الشعوب المتوسطية، من خلال ذلك الأسير الجرمي الذي يمتاز بالرأس الطويل، والبشرة السمراء، والشعر الأسود، كلها أدلة تبين لي أنه من الجنس الذي استقر حول حوض البحر الأبيض المتوسط قبيل نهاية العصر الحجري القديم.

وقد أشار بعض المؤرخين استنادا للأساطير الأغريقية القديمة بأن قبائل جرمة ترجع أصولهم لقبائل بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)، والتي هاجرت خلال القرن العاشر قبل الميلاد[57].

ويؤكد هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، بأن السكان الأصليين لقارة ليبيا إثنان هما: الليبيون والأثيبيون: إلا أنه هنا يشير إلى أن الجرميين يطاردون الإثيوبيين التروجلوديت يعني السود ساكني الكهوف[58]، فلماذا فرق هيرودوت بين فئتين وقد فصل بين الجرميين والإثيوبيين وجعل الفئة الأولى ضمن الليبيين، وهذه فرضية تجعل أنَّ الجرميين ليسوا بسود البشرة ولا يمكنهم أن يكونوا من أفارقة الزنوج (الأثيوبيين والسودانيين).

وما يدعم فكرة أنه لا علاقة بين الأثيوبيين و الجرميين أنه قد أشارت رحلة حانون إلى أهالي يسكنون الكهوف ويتميزون بالسرعة الخارقة ، كما نجد بليني الأكبر في القرن الأول للميلاد يتحدث عن شعب يسكن الكهوف في الصحراء، وكانت التجارة الوحيدة التي تمارس معهم تجارة الأحجار الكريمة[59]، ولهذا ندحض القول بأن الجرميين من أحد فروع الأثيوبيين، فالنصوص الأثرية والمصادر الأدبية القديمة ترفض هذا الرأي.

ويجتهد (العقون محمد العربي) في قوله أنَّ البيض اجتاحوا صحراء إقليم جرمة في فزان خلال عصر المعادن، وهم مربّو الخيول وسائقو العربات وهم فرسان فتحوا الصحراء وسيطرا على الزنوج الأثيوبيين، هؤلاء الفرسان يسميهم المؤرخون الإغريق واللاتين بالجرميين شرقا، أما الجيتول فاستوطنوا في وسط وغرب الصحراء ، وهم من الذين سيطروا طويلا على الحرطانيين الذين يبدو أنهم أحفاد أولئك الأثيوبيين[60].

وهناك من يعتقد أنَّ هؤلاء الحراطين السمر البشرة، وهم من مجتمع ذي ملامح بيضاء متوسطية، وكان هؤلاء من العتقاء، على الرغم من وجود أسر من الحراطين ظلت حرة منذ القدم، كما وجدت جماعات من

---

[56] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق، ص.43.

[57] أيوب محمد سليمان، جرمة في عصر إزدهارها من (100 م إلى 450م)، كلية الأداب، الجامعة الليبية، 1968، ص150.

[58] هيرودوت،المصدر السَّابق، الفقرة،183،ص65.

[59] بليني الأكبر، المصدر السَّابق، الفقرة 25-27 ، ص31.

[60] العقون محمد العربي، الأمازيغ عبر التاريخ – نظرة موجزة في الأصول والهوية، التنوخي للنشر والتوزيع،ط1، الرباط، ص29.

الحراطين ترجع لأصول مختلفة من الفئات الأخرى انفصلت عنها لهذا السبب، فالأصل هذا الاصطلاح من لفظة " أحرضـان: الحلاسـي، المهجن، من أب بربري وأم حبشـية، وأسـلافهم الحقيقيون هم سـكان الواحات القديمة المختلطة بالسـود والبيض، ومنهم شـعب "أغرمان" أي الجرميين الذي كانوا في ليبية الرومانية وانتشـروا في الصـحراء نتيجة الضـغظ الروماني وسـعياً إلى موار الذهب، ومن هنا فإن " الحراطين" هم الورثة الحقيقيون لدولة الجرميين في الصحراء الوسطى[61].

[61]ولد سالم حماة الله، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربية الكبرى، دار الكتب العلمية، ب،ت، ص16.

ثالثا / الجرميون، التَّسمية والأَصل:

I. التّسمية :

يخطؤ الناس كثيرا في نطق الكلمة الدالة على اســـم هذه القبيلة ، فمنهم من ينطقها "الجرمنتيون " وآخرون ينطقونها " الجرامنت "، لكن يبدو لي أنَّ الأصّـــحُ في النُطق "الجرامانيّون" وليس "الجرامنتيون" أو "الجرامانتيس"(Garamantes) وذلك بالاستغناء عن اللاحق الإغريقي (أنتس –Antes)، فالقاعدة المتبعة في نقل الأعلام الإثنية والجغرافية تتمثل في إقصـــاء اللواحق الأجنبية التي أدخلت على الجذور وصـــبها في قوالب عربية و هناك من ينطقها بجرمنت (Garmente) أو جرامنت (Garamante) وهناك من ينســـبه إلى تســـمية العاصـــمة (Germa) وهذا خطأ لأنه في الأصـــل جراما (Garama) بدون اللاحق الإغريقي، لهذا ســـأتبع في عملي هذا على المصطلح الجرميون مفردها جرمة كدلالة جيو سياسية لنقل الأعلام بالأرض والسكان معاً.

و يعد هيرودوت الإغريقي أول من ذكر الجرميين تحت تســـمية (Gramantes) في كتابه التواريخ، الجزء الرابع، الفقرة 172 [62] ويرى (ج) ديزانج (.Desanges.J)، أن هذه التســـمية الإغريقية التي أوردها لنا أبو التاريخ لها علاقة بأن هذا شعب من بناة المدن[63]، وهو الأقرب إلى ذلك لطبيعة القلاع في منطقة جرمة.

وجاءت تسمية الجرميين عند الكتَّاب الرومان ومنهم بليني الأكبر (Pline L'ancien) وسترابون (Strabon) وبومبيوس (Pomînius Méla) تحت تسمية (Gempheantes) أي تم ربط تسمية (Germa) بفزانيا (Phezaniae) وهي أول مرة تأتي بهذه الصيغة ، على أساس أن الجرميين من سكان فزانيا، حيث جاءت هذه التسمية عند المؤرخين الرومان على أساس سكان الكهوف وأنهم المتخلفون، ويجدّد بليني الأكبر (Pline L'ancien) في موضع الأخر تسمية (Gramentius) وهو نفس الاصطلاح الذي نجده عند ديودور الصقلي(Diodorus Siculus)، أما من الجانب الأثري نرى أن (ر) روبيفات (.Rebuffat.R) الذي نقب في أحد معسكرات الليمس (بونجيم بنواحي شمالية للفزان) حيث عثر على نقيشة لاتنية تحتوي عدة كلمات هي: عبر عدد من الجارامانتس في مهمّة يسوقون حميراً (GARAMANTES.DVCENT.ASINVS).[64]

يعتقد معظم الباحثين على اختلاف تخصصاتهم ،أن اسم جرمة ذو لفظ أجنبي، لكنه في حقيقته اسم ليبي، فهذا (ج) كامبس (.Camps.G) يرى أنّ معنى لفظ جرمة يدل على سكان المنازل، لأن الجذر أغاغام

---

[62] هيرودوت ، المصدر السَّابق، الفقرة، 172، ص65.

[63] Desanges (J.), « Garamantes », in Gabriel Camps (dir.), 19 | Filage – Gastel, Aix-en-Provence, Edisud(« Volumes », no 19) , 1998 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 02 février 2017. URL : http://encyclopedieberbere.revues.org/1993.

[64] Rebuffat (R.)., « La frontière romaine en Afrique : Tripolitaine et Tingitane», Ktéma,Paris, 1979, 4, Pp. 226-233,p 226.

(Arharham) يدل على الدار – البناء، ومنها على ما يبدو جاءت الألفاظ إيغرم (القلعة)، وتغرمت (القرية)، أث تغرامت (أهل القرية)، أما الجذر أغاغام فجذر ليبي منتشر بين كل الليبين[65]، وأنّ الأطلال الكثيرة التي يتضمنها وادي الآجال تؤكد صحة هذه الفرضية المحلية التي لقت قبولاً، وتبعا لأهمية أطلال السّكن وإلى المدافن والبنايات المتنوعة التي توجد بوادي الآجال، في قلب الجرميين.

ويعتقد الباحث (أعشي .م) أنه من المرجح أنّ تسمية الجرامنيين لها بعد ديني، و أنهم كانوا من أتباع الرب أمون لأن اسمهم على ما يبدو يتكون من شقين: جر بمعنى حقل باللغة الليبية و أمن (أمون) الرب أمون، ومعنى أجرامن (الجرامنيون) حقل أمون أو في حمى أمون [66].

ويرى اللُّغوي (ج) مرسيه (Mercier) متأثرا بالنظرية السابقة (المحلية) بأنَّ اسم جرمة له علاقة ببناء مدينة جرمة نفسها، واستدَّل بأنَّ هذه الأخيرة مشتقة من اسم قصر في اللغة الليبية القديمة وهو (إغرم Igrem) ثم أطلقت على تسمية البلدة أو بمعنى المدينة ، ويضيف أن أصل الكلمة في أساس (جرامنت) والتاء حرف تأنيث في اللغة الليبية القديمة، أما النون في الجرامانت فهي علامة الجمع في اللغة الليبية القديمة.

ولذلك فالمنتمي إلى جرامت يكون جرامي، والجمع جراميون غير أنَّ استخدام الاسم لأول مرة كان المصادر الأجنبية التي لا تقدر تاء التأنيث ونون الجمع في اللغة الليبية القديمة جعل الاسم يظهر فيه التحريف[67].

ويدعم الإيطالي (م) ليفراني (Mario Liverani) الرأي السابق بأنَّ المصطلح الأصَّح للجرميين هو أغرام نسبة إلى الموقع الأثري "أغرام نظاريف" (Aghram Nadharif) الذي يقع على بعد حوالي (10 كلم) جنوب مدينة الغات في أقصى الجنوب الغربي لإقليم فزان، وأنَّ أغرام بلسان تماشق عند التوارق تعني "قرية" أما بلسان تماهق فتعني "قلعة" وهذا ما أكدّته التنقيبات من وجود حصن محاذٍ لقرية مبنية على حجر فوق التلة تؤرخ بالقرن الرابع للميلاد، يبلغ طول هذا السور حوالي 155م أما عرضه فلا يتجاوز 55 سم،أما ارتفاع هذا الجدار فيقدر ب205م، وهنالك برجان إثنان للمراقبة يقدر ارتفاعهما ب4.5 م، أما بداخل هذا الحصن فتوجد منازل مغطاة بطبقات من رمال، وكانت هذه الأبنية مربعة الشكل،ولكل مسكن غرفتان، وبجانب هذه القرية توجد مقبرة تحتوي على 250 جمجمة بشرية، وتم العثور على كثير من العملات الرومانية تؤرخ ل 303 م، وأمفورة واحدة،دَّلت على أنّ هذه القرية ماهي إلا مستوطنة وحامية عسكرية لمملكة جرمة[68].

---

[65] Camps (G.), « Les Gramantes, Conducteurs de Chars Et Batisseurs dans le fezzan antique »,2002, https://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/les_garamantes_conducteurs_de_chars_et_bAtisseurs_dans_le_fezzan_antique.asp, en ligne: 24-03-2019.

[66] أعشي مصطفى، أعشي مصطفى، الأحاديث هيرودوت عن اللّيبيين (الأمازيغ)، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، 2009،ص.62.

[67] Mercier.(G) ,Op.Cit.,p.35.

[68] Liverani (M.), Aghram Nadharif ; The Barakat Oasis (Sha'Abiya Of Ghat Libyan Sahara) In gramantian times, Ed Thr Archeology of Libyan Sahara, Volume 2,2007,p.314.

ويبدو أنّ الرحالة العربي البكري أشـــار إلى ذلك في القرن الخامس الهجري والعاشـــر الميلادي، عندما وفد إلى واحة ورجلان، وصفها بسبعة حصون للبربر يسمى بلغتهم (أغرام إن يكمن)[*] وعندما سأل عن معنى هذا فترجم له بعبارة حصن العهود، وأن أغرام عند البربر يفسر بحصن[69].

وعندما سـأل (ج) مرسيه (Mercier.G) أحد الشـيوخ التوارق الذي ينحدر من منطقة عين بربر بدائرة جانات، عن معنى تسـمية أغرام فصـرح أنَّ كل بناية تبنى من الحجر تسـمى أغرام، تغرمت[70]،ومنه من يفسـرها بالبيت العتيق المبني بالحجر، كما توجد قرية شمال شرقي مدينة باتنة باسم جرمة كما أن إغرام في الجموع الشاوية (المتعيّر الزناتي) تعني قرية.

وبالتالي أخلص إلى أنّ هناك شـــبه إجماع بأن أصـــل التســـمية جرمة ليبي ، إلا أنّ إنفراد الباحث ليبي الماعزي محمد الأمين قد لفت انتباهي، من حيث أنّ مصـــطلح جرمة ذو أصـــل عربي قد لحق به التحريف جراء تداوله بين المؤرخين والكتاب الكلاسـكيك في العصـور القديمة، فأسـاس التسـمية هو الجرميون أو الجراميون، وليس الجرامنت و الجرامنتين، والتي تميزت بزراعة أشـــجار النخيل، فلفظة جريمة تفيد في اللغة العربية النواة الموجودة داخل التمرة، والفعل جرم معناه جرمة يجرمه، وجرم النخل جرماً وجراماً، فمنه يأتي اســـم الجرميون وليس جرامنتين منبثقا من الفعل جرم.

ويقال عن البيئة التي تنمو فيها أشـجار النخيل في اللغة العربية الأرض الجروم أي بمعنى شـديد الحرارة وبما أن نواة النخيل تحمل اسم جُريمة التي حرفت إلى اسم جرمة، ثم جرامنتيس باللسـان الإغريقي والروماني أيضـا، ومن الممكن أن هذا الشـعب انسـلخ عن المجتمعات المجاورة واسـتقر بالقرب منهم تحت ظروف معينة سـاعدتهم على البقاء في هذا المكان، وأســسـوا مدينة جرمة التي وجدت آثارها، وأطلقوا هم أو غيرهم هذا الاســم عليها ومن ثم تبعهم هذا الاسم وأصبحوا أهل جرمنت[71].

ونحن نعلم أنَّ اللاحق الإغريقي (Antes) و الروماني (Antium) عندما تضـاف للمصـطلحات الأصـلية الغريبة عنها لها دلالة على الأهل أو السكان أو شعوب معينة،وهو الشيء نفسه عند الجرامنتيس (Gramentes) الإغريقية أو الرومانية الجرامانتيوم (Gramentium).

وكما أنَّ التسمية الإغريقية و الرومانية سابقة في الزمن والاستخدام قبل وصول العرب إلى شمال إفريقيا في مطلع القرن السابع للميلاد.

(*) اللهجة الورقلية (تقارقرنت) فهي زناتية قريبة من الشلحية المنتشرة في جنوب المغرب، ولا يزال إلى يومنا هذا يصطلح بعبارة (أغرام) على أنها حصن، أو قرية محصنة (الطالب بالتصرف).

[69] البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د،ت،ط،ص،182.

[70] Mercier.(G) ,Op.Cit.,p.38.

[71] الماعزي محمد الأمين، حضارات الصحراء سكان فزان، ط 1، 2002،ص.109.

و عليه ، نلاحظ أنَّ تحليل هذه التسمية من الناحية العلمية يعد مسألة خلاف تاريخي حتى الآن، فهناك احتمالات كل منها يعد قائما ولا يسقطه الآخر بحجة لذلك نرى أنّ التسمية المحلية لقت توافقا في المصطلحات اللّيبية القديمة فمن منطقة الى أخرى لا تتعدى مفهوما سواء كان بيتا، أو دارا، أو القصر، القلعة، الحصن، أهل النخيل...الخ.

II. أصل الجرميين:

يندر أن تجد أقواماً قد جرى البحث في أصولهم من الاجتهاد والتلفيق بقدر ما حدث مع سكان ليبيا القديمة، و من بينهم الجرميون، فقد كثرت الروايات حولهم منذ أقدم العصور لدى رواة الأساطير وفي أوساط العلماء، ويشير الباحث البريطاني (ت) دانيلز (Daniels ch) إلى أنّ الجرميين أمةٌ لا تعدو حد الأسطورة والخيال، وأنهم أقوام لم يعرفوا تعريفاً كاملاً من حيث الأصل والنشأة، عاشوا في منطقة مبهمة ومملكة أسطورية وفي مدة من الزمن غير محددة [72] وكذلك يرى الباحث الليبي " أيوب محمد سليمان"، أنه لم يتوصل إلى الآن إلى معرفة أصل الجرميين ولا الموطن الأول لهم، كما أننا لا نعرف على وجه التحديد الزمن الذي جاؤوا فيه إلى فزان[73].

ولقد قدّم الباحثون الذين اهتموا بهذا الموضوع عدة احتمالات عن مكان مجيء الجرميين وزمانه على وجه التقريب، أي المكان والزمان الذي ظهروا فيه في جنوب ليبيا.

وقبل الخوض في هذه الإحتمالات و التقصّي عن خلفية هذه النظريات ينبغي طرح السؤال التالي: من أين جاء قدماء الجرميين؟ ، لقد تعدّدت الأجوبة إلى درجة أنهم "لم يتركوا جهة في العالم إلا وافترضوا أنّ قدماء البربر (من بينهم الجرميون) يكونون قد قدموا منها"، وفي مقابل هذه الأطروحات التي تبحث عن أصول الجرميين عن طريق الهجرة والغزو والهيمنة، وبالأخذ بالتشابهات الأثرية واللغوية بين الأصقاع المجاورة، يرجح بعض الباحثين الرجوع إلى بقايا البشرية المتخلفة عن عصور ماقبل التاريخ، " فالمنطق عند كامبس هو أن نجعل الأولية للإناسة"[74]، فلماذا لا نتساءل ونقول ماذا لو أن قبائل جرمة لم يأتوا من أي مكان؟ أي أن تكون هذه الأقوام الجرمية ترجع بأصولها الصحراوية إلى منطقة شمال إفريقيا، وأنها لم تهاجر إليها، أو تنتشر فيها، من أي واحدة من تلك الجهات و الأصقاع المزعومة لها؟

---

[72] تشارلز دانيلز، المرجع السَّابق،ص.08.

[73] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،ص.131.

[74] كامبس غابريال ، المرجع السَّابق، ص.71.

1. فرضية الأصل الهندو أوروبي:

كان الإغريق القدماء يعرفون قبائل جرمة، ولربما كانت أساطيرهم تذكر بأنهم يرجعون بأرومتهم إلى أَصل كريتي أو إلى شعوب البحر المتوسط ولقد عبر الكاتب السكندري أبولونيوس الرودسي (Apollonis Rhodes) المولود سنة 220 ق.م، تلك الروايات الشائعة في أيامه حين كتب في روايته أرجو (Argo):

"... وقتل كافاراس (Caphauras) أحد بحارة السفينة "أرجو" المدعو كانتو (Kanto) وكان كافاراس هو أكبر أبناء فوباس ليكوس (Phoebas Leceus)من محبوبته أكاكاليس (Akakalis)، وهي نفسها ابنة الملك مينوس، ولقد نفاها والدها إلى شواطئ ليبيا عندما علم بأنها على وشك وضع مولودها الإلهي، وهناك أنجبت أكاكليس المدعو أمبليثنكس (Amplishenex) الذي أطلق عليها جارامـا (Garama) ولقد أحب جراما بدوره الخنثى تريتونيا (Tretonia) وأنجب منها ناسامون (Nasamon)..."[75].

استناداً إلى هذه الأسطورة الإغريقية يبدو لنا أنَّ قبائل جرمة ونسامونين أصولهم من قبائل البحر المتوسط[*] التي هاجرت من جزيرة كريت إلى سواحل ليبيا في القرن العاشر قبل الميلاد، إلا أنهم يخالفون الرأي الأول في أنَّ هذه القبائل قد نزلت على شواطئ خليج قابس وفي جزيرة جربة بتونس، وأنهم امتزجوا بالأهالي الليبيين وظلوا هناك حتى جاء المستعمرون الفينيقيون في القرن الثامن قبل الميلاد وطردوهم من الساحل فتوغلوا إلى الداخل ووصلوا إلى فزان عن طريق واحة غدامس وأوباري إلى وادي الآجال[76]، وهذا الرأي يفترض أول ظهور للجرميين في فزان ما بعد القرن الثامن قبل الميلاد.

وذكر الكاتب الروماني فرجيليوس في "الإنياذة الخالدة" ملمحاً هندو- أروبياً عن الجرميين في قوله " ... فوصل أحفاد طروادة إلى ليبيا هاربين من الموت ، هذا هو الرجل الذي سمعتم عن وعد القدر به، أوغسطين العظيم والقيصر الخالد، الذي سيعيد مجد العصور الذهبية بين حقول لاتيوم والذي سيبسط إمبراطوريته ماوراء أشقائه الجرميين لتمضي إلى عالم النجوم ومجرى الشمس...)."[77].

---

[75] Apollonius de Rhodes , Argonatiques, trad: Caussin (J.J.A.), le sitede l'antiquité grecque et latin (en ligne) de philippe remacle, http://remacle.org/bloodwolf/poetes/falc/apollonius/livre1.htm (18-02-20) 13:17.

[*] نقلا عن أيوب، يرجع بعض الباحثين مثل سميث (Smith.E) و زميت (Zammit .T)أن هذا الجنس (البحرالمتوسط) إفريقي الأصل وتبلور من الجماعات البشرية التي هاجرت من مصر إلى بلاد اليونان، الأمر الذي تؤيده الأدلة الآثارية ...لمزيد يراجع : أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص.86.

[76] جاد الله فوزي هيم، مصادر في التاريخ الليبي قبل هيرودوت، مجلد ليبيا في التاريخ، 1967، ص.143.

[77] Virgile, Enéide, Livre IV, trad: l'abbé delille, http://remacle.org/bloodwolf/poetes/virgile/eneide4.htm (17-04-2020) 15:21.

يرى بعض المؤرخين أنَّ قصة الجرميين تبدأ بظهور قبائل البحر الأبيض المتوسط من الكريتيين والصقليين وأهل سردينية(*) الذين هاجروا من بلادهم في أعقاب الزلازل التي حدثت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، والتي دمرت مدنهم وأغرقت بعض أجزاء من جزرهم، فالتجأت تلك القبائل إلى السواحل الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط، وجاء فريق منهم إلى سواحل برقة وطرابلس وامتزجوا بالقبائل اللّيبية المحلية بالمصاهرة والتجارة، ومن ليبيا خرجت هذه القبائل لتهاجم حدود فراعنة مصر في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وبعد معارك مريرة فشل الغزو، وتحولت الجيوش المصرية من موقف الدفاع إلى الهجوم، فارتدت هذه القبائل المتحالفة الليبية والمتوسطية صوب برقة إلا أن بعضها غيّر اتجاهه لسبب غير مفهوم واتجه نحو فزان حيث وجد فيها واحات غنية بالمراعي وجبالاً غنية بالمعادن(78).

وفوق كل شيء تمكنت هذه القبائل من أن تصل إلى منطقة السافانا الإفريقية الغنية عبر منطقة صحراوية سهلة، ولم يجدوا أمامهم في فزان سوى شعب ضعيف مسالم تغلبوا عليه بكل سهولة،هذه الرواية يفترض لها أيوب أول ظهور الجرميين بفزان في حوالي القرن العاشر قبل الميلاد(79).

ومايدعم النظرية التي تقول بأن الجرميين أصلهم من كريت بعد اختلاطهم بالقبائل الليبية الموجودة في برقة، قول (د.ج) ماتنجلي (Mattingly.D.J.) أن طريقة الركض الخاصة بخيول الجرمية، والتي جاءت في نقوشهم الصخرية وهي تظهر الأرجل وهي سابحة إلى الأمام، يوافق تماما ما يسمى " الركض الطائر Galope volant" الذي يميز الرسوم في الحضارة الكريتية(80).

(*) قضية أصول الليبيين الجزر متوسطية يسندها كامبس نقلا عن الباحثان بورقوينة (Bourguinat.J.) و بروني(Bruner.Bey) أنَّ الدلمنات التي في "الركنية" هي من إنشاء قبائل ليبية اختلطت بالمصريين والزنوج وكان يسوسها جنس أرياس (Arias) نزل من إيطاليا إلى صقلية وسردينيا ومن ثم إلى إفريقيا ثم توغلوا إلى الداخل...للمزيد يراجع (كامبس غابريال، المرجع السَّابق،ص.68).

(78) العقون أم الخير، دولة الأمازيغ ...، المرجع السّابق،ص.119.

(79) أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق،ص.41.

(80) Matingly (D.J.),«In search of Garmantes: Alost Civilization of the Libyan sahara, Text of lecture delivered at the British Ambassadors Resilience», Tripoli, 24 February 2000,p.69.

بالإضافة إلى طريقة رسم الخيول الطائرة هناك الشواهد أخرى كالقرون التي عثر عليها في المقابر بجزيرة كريت، كذلك تصوير الجرميين على صخور جبل زنككرا وعلى رؤوسهم الريش، مثلهم مثل رسومات المشواش(*) التي رسمت على المعابد المصرية[81].

أما العقون (أ.م) فترى أن الريشة موجودة منذ الألف منتصف الثالثة قبل الميلاد عند قبائل التمحو الذين تميّزوا به كسائر الليبيين وخاصة الصحراويين[82] ،وذلك قبل وجود صراع بين شعوب البحر والمصريين القدماء، بمعنى آخر ، فان الريشة أصيلة عند الليبيين قبل أن يأخذ عنهم شعوب البحر ومنهم الكريتيون.

كما يؤكد أيوب هذا الرأي، ويعتقد بأنه بعد فشل شعوب البحر في غزو مصر لاشك أنها امتزجت بالليبين على السواحل وتزاوجت معهم، وأن نقوش المركبات (العربات) في فزان وطاسيلي ناجر تعود إلى تلك الفترة ويؤكد أن الجرميين لم يختلطوا بشعوب البحر [83].

ولتحليل هذه الآراء نرى أن القائل بأن الجرميين جاءوا من كريت وصقلية وسردينيا منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد واستقروا بفزان في القرن العاشر قبل الميلاد، نجد أصحاب هذا الرأي يربطون بين استقرار هذه الشعوب في فزان في القرن العاشر وبين هجمات شعوب البحر، علماً بأن هجمات شعوب البحر من قبيلة الشردن بدأت نشاطها في عهد الملك الفرعوني رعمسيس الأول 1303 ق.م-1290 ق. م، وتبعا للنصوص المصرية تصفهم بأنهم أجانب الشمال الذين في جزرهم، أو الأجانب الذين قدموا من بلدانهم ومن جزر وسط الأخضر العظيم، أو ببساطة الذين من بلدان البحر، وقد رجح العلماء أن شردن تحالفوا مع الشعوب الليبية سمتها المصادر المصرية بالقهق ، وبعد فشلهم ضد رعمسيس الثاني، عادوا إلى ليبيا وتصاهروا ومنهم من نزح إلى فزان وأصبحوا يسمون بالجرميين[84].

(*) يرى هيرودوت المكسيس (قد يكونون المشوش في نصوص المصرية وعند هيكاتيس أيضاً)، الذين يمكن اعتبارهم من الليبيين المقيمين والمزارعين يزعمون أنهم ينحدرون من الطرواديين...للمزيد يراجع (هيرودوت ، المصدر السّابق، الفقرة 173، ص.51.).

(81) Mattingly (D.J), Op.Cit.p.69.

(82) العقون أم الخير، المرجع السّابق، ص.74.

(83) أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق،ص.38.

(84) العقون أم الخير، المرجع السّابق، ص.76.

2. فرضية الأصل الكنعاني:

مفاد الفرضية الثانية، هو مايتبناه عدد من المؤرخين اليوم والقائل بصحة القصص القديمة التي تقول أن الفلسطينيين الذين هاجروا من بلادهم بعد أن تغلب داود ملك اليهود على جالوت ملك الفلسطنيين، وقتله فانتشروا وهاجروا من أوطانهم إلى مصر إلا أن المصريين لم يرحبوا بهم، فشدوا رحالهم غرباً إلى ليبيا واستقرت مجموعة منهم في فزان وهم الذين عرفو بالجرميين، وتعود أحداث هذه الرواية إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد[85].لكن يبقى مجرد رأي ورد في نص توراتي لا تؤيده أي أدلة مادية.

ويعزز (ج) كامبس (CAMPS.G.) هذا القول بالتطور في علم المصريات التي ذهب أصحابها إلى أن قسما من الهيكسوس هم المنحدرون من شمال شبه الجزيرة العربية[86(*)]و سوريا ومن آسيا الصغرى، قد التجأوا بعد طردهم من مصر إلى إفريقيا واختلطوا بالليبيين فظهر جيل منهم يسمى بالجرميين أصحاب العربات الشبيهة بعربات الهيكسوس[87].

وهنالك روايات لا تفوق الأولى شهرةً، إذ تعود إلى القرن السادس الميلادي، والتي جاء بها بركوبيوس القيصري (Procopius) عن أصل كنعاني[(**)] للموريين وقال أنها لفظ عام كان يطلق على سائر الإفريقيين ومنهم الصحراويون الذين حافظوا على تقاليدهم وأسلوبهم في العيش.

لكن هل يقصد بموريي الصحراء الجرميين أو الجيتول؟ علما أن بركوبيوس القيصري رافق إلى إفريقيا القائد البيزنطي بيليزاريوس وخلفه صولومون، وعندما نزحوا إلى الصحراء الليبية لم يطلق على الأهالي هناك الجيتولي أو الجرميين بل سماهم بالموريين؟

ويذهب بركوبيوس بأصل هؤلاء إلى غزو يوشع بن نون للأرض الموعودة، الأمر الذي أدى إلى رحيل الأقوام التي كانت تقطن على الساحل الفلسطيني، وقد سعوا إلى الاستقرار في مصر، لكن

---

[85] أحمادي الطيب محمد، الحضارة الليبية في الجنوب الليبي { إقليم فزانيا}، ب.ن، قسم الآثار، جامعة قاريونس، 2011،ص.04.

[*]يرى الكثير من المؤرخين خاصة العرب بشكل خاص بأن أصل الجرميين والتوارق يرجع إلى قبائل هاجرت من الجزيرة العربية في عصور سابقة، ويأتون بأدلة كثير من بينها المقاربة بين الأبجاديات الخط المسند و الليبي التيفيناغ المحدث وأسبقية الخط اليمني على الليبي القديم كرنولوجياً (الطالب بتصرف).

[86] غابريال كامبس، المرجع السَّابق،ص.64.

[87] غابريال كامبس، المرجع السَّابق،ص.64.

[**] قضية تأصيل الكنعاني كانت واردة لدى سكان إفريقيا، وحتى في رسالة للقديس أغسطينوس قال: اسألوا فلاحينا من يكونون، وسيجيبونكم بالبونيقية أنهم شنعانيون، لقد تداول الدارسون هذا طويلا إن كان أوغسطينوس يقصد بالمناطق المجاورة الهيبون أم سائر الشعوب الليبية؟...للمزيد يراجع (كامبس غابريال، المرجع السَّابق،ص.60.).

وجدوها كثيرة السكان، فتوجهوا صوب صحراء ليبيا، فاحتلوها وماحولها،وأنشأوا لهم مدنا عديدة[88]، وبالتالي هل يقصد بركوبيوس في صوب صحراء ليبيا منطقة الفزان، وهل تعتبر جرمة من أحد المدن التي أقاموها؟ ،بالنسبة لهذا الرأي لا يوجد دليل مادي أو أدبي آخر يؤكد لنا هذا الطرح[*].

3. فرضية الأصل الجرميين من واحة سيوة:

يرى أصحاب هذا الرأي بأنَّ منبع الجرميين يعود إلى معبد آمون بواحة سيوة، وذلك في أواخر القرن السادس قبل الميلاد وأوائل القرن الخامس قبل الميلاد، وهو الوقت الذي قام فيه الملك الأخميني الفارسي قمبيز بحملته على واحة سيوة حيث كان الهدف منها القضاء على عبادة الإله آمون الذي اشتهر بنبؤاته التي أفادت بأن حياة قمبيز قصيرة وأنه سيلاقي حتفه في مصر[89].

ومن هنا يرى فريق من الدارسين بعضهم بأن قسماً من سكان الواحة قد غادروها تحسباً لحملة قمبيز الفارسي وخوفا منها، فاستقروا في فزان وعرفوا باسم الجرميين[90] ،استنادا لهذه الأحداث فإن دخولهم إلى فزان كان في القرن الخامس قبل الميلاد.

ونظرا للأوضاع السياسية في المنطقة في تلك الفترة تبيّن أنَّ الإغريق أقاموا مدنهم الخمس في برقة وأنهم لم يقبلوا منافسة أهل سيوة، كذلك الفينيقيون شيّدوا في الجزء الغربي مراكزهم الثلاثة (لبدة، أويا، صبراتة) ، فلم يكن أمام الجرميين إلا فزان التي كانت مواتية لهذا الغزو[91]،

كما نجد أنّ الباحث المختص (ت) دانيلز شجّع هذا الرأي ،بأن العناصر المحلية التي هاجرت من منطقة الواحات الشرقية القريبة من مصر جلبوا معهم تقنية تطوير الزراعة لاسيما أنظمة الفُجَّارات[92].

ويبدو لي، أنَّ هذا الرأي يعد مرفوضاً لأنَّ الجرميين وجدوا في فزان خلال القرن العاشر أو أزيد منه استناداً إلى المعطيات من بقايا الأنثربولوجية ، بينما أحداث قمبيز قد حدثت في القرن الخامس

---

[88] بركوبيوس القيصري ، الحروب الوندالية ،جمعها وترجمها وعلق عليها : خشيم علي فهمي، أعدها للنشر تامنغاست، القاهرة ، 1975، الفقرة06، ص.139

[*] باستثناء فرضية التي أوردها أيوب من عند (أ) باتس عن التشابه في الشواهد الجنائزية مثل شكل القرون وموائد القرابين الحجرية التي عثر عليها في فلسطين مثيلاتها في الثقافة الجرمية فضلا عن شكل المقابر الدائرية...للمزيد يراجع : (أيوب محمد سليمان ، المرجع السّابق، ص 193.à

[89] أيوب محمد سليمان، جرمة في عصر إزدهارها الذهبي، مجلد ليبيا في التاريخ،1968،ص.156.

[90] عبد الناصر الحجازي، مناقشة الآراء التي قيلت في الجرمنت، مجلة آثار العرب،العدد الأول،1990،ص.64.

[91] أنديشة أحمد، التاريخ السياسي والإقتصادي للمدن الثلاث، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 2007 ،ص.44.

[92] تشالز دانيلز، المرجع السّابق،ص24.

قبل الميلاد فقط، كما أنَّ هذا القول يفتقد للحجة القوية، كون تلك الحملة الفارسية قد منيت بالفشل وقد ابتلعت العواصف هذا الجيش، وإذا افترض أنَّ أصل الجرميين من سيوة فإن الحفريات التي أجريت لم تبين لنا عن أي أثر للكتابة الفرعونية القديمة، كما أنَّ عبادة الإله آمون قد وصلت إلى ذروتها في سيوة خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وعليه فلزاما على المهاجرين أن ينقلوا هذه الديانة إلى فزان، ويشيدوا معابد ضخمة للإله آمون هناك، وهذا ما لم تكتشف عنه التنقيبات الآثرية.

4. أصول محلية (ليبيّ) :

ومن النتيجة التي توصلنا إليها في العناصر الأولى من هذا الفصل حول الأبحاث التي قام بها علماء الآثار والأنتربولوجيا، والتي أجمعت على أنَّ الجرميين نتاج اختلاط من العنصر المتوسطي الأَفريقي والأَثيوبي الزنجي الذي عرف استقرارا في المنطقة منذ العصر الحجري الحديث ،كون هذه الفئة تعتبر من الجيل الثالث في المنطقة وقد جاء هذا بمجهودات وخبرات الباحثين لسنوات طويلة مثل (س) شاملا (Chamla.C) و (ج) كامبس (Camps.G) وأنَّ معظم الادعاءات التي قدمت على أنهم جاءوا إلى اقليم فزان من مناطق أخرى لا تستند إلى حقائق علمية ثابتة وذلك لعدة أسباب منها:

أنَّ الجرميين من الناحية الفينولوجية واللغوية لا يتشابهون مع الأقوام الأخرى بمعنى ليس لهم ارتباط لغوي مع أحد خارج المنطقة[93]، فكيف يُدَّعى أنهم جاءوا من منطقة ما في الوقت الذي يوجد تباعد مكاني بين هذه المناطق واختلاف سكاني لها من حيث البقايا العظمية والتحليلات النووية التي تثبت أنّ جيناتهم إفريقية محضة، كما لم توجد لهم صناعات متشابهة لغيرهم خارج إفريقيا.

وقد حاول الباحث البريطاني (د) ماتنجلي (Mattingly.D.J) أن يثبت فرضية الأصل الليبي لسكان جرمة، إلا أنه صرح بأنّ الخليط العرقي الدقيق مازال غير مؤكد، لكن من المحتمل أنَّ هذا الخليط لم يخرج عن الصحاري سواء الشمالية أو الجنوبية وشرقي فزان وما هؤلاء الجرميون إلا استمرارية للعنصر المحلي الذي استقر في العصر الحجري الحديث، كما بينته المكتشفات الحجرية والخزفية في مستوطناتهم المبكرة إلا أنهم شملوا اتحادا أو مجموعة كبيرة من القبائل[94].

وقد ذهب البعض وعلى رأسهم (ب.ل.) كيروان (Kirwan.P.L) بأنَّ جرمة ماهي إلا قبيلة "التمحو" سكان جنوب ليبيا والتي تطرق إليها النص المصري، ويبرر ذلك بوجود سمات مشتركة فيما

---

[93] عبد الناصر الحجازي، المرجع السَّابق،ص62.

[94] Mattingly (D.J.), «In search of ramantes Alost Civilization of the libyan sahara», text of lecture delivred at the british Ambassadors Resilence, Tripoli,24, Februray 2000,p.11.

بينهم، وكما يعتقد أيضا بأن قبائل (القرعان) الحالية، التي كانت منتشرة في القرن السابع عشر الميلادي حتى بلاد النوبة، تمثل سكان واحة فزان الجرمية، وتقوم بنفس دورهم وهذا يعني أنانتشار القبائل كان واسعاً، حتى إنهم وصلوا إلى وادي النيل فتأثروا بأهله وأثروا فيهم[95].

ويبدو أنّ معظم الأبحاث والدراسات قد جاءت قبل الحرب العالمية الثانية، لذلك فهي تنظر للعنصر الأبيض بأحقيته في المنطقة وقد باشر في عرضها علماء آثار إيطاليون عملوا في فزان 1938-1945م فجاءت كمشروع استعماري يهدف إلى إحياء أمجاد الإمبراطورية الرومانية، ولتطبيق ذلك استغلوا الآثار الرومانية القديمة بشكل كبير.

أما أعمال التنقيب الآثارية بعد الحرب العالمية الثانية والتي قدمها دانيلز سنة 1959 وفق نتائج التنقيبات للبعثة الإيطالية سنة 1952 – 1959، فقد جاءت فعالة في توفير المعلومات عن الأصل المحلي وذلك بعد دراسة مقابر جرمة، إذ توصلوا إلى أن هؤلاء خليط من التوارق[*] والزنوج كما كشف دانيلز أيضا عن وجود بعض المميزات الزنجية التي بدت عندهم في الأزمنة الرومانية أو كونهم بقايا تأثير الجنس المتزنج الأثيوبي لكن مع وجود هذا الاختلاف حول العرق يرجح جمع كبير من الدارسين الرأي القائل أن للجرميين بشرة داكنة ويعيشون ضمن الأثيوبيين،وهناك من يناقض بشدة هذا الرأي بقولهم أنهم ليسوا أثيوبيين[96]، و ربما نجد أن الرأي الثاني صائباً كون هيرودت في القرن 5 ق.م أشار إلى أن الجرميين يطاردون الأثيوبيين عن طريق العربات فلو كانوا من عرق واحد لما فرق بينهما.

و مما تقدم من عرض هذه نظريات وتحليلها يبدو أنَّ الجرميين ليسوا من خارج فزان ولم يأتوا إليها من الخارج، بل إنهم ليبيون ، أي أنهم نتاج لتمازج قبائل ليبية عاشت في المكان منذ بداية الحياة البشرية وتجمع البشر خلال العصر الحجري الحديث حيث بدأ الاستقرار في هذا المكان، وأنَّ معظم الادعاءات التي جاءت بغير ذلك تهدف إلى إبعاد الجرميين عن الأصل الليبي سعيا منها إلى إنكار لوجود حضارة ليبية قامت بالفعل في الجنوب.

---

[95] Kirwan (P.L.), «Expeditions to the upper Nille and the chad Darfur region Libya in history», University of Libya of art, Bengazi,1986,p.257.

[*] يرى سرجي أنّ الجرميين أقرباء للتوارق، وهم بيض من سكان البحر المتوسط، مع ميل إلى السمرة، للمزيد يراجع (دانيلز تشالز، المرجع السَّابق، ص.43)

[96] تشارلز دانيلز، المرجع السَّابق،ص.42.

الفصل الثالث

الفصل الثالث :النظام السياسي والنشاط الإقتصادي في جرمة

أولا / النظام السياسي

I. تأسيس المملكة

II. نظام الحكم

ثانياً / النشاط الإقتصادي

I. الرعي

II. الزراعة و نظام الريّ في إقليم جرمة

III. الصناعة

IV. التجارة

الفصل الثالث :النظام السياسي والنشاط الإقتصادي في جرمة

أولا / النظام السياسي:

I. تأسيس المملكة:

استناداً للمخلفات الآثرية يلاحظ أنّ مدينة جرمة قد شهدت عدة تغيرات في مواقع استقرارها وأنها تأتي عبر مرحلتين:

1. المستوطنات المبكرة في جرمة (1000 ق.م – 500 ق.م):

يرجع تاريخ هذه المستوطنات إلى غاية منتصف الألف الأولى قبل الميلاد، كما أكدت دراسات (ت) دانيلز (Daniels Th) في مشروع بحثه حول فزان أن الجرميين إختاروا لبناء في هذه المستوطنات الجرمية المبكرة على رؤوس جبال المساك وطافت والأكاكوس والطاسيلي ومنحدراتها[97]، وتوجد مجموعة كبيرة من المستوطنات على حواف المنحدرات في وادي الآجال منها زنككرا وتيندا ، وخليف ، وتوش وأيضا في وادي الشاطئ منها تمَسَةُ وأدري، وفي منحدرات الأكاكوس مثل وادي كيس، وتشوينت في وادي تانزوفت، وغيرها من مناطق الصحراء الوسطى[98].

و أسفرت أعمال المسح والتنقب في أبحاث دانيلز أن الإستطان الفعلي كان بزنككرا حيث أجريت عينات عضوية مأخوذة من هذا الجبل فكانت النتائج المتحصلة وفق الكربون المشع (C-14) ترجعها إلى النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد[99].

وتوصف المباني الباقية في زنككرا. بأنها أكواخا بيضاوية تحتوي على أسوار ملاصقة منحنية ومعظم مداخلها تم تعظيتها بطبقة كثيفة من البقايا العضوية والبشرية و الحيوانية، كما عثر على مجموعة من النقوش و الرموز على الأسطح الصخرية وكذلك الفخار و الأدوات الحجرية المنتشرة على المنحدرات الجبل كلها تؤرخ إلى النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد. كما أحصى (دانيلز) في نفس المنطقة عن وجود 300 مسكن ومنطقة دفن في هذا التل وقد بدأ الإستيطان في بدية من الألفية الأولى قبل الميلاد، ثم توقف إلى حد ما في القرن الخامس قبل الميلاد في الوقت الذي بدأ فيه الأستيطان في جرمة، وقد إكتشف أثناء الحفر أن الكثير من الأسطح

---

[97] دانيلز تشالز، المرجع السّابق،ص.241.

[98] Mattingly (D.J.), The Archaeology Of Fazzan,Volume I, Synthesis, Published by the departements of Antiquities, Tripoli, The Society for Libyan Studies, London,2007,p.425.

[99] Daniles (CH.), Excavation and Field Work Amoust the Garamantes, Libyan Studies, Vol,20,1989,p.84.

الســـكنية داخل وخارج المباني من بقايا عضـــوية من روث الحيوانات، وبقايا أشـــجار النخيل، والفحم، وعظام الحيونات[100].

2. مملكة جرمة (500 ق.م – القرن 7 م) :

إنتهت مرحلة إســتيطان المبكر في زنككرا حوالي 500 ق.م تقريباً، وهو الزمن الذي بدأ يظهر فيه موقع سكني جديد وسط وادي الآجال وهو جرمة، غير أن إستيطان زنككرا ظل مستمراً بكثافة أقل حتى القرن الأول قبل الميلاد[101].

ويرجع تاريخ العينات التي أخذت من المســتويات القديمة لمدينة جرمة (الشــكل 25)، إلى الفترة الممتدة من 400 ق.م – 200 ق.م، وهي المرحلة الفعلية التي شـيّد فيها الجرميون العاصــمة جرمة و المدن الأخرى، أي أنها مرحلة الأستيطان المدني الفعلي، بعد إنتقال الجماعات التي تسكن بالمواقع المرتفعة و المحصنة مثل زنككرا إلى أرضية الوادي، وبنائهم بيوت إستقروا فيها وكونوا البلدات وأطلقوا إسم جرمة(*) على البلدة الأم[102].

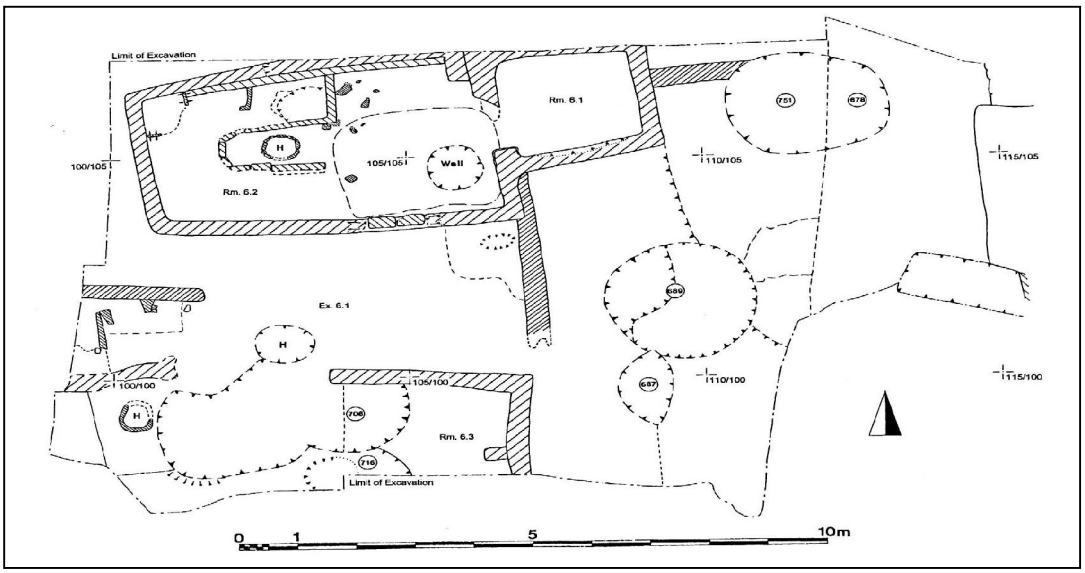

الشكل (25) : مخطط لمباني جرمة القديمة في القرن الأول الميلادي
المرجع: Daniles (CH.),Excavation..., Op.Cit,p.82.

(100) دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،246.

(101) الفاخري سعيد مبروكة، المملكة الجرمية في فزان (منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي)، مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، 2015، 121.

(*) أقيمت جرمة الجديدة على ضفاف بحيرة يصب فيها مجرى صغير ينبع من عين في قرية الديسا الواقعة الى الغرب من جرمة ببعض الكيلومترات، وكان يحيط بالمدينة خندق مملؤة بالماء يليه سور الحجرية أبراج مربعة وعليه أبواب أحدها للشرق، والثانية للجنوب ، والثالثة للغرب أما الناحية الشمالية فهي تطل على البحيرة...للمزيد يراجع (أيوب محمد سليمان، مختصر ....، مرجع السَّابق،ص.120.).

(102) نفسه، ص.121.

ويتضـــح لنا من خلال دراســـتنا الســـابقة أن الجرميين أقاموا في مدينة جرمة لتكون حاضـــرة لهم وذلك لأسباب الأتية:

أ. يعتبر موقع جرمة إستراتيجي فهو محاط بتحصينات طبيعية، حيث تحيط بها حمادة مرزق من الجنوب ورمال زلاف من الشمال.

ب. وقوع جرمة في وسط وادي الآجال الذي يحوي مخزوناً مائياً كبيراً وقريباً جداً من السطح الأمر الذي وفر مراعي خصبة وساعد عى إزدهار الزراعة الجرمية القائمة على نظام الفجارات.

ت. الموقع الجغرافي المميّز لجرمة مكّن الجرميين من التحكم في الطرق التجارية في الصـــحراء الوسطى.

II. نظام الحكم:

كان نظام السـائد في المجتمع الليبي العام قبلي بامتياز ، حيث بينت لنا النصـوص المصـورة على الآثار المصرية أو المدونة في الكتب الكلاسيكية عن كثرة القبائل التي سكنت إلى الغرب من مصر.

ترجح الباحثة (أ.خ) العقون ســبب وجود النظام القبلي إلى أنَّ الرعي والزراعة المحدودة، كانتا تُشـــكلان الجانب الأهم من حياة اللّيبيين، كما تعتقد نفس الباحثة بأن عامل عدم الإســتقرار يعود أســاســا إلى عدم وجود مصدر ماء ثابت كنهر النيل خاصة مع حلول الجفاف في منتصف الألف الثالثة قبل اليلاد، لذلك لجأ الليبيون إلى التنقل باستمرار للبحث عن الأرض فتية وخصبة مما اضطروا إلى تشكيل هذا النظام[103]، وقد يكون عامل وجود الحيونات المفترسة قد سبب قلة الزراعة عند الليبيين مما جعلهم يسعون في إيجاد مناطق تلائمهم في حياتهم القبلية أنذاك.

أما نظام الحكم في جرمة يراه الباحث (م.ك) عبد العليم ملكي غير مطلق ، فالملك هو رأس الســـلطة التنفيذية وهو ينتخب إنتخاباً من مجلس شيوخ القبيلة المكون من الرجال الكبار في المجتمع، ويجتمع هذا المجلس كل ثلاثة أشـهر أي مرة في كل فصـل[104]، ويعد الملك هو رأس الدولة، وقائد الجيش، والكاهن الأعلى، فهو مصـدر

[103] العقون أم الخير، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية ، مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب، عدد السابع، يناير 2006/ ذو الحجة 1427، ص.02.

[104] عبد العليم مصطفى كمال، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي،1989، ص.8.

السـلطة ، ويجمع بين السـلطتين الدينية و الدنيوية(*) كون عبادة جراما كما نراها في المبحث خاص باحياة الدينية أنها لم تكن إلا عبادة لشخص الملك أو الزعيم.

ويفيدنا المصدر المصري دائماً بأنّ رؤساء القبائل الليبية كانوا من طبقتين: رؤساء كبار ورؤساء آخرين من مرتبة أدنى، وكان الرؤساء من الطبقة الأولى يتحلون بريشتين بينما يتحلى الرؤساء من الطبقة الثانية بريشة واحدة ، أما واجبات وإمتيازات الرئيس الليبي فهي غامضة[105].

وتدّل النقوش المصرية على أنَّ الرؤساء الليبيين كانوا قادة في الحروب أو مستشارين للإتحاد القبلي في حالة وجوده، أما في وقت السلم فسلطتهم كانت ضئيلة[106].

كما تستقرئ الباحثة (أ.خ) العقون من النصوص الأثار المصرية بأنه كان لكل قبيلة رئيس يرعى شؤونهم ، وأنَّ الميزة العامة لنظام الحكم عندهم كان ديمقراطياً ، بمعنى أخر حسب الباحثة بأنه ليس هناك ملك أو السلطان بل القبيلة هي التي تختار رئيسها بنفسها وتقلده الحكم وترجع إليه في أمورها ، وتشترط في هذا الرئيس صفات تميزه عن غيره من العامة[107].

وفي وقت لاحق يخبرنا بركوبيوس (Procopius) أنّ رؤساء القبائل الجنوبية قد قدموا إلى منطقة طرابلس في مناسبة معينة لمقابلة القائد البيزنطي بليزاريوس وفقاً للتقليد السائد ليُثبتوا في مناصبهم وليتسلموا الشارات الرسمية التي كات عبارة عن (صولجان مطلى بالفضة، قبعة من خيوط فضية ولها عصبة فضية كذلك، عباءة بيضاء تثبت عى الكتف بمشبك مذهب، إزار أبيض مزركش، صندل مذهب)[108].

تبقى أقدم كل هذه الشارات الرياسة إستعمال ريشة النعام وجناحي الطائر والرداء الطويل المزركش الذي تجمع به شـواهد النقوش المصـرية، و كما توجد مؤشـرات على وجود نظام يحكم في جرمة فهذا "فرجيليوس" في إنياذته يحدثنا عن ملك "هيرباس" الشـهير وأنه من ملوك الجرميين الذين شـيّدوا معابد إله حمون في مملكته المترامية الأطراف[109]، ويعود تأريخ ملك "هيرباس" حسب أسطور "عليسا" إلى القرن التاسع قبل الميلاد، كذلك يصف بليني الأكبر أحد الملوك الجرميين قد رجع من منفاه برفقة وحراسـة مائتي كلب كانت تحارب كل من يتصـدى

(*) وهو نفسه موجود عند بقية القبائل الليبية التي كانت تعيش في منطقة طرابلس الغرب (اللوطوفاخي) أنّ زعمائها كانوا يجمعون فيها رئاستين الدينية و الدنيوية... للمزيد يراجع:(Ayoub (S.), Excavations...,Op.Cit,o.12.)

[105] البرغوثي عبد اللطيف محمود، المرجع السابق،ص88.

[106] Bates (O.), Op.Cit.,p.122.

[107] العقون أم الخير ، المرجع السَّابق ، ص ص. 02-03.

[108] بروكوبيوس القيصري، المصدر السّابق، الفقرة 32،ص.26.

[109] فرجيليوس، المصدر السَّابق، الفقرة 196، ص.209.

لمقاومته[110]، وقد سافر يوليوس متيرونوس جنوباً (إجيزيمبيا أرض التشاد) بصحبة أحد الملوك جرمة[111]، ونستند من خلال النص " بطليموس الجغرافي " الذي أشـار فيه إلى سـفر ملكا جرميا يدعى " مركين" قد خرج على رأس سفارة لمقابلة الإمبراطور الروماني " دوميتيانوس " في روما، وأنّ الملك الليبي لم يجد الأمبراطور في روما فسافر حيث قابله في بلاد الغال (ليون)[112].

ويقول إبن عبد الحكم بأن أحد ملوك جرمة المتأخرين، وكان في موقف حرج وحســـاس، وقد أجبر على السير على القدمين إلى معسكر عقبة بن نافع بعد الإستسلام للفاتحين العرب[113].

وكان حكام الأقليم يتلقون ســلطتهم من الملك مقابل تقديمهم الضــرائب وتنفيذ التعليمات، الأوامر التي تأتيهم من العاصـــمة، ويكون حاكم الإقليم نائباً للملك في إقليمه، وعندما يعلن الملك الحرب يمده هذا الأخير بالأفراد المقاتلين إن إحتاج الأمر، وكان لكل حاكم منهم قصــر يقيم فيه وجبانة خاصــة يدفن فيها بعد موته هو وأفراد أسـرته على درجة من الفخامة، ويدل ذلك على أن رعاياهم كانوا يحترمونهم ويوقرونهم، وقد كانت قصـورهم تدل على رفعة المكانة التي تمتعوا بها لاسيما وأنهم يمتلكون البيوت التجارية التي تشرف على القوافل ولا زالت آثار هذه القلاع أو بقايا منها متناثرة في واحات فزان إلى اليوم[114].

ويفسر الباحث أيوب محمد سليمان سبب ضخامة قبور الملوك أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم حكاماً لا في الحياة الدنيا فحســب بل في الآخرة أيضــاً وذلك واضــح من أنهم أقاموا مقابرهم على مكان مرتفع من الوادي يمكنهم من الإشــراف على رعاياهم الذين أقيمت جباناتهم في بطن الوادي، ومع أنه من المحتمل أن الملوك بجرمة كانوا في مبدأ أمرهم على الأقل من ســلالات البحر المتوســط، إلا أن وجودهم في فزان قد ســهل إتصــالهم بالسلالات الزنجية التي أثرت فيهم لدرجة أن الجرميين في النهاية قد تحولوا إلى شعب السوداني[115].

تقوم الحكومة بجمع الضــرائب ســواء من المواطنين أو من قوافل التجارة المارة بجرمة أو من الأقاليم التابعة لها، وعلى الرغم من أن نظام المحاسـبة، والمبادلة وكذلك أخذ الضــرائب لم يوجد بوضــوح عند الجرامنت، إلا أنها أشياء أكيدة ضمن إجراءات الإدارة في دول العالم القديم والحديث[116]، وعلى سبيل الإحتمال كانت هناك عدة

---

[110] بليني الأكبر، المصدر السّابق،، الفقرة 38، ص.31.

[111] بطليموس كلاوديوس، المصدر السّابق، الفصل الثالث، الفقرة: 10، ص.16.

[112] بطليموس كلاوديوس، المصدر السّابق، الفصل الثالث، الفقرة: 08، ص. 15.

[113] إبن عبد الحكم، المصدر السّابق، ص.97.

[114] أيوب محمد سليمان، جرمة من تاريخ...، ص ص 158 – 159.

[115] نفسه، ص.158.

[116] الزدام نجلاء عبد الله، المرجع السّابق،ص.75.

مصادر لهذه الضرائب أهمها الحيوانات و النخيل وقبل كل شيئ الضرائب المفروضة على القوافل ويظهر جزءاً من هذه الضـــرائب كانت تذهب للحكومة المركزية بجرمة بينما كان حكام الأقاليم يحتفظون بجزء أخر منها لأنفسهم[117].

وإذا كانت المنطقة التي عاش فيها الجرميين هي حقاً بتلك الضخامة و الإتساع، كما ذكر سابقا وكما قال بليني، فإن مملكتهم ربما كانت نوعاً من الإتحاد الكونفيدرالي، كما يبدوا الحال مع قبائل الجاتولي إلى الغرب من الجرميين، وربم وجد إتحاد ضم القبائل الأربع أو الخمس التي ذكرها بليني (رغم عدم التأكد من أنها جميعها جرمية) وربما وجدت في هذه الحالة رئاسات أو أرستقراطيات في وحدات القبائل المتحدة.

وقد مضى بعض المؤرخين إلى حد الإعتماد على القياس التمثيلي بشكل قوي بالنسبة للطوارق وشعوب البربر الأخرى لكي يقيم بناء المجتمع الجرمي وتنظيمه على أســـاس نفس التنوع من الزعامة، حيث نظام حكم الأنثى القوي، ويذكر بيتس في كتابه (الليبيون الشـرقيون) بأنه كان الأوسـينيون يفعلون من عقد مجلس كل ثلاثة أشهر[*] يضم جميع أعضاء من الرجال الناضجين[118].

---

[117] أيوب محمد سليمان، جرمة من تاريخ الحضارة...، المرجع السَّابق، ص 159.

[*] مازال هذه التنظيم سائداً عند قبائل إيموشاغ وإتحادات الصحراء والتي كان يتحتم إقرارها من قبل زعماء مختلف القبائل الطوارق فلم تكن وقفاً على إبن الملك الذي يموت، بل أنها من حق إبن أكبر لأخت الملك (الطالب بالتصرف)

[118] Bates (O), Op.Cit.p.107.

ثانياً / النشاط الإقتصادي:

I. الرعي:

يعتبر الرعي من أهم الجوانب الثقافية لدى المجتمعات الصحراوية، لكن ظهوره في منطقة الشرق الأدني كان مبكراً وذلك حسب المسار للحيوانات من الشرق إلى الغرب، كان نقطة إنطلاقه من أسيا ثم إنتقلت إلى مصر وبعدها إتجهت نحو الصحراء الوسطى، وفي فزان من خلال المحطات الفن الصخري المتواجد بها نلاحظ أن الفترة الرعوية أخذت مدة طويلة مقارنة بفترة الصيادين أو العربة و الحصان أو حتى فترة الجمل والكتابة الليبية، ولهذا يصعب لنا كثيرا تحديد الفترة العوية لوجود عدة تضارب، وعلى سبيل المثال ترى الباحثة (العقون أ.خ) أن هذه الفترة تمتد من 5500 ق.م إلى غاية 1200 ق.م [119] .

و مع البوادر تأسيس المملكة جرمة زادت أهمية هذا النشاط لدى المجتمع الجرمي، وتستنتج نفس الباحثة من خال إستقرائها للرسوم الصخرية المتنوعة و الممتدة من وادي النيل إلى غاية الأطلس الصحراوي، أن قدوم الرعاة للمنطقة الصحراء الوسطى قد كان في حدود 4500 ق.م ، ويعتقد كوبر (Kuper.R.) أنّ بداية الرعي في فزان قد ظهر في حدود 5000 ق.م، ويستدل بهذا من خلال نتائج لأكثر من عشرون ألف من مواقع الفن الصخري مع تحليل للبقايا العظمية المتحجرة في وادي ترهوشت ،ويرى أن المجتمع السائد في الفترة العصر الحجري حديث كان منتشراً من ضفاف النيل إلى غاية سواحل موريطانيا و التي مثلت ثقافة واحدة في الأصل[120]،

أما (هـ) لوت (Lhote.H.) يرى من خلال تحليله للرسومات الجدارية و المخابئ وزخرفة الفخار، ودراسته للبقايا المواد الغذائية التي وجدت ضمن مواقد الطهي و الخشب المتفحم لمجتمع الرعاة معتمداً بذلك على نتائج إختبارات الكربون (14) المشع تبين له أن وجود رعاة الأبقار في عدة مواقع من فزان وتادرارت الأكاكوس حتى الأهقار و الطاسيلي، وتم التأريخ لها حسب موقع،فوجدنا في منطقة تارارت الأكاكوس وهي جزء مهم من منطقة الصحراء الوسطى نجدها في حدود 5000 ق.م إلى غاية 2700 ق.م ، لكن في جبل العوينات فنجد 4100 ق.م إلى غاية 1350 ق.م، ووجدت في جاباران من 3512 ق.م إلى غاية 2550 ق.موفي صفار ب 3070 ق.م وفي مُهج إن إتنان جنوب إقليم جرمة فأعطى تآريخين 2910 ق.م وكذلك 2680 ق.م [121].

---

[119] العقون أم الخير، العلاقات الحضارية...،المرجع السَّابق،ص.113

[120] Kuper (R.), Felsbilder aus adi Ertan und wadi tarhosht, (Sudwest Fezzan ,Libyen) ,Akadem Druck, Graz , 1972,p.103.

[121] Lhote (H.), Donnes Recentes sur Les Gravures et les peintures rupestres du tassili, simposio internacional de arte rupestre,barcelona,1966,P.274.

أما (ج) لوكيلاك (Lequellec.J-L) فيعطي المجال الزمني للمرحة الرعوية في فزان إعتمادا على الرسومات الصخرية مع بداية الألف السادسة قبل الميلاد إلى غاية 1200 ق.م وأطلق عليها مراحل البقريات الثلاث(*) وقد قسمها إلى ثلاثة مراحل مختلفة وهي : مرحلة البقري الأول 6072 ق.م – 3952 ق.م والثاني 3952 ق.م – 2730 ق.م والثالثة ب 2730 ق.م، ويضيف أن هذه الفترات جاءت نتاجا إستقرار الرعاة المهاجرين إلى صحراء فزان وإلتقاء مع الثقافة المحلية كما يبينه الجدول الموالي[122].

إسم الموقع	الأبقار (ق.ح)	الأغنام (ق.ح)
تليزاغن	5900	4000
تاشوينات	4500	/
مساك	4500	4120
مرزوق	5500	5500
واد بريج	3100	4500
واد تلكوت	6800	/
وان مهجياك	6000	/
أكاكوس	6000	5500

جدول (02) : يبيّن التآريخ للرعي في فزان خلال العصر الحجري الحديث

Trousset (P-J), Despois, (Y). Gauthier,(Ch). Gauthier et E.B., [En ligne], mis en ligne le 24-02-20.

(*) لقد سميت باسم البقري لكثرة الرسوم المعبرة عن هذه الحيوانات، حيث أستعمل هذا اللفظ لأول مرة سنة 1952م من طرف بروي (Breuil.H) لوصف الرسومات الصخرية في منطقة طاسيلي ناجر، ومع 1972نادى ماتر (Maitre J.P.) بوجوب تعريف بفترة الرعاة وأقترح أن يطلق عليها إسم البقري على أناس عاشوا في الصحراء الوسطى مابين (5500 ق.م – إلى غاية 2500 ق.م)... للمزيد يراجع (حمودي محمد، دراسة وجه النيوليتي الصحراوي البقري الأسفل حسب المقطع الرابع لموقع تينن هناكتن (الطاسيي ناجر – الجزائر)، رسالة ماجستير في علم الآثار ماقبل التاريخ، قسم الأثار، جامعة الجزائر 02، 2001-2002،ص.10.)

(122) Le Quellec (J.L.),Op.Cit.p.133.

يُعتقد أن الرعاة كانت حركتهم من الشرق نحو الغرب، ولهم طريقان ، طريق ساحلي ويوصلهم إلى بلاد المغرب قديما ثم ينحرفون في الإتجاه الجنوبي نحو الصحراء الوسطى ، أما المسار الثاني فيعتقد أنه مطابق لدائرة عرض (24°) شمال خط الإستواء في إتجاه منطقة الصحراء الوسطى قادمين إليها من ضفاف النيل التي تبدوا أنها المعقل الرئيسي للرعاة، وأحد الأماكن المهمة التي توصلت إلى هذه الثقافة خلال العصر الحجري الحديث[123].

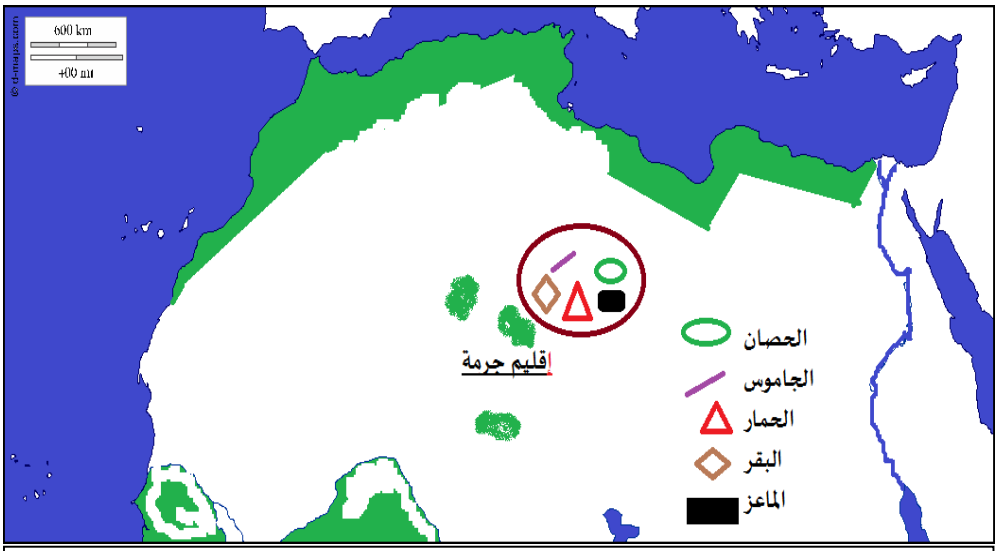

الخريطة رقم (13) : تبين أنواع الحيوانات التي تمّ إستئناسها في إقليم جرمة (من عمل الطالب من خلال معطيات الفن الصخري – دليل جريزوي ب ، لوكيلاك ج.).

تبيّن (الخريطة 13) أنّ الفن الصخري له دور كبير في إظهار أماكن الرعاة في إستئناس الحيونات وحتى أنواعها، قد تركزت في منطقة إقليم جرمة التي تعتبر جزءا من منطقة الصحراء الوسطى الأكثر تنوعاً في الوسط الحيواني المدجن نظراً لإتساع مجالها الجغرافي وذلك لمرحلة سابقة للفترة التاريخية.

وترجع الباحثة العقون (أ.خ) أنّ الرعي وتربية الماشية تقع في المرتبة الأولى من مقومات الإقتصاد الليبي، إلى جانب الزراعة ، وقد توصل الليبين إلى إستئناس الحيوان في العصر الحجري الحديث، ويظهر واضحاً على الرسوم الصخرية عندنا نلاحظ حيوان مستأنس وعلى رقبته طوق[124].

تعتبر الأبقار من الحيوانات التي ظهرت في الفن الصخري بكثافة ، فمثلاً كانت نسبتها تقارب (23٪) ، أما في الأكاكوس فقاربت (41٪) وظهرت بسبعة أنواع إستنتاجا من أشكال رؤوسها وقرونها[125]، وهذا مانلاحظه في (الشكل 26) أن هنالك إختلاف كبير في القرون مما نؤيد فكرة وجود عدة أنواع من الأبقار في

---

[123] وابل أحمد، المرجع السّابق،ص.140.

[124] العقون أم الخير، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية،مجلة العلوم الإنسانية، العدد 2-3 ،منشورات كلية العلوم الإنسانية و الحضارات الإسلامية، جامعة وهران ،01 جوان – ديسمبر ،2012.،ص.21.

[125] Aumassip (G.), Lélevage...,Op.Cit.,p.141.

الصـحراء الوسـطى وذلك من حيث الحجم و الطول و شـكل و التوجيه، ويطرح(ب) بك (Beck.P.) و (ب) هاوارد (Hauard.P.) جُملة من التفاصيل حول عملية إستئناس الألقار، ويؤكد أن الثور ذي الأصل الإفريقي يرجع إستئناسه في فزان سنة 5000 ق.م وفي مصر العليا ب 4200 ق.م، أما الثور الإبيري فكان متأخرا في تيبستي و فزان وحتى الأكاكوس وتاريخه حوالي 2000 ق.م.[126]

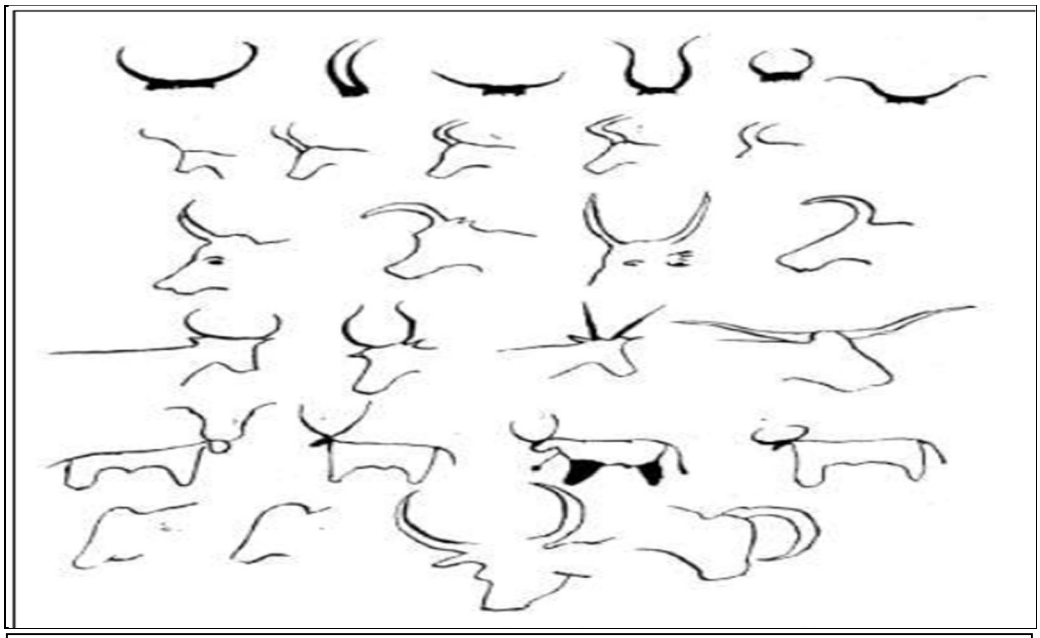

الشكل (26) : أشكال القرون في رسومات الصخرية بمساك والعوينات.

المرجع : Aumassip (G.), Lélevage,Op.Cit.,p.141.

بالإضافة للأبقار هناك الماعز كونه من الحيونات اتي تعيش في المناطق المعتدلة وشبه الحارة، كما أن هناك دلائل كثيرة تؤكد وجود هذا الحيون في مواقع أثرية من ينها البقايا العظمية، إضـافة إلى ظهورها في الفن الصـخري لمنطقة الصحراء الوسطى[127].

تم العثور على بقايا عظمية للماعز ذي طبيعة مدجنة في الموقع النيوليتي إن إتنان بطاسـيلي ناجر، وتمثل في طبقة روثية إضـافة إلى قطع عظمية متمثلة في الرأس تؤرخ ب 2800 ق.م، كذلك لدينا أثر مادي أخر بمنطقة مرزوق قرب جرمة ممثلة في قطعة عظمية لحيوان الماعز يرجح تاريخها إلى سنة 4000 ق.م.[128]

ونجد على طول إمتداد الصـحراء الوسـطى من جبل العوينات إلى غاية طاسـيلي حوالي (54) رسماً يبين عملية تدجين من بينها مشهد بأمقويد رسمت بشكل دقيق (الشكل 27).[129]

(126) Beck (P.), et Huard (P.), "Tibesti, carrefour de la prehistoir saharienne", annales econompies societes, civilistations, volume 25 ,n.05,1970,p.1309.
(127)Aumassip (G.), Lélevage,Op.Cit.,p.144.
(128) Le Quellec (J.L.), "Les images rupestres du Djebel el-uweynat", AR-N,n°19,2009,I.F.A.S, Jphanesburg.p.23.
(129) Ibid.p.23.

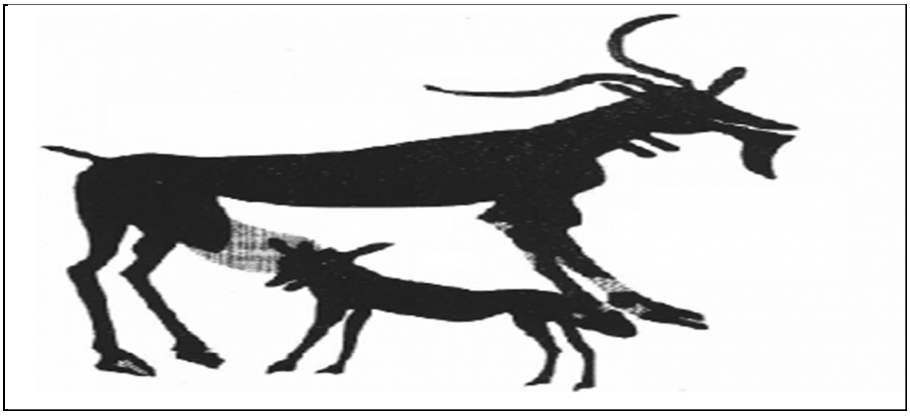

الشكل :(27) جدارية عنزة ترضع صغيرها –أمقويد، الصحرا الوسطى
المرجع : صندوق ستي، المرجع السَّابق،ص،50.

ويمكن القول أنَّ تربية المواشـي أخذت أشـواطاً متقدمة وتزايدت أعدادها وهذا إسـتناداً إى ما تم العثور عليه من لوح بالرمو، والذي يعبر عن مدى كثرة قبائل التمحو (سـبق وأن قدمت مقاربة لهؤلاء مع الجرميين)، قام الملك سـنيفروا سـنة 2613 ق.م – 2589 ق.م بإحدى الحملات حيث قدرت عدد الأغنام التي جلبت ب1420000 رأس، و 400000 من البهائم، والعدد نفسه بالنسبة للأبقار[130].

وقد إستولى الفرعون رعمسيس الثالث (الأسرة 20) في حربه الثانية ضد الليبين، على غنائم كثيرة منها ماشية متنوعة وهي بعدد 42.721 رأساً من الحيوانات المختلفة مقسمة على الوجه التالي: 107 ثور من ذوي القرون الطويلة ، 34 رأساً من الماشية مختلفة الأعمار، 34.738 رأساً من الغنم و 9452 من الماعز و184 حماراً و 92 زوجاً من الخيول التي تجر 92 عربة، إن هذه الأعداد إنما تشير إلى غنى ليبيا في الثروة الحيوانية[131].

يُقدر معظم الباحثين أن نهاية افترة الرعوية في فزان سـنة 2500 ق.م، تتناسـب مع تاريخ بداية فترة الجفاف في منطقة الصحراء الوسطى وبالتالي تظهر علاقة المناخ بالحياة اليومية ولقد أدى الجفاف إلى تغير الوسط النباتي و الحيواني في الصـحراء بل أعلنت عن نهاية مرحلة مهمة من الفن الصـخري وهو الدور الرعوي، مما جعل السكان يهجرون أماكن إستقرارهم المتصحرة، نحو مناطق بها مصدر ماء ثابت مثل النيل في مرحلة فجر التاريخ ، أو التراجع شمالاً حيث الأودية والأحواض[132].

إن إختفاء الغابات و هجرة الحيوانات أدى إلى تقلص في النشاط الإنسان، وقد وصفت بالفترة المناخية القاسـية وتجسـد ذلك في مظهر فني في نقوش طاسـيلي حول صـورة لبقرة تبكي وتذرف الدموع بغزارة، وكانت

(130) بن سعدي سليمان، المرجع السَّابق،ص.41

(131) العقون أم الخير،المرجع السَّابق،ص.22.

(132) نفسه،ص.22.

قراءة أحد المختصين أن سبب بكاء هذه البقرة هو رسالة أراد إيصالها هذا الإنسان وهو تحول المراعي و الأراضي الخصبة و السهول إلى أماكن جفافا وتحولها إلى صحاري قاحلة أبكت الحيوان و الإنسان معا[133]،رغم أن هذه الفترة الجافة لم تدم طويلاً بل كانت هناك عودة تدريجية للمناخ الرطب 1500 ق.م وظهور أصحاب حضارة العربة والحصان والذي سمي بالجرميين.

وعرفت منطقة فزان مع بدايات الألف الأولى بطبيعة رعوية بوجود مساحات تشتغل الرعي في جرمة القديمة، ونجد أنهم إشتغلوا بتربية الماشية كالغنم والماعز، فالحفريات التي قام بها تشالز دانيلز في جرمة و زنككرا كشفت عن وجود بقايا عظام الحيوانات خاصة بالماعز والغنم[134].

يشير هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد،إلى وجود الحيوانات البرية بما فيها الأبقار التي ترعى القهقري (المدبرة) في مناطق الجرميين، وطبقاً لروايته فإن السبب يرجع إلى أنّ قرون تلك الأبقار كانت منحنيّة إلى الأمام الأمر الذي يجبرها على الرعي، وهي في تلك الوضعية، أنها لو رعت للأمام لإنغرست قرونها في الأرض[135]، أما الكاتب بومبونيوس ميلا يؤكد لنا أيضا أنّ الجرميين يملكون نوعاً من الثيران تميل برؤوسها للجنب عندما ترعى وذلك لأن قرونها الطويلة الممتدة للخارج تمنعها من أن تتجه برؤوسها مستقيمة لأرض[136].

ومما يدل على ماذهب إليه هيرودوت وبومبونيوس ميلا النقوش الآثرية و الرسومات الفخارية الموجودة بالصحراء الوسطى، كما أنّ هذه الرسوم تثبت صحة القول لهيرودوت أن تلك الأنواع من الأبقار كانت موجودة عند الجرميين، ولا زالت تستعمل حتى اليوم في دارفور وغرب كردغان بالسودان.

كما أنَّ مملكة جرمة كانت تربي أنواع أخرى من الحيونات البرية وقد أظهرت الرسوم الصخرية مشاهد الحيونات المختلفة وأساليب صيدها، كما نسترجع مأكدته صلاية الأسد والعقبان وصلاية الأسود على مدى براعة الليبيين في الصيد، حتى أنه في عهد الأسرات المصرية كان الملوك يفرضون عليهم الجزية من خلال ماكانوا يصطادونه ، وفي هذا الصدد أشارت المراجع إلى أن الملكة " حتشبسوت" من الأسرة الثامنة عشر قد فرضت على قبيلة التمحو جزية تمثلت في سبعمائة سن فيل وعدد كبير من جلود الفهود[137].

لقد أشارت المصادر الكلاسيكية إلى مدى غنى ليبيا في الداخل أي ماتشكل مناطق نفوذ الجرميين بالحيونات البرية، حيث يذكر أرسطو طاليس في كتابه " الحيوان" أن " الحيونات المتوحشة أكثر توحشا وجسارة في أسيا منها في أروبا، ولكن في دروب الداخلية لليبيا تبدي الأشكال الحيوانية غني وتنوعا أشد."[138].

---

(133) Aumassip (G.),Op.Cit.,p.143..

(134) الزدام نجلاء عبد الله، المرجع السَّابق،ص.94.

(135) هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 183،ص62.

(136) أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،ص.45.

(137) Bates (O.),Op.Cit,p.93-99.

(138) Aristotle,"Generation of animals",Harvard University Press,Loeb Classical Library,1943,VIII,28.

وقد وصف لنا هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد مشهد شيق للحيوانات البرية في إقليم البدو الرعاة حسب تسميته للمنطقة الممتدة من غرب مصر وحتى بحيرة تريتون، حيث ذكر بأنه توجد الأنواع التالية " الضباء والتياتل وبقر الوحش والحمير ووالضباء الوحشية ، والتي من قرووها تصنع جوانب الربابة الفينيقية لأن حجم هذا الحيوان يشبه الثور".[1]

لقد كشفت الرسوم الصخرية في فزان عن مشاهد لطيور النعام، والتي كانت منتشرة بدرجة كبيرة ، وأكد لنا مشـــهد في جبل العوينات ، ويعود إى الدور الرعوي القديم، بأنه جرت محاولات لتدجينه وذلك لأجل ريشـــة وبيضة، فضلاً عن جلده ولحمه[2]، وبناء على ذلك ذكر لوكان السمسياطي(Lucian) في القرن الثالث الميلادي " "كان الجرميين يصطادون طيور النعام في الجهات الجنوبية منهم"[3]، كذلك ظهر مشهد لطيور النعام في فسيفساء فسيفساء زليتن، وقد عثر في المقابر الجرمية على عقود صنعت من حبات بيض النعام[4].

وبيّنت لنا محطة تادرارت الاكاكوس صور لزراف بتقنية ملونة ، وعنها ذكر "ديودور الصقلي" أنه يوجد في ليبيا نوع من الزراف يتميز برقبة أقصر من رقبة الجمل[5] ، كذلك "لوكان السمسياطي" على قيام الجرميين بحملات بحملات لصـيد الفيلة والطيور في المناطق الجنوبية منهم"[6]، كما بينت لنا لوحة فسـيفسـاء في غرفة التجارية لميناء أوستيا القديم أن صبراته كانت مختصة في تجارة الفيلة حتى أخذت من الفيل شعاراً لتجارتها مع إيطاليا، ولا شك أن هناك فرق مختصة من الجرميين في التعامل مع هذه الحيونات حية.

كما إستجلّب الرومان الحيونات المفترسة من جرمة وبهذا الصدد يذكر لنا بطليموس الجغرافي إلى حملة التي قام بها "يوليوس ماتيرنوس" إلى المنطقة الجنوبية من أرض الجرميين، وقد عاد ومعه العديد من الحيونات البرية التي قام باستعراضها في روما، وقد أثار حيوان وحيد القرن الإستغراب."[7].

الظاهر أنَّ الحصـــان كان موجوداً في ليبيا قبل الألف الخامســـة قبل الميلاد[*]8،ثم إختفى ليعاد إدخاله إلى المنطقة في النصـف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد، ويرجع كامبس (Camps.G.) أنّ ظهور الحصـان المدجن في

---

[1] هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 192،ص.77.

[2] موري فابريزيو، المرجع السَّابق، ص.64.

[3] Lucien de Samosate,Dipsades,2.

[4] Ayoub (M.S) , Excavation..,Op.Cit,p.18.

[5] Diodurs de Sicile, Bibliothéque Historique II,50.,Trad: l'Abbé Terrasson,http://remacle.org/bloodwolf/historiens/diodore/livre2a.htm

[6] Lucian, Dipsades,2.

[7] بطليموس كلاوديوس، المصدر السَّابق، الجزء الأول، الفقرة: 10، ص.16.

[*] لقد دَّلت المعطيات الآثرية على قدم الخيليات التي عاشت في شمال إفريقيا قبل مرحلة الهولوسان، حيث تم العثور على الهيارون الإفريقي بموقع بوحنيفية و الذي يؤرخ إلى إثنا عشرة مليون سنة[8]، بينما يؤرخ في موقع كولناطة بحوالي 10800 قبل الحاضر، حيث تم العثور عليه في مستويات الحضارة الوهرانية، كما وجدت بقايا سلالة الهيارون الليبي محفوظة ضمن طبقة فيلافريشيان ، وقد تم العثور في طبقات العاترية التي تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى على بقايا أحفورية تعود للحصان الموريطاني تؤرخ ب 30000 قبل الحاضر، وكل هذا جعل بومال وشايدة سعودي يؤكدان على أن الحصان قد

فزان كان حوالي 1500 ق.م ، ويفترض أن أحفاد الهكسوس الذين هاجروا إلى ليبيا بعد طردهم من مصر حوالي 1550 ق.م، هم من أدخلوه إلى فزان بينما استخدم في الشرق الأدنى القديم في حوالي 2000ق.م، وقد حدث هذا بعدما قامت القبائل الهيندو أوروبية بإستئناسه[1].

وقد يتوافق كامبس مع أيوب الذي أرجع ظهور الخيول عند الجرميين إلى القرن السابع عشر ق.م،حيث جاء هذا الحيوان إلى مصر مع الغزاة الهكسوس الأسيويين وبطبيعة الحال إنتقل الجواد من مصر إلى ليبيا وشمال أفريقيا بعد ذلك التاريخ، يرى ريداجواي (Ridgeway) خلاف هذا الرأي فهو يرى بأن فزان وبرقة بالذات كانت الموطن الأول للحصان وهو يدل على رأيه بأن الأختام التي وجد عليها رسم الحصان بكريت ترجع للعصر السابق للمينوي الأول أي إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد،ومن المعروف أن الأقوام الذين أنشأوا حضارى العصر الحجري بكريت وهو العصر السابق للمينوي الأول كانوا مهاجرين من برقة، فلا بد وأنهم أحضروا الحصان معهم من برقة ، ولهذه النظرية عدة ثغرات أولها هذا الحيوان لو عرف ببرقة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد لا تنتقل مع القبائل الليبية المهاجرة إلى مصر، ولعرف هناك قبل القرن السابع عشر قبل الميلاد، وهو الوقت الذي ظهر فيه الحصان لأول مرة بوادي النيل عقب غزو الهكسوس،كما أنه لا يرد في النصوص للدولتين القديمة و الوسطى أية إشارة إلى وجود الخيول بين حيوانات القبائل الليبية التي إحتك بها المصريون، ولعلّ لوحة " بيعنخى" الموجودة بالمتحف المصري هي أول إشارة إلى وجود الحصان في يد الأمراء الليبيين إذ تقول اللوحة " إن الملك الكوشي بيعنخى قد تأثر جداً من هزال خيول الأمير الليبي نمرود أثناء حصاره للمدينة"[2]

أما في جبل الأكاكوس فلم تظهر بها الخيول إلا مع العهود الجرمية كون الرسومات الصخرية أظهرت العديد من مشاهد الخيول من الوضعيات تجر عربات، أو تطارد أشخاص، أو في مشهد قتالي أو سباق في تاريخ لا يتجاوز الألف الأولى وهو وقت الظهور الجرميين في فزان[3].

لقد دللت المصادر الأدبية على وجود الخيول لدى القبائل الليبية ومنهم الجرميين، وبناء على ما أورده هيرودوت، فقد إعتاد أفراد قبيلة الجرميين على مطاردة سكان الكهوف " التراجلوديت" بعربات تجرها الخيول[4]،

وجد في ليبيا قبل الألف الخامسة قبل الميلاد، ثم إختفى ليعاد إدخاله إلى المنطقة في النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد...للمزيد يراجع : (صندوق ستي، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية،جامعة وهران 2015،01-2016،ص.40.).

[1] Camps (G.), Chars protohistorique de L'afrique du nord et du sahara de guerre ou véhicules de prestige,encyclopedie Bérber,XII,1993,p.87.

[2] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،ص.94-95.

[3] باريش باربارا، حفريات جديدة في جبل الأكاكاوس، ترجمة مكائيل محرز، منشورات مركز الجهاد الليبي، طرابلس، 1979،ص.133.

[4] هيرودوت، المصدر السَّابق، الجزء الرابع، الفقرة 183،ص62.

من جهة أخرى يبدو أن حرص الجرميين على تربية الخيول كان كبيراً حيث أفادنا الجغرافي سترابو " بأن ملوك جرمة كانوا يمارسون تربية الخيول بشغف وإهتمام كبيرين، وحتى أن عدد الأمهار قد يصل إلى مائة مهر سنوياً"[1].

وفي سياق مصدر نفسه أشار سترابون في فقرة أخرى " بأنَّ الخيول الليبية تميزت بكونها حيوانات وديعة تروض بسهولة يمكن للأطفال إمتطاها، وهي حساسة لصوت المزمار الذي كان يستخدم في بعض الأحيان لتوجيه حركتها وضبط سرعتها، ورغم صغر حجمها ونحافتها إلا أنها كانت شديدة المقاومة للإعداء عند الضرورة، وقادرة على القيام بأسفار طويلة وسريعة العدو"[2].

لقد أشار (س) أكصيل (Gsell.St.) إلى أنَّ الخيول الليبية التي كانت في الصحراء ومنها الجرمية لهاخصائص، ربما لم يدركها القدامى في وجهة نظره، وهي تتمثل في القدرة على الصبر والتحمل العطش و الجوع، ولعل هذا يفسر كيف إزدهرت تربية الخيول لدى المجتمع الجرمي القديم في المناطق الداخلية ذات المناخ الصحراوي الصعب[3].

وقبل ظهور الخيول كانت الحمير تستعمل في القوافل الصحراء ، وهناك عدة إشارات في النصوص المصرية القديمة أن هذا الحيوان كان يستعمل في القوافل التي كانت تسير لآلاف الكيلومترات عبر الصحراء الوسطى، ويشير حرخوف على جدران مقبرته بأسوان أنه كان يستعين بالقوافل الليبية التي تضم أكثر من ثلاثمائة حمار ليصل إلى بلاد اليام و الواوات[4].

كما أنّ هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد يقول بأن الحمير كانت تستعمل على أيامه في عبور الصحراء وهو يروي قصة مفادها أن بعض النسامونيين قد عبروا الصحراء من سواحل شاطئ مدينتا (يقصد قورينة) على ظهور الحمير[5].

وفي هذا السياق يقول أحد الرواة وهو "أثين" إنَّ قوافل الجرمية كانت تتكون في بعض الأحيان من عدد الكبير من الحمير وقد إستعان أحد التجار القرطاجيين ويدعى " ماجو" ثلاث مرات هذه القوافل المزودة بالحمير لعبور الصحراء، لأن الجرميين كانوا أدرى بطرق القوافل[6]،ونرى في كثير من النقوش الصخرية أن الحيونات التي تجر العربات ليست كلها من الخيول إذ هي من الحمير.

---

[1] سترابون ،المصدر السَّابق ، الفصل الثالث ، الفقرة 23 .ص.119.

[2] نفسه، الفصل الثالث الفقرة 3،ص. 98.

[3] أكصيل إصطيفان، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، الجزء الثاني، مطبوعات أكاديمية للمملكة المغربية، ط1 ، الرباط،2007، ص.193 -195.

[4] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،ص.201.

[5] هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة، 172 ،ص.46.

[6] Athénée de Naucratis, Deipnosophistae, édition critique grec-latin par Schweighauser, 2 volumes,Strasbourg, 1969, II.2p.39.

ويذكر أيوب أن ظهور الجمال في فزان مرتبط بالتصحر، إذ يستثني الجمل البري الذي وجد منذ عصور ماقبل التاريخ، حيث جاء الجمل لأول مرة إلى مصر مع الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد،وقد إصطحب إسكندر عدداً منها في رحلته إلى سيوة، إلا أن هذه الواحة ظلت لمدة طويلة الحد الذي وصلته الإبل غرباً، وظل إنتشار الجمل في شمال إفريقيا محدوداً لمدة طويلة إذ لم يرد ذكر لهذا الحيوان في الوثائق الأفريقية و الرومانية في القرون التالية لوصول الإسكندر إلى سيوة، ولعل أول ذكر لإستعمال الجمال بأفريقيا كان التقرير العسكري الذي ذكر فيه أن قيصر قد غنم من أعدائه بشمال أفريقيا إثنين وعشرون جملاً سنة 46 ق.م، فهذا العدد القليل يدل على إستعمال الجمال كان محدوداً وقليلاً[1]

نعتقد أنَّ سليمان أيوب لم يدقق في مسألة الفن الصخري و الأشكال التي تمثل الجمال وراكبيها في فزان ويصاحب هذه الرسوم الأخيرة في العادة كتابات بحروف التيفيناغ ،ويرى جرزوري بأنها ترجع لعصر الجرمي الحديث نسبيا ويتميز الأسلوب في هذه المرحلة ببساطة يصور أصحابها على شكل تثليث متقابل أما كامبس يرجها مع القرن الخامس قبل الميلاد[2]،ونلاحظ أن الجرميين قد إستغنوا عن الحصان نوعا ما في هذه المرحلة من خلال الرسومات الركض الطائر بالأكاكوس والتي تعود إلى مرحلة الجمل[3].

[1] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق ،ص205.

[2] جرزيوري باول ، المرجع السَّابق،ص.59.

[3] غابريال كامبس،المرجع السَّابق.ص.140.

II. الزراعة و نظام الري في إقليم جرمة:

1. الزراعة:

تعتبر الزراعة من أهم مقومات ومن أبرز ثقافات في التاريخ البشـــري منذ فترة العصـــر الحجري الحديث، وكان الحد الفاصـل بين حياة الصـيد كحرفة طوال الوقت إلى حياة الإقتصـاد الزراعي، وقد توفرت الزراعة في فزان بمنطقة الصـحراء الوسـطى على الأقل في الألف السـادس و الخامس قبل الميلاد، ولكي يثبت وجود هذا النشـاط يجب علينا جمع الأدلة الممكنة ومن بينها : البحث الأثري وتحليل الفن الصـخري، إضـافة إلى المصـادر التاريخية التي شهدت إزدهار الجرميين في هذا المجال.

ويرى (ج) كامبس (Camps.G.) أنّ أولى بوادر ظهور الزراعة في الصـحراء الوسـطى كان بموقع (أمكني)، واســتنتج من التقارير المخبرية وجود حبوب الطلع أو اللقاح لبعض البذور المزروعة تشـــبه القمح المدجن و الذي يؤرخ لها في حدود 6700 ق.م، وبالتالي توصـل إلى فكرة إحتمالية ممارسـة الزراعة، وغير بعيد عن الموقع الأول تم العثور في موقع (مينيات) على بعض البذور من نوع (سـلتيس أو سـتراليس) في الطبقة السـفلى على عمق 100 سم، ويؤرخ لهذا الموقع ب 3450 ق.م[1]،

كما ترى الباحثة (أ.خ) العقون أنّ قبيلة التحنو التي تواجدت غرب مصـــر قد زودت المصـــريين بزيت الزيتون في عهد الملك الخامس من الأسـرة الأولى[2]، يمكن أن نقرب هذا الحدث تاريخيا ونصـبح في حدود 3000 ق.م ، ومنه نؤكد أنّ سـكان الصـحراء قد تحكموا جيداً في التنوع الزراعي وهذا ما يؤكده "ديودور الصـقلي" على إهتمام القبائل الليبية الصحراوية بالزراعة منذ عهود قد خلت[3].

ولنتعرف على النطاق الجغرافي لتواجد الزراعة في الصحراء الوسطى قام الباحثان (م) مارتينز و(ب) كويزال (Martinez.M.- Quezel.P.) بجمع عينات على مساحة متسّعة من أجزاء فزان و طاسيلي وحتى الحواف الجنوبية للصـحراء الوسـطى (الخريطة 14)، توصـلا إلى وجود حبيبات تعود إلى بذور القمح أو الشـعير واعتبر أن الأماكن مابين فزان والغات حتى الطاسيلي كامن من المواقع للممارسة الزراعة النموذجية بوجود مجاري مائية[4].

وتبدو لي أنّ هذه المعطيات تبقى غير مؤكدة، لهذا وجب علينا البحث عن مصـــادر أخرى ربما تفك الغموض وأحسـن موثق هو الفن الصـخري كمرجعية مهمة التي بينت لنا الشـواهد الرئيسـية التي تمثل جوانب من الحياة المجتمعات الصـحراوية في المرحلة النيوليتية،وبينت لنا في الصـحراء الوسـطى مناطق عديدة عن هذه الأعمال خاصـة منطقة تادرارت و طاسـيلي والتي بينت أناسـا منحنين على الأرض ويسـتعملون أدوات مقوسـة زيادة عى

---

(1)Camps (G.), les civilisation…, Op.Cit.,p.258.

(2) العقون أم الخير، الدولة الأمازيغ...،المرجع السّابق،ص.64.

(3)Diodurs de Sicile, XX,Pp.49.50.

(4) Quzel (P.) Martinez (C.), Op.Cit.,p.219.

المشاهد الحصاد بالمنجل يستنتج في أغلب التفسيرات أن هذه المشاهد ماهي إلا رسومات نساء ذاريات للحبوب أو جامعات للســـنابل تبين وجود الزراعة في هذه المنطقة خلال فترة العصـــر الحجري الحديث، ومايثبت واقعية المشاهد المشاهد كثرة الرحى والمهارس[1].

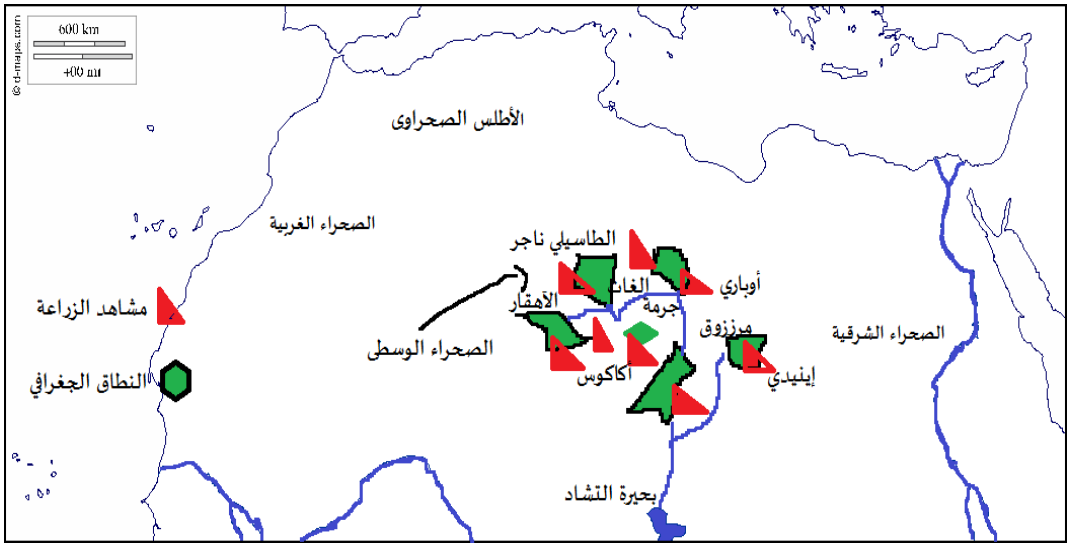

الخريطة (14): تبين مناطق إنتشار الزراعة بالصحراء الوسطى (من عمل الطالب) نقلاً عن المعطيات : Quzel (P.) Martinez (C.), Op.Cit.,p.219.

ويفسر لنا (هوارد) مشهد وجد في "عين هابتر" بالأكاكوس أنه يوضح عملية درس للحبوب أو حركة ضـرب السـنابل القمح بقضـبان من الخشـب وتخرج البذور من جراء هذا العمل ثم توضـع في أواني فخارية للتخزين وهي شبيه بالنقوش التبستي التي تبين عملية إنبات الأغصان (الشكل 28)، كما يصف لنا هاوارد كذلك رسم أخر في موقع تين بوهجاج لمرأة جالسة على ركبتيها وماسكة بمدق أو مسحاق بيدها اليسرى من أجل التدوير أداة الطحن[2]،كل هذه المشاهد تتوافق مع الوسط الطبيعي في منطقة مساك وأكاكوس وتيبستي التي أثبتت الدراسات الآثرية على وجود بقايا نباتية أرخت بالتقريب 3500 ق.م[3].

وفي مرحلة فجر التاريخ ، تمدنا الآثار المصـرية القديمة بلوحة أطلق عليها إسـم لوحة " الحصـون و الغنائم" وهي لوحة تمثل سـبعة قلاع، ربما ترمز لمدن ليبية تابعة لتمحو، وعلى الوجه الثاني تبدو الأشـجار والثمار وخاصـة أشجار الزيتون.

---

[1] كي زيربو (ج.)، الفن الإفريقي في ماقبل التاريخ،ترجمة بنعسي،ب،كتاب تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول،المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في إفريقيا، الأسكندرية/اليونيسكو: الهيئة العامة لمكتبة،ص.690.

[2] وابل أمحمد، الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري الحديث، أعمال الملتقى حول الريف والمدينة،المنعقد يومي 06-07 نوفمبر2013 بجامة معسكر، تحت إشراف بختة مقرانطة،ص.210.

[3] Huard (P), Nouvelles graveures rupestres d'in habter (fezzan sud-occidental, Libye), Bull de la Soc Phréhist ,fr,1971,p.619.

أما المرحلة اللاحقة وهي الدولة القديمة في مصر، فقد تحصل المصريون على زيت عرف باسم " حاتت تحنو" أي زيت تحنو مستخرج من أشجار الزيتون، كما تحصلوا على الخمور من الواحات الليبية التي إشتهرت ولا تزال بأشجار النخيل، كما تشير إلى ذلك رسومات جدران مقبرة المسمى " أوسر أمون" من الأسرة الثامنة عشر، أما في الأسرة التاسعة عشر، فإن النصوص المصرية تشير إلى إنتصارات الفرعون مرنبتاح وأنه " أخذ كل نبات ينمو في مزارعهم وتركها خراباً[1].

تؤكد المصادر القديمة أيضاً وجود راعة النخيل والمحاصيل الأخرى في وحات فزان، قد أيدت ذلك مسوح الآثار والحفريات في فزان، بوجود عينات المسوحات النباتية التي عثر عليها في بعض الحصون الجرمية في جبل زنككرا ذات أهمية خاصة في إثبات قدم زراعة كل من القمح و نخيل التمر وبعض المحاصيل المروية الأخرى، كما إنتشر إستيخدام أشجار النخيل في بناء كل من الحصون والقرية العسكرية (VICVS) في بونجيم (الجدول 03).

النباتات المزروعة	المعدل	عينات الأخشاب	المعدل
الشعير	ب.م.ج	الزيتون	ب.م.ج
القمح	ب.م	الخيرزان	ر.ض.
الزيتون	ب.م.ج.	النخيل	ر.ض.
النخيل	م.ج	الطرفاء	م.ج.
اللوز	ب.م.ج.	الأكاسيا	م.ج.
البقول	ب.م.		
التين	ب.م.		

الجدول (03) : النباتات المزروعة والبرية في منطقة جرمة القديمة وبونجيم وزنككرا – رموز المعدل: ر.ض = الري الضروري – ب.م = بحاجة الماء – ب.م.ج = بحاجة للماء ومقاوم للجفاف – م.ج = مقاوم للجفاف.

ماتنخلي ديفيد جون، المرجع السَّابق،ص.42.

[1] العقون أم الخير،المرجع السَّابق،ص.21.

وفيما سبق من هذا، دليل كاف على أن الليبين القدامى وحتى الجرميين بشكل الخصوص، كانوا يعرفون الزراعة جيدا ، وأنهم كانوا يقومون بامتهانها، وهذا هيرودوت يؤكد لنامنذ القرن الخامس ق.م، عن كيفية إستغلال الجرميين للأرض حيث يقول : " وهؤلاء يزرعون التربة بعد أن يبسطوها فوق الملح..."[1]، وهذا ما يؤكد معرفة الجرميين بتقنيات الزراعة في تمكنهم من التغلب على الملوحة الأرض وذلك بنشر طبقة من التربة تحتاج إلى المياه المتدفقة، ومن الملاحظ العام لوادي الآجال هو من أكثر الأماكن بالصحراء الوسطى غناءا بالمياه الجوفية ونجد أن المياه تخرج تلقائياً على شكل عيون وهو مايفسر بوجود العديد من الواحات تساهم في الإنتاج الزراعي.

وتعود معرفة الجرميين بالملح إلى وقت مبكر من تاريخهم، ربما إلى الألف الأولى ق.م وفي هذا الصدد أشار (د.ج) ماتنجلي (Matingly.D.J.) أنّ قوافل التجارة الصحراوية التي كانت مكونة من الثيران و الحمير قد نقلت الملح ولكن إبتداءا من القرن الثالث ق.م حلت الخيول محلها. وكان إنتاج الملح عند الجرميين يتم بجانب بحيرة في شمال شرق جرمة وتعود إلى عصور ماقبل التاريخ(*)، ويشير أيضاً إلى أن الملح الجرمي ليس نقياً، ولهذا كان يحتاج إلى إعادة تنقية[2].

أشارت المصادر الأدبية إلى أشجار النخيل في بلاد الجرميين، وقد أورد هيرودوت عن ذلك قائلاً: " إنه توجد أشجار نخيل كثيرة ومثمرة"[3]، كما ذكر ديودور الصقلي " إن تمور ليبيا الداخلية صغيرة وجافة"[4]، ولكن بلين الأكبر يعاكش قوله حيث ذكر " بأن امناطق الداخلية من إفريقيا إلى موطن الجرميين مغطاة بأشجار النخيل الرائعة الحجم وثمارها اللذيذة"[5].

وفي السياق نفسه نوّه " ثيوفراستوس" (Theoprastus) إلى أن التربة الملحية في ليبيا ومصر وفينيقيا تناسب أشجار النخيل[6].

ويرى دانيلز تشالز (Daniels.Th) أنّ الحفريات بيّنت وجود النخيل منذ فترة مبكرة و بكثرة نظراً لصعوبة نمو أشجار الفاكهة الأخرى، وتشمل الواحات الكبرى عدداً يتراوح بين المئات إلى الآلاف من أشجار النخيل، وهو مطابق لما ذكره بليني الأكبر أنّ " دواخل إفريقيا حتى موطن الجرميين، وكذلك الصحراء مغطاة بالنخيل التي

---

(1) هيرودوت ،المصدر السَّابق، ،الفقرة،183، ص65.

(*) لقد أظهرت المعطيات الآثرية أنّ هناك العديد من السبخ والبحيرات الملحية تصدق رواية هيرودوت فبالإضافة إلى جرمة توجد مناطق أخرى مثل وادي الشاطئ وتراغن و القطرون جنوب غرب فزان وتحديد غات، وفي السياق نفسه عثر في وادي أدري على رواسب ملحية تغاطي مساحة 35 كلم وبقشرة 40 سم، وكذلك في موقعع أغرام نظاريف والتي تعني مدينة الملح وجدت بها الاف هيكتارات زراعية مغطية بالملح للمزيد يراجع ,Mattingley (D.J.) (Trade In The Ancient Sahara,p.199).

(2) Ibid,p.199.

(3) هيرودوت، المصدر السَّابق ، الفقرة 183،ص.65.

(4) Diodurs de Sicile,II,53.5.

(5) بليني الأكبر، المصدر السَّابق، الفقرة 33، ص.95.

(6) Theoprastus,Enquiry in to plant,IV,3,5.

تمتاز بحجمها، فاكهتها الحلوة المذاق الزكية الرائحة" ، ويضيف تشالز أن لقي تحليلات اللقاح و المواد الأخرى التي إكتشفت له أثناء الحفريات، المزيد من الضوء على الحياة الزراعية هناك، ويحتمل أن تكون أنواع كثيرة من الأشجار و النباتات قد نمت عند الجرميين، وخاصة القمح و الشعير والحبوب الأخرى، والخضار المتوعة والكثير من الأعشاب في جرمة القديمة[1].

وفي زنككرا بينت الإكتشافات بوجود العديد من بقايا قشور جافة و بقايا فاكهة، كما دلت تحليل العينات من النباتات المزروعة منذ الألفية الأولى تشمل التين، الدخن، الشمر، السماق، و الحشائش التي كانت بحاجة للري، ووجود الأعشاب يدل على وجود الأرض الجافة و الملحية[2].

ويمكن الإشارة على حساب الأدلة الآثرية للبعثة البريطانية على وجود مساحة مزروعة في ووادي الآجال حول جرمة تزيد عن 120 كيلومتر مربع، وزيادة سكانية تقدر خمسة ألاف نسمة[3].

ومن أهم الآثار التي تدل على أهمية الإنتاج الزراعي عند الجرميين وجود نظام " الفجارات" والتي ماتزال آثارها باقية إلى يومنا هذا.

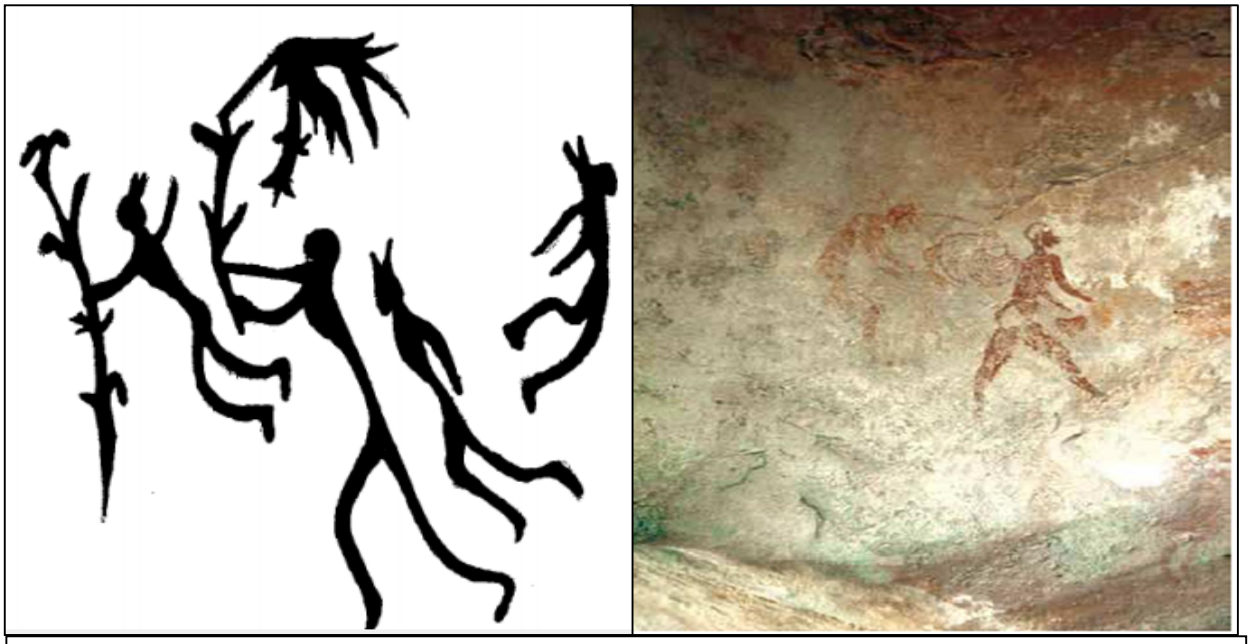

الشكل 28 : <u>المشهد الأول</u>: يبين عملية تذرية الحبوب بمساك – <u>المشهد الثاني:</u> إعادة إنبات الأغصان من طرف الأشخاص وهم في حالة فراركانهم يفرون من الجفاف ؟

Huard (P), Nouvelles graveures…,Op.Cit,p.623.

(1) دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص.80

(2) Mattingly (D.J.), In sear of the Gram, Pp.07-08.

(3) Ibid.p.08.

2. النظام الري (الفُجّارات) عند الجرميين:

تظهر الفُجّارة تحت عدة مسميات، قناة، فلج، و تجدر الإشارة إلى أن نظام الفُجّارات قد إنتشر في المناطق الجافة و يبدو أنها اخترعت في بلاد فارس، احتمالاً في وقت مبكر من الألفية الأولى السابقة للميلاد، وانتشرت غرباً إلى مصر (بحلول القرن الخامس ق.م.) خلال الفترة الأخمينية، وتؤرخ بعهد أرتاكيركس الأول 426 – 466 ق.م وبما أن هناك صلات ثقافية وتاريخية بين مصر وفزان منذ أزمنة مبكرة أصبح من المحتمل أن تكون الفجارات قد إنتقلت من مصر إلى فزان خلال النصف الثاني من الآلفية الأولى السابقة للميلاد[1]، ومن هناك إلى بقية العالم المتوسطي في الحقبة الرومانية ومن ثم أدخلت الفجارات إلى أسبانيا في القرن الميلادي التاسع عن طريق أهل الشمال الأفريقي خلال الفتوحات الإسلامية، وفيما بعد إنتقلت إلى أمريكا اللاتينية عن طريق الكونكيسدادور (المستعمرين الأوربيين). وجدت الفجارات بالإضافة إلى فزان في الصحراء الجزائرية وأجزاء من المغرب[2]. ومع أن معظم الباحثين يعتقدون بأن الفجارات أُدخلت إلى فزان إما في العصر الروماني أو في الأزمان الإسلامية، وأنها انتشرت إلى الجزائر والمغرب في القرون الوسطى.

إن العمل الميداني لمشروع فزان أوضح أنها أدخلت إلى هذه المنطقة في تاريخ أقدم من ذلك؛ ويبدو واضحاً الآن أن الفجارات انتشرت احتمالاً إلى الصحراء الجزائرية من فزان. حيث تزداد بوفرة مقارنة مع نماذج فزان، بخاصة طالما أن العديد من النماذج في الجنوب الجزائري استمرت في الاستخدام حتى القرن العشرين، خلافاً لفزان[3].

وللعودة إلى الفزان في الفترة القديمة كان المناخ جافاً للغاية في الألفية الأولى السابقة للميلاد مما يعني عدم نمو المحاصيل الزراعية بدون ري، لا سيما بعد جفاف العيون، وهذا ما يؤكد وجود ري صناعي في فترة مبكرة من الحضارة الجرمية، ويدعم ذلك إرتباط التجمعات السكانية بتجمعات الفجارات في واحات فزان ، ومما لا شك فيه أن الكثافة السكانية كانت مدعومة بزراعة المستقرة[4].

أما بالنسبة لدخول الفجارات إلى فزان ، فمن المؤكد أنه كان في فترات سابقة لإحتكاك الجرميين بالرومان، ومايؤكد ذلك أن أعمال التنقيب التي قام بها " دانيلز" قد كشفت عن وجود بقايا الحبوب، وتشمل القمح الأحمر، الشعير، الكروم، أشجار شوكية، ونباتات أخرى ...إلخ، وكذلك القصب الذي ينمو في مستنقعات، والمناطق السبخية، ويعني ذلك أن هناك كميات وفيرة من المياه في المنطقة وفرة ظروف نموه، وذلك منذ القرن التاسع ق.م حتى القرن ق.م في زنككرا[5].

---

(1) ما تنجلي ديفيد جون، المرجع السَّابق، ص.88.

(2) Van Der Veen (M.), "Gramantieon Agriculture,Libya Studies, Vom,23,1992,p.76.

(3) ماتنجلي ديفيد جون، المرجع السَّابق، ص.88.

(4) عبد الرحمن أسامة، ندوة المدن و التمدن من منظور رؤية تطورية للتعقد الثقافي في دراسة حالة: الجرمنت في فزان و المرويون في وادي النيل السوداني – دراسة مقارنة– مجلة الآثار السودانية أركاماني ، العدد السادس، مارس،2005،ص.14.

(5) Daniels (C.M.), Exca,and fie..., Op.Cit,p.57.

برغم الصعوبات في تحديد تاريخ إستخدام الفجارات إلا أنّ الأعمال الميدانية الجارية حالياً في فزان، وفرت العديد من المؤشـــرات لتاريخ الفجارات، مما دفع ما تجلى لإســـتنتاج بأن فُجَّارات وادي الآجال شـــيدت بعد أن توقف إســـتخدام الجبانات غير الحاملة للفخار، لكن قبل فترة إســـتخدام الجبانات المؤرخة بالقرن الرابع ق.م حتى الثاني ق.م[1].

يمكن أن تكون الفُجَّارات ســـابقة تاريخية لتلك الجبانات و التي يكون مكانها أختير في هذه الحالة بحيث يتم تجنب الفُجَّارات أو تكون قد حفرت عندما كان الناس لا يزالون يدفنون الموتي في الجبانات المتجمعة التي تم إحترامها.

قد كشـــفت أعمال التنقيب بوادي الآجال عن وجود إرتباط بين النقوش بالأبجدية التيفيناغ، وممرات بالقرب من منبع العديد منها، وجودت هذه النقوش على الصـــخور حول منحدر "تجاليت"، ولهذه النقوش المجاورة للممرات و الفجارات دلالة، فمن المحتمل أنها تسّـــجل أسماء الناس الذين إشـــتركوا في عملية تشـــيد الفُجَّارات، وصيانتها، أو أسماء المالكين لها، ويبدو أنّ هذه الأبجدية في النقوش ترجع للقرن الثاني ق.م.

ويصل عدد الفُجَّارات في فزان حسب تحليل "ماتنجلي" إلى ستّمائة فجارة ،كما يبلغ عمق الممر الواحد حوالي 40 متر، مع إجمالي قنوات تمتد إلى عدة الآف الكيلومترات يُرجح أنها تعود إلى الفترة الجرمية، يتطلب من أجل بنائها حوالي 48 ألف رجل يعملون يومياً على مدار السنة (أو فريق مؤلف من 1000 شخص، على مدى 72 سنة.[2]

وقد إستخدم هؤلاء الجرميين هذا النظام المتقدم في الري كونه عبارة عن سلسلة من الآبار الإرتوازية تربطها قناة من أسـفل، وتوصـف هذه الأخيرة بأنها تأخذ المياه من الجرف وترسـلها إلى الأجزاء السـفلى من الوادي عن طيق نفق قليل الإنحناء و الســـمة التي تميّز بناء الفجارة أنها تحفر ممرات عمودية أشـــبه بالبئر على بعد مســـافات محدّدة وتحفر الأنفاق لمسـافات قصـيرة أسـفل الممرات، ومهمتها إزالة الأوسـاخ، وتهوية النفق أثناء الحفر، وتسـمح لعدد من فرق الحفر بالعمل في وقت متزامن كما تسـاعد في عمليات تنظيف الأنفاق من آثار الردم المسـتخرج من الممرات[3] (الشكل 29).

وللتطرق حول الفُجَّارة وادي الآجال التي شيدت خلال الفترة الجرمية، يمكننا طرح عدد من الاستنتاجات حول الكيفية التي تمكن بها الجرميون من استغلال وادي الآجال، وأيضاً وادي البرجوج، وواحة مرزق والحفرة،

---

[1] عبد الرحمن أسامة، المرجع السَّابق،ص.16.

[2] Mattinglay (D.J.),Op.cit.,p.25.

[3]عبد الرحمن أسامة، المرجع السَّابق،ص.16-17.

حيث كانت الفجارات تشكل القاعدة الهيدرولوجية للمدنية الجرمة (الشكل 29)، ومكّنت من النشوء زراعة كبيرة مستقرة لإعالة أعداد كبيرة من سكان هذه المنطقة الجافة[1].

وعليه، يتبيّن لي أنَّ إدخال تقنية الفجَّارة يعتبر عنصراً مهما في ظهور الدولة الجرمية الموّحدة، مما يسمح بري مناطق أوسع وخلق فائض زراعي أكبر، وظهور متطلبات تعتمد على اقتناء الرقيق.

كانت هناك طرق مختلفة إعتمد عليها الجرميين في بناء الفجارة، بدءً من حفاريّ القنوات المتخصصين أو هنالك فرضية قابلة للاختبار قد تؤكد بناء الفجارات الجرمية في فزان تم باستخدام العمل العبودي. فالجرميون اصطادوا بلا جدال التروجلوديت الإثيوبيين منذ أزمان مبكرة، غالباً لاستخدامهم عبيداً. ولا شك كانت المتاجرة بالرقيق مركباً هاماً في تجارة الجرميين وترحالهم عبر الصحراء وقد تكون فرضية مساعدة للجوء إلى العربة الطائرة التي تعتمد على السرعة في إقتناء العبيد[2].

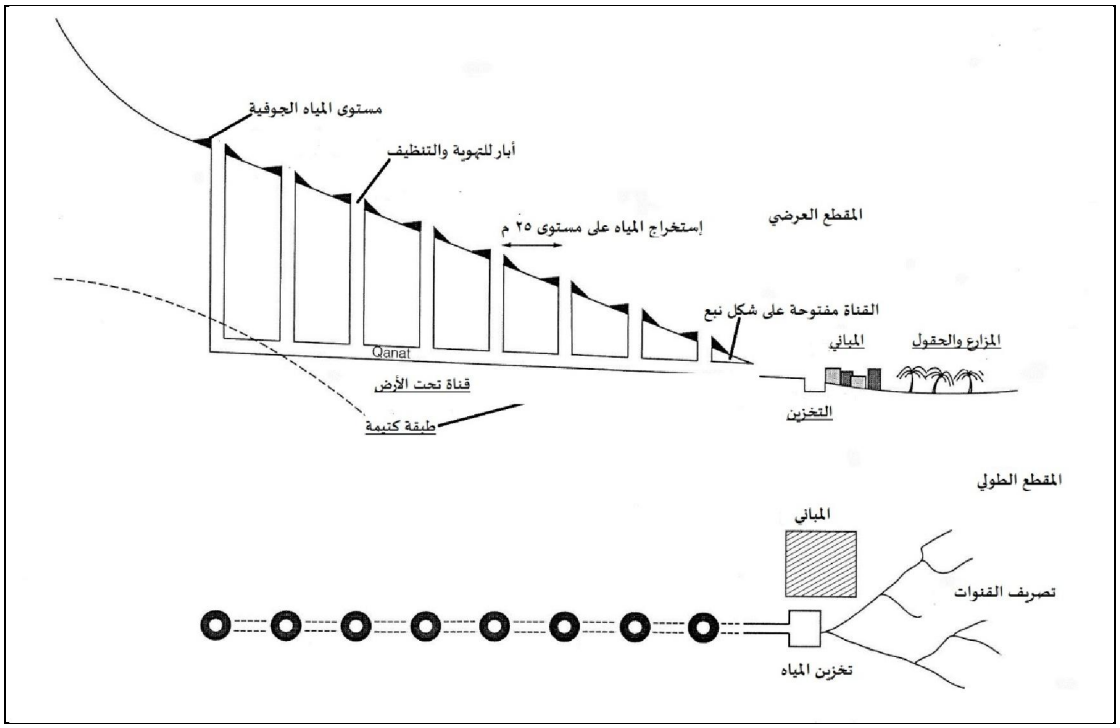

الشكل (29) : مقطع طولي و عرضي للفُجّارة و توابعها (ترجمة الطالب).
Mattinglay (D.J.) In sear of the Gram...,Op.cit.,p.25.

[1] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص.79.

[2] Mattinglay (D.J.),Op.cit.,p.25.

الشكل (29): انموذج من فُجَّارات وادي الأجال (الوجه القبلي لمنطقة جرمة).
https://www.temehu.com/Cities_sites/museum-of-germa.htm (29-05-2019)

ويصف لنا تاكيتوس (Tacitus) ذكر للفُجَّارة قائلا: " أنَّ الجرميين إعتادوا على تشيد الأبار للإستخراج المياه الباطنية عن طريق الرقيق،لكن في حالة الحرب يقومون بطمرها حتى لا يدرك الأعداء الطريق المؤدي إلى موطنهم."[1].

وجاء في تقرير البعثة الفرنسية التابعة لمعهد البحوث التونيسية إثر زيارتها لفزان وقيام ببعض الحفريات في وادي الآجال برأسة بلير (Bellair.P.) وجاء في فقراتها الطويلة حول إشكالية الفُجَّارات :

" ... وعلى الحافة الجنوبية للوادي الآجال، وعلى إمتداد حوالي مائتي كيلومتر، يوجد عدد كبير من الفجارات التي تمتد من سفح الحماد الصخرية إلى بطن الوادي...،أدى كثرة الفجارات التي كانت قد أقيمت بالمنطقة إلى الإعتقاد بأن عدد الأيدى العاملة التي شيدت تلك الفجارات، كان كثيراً جداً ، إلا أننا يجب أن نضع في الإعتبار ، أنّ جميع هذه الفجارات لم تشيد في وقت واحد بل شيّدت على مر العصور، وإذا نحن نظرنا إلى هذه المشكلة على أساس المساحة اتي كانت هذه الفجارات تقوم بريها، فإننا نجد بأنها لا تزيد على ثاثة أو أربعة أضعاف المساحة امزروعة حالياً، وهذا يعني أيضاً أن عدد السكان م يكن ليزيد خلال تلك العصور عن السكان الحاليين إلا بنسبة قيلة جداً.

واليوم نرى من بقايا هذه الفجارات التي بطل إستعمالها منذ مدة طويلة آثاراً دراسة، ومن المظنون أن هذه الفجارات نشأت في الأصل كنتيجة للبحث عن عيون المياه أو مايسمى بالآبار الإرتوازية، ومن المستبعد أن تكون هذه الفجارات من عمل الجرميين في البداية، إذ شهد كل الكتاب القدامى أن العصر الجرمي كان عصر زراعة و

[1] Tacitus,Annals,IV.2.3, Tacite, Annales, Oevres complétes de tacite, trad: brunou (JL) Libraraire de Hachette (L), Paris, 1859.http://remacle.org/bloodwolf/historiens/tacite/annales4.htm (14-05-20) 17:35.

رعي، وأنه يعتمد على مياه الينابيع، ولذا فمن الأصـح أن نفترض بأن هذه الفجارات إنما أُقيمت في عصـر تا بيد شعب بلغ أوّج كماله المادي وأراد أن يؤخر أفول مجده نتيجة لإنخفاض المستوى المياه الجوفيه[1].

III. الصناعة:

كانت الصـناعة أحد الأنشـطة الموجودة في جرمة، ويشـهد على ذلك بعض المقتنيات الموجودة في متحف الجرمة العام، ومن أدق الصـناعات الجرمية الحلي الذهبية، وكذلك الفضـية، و المطعمة بأنواع من الأحجار الكريمة، كالفيروز العقيق الأحمر (الجدول رقم 04)[2].

كما أنهم إتخذوا صناعات فخارية متنوعة وقد دلت المراكز الصناعية حسب تقارير الفرنسية بسانية جبريل على عـدد من اللقي الفخـارية وأفران خـاصـــة بـالفخـار المحلي، كمـا أنهم قلـدوا القوارير و الزهريـات الإغريقيـة، والمصنوعات الحديدية عند الجرميين[3].

وبالنســبة للمصــنوعات الحديدية فلم تتم معرفة أماكن وجود الحديد في أراضــي الجرميين، ويرجح بأنهم استخرجوه من منجم سردليس بالقرب من غات، ووادي الشاطئ الواقع على طرق القوافل

كما عرف الجرميين بعض الصــناعات الدوائية، حيث اســتخدموا ســم العقارب كعقاقير ضــد بعض الأمراض، وعرفوا الطرق الوقائية من سموم الأفاعي[4].

المنتوج الصناعي	المرجع
النسيج	دانيلز ، التنقيبات ، 1991 ، ص 7
الفضة والذهب	أيوب ، جرمـة، ص218، دانيلز ، 1991 ، ص 12
النحاس ، الحديد	دانيلز ، 1991 ، ص 12 .
الفخار	ماتنغلي ، طرابلس، ص81.
الجدول رقم (04) ، يبيّن أهم المنتوجات الصناعية في إقليم جرمة	

(1) Bellaire (P.), Gobert (E.G.), Jodot (P.), Op.Cit,p.135.

(2) أيوب محمد سليمان، مختصر...، المرجع السَّابق، ص.83

(3) Belair (P.), « Mission Au Fezzan…»,Op.Cit,p.89.

(4) Ibid,p.89.

IV. التجارة :

كانت التجارة من أهم الموارد التي ســـاهمت في إزدهار مملكة جرمة، ذلك أنه كان لها دوراً بارزاً في ربط الجنوب الليبي بشـــماله، ومن الجلي أنهم تاجروا بمنتجاتهم كان لهم الفضـــل في إيصـــالها إلى الســـاحل، ولعل أهمها الحجر القرطاجي، الملح، الحيونات المفترســـة، الأخشـــاب القادمة من الحبشـــة، العاج والذهب...وغيرها[1]، وتمَّ إيصال هذه السلع عن طريق شبكة من الطرق التي كانت تشقها القوافل الجرمية، وهذا ما جعل العاصمة المملكة أن تكون حلقة الوصل بين البحر والمتوسط، ووسط أفريقيا (السودان، تشاد، النيجر).

لقد أســـهمت تجارة الجرميين في إقتصـــاد المدن الســـاحلية كالقورينة والمدن الثلاث، وعن طريقها إغتنى الجرميين كوسطاء، وسيطروا على نقاط الراحة الواقعة في وسط الصحراء، لم يتوقف نشاط الجرميين في نقل السلع من الداخل إلى الســـاحل، وربما يكون نشـــاطهم إزداد بعد تحســـن علاقاتهم بالإغريق و القرطاجيون والرومان في الفترات اللاحقة، وسنتعرض للحديث عنها بالتفصيل في الفصول اللاحقة.

إرتكزت التجارة الجرمية على الطرق ووسائل النقل و على خاصية الصادرات و الواردات:

1. المسالك التجارية:

لعبت فزان دور إقتصـاديّا مهما في تاريخ منطقتي الصـحراء الوسـطى وغرب إفريقيا (الخريطة 15)،ولقد ساهمت عوامل كثيرة في تذليل الصعوبات أمام القوافل العابرة للصحراء فساحل البحر المتوسط عند خليج السدرة يعرج كثيراً إلى الداخل مقربا المسافة بين سواحلة وإقليم السافانا في الجنوب[2].

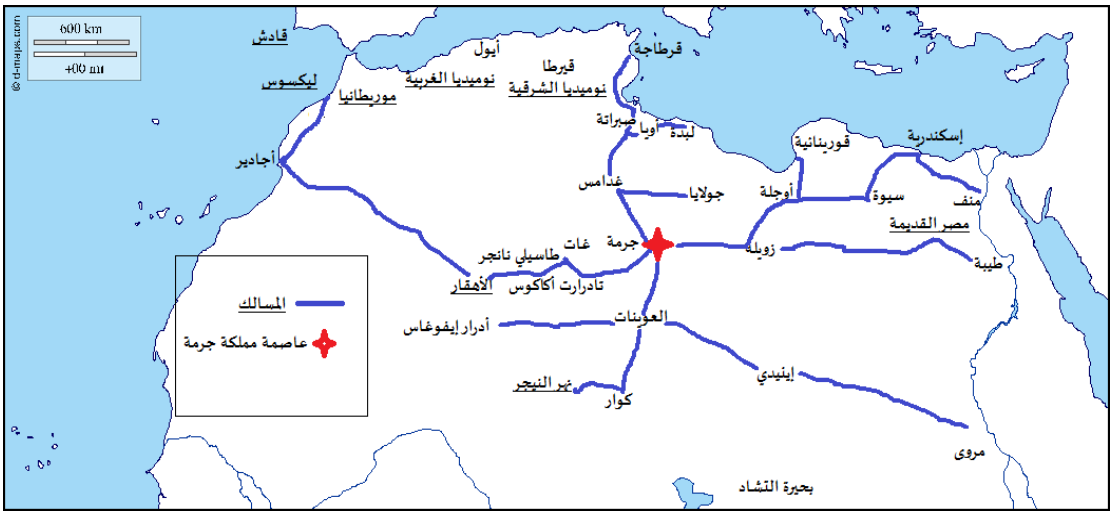

الخريطة (15) : تمثل المسالك والطرق التي كانت تستعملها القوافل الجرمية بين الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا (من عمل الباحث حسب معطيات د.ماتنجلي – ت.دانيلز).

[1] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص.120.

[2] إلياس أحمد حسين، طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، 1989،ص.212.

ويتضـــح لي، أنّ هذه الدّروب الصـــحراوية لم تكن ســـهلة و كانت محفوفة بالمخاطر والمتاعب لوعورة مســـالكها وبدائية وســـائل إيصـــال، لذا تطلب حمل كميات كبيرة من المياه في تلك الطرق الوعرة، وبعد أن خبر الجرميين تلك الطرق أتقنوها جيداً، وهنا نرجح قيامهم بوضـــع علامات مميزة على جوانب الطرق لتمييزها، وذلك من خلال أدلاء أصبح الأمر ميسراً.

كشـفت أحد المصـادر أنه كان للجرميين أدلاء صـحراء، ولاشـك أنَّ مهمتهم كانت قيادة قوافل التجارة البرية، والتعرف على مواطن المياه الجوفية وفي هذا الصـــدد يذكر "تاكيتوس" في حولياته" أن الجرميين إعتادوا طمر آبار المياه الجوفية الواقعة في الطريق المؤدي إلى موطنهم"[1].

ومن ناحية أخرى أكسـبت الواحات المنتشـرة بين السـاحل وفزان في قلب الصـحراء من جهة، وبين فزان وحوض بحيرة تشاد من جهة أخرى ربط طرفي الصحراء الوسطى الشمالي والجنوبي[2]، وسهّلت الإتصال عبر هذه المحطات الطبيعية، كما نوه "بليني الأكبر" لوجود الحيوانات المختلفة حلاً لمشـــكلة الغذاء لأصـــحاب القوافل[3]، بالإضـافة إلى إمتداد المناطق الصـخرية الصـالحة للسـفر الدواب و العربات من السـاحل إلى جرمة ومنها إلى تبستي شرقاً أو طاسيلي الآهقار غرباً،

كانت الطرق التجارية الجرمية تمر عبر محطات برية كما تبينه أيضـا لوحة بوتنغر (الشـكل 31)، إعتادت القوافل أن تحط رحالها عند هذه الآبار طلباً للراحة ولسـقي الدواب، وقد تطورت لتصـبح مراكز تجارية ثم تطورت إلى مدن مثل مدينة غدامس (Cidamus).

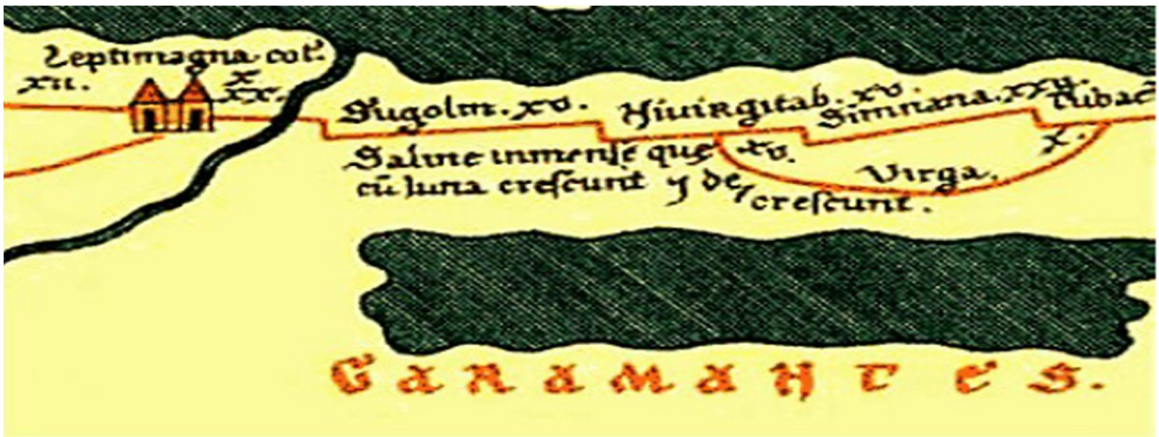

الشكل (31) :جرمة ومدن المجاورة لها من خلال طاولة بوتنجر

Bibliotheca Augustina, Tabula Peutengeria, Pars XII, Seegentum VIII
https://www.hs-augsburg.de/~harsch/Chronologia/Lspost03/Tabula/tab_pe09.html

(1) Tacitus,"Annals",IV.2.3.

(2) إلياس أحمد حسين، المرجع السّابق، ص 114.

(3) بليني الأكبر، المصدرالسّابق ،الفقرة 26،.ص.29.

وعن الطرق التجارية نجد:

أ. طرق تربط جرمة بالمدن الثلاث (Emporia) :

- يمتد الطريق الأول من جرمة عبر وادي الآجال ومنها إلى سبها إلى دبدب بوادي الشاطئ ثم إلى الشويرف بوادي زازامت إلى قرزة وصولا إلى مدينة لبدة الساحلية[1]، وقد أكد بطليموس على وجود طريق بربط لبدة الكبرى بجرمة[2]، وعلى الأرجح أنه نفسه الطريق الذي أشار إليه بليني الأكبر كونه شائعاً في عهده[3]، وقبلهم هيرودوت الذي حدد طريقه الأقصر عندما صرح بأن طريق التي تربط جرمة بأكلة اللوتوس (اللوطوفاخي) تستغرق ثلاثين يوماً[4].
- طريق كان يمتد من جرمة إلى أدرى ومنها إلى الصحراء أوباري مروارا بكيدامس إلى مدينة صبراته، ويرى فريق من الباحثين بأن هذا اطريق من أهم الطرق التجارية بالنسبة لمدينة صبراتة حيث كان عاملاً مهماً في إزدهار المدينة إقتصاديا، كما يعد هذا اطريق من أسهل ادروب لقلة مايعترضه من جبال وعرة، وتعتبر كيداميس (غدامس) نقطة إتصال مع عدد من المناطق الداخلية، كما أن الأخيرة ترتبط بصبراته بثلاث طرق لم يتأكد منها بعد لقلة الأدلة.
- من المرجح أنه كان هناك طريق ربط بين جرمة وإقليم قورينائية، ربما كان يمتد عبر الواحات الشمالية مثل الجفرة ثم ودان وهون ربما إى ساحل سرت الشرقي، ومنها إلى المدن الإغريقية،
- يسير الطريق أخر من جرمة إلى سبها ومنها إلى سوكنة وهون إلى ودان وصولا إلى ماكا مارس (سرت).
- طريق أخر يعتبر من أقصر الطرق حيث ربط جرمة ثم إلى تكرتيبا عبر صحراء أوباري ومنها إلى طريق الوحات (الدوادة) ومنها إلى برجن ثم وادي زجرة ومسعودة إلى الشويرف إلى غربانن ومنها إلى أويا[5].

ب. الطرق التي ربطت جرمة بالجنوب الصجراء الوسطى:

- طريق يربط جرمة ومنطقة بحيرة تشاد حيث كان الدرب يسير من جرمة إلى تساوا ثم شرقاً إلى البدير وتراغن ثم اواوات فالكفرة ومنها يتجه جنوباً إلى العوينات وجبل أندي فمنطقة بحيرة

---

[1] أيوب محمد سليمان،جرمة...، المرجع السَّابق،ص.200.

[2] بطليموس، المصدر السَّابق،ص.10.

[3] بليني الأكبر، المصدرالسَّابق ،الفقرة 27،.ص.31.

[4] هيرودوت، المصدر السَّابق،الفقرة 183،ص62.

[5] العقيلي فاطمة سالم، الصادرات الجرمنتية من خلال النصوص الأدبية والمخلفات الأدبية، المجلة العلمية للدراسات التاريخية و الحضارية، العدد الثالث، جامعة سبها، ليبيا، 2009 ،ص.77.

تشـاد، وقد كانت هناك علامة تشـير إلى الطريق امذكور وتتمثل في قلع دائرية حوالي (20 كلم) جنوب أغرام نظاريف.

- طريق يمتد من جرمة إلى تسـاوا،رحيث يوجد أطلال قلعة ومقبرة جرمية ثم إلى قصـر مارا، ثم شـرابة، ويمر عبر الصـحراء إلى مرزق ثم جبال تبسـتي ومنها إلى مرتفعات كوار وأجدور إلى ضـفاف نهر النيجر، ومن المرجح أن يكون هذا الطريق هو الذي سلكه القائد الروماني " يوليوس ماتيرنوس" وبصحبنه ملك جرمة وذلك عام 100م.
- أما طريق التي تعبر طاسـيلي وتتهي عند منحنى النهر علمت بمباني صـخرية كبيرة أسـفل قرية الفيويت الحالية وتشير آخر أعمال التنقيب التي أجريت سنة 2002، إلى أن هذا الموقع يرجع للقرن الأول ق.م، وبالتالي فهو أقدم من حصن أغرام نظاريف الذي يرجع للفترة الجرمية الكلاسيكية[1].
- طريق ينطلق من جرمـة إلى العوينـات إلى سـلمـة بـالقرب من الوهين (وادي حلفـا القديمة) كما أن هناك درب أخر يتجه من أندي إلى كردفات بالسودان ثم إلى مروي.
- ومن الطرق المؤدية لجنوب الصحراء الوسطى حسب أيوب، ذلك الطريق الذي يمتد من غـات إلى جـانـيـت، وهو يتميز بتمركز كثيف للنقوش الصـخرية مع تصـوير العربات الركض الطائر الجرمية[2].
- هناك الطريق الصـحراوي الذي يمر عبر الوحات في الصـحراء الوسـطى، وهذا الطريق أشـار إليه هيرودوت عندما تحدث عن مسـلك الواحات،حيث ذكر أنه وإبتداء من ممفيس وعلى مسـافة مسـير عشـرة أيام نجد تلاً ملحياً وأشـجار نخيل وماء وأناسـاً يعيشـون بها[3]، وهو خط يمتد حتى أعمدة هرقل وسـواحل الأطلسـي، ولعل هذا الطريق الصـحراوي هو الذيتدفقت من خلاله أواني ممفيس، والتي كانت منتشرة في مصر خلال القرن الأول ق.م، وعثر عليه في جرمة[4].

---

(1) عبد الرحمن نور أسامة، المرجع السَّابق،ص.15.

(2) أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،ص.199.

(3)هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 181،ص 60.

(4) تشالز دانيلز، أعمال الحفر والتنقيب في موقع الجرامنت، ترجمة مصطفى عبد الله الترجمان، مجلة آثار العرب، الجز الثاني، العدد الرابع، منشورات مصلحة الأثار بطرابلس،1991،ص.39.

2. وسائل التعامل في التجارة الجرمية:

إستخدم الجرميون كغيرهم العديد من الحيونات وذلك حسب المصادر الآثرية و الأدبية:

أ. الثيران:

استخدمت الثيران كأقدم وسيلة للنقل والتنقل عبر الصحراء الوسطى، وذلك قبل عصور الجفاف، من جهة أخرى صنفت رسوم الثيران على الرسوم الصخرية " تادرارات أكاكوس" بالدور الرعوي، والذي حدده " موري" بشكل مطلق للفترة الممتدة من 7082 ق.م حتى 2800 ق.م وهنا نلاحظ أن الثيران كانت تستخدم في النقل قبل بداية عصور الجفاف بالصحراء الوسطى[1].

وليس من المستبعد، في رأييّ أن يكون إستعمالها قد استمر فترة طويلة بعد العهد المسيحي، ولا زالت الثيران حتى اليوم في دارفور وغرب كردغان (بالسودان) في الإنتقال بين البلدان القريبة ولقد عثر بالصحراء الوسطى على عدد من النقوش التي تمثل الثيران وعليها السروج.

ب. الحمير:

كانت هذه الأخيرة تستعمل في قوافل الصحراء، وهناك عدة اشارات في النصوص المصرية أن هذا الحيوان كان يستعمل في القوافل وأنها تسير لآلاف الكيلومترات عبر الصحراء الكبرى، ويشير نص حرخوف على جدران مقبرته بأسوان أنه كان يستعين بالقوافل الليبية ليصل إلى بلاد يام وواوات وأن تلك القوافل تضم أكثر من ثلاثمائة حمار[2]، وقد سرد لنا هيرودوت فيما بعد أن الحمير كانت كثيرة الإستعمال في أيامه في عبور الصحراء الليبية، حيث ذكر أن أحد الأفراد قبيلة النسامونيين قد إجتازوا الصحراء ليبيا على ظهور الحمير[3]. ويذكر " أثين" أن قوافل الجرميين كانت تتكون من عدد كبير من الحمير ،وقد إستعان أحد التجار القرطاجيين ويدعى " ماجو" ثلاث مرات بهذه القوافل لعبور الصحراء[4].

---

(1) موري فابريزيو،المرجع السّابق،ص.239.

(2) نفسه،ص.208.

(3) Herodotus,Histoires,2.32-33.

(4) Athenaeus,II,22.

ج. الحصان:

لا نستطيع تحديد تأريخ لإستعمال الخيول في نمط القوافل ، لكن من خلال ظهور العربات التي تجرها الجياد، والمجسدة في مشاهد كثيرة على الرسوم الصخرية، تؤكد على أنها تعود لوقت مبكر[1]، وأنها استخدمت في القتال و المطاردة، وأيضا في التجارة ، ولعل اهتمام ملوك الجرميين بالخيول وتعشيرها،[2] راجع إلى أن جزء منها كان يستخدم في القوفل التجارية ، وقد مكنها هذا الأمر من السيادة على التجارة الصحراوية، وقد استمر استخدام الخيول في التجارة حتى القرن الثاني الميلادي حيث حل محلها الجمل الذي كان قادراً على تحمل الجفاف الذي أصاب وتحمل المسافات البعيدة بين نقاط التزود بالمياه[3].

د. العملة:

يعتقد المؤرخين أنَّ الجرميين لم يستخدموا العملة في التجارة، وأنهم استخدموا في تجارتهم نظام المقايضة وهذا بالطريقة و الأسلوب الذي ذكره هيرودوت: "...يوجد بالبلاد الليبية مكان كان الفينيقيون يأتون إليه،فينزلون بضاعتهم على الشاطئ ثم يرجعون إلى سفنهم بعد أن يشعلوا ناراً تعطي دخاناً،حتى يشاهده سكان البلاد ويتوجهون إليهم ويضعون مقداراً من الذهب يقترحونه مقابل البضاعة ثم يرجعون من تلك المحطة،فيعود الفينيقيون...."[4].

حقيقة قد يبدو أنّ ذلك كان في بداية تجارة الجرميين، وربما ينطبق على تجارتهم مع أواسط إفريقيا ، خاصة وأن العبيد كان يتم مقايضتهم بالملح، ولكن الأمر لا يبدوا مقبولاً في التبادلات التجارية مع قرطاجة و المدن الثلاث ثم الرومان بعد ذلك، ولعل مايدعم ذلك ثبوت وجود صناعات تعدينية في جرمة ومنها الذهب، والدليل الثاني هو عثور، " أيوب" في حفرياته بجرمة على قطع عملة نقدية[5] ، لذا لا يمكن القول بشكل حاسم بعدم معرفتهم للعملة ، وربما تسفر الحفريات عن نتائج تجعلنا نعيد النظر في الكثير من المعلومات السابقة عن حضارة جرمة.

---

[1] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص.14.

[2] سترابون ،المصدر السَّابق ، الفصل الثالث، الفقرة19.،ص.113.

[3] أيوب مجمد سليمان، جرمة في عصر...، المرجع السَّابق،ص.186.

[4] هيرودوت ، المصدر السابق، الجزء الرابع، الفقرة،196،ص.100.

[5] أيوب محمد سليمان،جرمة...،المرجع السَّابق،ص.199.

3. الصادرات و الواردات الجرمية:

أ. الصادرات الجرمية:

- **ريش النعام و البيضة:**

وهي من أهم وأقدم السلع التي تاجر بها الجرميون والقبائل اللّيبية بشكل عام مع المدن الساحلية، وتعد هذه البضاعة من أقدم البضائع التي تاجر بها الجرميون مع من جاورهم من الشعوب، حيث عثر عليها في المقابر الأتروسكية بإيطاليا، كما أنَّ هذه السلعة كانت مطلوبة في العالم القديم بأسره، وكانت المدن الثلاث غنيّة بها، في حين كان الجرميون و المكاي يصنعون الأكواب و الأوعية من جلد النعام وهذا يدل على وفرة وسهولة إصطياد هذا الطائر[1].

وترى الباحثة العقون (ا.خ) أنَّ الكاتب المصري القديم تنبه لهذه الخصوصية لذلك نجد في النصوص المصرية القديمة أولى العلامات الدالة على الغرب صورة الرأس عليها ريشة النعام،كرمز يدل على الكلمة المصرية " امنت"[2].

وذكر هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، أنَّ النعام يكثر في بلاد الليبين الرحل في الصحراء[3]، كما وصف بليني الأكبر هذا الطائر قائلا: " طيور النعام الليبية و الإثيوبية يتعدى طولها طول رجل فوق صهوة جواده، وتتفوق عليه أثناء السباق"[4].

كما تحدث "لوكان السمسياطي" عن الطيور الليبية قائلا: " أنّ النعام كبيرة الحجم تطير دون ترك الأرض ، ويعتبر من أكثر ضروريات بالمناطق الصحراوية، وعن عادة جمع بيضة[*] من قبل السكان الذين يعيشون بالقرب من مناطق وجوده، ليس لغرض أكله فحسب، وإنما من أجل تفريغه لغض صنع مزهريات وأقداح ، أو يصنعون من كل حبة قبعتين قادرتين على تغطية الرأس وبيعها بثمن باهض"[5].

---

[1] أنديشة أحمد، المرجع السَّابق،ص.118.

[2] العقون أم الخير، المرجع السَّابق،ص.98.

[3] هيرودوت، المصدر السَّابق، الجزء الرابع، الفقرة .192.ص.99.

[4] بليني الأكبر، المصدر السّابق، الفقرة 03، ص.07.

[*] عثر على قطع بيضة النعام بالمحطات الوهرانية ، والظاهر أنّ إنسان مشتى العربي قد إستخدمه بمحدودية على العكس ماميّز الحضارة القفصية مما إحتوت عليه الرماديات القفصية على عدد كبير من قطع بيض النعام المستهلك ، والمستغل لا حقاً كآنيات وحلي للزينة حيث تظهر على بعضها زخارف وثقب... للمزيد يراجع: (Camps – Faber (H.), La Disparation de L'autruche en Afrique du Nord, Trav,Du, C.R.A.P.E, Alger, 1963,p.07.).

[5] Lucien, Dipsades,2.7.

- **العاج:**

دّلت المصـــادر إلى قيام الجرميين بشـــن حملات لصـــيد الفيلة في المناطق الجنوبية، في هذا الصـــدد يذكر "أيليان"أنهم كانوا يطاردون الفيلة حتى تسـقط في الفخاخ على شـكل الحفر كانت معدّة لإصـطيادها"، كما أشـار إلى " أنّ هذه المطاردة قد تستمر يومين حتى تسقط الفرائس من الأعباء"[1].

وقد كان الطلب على الفيلة لأجل الإســـتعراضـــات والحصـــول على العاج لهذا حرص الجرميون على إستجلابها في إطار التبادل التجاري مع أواسط إفريقيا والحوض المتوسطي[2].

وكان من المرجح وجود فرقة مختصـة من مدينة جرمة مختصـة بترويض الفيلة ونقلها شمالاً إلى المدن الثلاث، ويكشف لنا نقش ولوحة فسيفسائية (الشكل 32) في ميدان الشركات التجارية لميناء " أوستيا القديم"، أنّ مدينة صـــبراتة كانت مختصـــة في تجارة الفيلة حتى أنها اتخذت من الفيل شـــعاراً لتجارتها مع إيطاليا، وقد لمح لنا نقش في مدينة لبدة أن شخصية تدعى هوناروس بروفيوس (Honours Porfyrius) من مواطني مدينة لبدة كان قد إستقدم ثلاثة أفيال حية من الجنوب إلى المدينة لبدة[3]، وقد رجح " رســـتوفتزف" أنّ هذا الشـــخص كان مورداً للحيونات المفترسة، ولاشك أن ذلك كان يتم من خلال وساطة الجرميين[4].

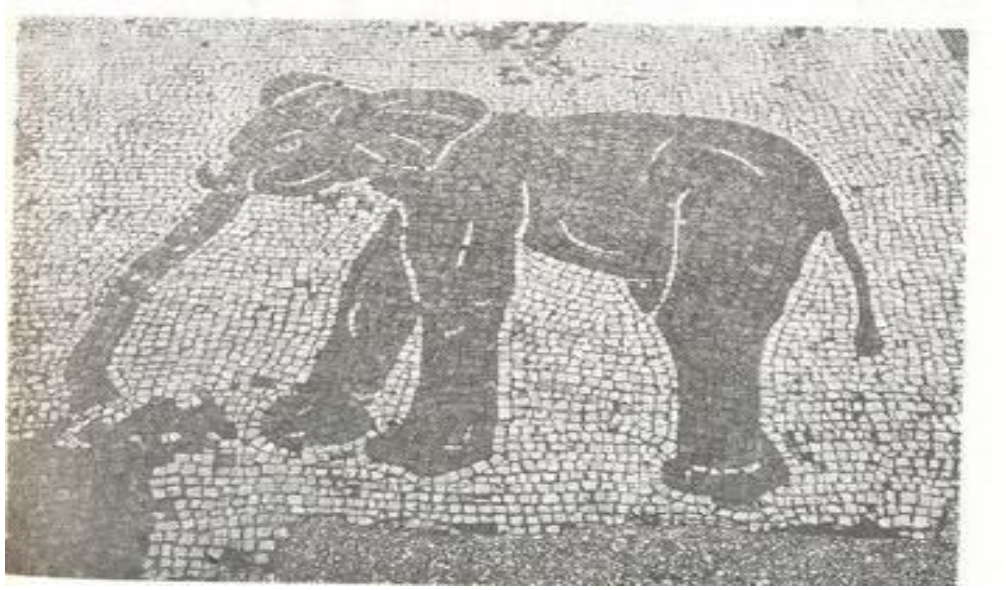

الشكل (32): فيل ليبي من شركة صبراتة التجارية بميناء أوستيا (Ostia) في روما دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص،84.

(1) Aelian, VI,56.

(2) Lucien, Dipsades,2.7.

(3) IRT.603 = Amatori patriae et ciuium suor[um qu]od indulgẹṇṭịa sacraciuibus suis feras dentatas quattuor uiuas donauit ex decreto splendidissimi ordinis bigam decreu(eru)nt Porfyri Porfyri

(4) رستوفتزف ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الإجماعي و الإقتصادي، ترجمة: زكي علي ، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 43.

لقد ذكر بليني الأكبر خلال القرن الأول الميلادي أنّ الصيد الجائر للفيلة جعل من العاج سلعة باهضة الثمن، حيث أكد على تناقص المخزون العاجي في إفريقيا وأسيا ماعدا الهند"، ويعلل بليني أيضاً " أنّ الصيادين كانوا يقطعون عظام الفيلة لتحل محل العاج"، كما ذكر أيضاً " أن لحم الفيلة وخاصة حول الأطراف الغضروفية، يعد من أفضل الوجبات التي اشتهر بها المطبخ الروماني"[1]، ويبدو أن الطلب على العاج كان كبيراً حيث أستخدم في صناعة تماثيل الألهة وصناعة الأبواب و الأختام و العقود و الأكواب.

- **المواد الغذائية:**

تمّكن (ر) روبيفات من اكتشاف شقاف فخارية في حصن بونجيم " جولايا " تؤرخ مابين 253 –259 م على شكل رسائل مملاة من أحد الجنود وموجّهة إلى بعض التجار الجرميين الذين يملكون جمالاً[2]، كما نصت هذه الرّسائل تتحدّث عن أسماء الجرميين و كمّيّات القمح والزيت التي أوصلوها إلى المعسكر جولايا، وكانت هذه الكمّيّات محدّدة بمكاييل ليبيّة وتقابلها المكاييل الرّومانيّة وهي على النّحو الآتي:

اسم المكيال وما يعادله باللّتر	لتر	مكيال روماني للحبوب	اسم المكيال والعدد	اسم الجمال الجرمي
1 سيليسيوس = 1.5 لتر	7875	90	سيليسيوس 7.5	ايديباليس
1 سبيتواليس = 1.5 لتر	945	1.8	سبيتواليس 9	اياسوكاتان
1 سيديبيا = 1.5 لتر	240	24	سيديبيا 2	مكاريوس
1 ازاتوبي = 1.5 لتر	262.5	30	ازاتوبي 2.5	فلاريوس
1 ؟ = 78.75 لتر	551.25	63	7 ؟	فيزينيس فيليوس
1 ايزيداريم = 26.25 لتر	525	60	ايزيداريم	اياميرابان
1 ؟ = 52.5 لتر	210	زيت 16	؟	مكاريوس

الجدول (05) يبيّن عمليات نقل للمواد الغذائية تحت إشراف الجمالة الجرمية.

نقلاً عن : روبيفات رينيه، المرجع السّابق،ص37.

ويلاحظ من الجدول (05) أنّ المكيال اللّيبي الواحد = 25 و26 لتراً. ومن خلال هذا يمكن القول بأنّ الجمل يستطيع أن يحمل أربعة مكاييل، ونلاحظ أنّ اسم المكيال يتغيّر من قبيلة إلى أخرى.

تدلّنا هذه الرّسائل على أنّه كانت توجد عمليّات نقل للمواد الغذائيّة كالقمح والزّيت، كما ورد في القائمة السّابقة، عن طريق الجمال الجرمية.

---

[1] بليني الأكبر، المصدر السّابق، الفقرة، 32، ص.59.

[2] روبيفات رينيه ، الشقاف المخطوط بأبي نجيم، ترجمة أبو القاسم محمد علي عيسى، مجلة ليبيا القديمة، فبراير،2013، ص.32.

- **العبيد:**

يفيدنا هيرودوت بأن " الجرميين أقوام بالغة العظمة إعتادوا مطاردة سكان الكهوف الترجلوديت بعربات تجرها أربعة خيول، ويرجع ذلك لأن سكان الكهوف كانوا أسرع في الجري من جميع البشر الذين سمعنا حولهم رويات"[1]، ويتبين لنا من نص هيرودوت أنّ حملات المطاردة التي كان يشنها الجرميين، كانت منتظمة وذلك لأجل جلب العبيد الذين يتم استخدامهم في تشيّد الفُجّارات وبناء البيوت والمزارع، وليباع الجزء الأكبر منهم في الأسواق الخارجية، وفي السياق نفسه دعمت لنا الرسوم الصخرية ماسبق وذكره هيرودوت حيث جسدت مناظر العربات المسرحية إلى خيول في " تين تازرافت" و " أم التوامي" بطاسيلي ناجر وهي تطارد أشخاصاً ، كما أظهرت أيضاً مشاهد قتالية بين أشخاص، بينما وصفت لنا فسيفساء زليتن (الشكل 57) عن ملامح عن العبيد جرميين حسب مارجحه الباحثون.

لقد أشارت المصادر اللاتنية إلى قبيلة كانت مجاورة للجرميين كانت تدعى الجمفزانتس (Gamphasantes) وهي قبيلة أخطأ هيرودوت في رسم اسمها فأطلق عليها إسم الجرميين، ليعود ليستدرك الأمر في فقرة (183) ، ومايهمنا من ذلك ماذكرته المصادر عن هذه القبيلة بكونهم " يبتعدون عن كل البشر، ولا يملكون سلاحاً حربياً ولا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم"[2]، جعلت البعض المؤرخين يفترضون وقوع هذه القبيلة تحت سيطرة قبائل جرمة القوية بحيث تم استعبادهم، وقد نعتمد في التدليل على هذا الرأس ، ماكشفت عنه المقابر الجرمية التي أكدت على أنه كان يعيش في مواطن جرمة أربع سلالة بشرية ، إثنان منها تنتمي لجنس البحر المتوسطي، أي بيضاء، وأخرى سوداء، ورابعة خلاسية، أي مزيج بين السلالة البيضاء والسوداء[3].

وتعتبر التجارة مع أواسط إفريقيا وغيرها من المناطق ارئيسية لتجارة الجرميين بالعبيد، وفي هذا الصدد يؤكد الباحثون على أنه ومقابل منتجات البحر المتوسط، كان الجرميين يتحصلون على العبيد و الذهب و الجلود، وغير ذلك من المنتجات الأفريقية، وقد كان الأولاد و البنات صغار السن من المفضلين لدى تجار العبيد[4].

وبهذه الطريقة تدفق العبيد على الأسواق الرومانية و أصبحت البيوت الرومانية مكتضة بهم ، ولم يعد دورهم قاصراً على الخدمة في البيوت والمزارع فقط، بل أصبح منهم المربون و الموسيقيون و الأطباء، ومن جهة أخرى طغت شهرت الجرميين في تجارة العبيد، حتى أن صفة "العبد" أو ممصطلح "نيجروا" (Nigiri)قد ألصقت بهم [5]، فنجد أن بطليموس الجغرافي يقع في خلط بخصوصهم فيقول أنهم شديدوا السواد، ثم يقول هم قليلوا

---

(1) هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 183.ص.62.

(2) هيرودوت، المصدر السَّابق ، الفقرة 174، ص.52.

(3) أيوب محمد سليمان، جرمة...، المرجع السَّابق،ص.88.

(4) العقيلي فاطمة سالم، المرجع السَّابق،ص.93.

(5) نفسه،ص.93.

السواد[1]، رغم أن الأبحاث وما قمنا بتدقيمه في الفصل الأول أن الجرميين لم يكونوا سود البشرة، ويعتبر " ديزانج" (Desanges.J.) أنه لمن قبيل التحامل الواضح جداً إعتبار الهياكل العظيمة شبه الزنجية التي وجدت في المقابر الجرمية هياكل عبيد[2].

استمرت تجارة العبيد إلى غاية القرن السادس الميلادي، حيث أشار الشاعر لوكسوريس (Luxorius) الذي عاش بقرطاجة خلال الفترة 490م-534م من حكم الوندال، ويشير في إحدى قصائده إلى : إستيراد نساء جرميات كعبيد في قرطاجة[3].

بالإضافة إلى الإتجار بالعبيد كسلعة فقد شكلت الحروب مصدراً أخر للحصول على العبيد ، وكثيراً ما تعرفنا على مشاهد قتالية مجسدة في الرسوم الصخرية تعود إلى المرحلة الجرمية ، كما أشارت لنا المصادر الأدبية كذلك على دخولهم في حروب عدة، سواء بشكل مباشر أو بدعم غير مباشر لحلفائها، وفي هذا الصدد وردنا من المؤرخ الروماني "تاكيتوس" أن ملك جرمة ورغم عدم اشتراكه بشكل مباشر في حرب تكفاريناس، فقد أمده بمقاتلين مسلحين بأسلحة خفيفة، كما أنه كان يحتفظ لتكفاريناس بكل الغنائم التي كان يغتنمها في حربه ضد الرومان[4]، ولاشك في أن جزءاً كبيراً من الغنائم كان أسري وقعوا في يد تكفاريناس.

- **الملح:**

يفيدنا هيرودوت بقوله : " إنه وبعد مسافة عشرة أيام مسير من واحة أوجلة يوجد تل ملحي أخر وماء وأشجار نخيل كثيرة ومثمرة كما هو في الأماكن الأخرى وبشر يسكنون هذا المكان يسمون بالجرميين وهي أمة بالغة العظمة ، يزرعون التربة بعد أن يبسطوها فوق الملح."[5].

وتعود معرفة الجرميين بالملح إلى وقت مبكر من تاريخهم، ربما إلى الألف الأولى ق.م وفيهذا الصدد أشار (م) كورلانسكي (Kurlansky.M.) أنّ قوافل التجارة الصحراوية التي كانت مكونة من الثيران و الحمير قد نقلت الملح ابتداء من القرن الثالث ق.مو كانوا يعزلون بلورات الملح الخاص التي توضع بعد ذلك في اسطونات بيضاء يبلغ ارتفاعها ثلاثة أقدام، حيث تصبح بعد ذلك جاهزة للتصدير[6].كما يشير ماتنجلي (Mattingly.D.j.)إلى إنتاج الملح الصخري، كان يتم في المنطقة جنوب الصحراء منذ الألف الأولى ق.م، كما يؤكد على أنه لا يظهر في داخل الأراضي الجرميين، وبالنسبة إلى إنتاج الملح عند الجرميين فقد كان يتم عن طريق بحيرة في شمال شرق مدينة جرمة، ويشير أيضاً أن الملح الجرمي خالي من النقاوة، لهذا يحتاج إلى إعادة تصفية، وذلك بطريقتين: من خلال

---

(1). بطلليموس كلاوديوس، المصدر السّابق، الفصل الثالث، الفقرة 09، ص.34.

(2) ديزانج جيهان، البربر الآصليون، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الآول، ترجمة جمال مختار، اليونيسكو،19،ص.438.

(3) نفسه، ص 437.

(4) Tacitus , Histoires,IV,50.

(5) هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 183، ص62.

(6) Kurlansky (M.), The Salt History, Toronto, Canada,2002,p47.

إستخدام كلورايد الصوديوم القابل للذوبان بشكل أكبر وذلك بإضافة الماء ثم تبخر المحلول الملحي الناتج في أحواض الملح الكبيرة، أو عن طريق تسخينه بشكل مكثف[1].

وإلى جانب بحيرة جرمة كان هناك العديد من السبخ و البحيرات الملحية في مناطق أخرىمثل وادي الشاطئ وتراغن و القطرون جنوب غرب فزان و أيضاً إلى الجنوب الغربي وتحديدا غات، وفي السياق نفسه عثر في وادي أدري على رواس ملحية، كانت تغطي مساحة (35 كلم) وبقشرة (40 سم)، وهي سماكة تمكن من تبخرها واستخراج ملح صالح منها، كذلك عثر على رواسب أقل سماكة إلى جنوب غات، ومن إسم الموقع القديم وهو اجرام (Aghram) والذي يعني مدينة الملح، ويرجح استخدام ملحها في التجارة[2].

لقد رجح ماتنجلي قيام الجرميين بتصدير الملح المستخرج إلى أواسط إفريقيا، ولكنه يرى أن هذا الملح لا يملك القدرة التنافسية للملح المصنع في الساحل، وبالتالي فهو يرفض قبول احتمالية تصديره إلى منطقة المدن الثلاث[3].

- **النطرون:**

تترسب هذه المادة على الحواف البُحيرات الرمال بالزلاف شمال جرمة، ويعطي معلومات غير مدققة إن جمع النطرون وتم تصديره من قبل الجرميين، فإنه واستناداً على الطلب الذي كان كبيراً عليه في العصر اروماني خاصة وأن صناعة الزجاج كانت تقوم عليه، وقياساً على قلة الأماكن المنتجة له و المتمثلة في وادي النطرون بمصر و البحيرة ، يرجح نقل اجرميين للنطرون إلى منطقة البحر المتوسط عبر المدن الثلاث[4].

- **التمور:**

أشارت المصادر الأدبية إلى أشجار النخيل في بلاد الجرميين، وقد أورد هيرودوت عن ذلك قائلاً : " إنه توجد أشجار النخيل كثيرة ومثمرة"[5]، كما ذكر ديودور الصقلي " أنّ تمور ليبيا الداخلية صغيرة وجافة"[6]، بينما بليني الأكبر يعاكس قوله حيث ذكر " بأنّ المناطق الداخلية من إفريقيا إلى موطن الجرميين مغطاة بأشجار النخيل الرائعة الحجم وثمارها اللذيذة."[7].

---

(1) Mattingly (D.j.), Trade in the ancient sahara,Op.Cit,p199.
(2) Mattingly (D.J.),Op.Cit,p.48.
(3) Ibid,p.200.
(4) Ibid,p.201.

(5) هيرودوت، المصدر السّابق،الفقرة 183.ص.62.

(6) Diodurs de Sicile,II,53,5.

(7) بليني الأكبر، المصدر السّابق، الفقرة 33، ص. 47.

وفي السياق نفسه نوه " ثيوفراستوس" إلى أن التربة الملحية، في ليبيا ومصر وفينيقيا تناسب أشجار النخيل ، وقد جمع العديد من الباحثين على أن التمور كانت ضمن قائمة صادرات الجرميين سواء المتجهة إلى أواسط إفريقيا أو إلى المدن الثلاث[1].

- **أحجار الكاربونيكل:**

تؤكد المراجع على قدم معرفة الليبيين بالأحجار الثمينة ومتاجرتهم بها، ولعل أقدم الأمثلة على ذلك الحجر الذي أطلق عليه المصريون القدماء " حجر التمحو" من " واوات" نسبة إلى قبيلة التمحو الليبية التي كانت تستخرجه وتقوم ببيعه للمصريين، وبناءا على ماورد في بردية " هاريس" فإن الفرعون رعمسيس الثالث قد أهدى إلى المعابد المصرية قطعتين من أحجار التمحو تزن كل واحدة منها ثلاث كيتات[2].

لقد دعمت المصادر الأدبية معرفة الليبيين بالأحجار الكريمة، حيث أكد سترابون على قيام الجرميين بالمتاجرة بنوع من الأحجار الكريمة قائلاً: " إنه ومن خلال الجرميون يجلب القرطاجيون الأحجار الكريمة"[3]، أما بليني الأكبر فقد ذكر مايلي: " تحتل المرتبة الأولى من بين هذه الأحجار " الكرنوبيل" وهو اسم بسبب مظهرها الناري على الرغم من أنها لا تتأثر بالنار ، وبالتالي تعرف باسم " أكوستاي" (Acaustoe) أي غير قابلة للإحتراق، وهناك نوعان من الكربونيل الهندي و الجرمي وكان الأخير يدعى بالحجر القرطاجي، كما أسماه الإغريق."[4].

وقد ذكر " أيوب سليمان" أن أحجار الكرنوبيل هي مانعرفه اليوم بالفيروز الأخضر ، وعن مناطق استخراجه ذكر سترابو أن مصدره في أراضي الجرميين[5]، في حين أن بليني الأكبر يحدد مصدره في أثيوبيا، وأنه كان يتم جلبه عن طريق سكان الكهوف الأثيوبيين، ثم يحدد بليني الأكبر في فقرة أخرى مكان إستخراجه بجبل جيري[6].

وفي النسق نفسه ذهب " أيوب سليمان" إلى منطقة إستخراج أحجار الكارنوبيل كان ممتدة من منطقة " واو الناموس" و الواو الكبير" ، وقد أشارت على ذلك لنتائج العثة الفرنسية التي استكشفت امنطقة الممتدة من واحة الكفرة وشرق فزان حيث خلصت نتائجها بعثورها على محاجر للفيروز الأخضر في المنطقة المسماة بتلال " إيغي زوما" ويحلث " أيوب سليمان" أنن " إيغي زوما" هي المكان الذي استخرج منه التمحو الأحجار، كما

---

(1) ماتنجلي ديفيد جون، المرجع السّابق، ص.86.

(2) Bates (O), Op.Cit.p.131.

(3)سترابون ، المصدر السَّابق، الفصل الثالث، الفقرة 19،ص.41.

(4) بليني الأكبر، المصدر السَّأبق، الفقرة 31،ص.44.

(5) سترابون ، المصدر السَّابق، الفصل الثالث، الفقرة 19،ص.41.

(6) سترابون ، المصدر السَّابق، الفصل الثالث، الفقرة 34،ص.45.

يذهب إلى أن إســـم " غيري" الذي ذكره بليني الأكبر هو تحريف لكلمة " إيغي" ، وأن زوما بلغة التبو تعني الفيروز[1].

وتبيَّن المصـــادر أن المتاجرة بالأحجار الكرنوبيل لم تكن حكراً على الجرميين فقط، بل عرفتها قبيلة النســـامون أيضـــاً، وبناءً على ماورد فقد كان النســـامونيين يخرجون للبحث عنه عندما يكون القمر بدراً وذلك لإعتقادهم بكونه حجر إلهي، وهم يعثرون عليخ بسهوة مونه يعكس أي إشعاع يسقط عليه، ويبدو أن هذا الحجر قد أطلق عليه اسم اشتق من إسم النسامون، وهو النسامونتاي (Nasamonitis) وتعني بالحجر النسامون[2].

من جهة أخرى تكشف مقارنة نصي كل من بليني الأكبر وسيلينوس عن حجر النسامون أنه "كان عبارة عن عقيق أحمر ذو لون ناري مع عروق سوداء."[3]،أما بليني الأكبر يشير بمعرفة الجرميين بالعقيق الأحمر الذي كان يجلب من الواوات"[4].

لقد تاجر الجرميين والنســـامون على حد ســـواء في الأحجار[5]، ولكن يبدو لي أن هذا الحجر لقي عند الجرميين الشهرة الواسعة كونه ارتبط باسم قرطاجة التي نقلته ضمن سلعها التجارية إى العالم الخارجي القديم، ولهذا لقب الحجر القرطاجي.

ب. الواردات الجرمية:

استورد الجرميون كل ما احتاجوا إليه ورغبوا فيه ولم يتمكنوا من صنعه، سواءً لاستهلاكه محلياً أو لتصديره إلى أواسط أفريقيا وهذا ما يبينه (الجدول رقم 06)

وبمعنى أخر تمثلت الواردات التي حملتها القوافل الجرمية من أسواق الموانئ البحر المتوسط في الأتي: الزيوت و الخمور وكانت هذه الســوائل تعبأ عادة في الأمفورات الكبيرة التي كانت تحمل عربات بها فتحات لتثبت بها هذه الجرار، كما كانت تشتري من تلك الأسواق أيضاً المنسوجات المختلفة من حريرية وصوفية، وكان الجرميون مولعين بلبس الإزار الروماني المصــنوع من الجلد، أما الأســلحة الحديدية فقد كانت أهم الســلع التي حرص الجرميين على الحصــول عليها لحســاب قبائل التبوا، أما أنواع الفخار المختلفة فقد حرص الجرميين على إحضــار الأنواع العديدة منها لغرض إســتعملها ولغرض التجارة أيضــاً، فلقد عثر في حفريات جبانة ســانية بن هويدي الواقعة بالقرب من

---

(1) أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، 191.

(2) بليني الأكبر، المصدر السَّأبق، الفقرة 64 ،ص.95.

(3) Gaius Julius Solinus, Polyhistor, t.27 ph.100, trad. pour la première fois en français par M. A. Agnantv .http://remacle.org/bloodwolf/erudits/solin/deux.htm#VII (17-04-2020).

(4) بليني الأكبر، المصدر السَّأبق، الفقرة 64 ،ص.95.

(5)سترابون ، الكتاب السابع عشر، الفصل الثالث، الفقرة 19،ص.41.

جرمة على أعداد كبيرة من مختلف أنواع الفخار منها الأمفورات المصـــنوعة بالأســـكندرية و القوارير التي من إنتاج الورشات القرطاجية ، أما أواني التيرا سجلات االشهيرة فقد عثر على المئات من أشكالها المختلفة[1].

وكانت أغلب هذه الواردات من الشـــمال تحتوي على مســـتلزمات الدفن ومن الواضـــح أن الإلمام بكل القرائن التي تبين طبيعة المواد التي حملها الجرميين صـــعبة للغاية لأن محتويات القبور قد ســـرقت أو حفرت بشـــكل سيئ.

مصدر السلع	المنتوجات
مصر	حجر رملي نوبي – جاج إسكندراني – مسند خشبي للرأس – كأس زجاجي
اليونان	خزفيات مصقولة من العهد الهلنستي
روما	أواني التير – القوارير
السودان	عاج – ذهب
المدن الثلاث	قوارير رومانية – دوليا – أمفورات– معاصر الزيتون.

الجدول (06) يبين أهم المستوردات الجرمية التي وجدت بحفريات جرمة – ماتنجلي ديفيد جون، المرجع السّابق،ص.118.

[1] أيوب محمد سليمان، مختصر...، المرجع السَّابق،ص.83

الفصل الرابع

الفصل الرابع : التغيرات الإجتماعية والدينية في جرمة.

أولاً / الحياة الجماعية

I. الأسرة.
II. الفئات الإجتماعية.
III. التنظيم السكني.
IV. الوشم.
V. تصفيف الشعر.
VI. الريشة.

ثانيا / الحياة الدينية

I. المعتقدات الدينية.
II. المقابر الجنائزية.
III. شعائر وطقوس الدفن.
IV. ديانة اليهودية والمسيحية.

الفصل الرابع : التغيرات الإجتماعية والدينية في جرمة.

أولاً / الحياة الجماعية:

ا. الأسرة.

كان للجرميين نظامهم الإجتماعي الخاص بهم الذي يخضـــع الفرد لأســـرته وقبيلته وكان له ولاء مكاني وأسـري ولكل فرد في المجتمع أسـرة وأبناء معروفين لديه ولدى الجميع، والغريب أنّ معظم المؤلفين القدماء يتحدثون عن الإختلاط والإتصـــال الجنســـي غير شـــرعي بين أفراد القبائل الليبية، فمثلا نجد هيرودوت يقول : " يوجد عند النسـامونيين(*) زوجات كثيرة لكل رجل، وإتصـالهم بالنسـاء غير شـرعي، ونسـائهم كما هو الحال عند الماسـاجيت، تلبس عدة خلاخل جلدية، لأنهن يضـعن خلخالاً عند الإتصـال الجنسـي بكل رجل، فالمرأة مشـاعة عندهم وإذا أراد أحد مننهم معاشـرتها، فإنه يغرس عموداً أمام المكان اذي يوجد فيه، إشـارة إلى رغبته في إمرأة تشـاركه الفراش، وعندما يتزوج شـــخص من النســـامونيين لأول مرة ، فمن عادات القوم إقامة حفل خاص بذلك يتعاقب حلاله الضيوف واحداً تلو الآخر على العروس، وبعد مضاجعتها يقدمون لها هدايا أتوا بها من دورهم..."[1].

نلاحظ في قول هيرودوت تناقضاً في ما أورده حول وضعية المرأة لدى النسامونيين، فهم من جهة متعدّدو الزوجات، ومن جهة أخرى فالمرأة مشـاعة عندهم(**)، لأن المشـاعة الجنسـية تلغي وجود الزواج، والمشـاعة البدائية حســب التحليل المادي للتاريخ مرحلة مرت منها الإنســانية، كان كل شــيئ مشــاعاً بين البشــر: القوت والجنس وغيره.

أما بالنسـة للمعلومة المتعلقة برغبة النسـامون في إمرأة تشـاركه الفراش وقيامه بغرس عمود أمام المكان الذي يوجد فيه فمثل هذه الممارســة أشــار إليها ســترابون في الجزيرة العربية، حيث ذكر أن أربعة إخوة كانت لهم امرأة واحدة يتداولونها فيما بينهم، فحينما يكون أحدهم بالداخل معها يضـــع عصـــى أمام الباب، وينتظر الباقي في الخارج[2].

(*) النسامون: شعب من الشعو الليبية التي تحدث عنها هيرودوت خاصة في الكتاب ارابع فقرة 172، ويبدو أم الكلمة ليبية تتركب من كلمتين إناس وآمون أي بمعنى قال أمون أو أوحى أمون، مما يوحى، إذا صح الإفتراض، إرتباطهم بالرب آمون وعبادتهم له، ويذككرهم هيرودوت في كتابه الرابع في الفقرات: 172 و 173 و 174 و 175 و 182... للمزيد يراجع: هيرودوت، المصدر السَّابق،ص ص 56 – 89.

[1]هيرودوت ،المصدر السَّابق، ،الفقرة 172،ص. 56.

(**) يبدو أنّ الموروث الثقافي (زواج المشايعة) كان موجودا بالفعل ، حيث شاهدت برنامجا وثائقيا حول (التبو) كانوا يعاشرون اخوتهم ، وعليه قادني هذا القول إنّ كان التبو يمارسون هذه العادة فإن قبائل الجرميين أقرب إليهم من النسامون جغرافيا بل هناك من يفترض أنّ التبو جزء أحفاد الجرميين (الطالب التصرف)

[2]سترابون، الكتاب، المصدر السَّابق، الفصل الرابع،الفقرة ،ص.73.

ترى العقون (أ.خ) بأن إستناداً إلى وثائق أقدم وهي المصرية وترجع للألف الثانية قبل الميلاد وردت في نقوش الكرنك: أن "مري بن دد" أمير قبيلة الليبو كان يصحب معه نساءه وعددهن إثنى عشر، وأما في حرب القبائل الليبية المتحالفة ضد الفرعون رعمسيس الثالث، فقد أسرت 342 من زوجات الرؤساء،كما ورد أيضاً أن " " رئيس قبيلة المشوش أرسل زوجته "نس نت" إلى الملك " بعنجي " وهو مؤسس الأسرة الخامسة والعشرون 715 ق.م – 656 ق.م لتطلب العفو لزوجها ، ولم دحل هذا الملك قصر " نمرود " طلب أن تأتي إليه كل زوجات الأمير الليبي، وهذا النص دليل على تعدد الزوجات عند الليبيين، ولكن تعدد الزوجات لا يعني تدني مستوى المرأة في المجتمع الليبي القديم، لأنها ظهرت في صور الآثار المصرية مرتدية ملابس الرجل ومتحلية بنفس زينته وتشاركه في الحرب[3].

وينقل لنا (ت) دانيلز على ما قاله بومبيوس ميلا : " و الجرميون لا يحرون مراسيم زواج ولكنهم يعيشون مع أزواجهم عيشة مختلطة لدرجة أنّ أطفالهم لا يعرفون آبائهم، كما لا يعرف الآباء أطفالهم[*]..."[4]، هذا النوع من الملاحظات هم من قول مؤلفين الإغريق والرومان كانوا معتادين على الزواج الأحادي والإقتصار على زوجة واحدة وربما يدل ذلك الكلام كما يشير بيتس، على سوء فهم لنظام تعدد الوجات عند القبائل الليبية ، وهو أمر يختلف بشكل أساسي عن نظام الإتصال الغير شرعي بالنساء، ويشهد على صحة وجود نظام تعدد الزوجات عند الليبين ماتبينه المخطوطات المصرية، ومأجاب به الموريين للقائد البيزنطي سولومون عندما هدّد الرهائن الموريطانية التي كان يحتجزها قائلا : " إنّ عليكم أنتم الذين لا تستطعون حياة أكثر من زوجة واحدة إن تعتنوا بأطفالكم " ، فردوا عليهم قائلين : " إننا نحن الذين إذا رغبنا في أكثر من زوجة حتى الخمسين زوجة لرجل الواحد ، لا نخشى إهمال آطفالنا."[5]

وعند قبيلة الأوجلي (Augilae) كانت العادة تسمح العروس عشية زفافها لمن أراد أن يتمتع بها أن يفعل ذلك مقابل أجر معين، وكان ذلك يعتبر تكريماً لها ، ولكنها كانت بعد ذلك تبقى مخلصة لزوجها[6]، وربما كانت العادة الأولى ترتبط بنوع من الخوف الديني من تحمل المسؤولية الناجمة عن إزالة البكارة، أما الثانية فترتبط بعادة

---

[3] العقون أم الخير، صور من حياة...، المرجع السّابق،ص.19.

[*] إنّ مقولة بومبينيوس ملا تتعارض مع ما ذهب إليه بعض الكتّاب المعاصرين (أيوب مثلا) من أنّ الجرميين هم أجداد الطوارق، لأن هؤلاء يجلّون النساء إلى حد أنهم يقيمون نظام الإرث على جهة عصبة الأم وينتسبون إليها (الطالب بالتصرف).

[4] دانيلز تشالز، المرجع السّابق، ص.67.

[5] نفسه، ص.67.

[6] Bates (O.), Op.Cit.,p.110.

الجندانيين البدائية في السـماح للفتاة بممارسـة ذلك التقليد لكي تجمع مهراً كافياً لإعانتها في حياتها الزوجية المقبلة[7].

و ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع الجرمي تجعلنا نفهم كثرة تعداد السكان و كان مرجعه كثرة الحريم لدى الرجال، وتدل كثرة قبور النسـاء في جرمة وتفوقها من حيث العدد على قبور الرجال بالجبانة الملكية أن كل ملك من الملوك كان له عدد لا بأس به من النسـاء، ولكن ليس معنى هذا أن قيمة المرأة كانت تافهة في نظر الرجل الجرمي أو أن الأنثى كانت في درجة دون الذكر، فمن واقع المقابر الفخمة التي أُقيمت لهن بالجبانة الملكية ومن واقع الحلي والأدوات التي وجدت في تلك المقابر نستنتج أنها كانت مساوية من حيث المركز لقرينها الرجل، كما وأن عبادة الألهة تانيت وهي أنثى واعتبارها زعيمة الآلهة يدل على أن مركز المرأة كان محترماً في نظر الرجل بجرمة ومع إحترام المرأة وتقديرها فقد ظل المجتمع بفزان في عهد جرمة يسـوده الرجل فهو الذي يحارب وهو الذي يقود القوافل عبر الصـحاري والقفار، وكان عليه أن يقوم بأشـق الأعمال بينما كانت النسـاء يقمن بالأعمال المنزلية الخفيفة أو بالخدمة بالواحات وغيرها من الأعمال التي لا تتطلب مشقة كبرى.

يبدو لي، أنَّ هناك خلل الأكثر في خطورة في تعامل مع المصادر القديمة في الإيطار تصنيف القبائل الليبية وهو جدول (07) الذي وضعه (د.ج) ماتنجلي ضمن سلسلة الهمجية و الإنحلال الإختلاط غير الشرعي التي تنتقل بعيدا من السـاحل بإتجاه الداخل نقلاً عن أحاديث بليني الأكبر وبومبونيوس ميلا، قد يكون هذا القول في هذا المجال غير مقبول ويمكن التثبت بالمعطيات الآثرية كما في حالة قبائل الجرمية الذين كانوا مزارعين مهرة (إضافةً إلى كونهم رعاة) لهم بلدات كبيرة في الواحات وسيطرة على جل القوافل التجارية الصحراوية، ومن المؤكد تقريبا أن ذلك صحيح بالنسبة لقبيلة النسامون أوجلة و اللوطوفاجي (أكلة اللوتس) المحاذين للمدن الثلاث.

ومع ذلك فقد حرّف المؤلفون القدامى الحقيقة بمنظورهم من خلال انتقاء المعلومات التي يبدو أنها تتوافق مع انموذجهم في إطار صارم ومصطنع.

---

[7] البرغوثي عبد اللطيف ، المرجع السّابق،ص 86.

الموقع	الحالة السكنية	القبائل	الحالة المدنية والإجتماعية
ساحل البحر	مدن	لبيفينيقيون (المدن الثلاث)	متحضرون– مزارعون مقيمون.
أراضي ما بعد الساحل	أكواخ	اللوطوفاجي – الجيتول	أقل تحضراً رعاة، غير مقيمين
الدواخل (فزان) – إقليم جرمة	لا أماكن لهم	الجرميون النسامون	همجية ، مضاجعة بلا زواج.
أعماق خارج إقليم جرمة	يعيشون تحت الأرض – الجبال.	تراجلوديت الأثيوبيين سكان الدواميس	همجية مطقة (بربرية)
أعماق جنوب الصحراء	//////////////////	بليميز (Blemys). ساتيريز (Satyres).	غريبو الأطوار. لا رؤساء لهم ...إلخ.

الجدول (07) : نموذج تخطيطي لتصاعد البربرية (الصفة الإجتماعية) مع بعد المسافة عن ساحل البحر الأبيض المتوسط (حسب بليني الأكبر و بومبيوس ميلا) للمزيد يراجع:
ماتنجلي ديفيد جون ، المرجع السَّابق، ص.84.

II. الفئات الإجتماعية:

يمكن تقسم المجتمع الجرمي حسب المصادر إلى الفئات التالية: الملك وحاشيته ثم طبقة الأمراء أو حكام الأقاليم، وهؤلاء يمثلون الطبقة امهنية سياسيا، كما نجد عامة الشعب هو بدورهم منقسين إلى فئتين: فئة الحضر الذين يقطنون المدن مثل جرمة و الواحات حيث الأسواق التجارية و الأراضي الزراعية حيث تتوفر سبل الحياة المستقرة[8]، وكان يحيط بهذه الواحات سور أو قلاع للدفاع عنها، ونجد أيضا البدو الذين ينتقلون بماشيتهم من مكان إلى أخر وراء الكلأ، وهناك طبقة الثالثة وهي فئة العبيد وهم الذين وقعوا تحت سيطرة الجرميين كما تبينه عدة مشاهد الفن الصخري أو نص هيرودوت حول مطاردة الأثيوبيين تيروجلوديت[9].

يقول "أيوب سليمان" أنّ السكان في جرمة أغلبهم عاديون من عامة الشعب يمارسون مختلف الأعمال و المهن و الحرف فمنهم رجال القوافل ومنهم المرزارعون و الصناع و الصيادين،وأفراد هذه الطبقة العامية لم تكن حياتهم حياة رفاهية ولكنهم لم يكونوا فقراء بل من أصحاب الطبقة المتوسطة، أما العبيد كانوا يقومون بعدة أعمال

[8] ماتنجلي ديفيد جون، المرجع السَّابق،ص.82.

[9] هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة، 183 ،ص.65.

في المدن وفي القصـــور وأيضـــا في المزارع و الحقول وغيرها من الخدمات الأخرى[10]، ولا نعلم بالتحديد هل كانوا موظفين في الجيش أم لا؟.

III. التنظيم السكني:

1. زِنِكِكْرَا:

عندما نتفحص الآثار المادية الطبيعية للأماكن التي سكنها الجرميين، نجد أن مدينة جرمة التي تقع في مركز الوادي، لكنها لم تكن أول مكان أقام به الجرميين، لأن قلعة زنككرا البارزة هي أول حصـــن إســـتقروا فيه، حيث وجدت بقايا ثلاثة أســـوار يبلغ طولها 2 كلم ومن المعروف أن هذه المنطقة أقدم من مدينة جرمة، وقد ظلت مسكونة حتى بداية العصر المسيحي بفترة قصيرة، ثم هجرها أهلها في أوائل القرن الأول الميلادي[11].

وحسـب التقارير، تعد منطقة زنككرا من أكثر المواقع تعقيداً من حيث الإسـتيطان، فاسـتناداً للمخلفات الآثرية التي عثر عيهـا في المواقع تدل على إســـتيطانه في الفترة من القرن التاســـع قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي[12].

وقد وجد عدد ضـــخم من المســـاكن، والمباني الجرمية، وهي مبنية بمواد مختلطة من الحجارة و الطين، أو قوالب طينية ثابتة، وذلك لأنها عبارة عن مأوى بسيط ليأوى إليه الجرميون مع قطعان ماشيتهم[13].

وبعد برهة زمنية قصيرة تظهر لنا مستوطنة، جدرانها من الأحجار ذات أكواخ أسقفها من سعف النخيل، يفسر (دانيلز) أنّالجرميين قد نزلوا من القمة العليا ليستقروا في الحواف السفلية من جبل زنككرا فشيدوا مساكنهم ونحتوا مدرجات،وبالقرب منها تنتشر المقابر وكان يحيط بالمستوطنة سور يمتد من الأطراف الجنوبية للجبل ويوجد به فتحات لتسريب مياه الأمطار[14].

وكانت طريقة البناء عند الجرميين بدائية، إذ شيدت غرفهم المتوسطة بالطوب الطيني واستعملوا روث البقر لتلميع الجدران وأرضية الغرف (الشكل 33) [15].

---

[10] أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق، ص103.

[11] ماتنجلي ديفيد جون، المرجع السَّابق، 34.

[12] الميار عبد الحفيظ، الحضارة الفينيقية في ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ،ص.166.

[13] نفسه ،ص.166.

[14] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص65.

[15] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق ،ص.65.

و دلت التحليل الكربون المشع على وجود عينات متكونة من محاصيل زراعية وطبقات عشبية تؤرخ للقرن الأول من الآلفية الأولى قبل الميلاد، أثبتت لنا بأن الجرميين كانوا أقوام مزارعين متقدمين[16].

الشكل : (32) : مباني جرمة الآثرية – المنظر العام-

الرابط: https://www.temehu.com/Cities_sites/museum-of-germa.htm(29-05-2019) **12:38**

يصف " أيوب محمد سليمان" الضريح المعروف بالقصر الوطواط في المنطقة الشرقية من جُبِ زنككرا محاط بقبور مبعثرة الأرجاء ، وعلى نقيض يلاحظ أن الحواف الجنوبية من الجبل ، لم يستوطنن بشكل مكثف ويبدوا أن الأبنية هناك ترجع لفترة أنّ الجرميين كانوا يعيشون على النتوء ويقيمون هناك، وتتكون هذه الأبنية من منازل منفردة صغيرة ترجع للقرن الأول الميلادي وتتكون من قاعدة صلبة من الحجر الجيد، توجد أسفل المنازل على مستوى الوادي مستوطنة كبيرة، تتكون على الأقل من ستة أبنية مستطيلة الشكل وغير عشوائية يزيد طول غرفتها الواحدة المنفردة عن 100 قدم ، وتبنى جل هذه البيوت من الطوب الطيني[17].

ويلاحظ أنّ قمة جبل زنككرا تقدر مساحته ب 630 هكتار، وعليه فقد كان إنتشار هائل للموقع التي إستوطنها الجرميون على شكل صفوف تمتد حتى الجروف المنحدرة على السفح الشمالي، أما من الناحية الإقتصادية يتضح أن جبل زنككرا كان يزود التجمعات السكانية بالطعام، فقد مارس الجرامنتت الزراعة و كانوا متحضرين عن غيرهم، وذلك قبل إتصالهم بالعالم الإغريقي، والروماني حيث مارسوا أعمال الري في منطقة تكاد تنعدم فيها الأمطار، وتوجد في جوفها طبقات مائية هامة[18].

---

[16] الزدام نجلاء عبد الله، المرجع السَّابق،ص64.

[17] أيوب محمد سليمان، مختصر تاريخ فزان،المرجع السَّابق،ص.49.

[18] الزدام نجلاء عبد الله، المرجع السَّابق، 67.

يتميّز الموطن المبكر للجرميين بزنككرا بتنوع الزراعي (قمح،شـــعير،نخيل، كروم) كما تميز بوفرة قنوات الري، حيث تقدر ب 60 قناة لكل 6 كلم من الأراضـــي، وبالرغم من إزدياد الطلب على المياه وتطور الزراعة في السفوح الضيقة فهناك زيادة في عدد السكان والحيوانات، مما شجع على الإنتقال إلى السهل بشكل تدريجي، وفي أواخر القرن الأول الميلادي، غادر آخر المستوطنين زنككرا، وظهرت سلسلة من المقابر بعضها خارج الجدار المحيط بالمنازل[19].

2. جرمة:

بيّنت لنا الإكتشـــافات الحديثة أنه في وســـط وادي الآجال قد توجد مدينة جرمة القديمة، والتي عرفها الرومان الحاضرة (متروبوليس) التي تقع على بعد 3.5 كلم من زنككرا.

ومما تميّزت به المباني حســـب المخططات الحفريات (الشـــكل 34) أنها جيدة و منتظمة وهي تمثل الفترة الأولى، وفي جرمة أزيلت هذه المباني ليقوم محلها بناء صـــخري كبير يقع في أقصـــى الجنوب و الذي يعد من أكثر المباني تعقيداً، وتقدماً من حيث التخطيط و التنظيم في زنككرا أو أي بناء أخر موجود في جرمة، أو سانية جبريل، ويبدوا على الأرجح أن هذا البناء شـــارك في بنائه فنانون ، وبنائون من خارج جرمة ويبدو أنه قد خضـــع لعمليات إعادة بناء وتعديل ترجع إلى مطلع القرن الرابع ق.م[20].

لقد تمتعت مدينة جرمة بطابع مميز وذلك لوجود الأسواق و الحمامات، والمعابد وغيرها، كما تميزت المباني في جرمة خلال القرون الميلادية االأولى بوجود الأعمدة ذات التيجان الأيونية، والدورية الكورنثية وأســـتعملت فيها الأسقف المميزة للعمارة الإغريقية والرومانية.

بالإضافة إلى ذلك تم العثور على أساسات القلاع، والحصون التي صمدت أمام الغزاة، مثل قلعة لا ركو والتي بيت بالحجارة المجلوبة من الجبال القريبة[21].

---

[19] Mattingly (D.T.),In serch... Op.Cit,p.49.

[20] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص 73.

[21] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،ص.49.

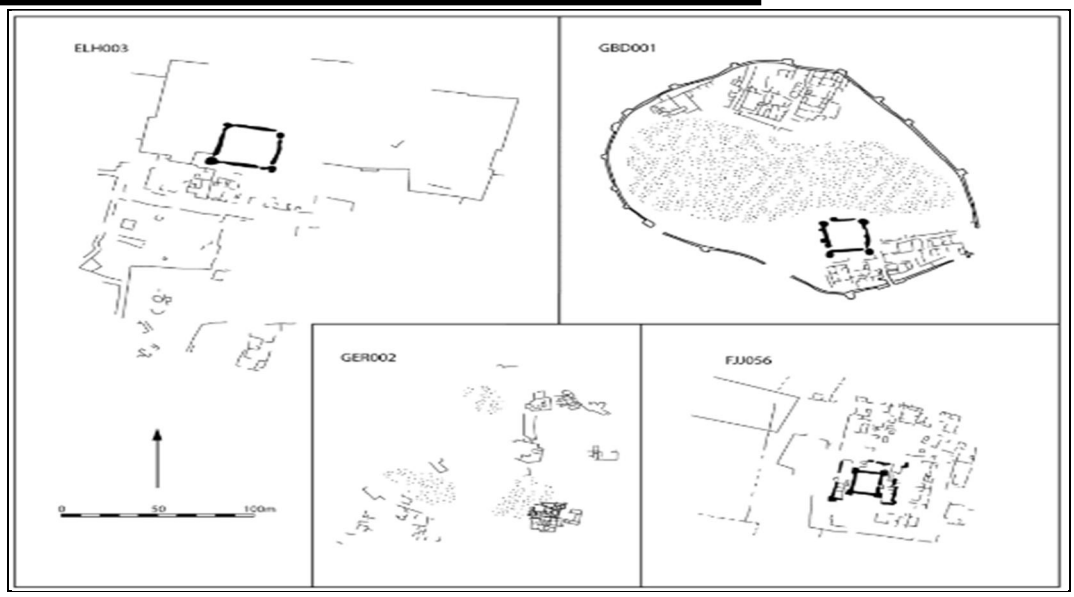

الشكل (34): مخطط الحفريات في جرمة القديمة
المرجع: دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص .73.

وعلى ضـوء هذه العمارة قدّر علماء الإنثربولوجيا عدد السـكان في زنككرا كانوا نحو 1500 نسـمة، ثم أرتفع تدريجيا ليصبح 2000 ننسـمة في العام الأول الميلادي، ووصل حتى 3000 نسـمة في القرنين الثاني والثالث الميلادي، ثم إرتفع في القرن السـابع الميلادي إلى 4500 نسـمة ، إلا أنه من المحتمل جدا أن يكون عدد السـكان في المنطقة قد وصل 10000 نسمة[22] (الشكل 35).

الشكل (35): الهرم الدّيمغرافي في جرمة حسب المعطيات الآثرية.

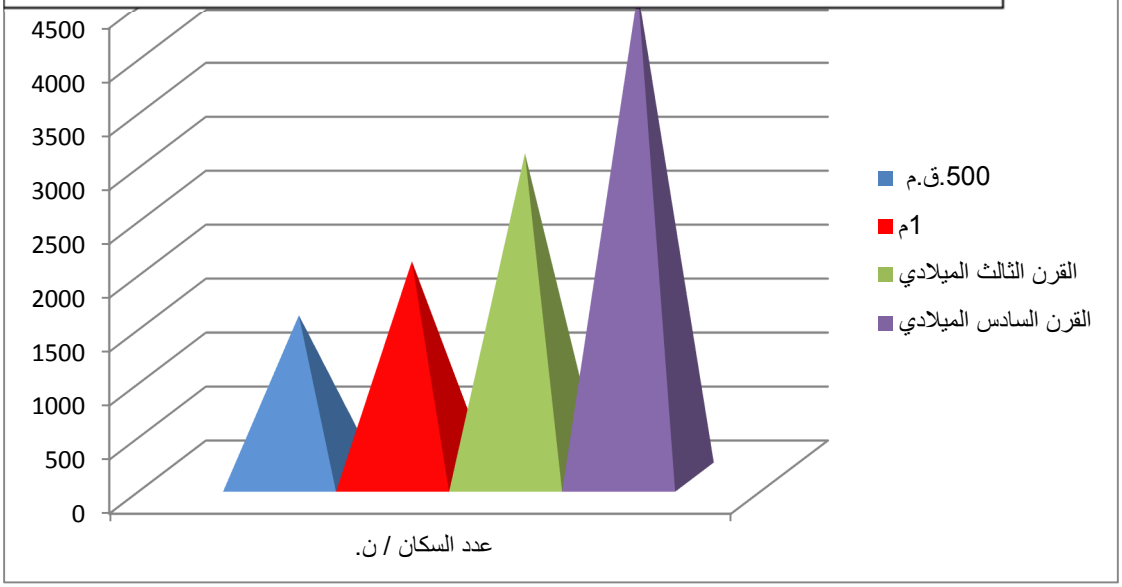

[22] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق ،ص.68.

ومن أهم المباني المميّزة في مدينة جرمة القديمة هو مبنى يشـــبه الفيلا الموجودة بزنككرا (الشـــكل 36)، حيث أستعمل هذا المبنى عبر ثلاث فترات رئيسية، تم تجديده خلال منتصف القرن الرابع على الأقل، فضلا عن ذلك تم الكشف على الكثير من المعلومات عن الشكل الهندسي للمبنى ، وعلى الأرجح أن هذا المبنى الذي أشار إليه " دانيلز" في منطقة تمثلها حالياً طبقات منخفضة من الملح الجاف، وهو المعروف بالموقع سانية جبريل[23].

وتعتبر ســـانية جبريل مســـتعمرة رومانية، وجدت بها مباني جيدة التنظيم، وشملت العديد من الواحدات السكنية الصغيرة المكونة من غرفة أو إثنتين مبنية بشكل ملتصق ببعضها ،جوانبها بحيث تكون مجتمعات سكنية أكبر، وتميزت هذه المباني بالجدران، وذلك لكثرة المحارق، والمباني التي أعدت لأغراض صـــنعية كثرت بها الشـــقاف الفخارية وعثر في هذه المنطقة على بقايا أحجار، وقطع معدنية، ويعكس وجود مقاعد الأكل و الســـلطانيات الكبيرة الحجم عند الجرميين في القرن الثالث الميلادي، تغيير في العادات الخاصـــة بالأكل من حيث وجود المقاعد الخاصة بذلك، ويشير ذلك إلى الإتصال والتأثر المتزايد بالعالم الروماني[24].

هجرت ســـانية جبريل بعد هذا التطور، وفي جرمة القديمة أســـتبدلت الأبنية القديمة المعتمدة على الطوب الطيني بأبنية غيرها، بنيت على أسس حجرية عميقة ، كما يلاحظ إنتشار إستقرار الجرميين في قرى المجاورة[25].

وإلى الجنوب الشـــرقي من مدينة جرمة القديمة، وعلى بعد 2 كلم، من ســـانية جبريل توجد مقبرة " ســـانية بن هويدي" وتقع هذه المقبرة على ربوة، مصـــنوعة من الطوب والطمي يرجع تاريخها من القرن الأول إلى الرابع الميلادي، حيث كان جزء الأكبر من المقبرة مخصص للأضرحة الكبيرة خاصة بالأعيان[26].

ومن الجدير بالذكر أن أعمال التنقيب قد أســـفرت في هذا الموقع عن ظهور كمية كبيرة من الفخار، والزجاج، والجرار والمصـــابيح، العقود، الأمفورات، حيث كان يشـــار إليها بســـوق الفخار وقد إتضـــح من خلال الإكتشافات، ولأول مرة أن الموقع كان عبارة عن مقبرة ، وليست مستوطنة كاملة بمرافقتها[27].

---

[23] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق، ص.74.

[24] نفسه،ص.74-75.

[25] Daniels (C.M.), Exc…Op.cit,p.46.

[26] Daniels (C.M.), Op.Cit,p.46.

[27] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،،ص.51.

الشكل (36)، بقايا من فيلا بزنككرا مبنية بالحجر المربع
المرجع : دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص .73

IV. اللباس:

الجرميون لا يختلفون بشكل أساسي من حيث اللباس عن القبائل الليبية الأخرى ، وقد سميت هذه القبائل عند المؤلفين اليونان و الرومان بالجرميين العراة(*) [28]، كما يصف لوكان (Lecain) الجرميين بأنهم " يلبسون الملابس الخفيفة ، وأغلبهم عراة إلا الرجال ذوي المكانة الخاصة فكانوا للتمييز، يرتدون الثياب الطويلة المفتوحة من الأمام و المثبتة على الكتفيين "[29]، وفي المدة المتأخرة أصبحت هذه الملابس من القماش المثبت بالأشرطة الذهبية،لكن في الأزمنة المبكرة تصنع من جلود الأسود والفهود، الدببة وأحيانا تكون ذات أهداب على أطرافها، ومما يؤيد هذا وجود أجزاء وقطع من هذه الملابس الجلدية والقماشة في مقابر الجرميين.

وكان الجرميون من وقت لآخر يلبسون فوق هذه الثياب عباءات فضفاضة ويلبسون تحت الثوب إما سترة قصيرة مثبتة عند الحصر وتمتد إلى الركبة أو لا يلبسون تحته شيئا إلا مجرد حزام يتدلى منه جزء مزخرف يغطي ويحمي الأعضاء التناسلية، وهو المسمى بالكرنكة أو غلاف القضيب، أما عن مدى إتساع وشيوع لبس العباءة فهذا أمر غير محقق، لإحدى الرسوم البارزة تبين زعيما وحامل سيفه وحامل القوس،وكلهم يرتدون العباءة ولكن التابع الثالث عاري إلا من جراب العورة ويظهر في المشاهد الأخرى المحاربون لاا يلبسون العباءة بل الحزام و

(*) وصف لوكان بأن الجرميين عراة، يبدو لي ذلك راجع إلى أسلوب تفكير المؤلفين الأروبيين وخلفياتهم الإجتماعية أكثر من كونها نظرة قائمة على التمييز العنصري، ودليل آثار لصناعة النسيج بجرمة وأدهى من ذلك المصدر المصري و مشاهد الفن الصخري (أكاكوس) حول الجلاليب الطويلة لليبيين على العموم يعطي مجالا للجدل حول مصداقية وإدعاء لوكان (الطالب بالتصرف)

[28] Daniels (C.M.), Exc…Op.cit,p.14.
[29] Lucian,Dipsades,15.

الكرنكة فقط، ولكنهم غالباً ما يضعون حول أكتافهم وصدورهم أشرطة متقاطعة أما ملابس النساء هي أقل وضوحاً، ولكن الثوب الشائع عندهن هو مايشبه التنورة الطويلة المتدلية من الخصر إلى ماتحت الركبة[30].

وإن عدنا إلى الرسوم الصخرية في منطقة الصحراء الوسطى الشرقية بينت لنا الصيادين والرعاة قد إرتدوا أنواعاً مختلفة من الملابس (الشكل 37) من بينها (العباءة و الفستان و السترة و التنورة وقلنسوة) ، وترى بذلك (العقون أ.خ) أن الأزياء تنقسم إلى نوعان: لباس الرجال ويكون عادة من شريطين تقطعان عند الصدر ويلتقيان عند الظهر إضافة إلى وجود حزام حول الخصر يثبت عيه ساتر العورة و الذيل المستعار، أما النساء فكن يرتدين مثل الرجال إضافة لوجود سراويل تبدأ من وسط الجسم وتنتهي إلى الركبتين، ويثبت بنفس الحزام الذي يثبت عليه ساتر العورة والذيل عند النساء، لم يكن رمزاً لهن وهذه الألبسة مستنتجة من المشاهد الموجودة بداخل جدران معبد الملك سحا رع للأسرة الخامسة[31].

وبالتالي نستنتج أنّ الجرميون يشتركون مع بقية القبائل الليبية في طريقة اللباس.

الشكل (37) : يبين تفصيل الألبسة لدى الرعاة بعين عميل تشونات أكاكوس
الرابط:https://aars,fr/tadrart_frhtml/mpri_b,jpg (21-04-2019).

[30] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق، ص.76-77.

[31] العقون أم الخير، الليبيون...، المرجع السَّابق،ص.105.

٧. الوشم:

تميزت المجتمعات الليبية قديما بظاهرة الوشم، أكدتها الآثار المصرية، منذ حوالي 3000 قبل الميلاد، ويمكن رؤية نماذج لها بوضوح على أسفل وأعلى الذراع وعلى الساق،كذلك على الجسم أحيانا ومن المؤكد تقريبا أنّ الوشم عند الجرميين كان مقصوراً على الرجال، وللزعماء منهم ورؤساء القبائل فقط[32]، لذا نرى في النحت (الشكل 38) أن الزعيم هو الموشم في حين نرى وشماً على أتباعه الثلاثة.

لكن إذا تركنا الآثار المصرية واتجهنا غرباً نحو منطقة الصحراء الوسطى وخاصة منطقة فزان و الطاسيلي ناجر لوجدنا هذه الظاهرة قديمة جداً قد بينتها الرسوم الصخرية، في منطقة "تان زوماتيك " على رسم لرجل وقد ظهرت نقاط متتالية على شكل خط مستقيم على طرفي الجسم يمتد من الصدر إلى الخصر، كما لوحظ خط مستقيم على طول الذراع، كذلك مجموعة من النقاط تحيط على الساعد على شكل خطوط متوازية، أما المرأة فتظهر عليها نقاط على شكل خطوط متوازية ومائلة على الجسم تمتد من الصدر إلى الخصر، كما زين ذراعيها في الأعلى بنقاط على شكل مربع مع خط بسيط على طول الذراع[33].

الشكل (38) : أربعة من قبيلة المشواش، يظهرون بالوشم و الريشة العقون أم الخير، صورة من حياة المجتمع الليبي ،المرجع السَّابق،ص،41

[32] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق، ص.79.

[33] بلخيري لويزة، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي ناجر (الصحراء الوسطى) ، مذكرة ماجستير ماقبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2011-2012،ص.48.

VI. تصفيف الشعر:

يخبرنا ستـرابون أن رجال إحدى القبائل المور: " تعتني بتحسـين مظهرها بتضـفير شـعورها وتزين لحاها، ولبس الزخارف الذهبية، وتنظيف الأسـنان وتقليم الأظافر..."[34]، ولكن النص المصـري القديم يوضـح أن هذه العادات كانت منتشـرة عند التمحو وعند الليبين عموماً منذ وقت مبكر، وتبين المناظر الشـائعة الرجال بلحاهم الصغيرة المدببة وشعورهم الممشطة إلى الخلف فوق رقابهم وتحدل أحياناً على شكل ضفائر صغيرة ذات أهداب متدلية إلى الأمام[35].

وإلى هذا الطراز من تصـفيف الشـعر على إحدى فسـيفسـاء المكتشـفة في زليطن ، وهي موجودة الأن بمتحف طرابلس وكنا قد عالجنها من باب العبد والإسـترقاق الجرميين وتعريضـهم للحيونات المتوحشـة في حلبة الصراع الرومان وتبين للضحايا فيها لحى صغيرة مدببة، وشعر ممشط إلى الخلف في ضفائر صغيرة مجدلة في منظر جانبي ويمكننا أن نلاحظ في هذا الطراز المادي من الشـعر الصـفة الحقيقية للميزة للجرميين رغم أنها لا تقتصـر عليهم (الشكل 39).

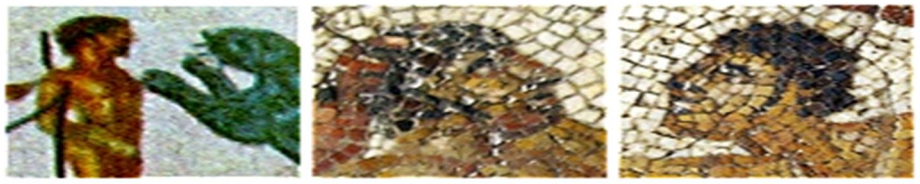

الشكل (39) : تصفيف الشعر عند الجرميين من خلال فسيفساء زليطن.
https://mediterranees.net/artantique/oeuvres/zliten/garamantes.html

إنَّ الإختلاف في تصـفيف الشـعر بين مختلف القبائل الليبية كان أمراً ملاحظاً عند قدماء المؤلفين الذين يخبرونا أنَّ يمكن في حالات كثيرة تعريف قبيلة من طراز شـعرها المميَّز، وقد قال بيتس " بأنَّ نسـاء "أدرماشـيد" يتركن شعورهن كي تنمو طويلاً" ، وأنَّ قبيلة مكاي تترك الشعر قمة الرأس ينمو ويطول بينما تقصه فيما عدا ذلك بحيث يشـبه الهلال، أما أفراد قبيلة "ماكليز" و"أوسـين" فيتركون الشـعر يطول، ولكن "ماكليز" تدعه ينمو خلف الرأس، بينما ينمو عند "أوسين" إلى الأمام، أما قبيلة "ماكسيس" فتترك الشعر يطول على الجهة اليمنة من الرأس وتحلقه على الجهة اليسرى ، وهذا النوع الأخير من الشعر هو الذي يشاهد على الأغلب في الآثار المصرية، ومن المظاهر الشائعة لأخرى لبس ريش النعام على الشعر[36]،

[34] سترابون ، المصدر السّابق ، الفصل الثالث، الفقرة 35 ،ص.86.

[35] العقون أم الخير، دولة الأمازيغ...، المرجع السَّابق،ص.87.

[36] Bates (O.), Op.Cit.,p.162.

وتبيّن النقوش المصرية المأخوذة من نفس الطابع الذي وجد في وادي الأجال إن هذه الصفة كانت مميزة عند الجرميين رغم أنها لم تقتصر عليهم، لأن النقوش المصرية البارزة مثلاًتبين عن آخر لآخر أشخاصاً ليبيين وعلى رؤوسهم ريش طويل (الشكل 39) ، وتبين "النسامونيين" وهو يصنعون جناح طير عال على رؤوسهم، كعلامة السفر[37].

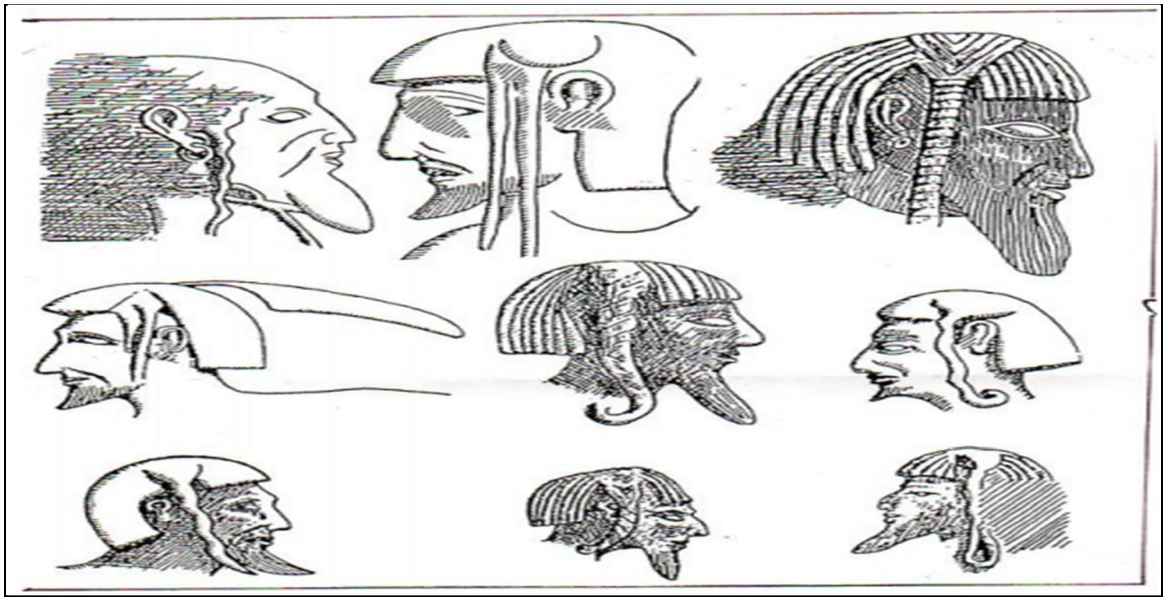

الشكل (40): تصفيفات الشعر عند الليبيين بطرق مختلفة
المرجع : العقون أم الخير، صورة من حياة المجتمع،،،،المرجع السَّابق،ص،43.

ترى (العقون أ.خ) أنّ الليبيين يحرصون على تحسين المظهر، وتصفيف شعورهم بطرق مختلفة، ومن جراء هذا التنوع تم إحصاء حوالي عشرين نموذجاً لتسريحة (الحلافة تجميلية)، وقد يتفرع كل صنف إلى عدة أنواع،وبالتالي نصبح أمام أعداد كثيرة من تسريحات الشعر، ويعتقد بداية هذا العمل الذي يتصف بطبيعة جمالية والفنية مع فئة الرؤوس المستديرة، وقد سمي بعضها كالآتي : حلاقة ذات قطبيات، وحلاقة ذات طاقية، تسريحة ذات القصوص، الحلاقة ذات القرون، الحلاقة ذات الظفائر، الحلاقة ذات القبعة ، حلاقة الأقنعة، الحلاقة المخروطية المسطحة، الحلاقة على شكل قبعة كبيرة)[38].

[37] العقون أم الخير، المرجع السَّابق،ص.87.

[38] نفسه ،ص.91.

و نجد في بعض المشاهد أكاكوس بعين أميل (الشكل 41) مدى إهتمام إنسان الجرمي بمظهر حلاقته للشعر فهذه نمط يمكننا أن نسميه "عند الحلاق"، حيث نلاحظ أن الحلاق يحرص على ترك خصلة من الشعر بارزة إلى الأمام وهو طابع مميّز عند سائر الليبيين.

الشكل (41) : مشهد " عند الحلاق" بعين أميل – تادرارت أكاكوس.
الرابط:https://aars.fr/images/amil_XII_21_b.jpg

أما (بلخيري.ل.) فكانت أكثر تفصيلاً واعتبرت الحلاقة من مظاهر الحلي إختلفت في شكلها بين الرجل و المرأة وحتى من فترة لأخرى حسب ك مجتمع، فتؤكد أنه في مرحلة الرؤوس المستديرة تزين الرجل بحلاقة على شكل قلنسوة تكسوها أشكال دائرية صغيرة، أما في مرحلة الحصان فظهرت فوق رأسه قباعات تزينها ريشة، أما المرأة فتميزت حلاقتها في مرحلة الرعاة بحلاقة على شكل طاقية مستديرة، أما في مرحلة الرؤوس المستديرة بحلاقة مفرقة شعر ومتوسطة[39].

VII.الريشة:

يتساءل الكثير حول مدلول الحقيقي للريشة الظاهرة في الفن الصحري التي كان يضعها الإنسان الليبي ومنه الإنسان الجرمي منذ العصر الحجري الحديث في منطقة الصحراء الوسطى وقد ظهرت بأحجام مختلفة في الفن الصخري، كما تضاربت الأراء و التحليلات حول ماهيتها، فذهب البعض إلى إعتبارها دليلاً على النطاق الجغرافي الذي غرب النيل أي الصحراء، وكانت ضمن النصوص المصرية.

ويعتقد (أ) باتس (Bates.O.) أنّ ريشة قد رمزت لشيئن أولهما: المجال الجغرافي تقطنه الشعوب الواقعة غرب النيل و الجزء الثاني، وربما تدخل ضمن الرموز الحكالية (حلي)[40]، كما تعتبر (العقون أ.خ) أنها علامة

[39] بلخيري لويزة، المرجع السَّابق،ص.45.

[40] Bates (O.)Op.Cit.p.135.

شـرف أو وظيفة وهي ترمز إلى عادة القوم و القادة و الأمراء، وتضـيف أنها ظهرت في الرسـوم الصـخري بمواقع عديدة بالصـحراء الوسـطى، وتذهب إلى أبعد الإحتمالات أن عدم وجودها على رأس قائد عسـكري دليلاً على إنهزامه في الحرب، ولا ننسـى أنها أداة تزيين، وتسـتند في هذا الطرح إلى النصـوص الموجودة في الآثار المصـرية للفترة الفرعونية[41]، ويساندها (بن سعدي. س.) الرأي ويعتبرها كذلك أنها من لواحق الزينة، ونرى أحيانا أعدادها بين أربع ريشـات وحتى خمس على رأس إنسـان[42]، أما (إيباه سـيدي محمد) يعتبر الريشـة التي ظهرت معقوفة نحو الخلف في الرسوم الصخرية وذلك في المرحلة اللاحقة من العصر الحجري الحديث سميت بالريشات المحاربين الليبين، كما سـرحت بعض الحلاقات بهذا الشـكل، و يرجح أن تكون من ريش النعام، إسـتنادا لتحليل مشـهد بموقع تيسوكاي الذي تواجد بالصحراء الوسطى خلال الفترة النوليتية التي سمحت بتواجد هذا الحيوان بكثافة[43].

تشـير (العقون.أ.خ) أنّ الريشـة تجاوزت كل التخمينات في حياة المجتمع، وما عثر عليه في معبد الكرنك بمصـر ماهو إلا دلالة أخرى حيث وجدت ثلاثة مجسـمات حجرية يصـعب تحديد شـكلها بين إنسـان أو حيوان، وهذا التمثال يحمل ريشـــتان، مما جعل أن هذه العلامة تركز إلى القبائل الليبية من جهة، وتجدر عبادة الأرواح عندهم، كما بينت في الوقت نفسـه العلاقة الدينية بين الشـعبين قديماً المصـري والليبي[44]، ومع ملاحظتنا لمجموعة من المشـاهد نرى أن ريشـة كانت توضـع فوق الرؤوس ونعتقد بأنها أداة للتزيين أو رمز لمجتمع بأكمله (الشـكل 42).

وترى (عيسـاوي.م.) أن الريش الذي كان يوضـع على الرؤوس ربما يعود لريش النعام، وتسـتند من هذه الفرضية إلى الرسوم التي تمثل مجموعة من الأسرى من بينهم شخص لوبي (صحراوي)، وهو يرتدي هذا النوع من الريش، ووجد هذا المشهد في قبر الملك سيتي الأول[45]

ويمكن القول أن الريشـــة كانت من ثقافة الجرميين الليبيين المتميزة، ولهذا أرخ المصـــريون القدامى إلى المجتمعات التي إستقرت غرب مصر بما فيها الصحراء وعبروا عنهم في الكتابة الهيروغليفية برأس يحمل ريشة ( ) كذلك ربما تكون الريشة دليلاً على المكانة الإجتماعية المرموقة وعبروا عنها بالعلامة في النصوص المصرية القديمة ( ) وهي على شك قائد في وضعية الركوع ويحمل قوساً ونشاباً.

---

[41] العقون أم الخير، الليبيون...، المرجع السَّابق،ص.67.

[42] بن السعدي سليمان، المرجع السَّابق،ص.49.

[43] إيباه سيدي محمد، المظاهر الثقافية و الأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست (الهقار) الصحراء الوسطى – الجزائر، رسالة ماجستير، تخصص ماقبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة بوزريعة 2 ، الجزائر، 2011-2012،،ص.191.

[44] العقون أم الخير، المصادر الدينية، المرجع السَّابق،ص.170.

[45] عيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة منتوري، قسنطينة،2009-2010،ص 85.

وفي الأخير ومع مجمل هذه الفرضـــيات أعتقد أنّ الريشـــة لا يمكن إختصـــارها في جانب تجميلي أو أنها توضع فوق الرؤوس الحكام فقط بل عبرت عن ثقافة شعب بأكمله(*)، عاش في الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري الحديث، وكانت صفة مشتركة بين الصيادين و الرعاة من جهة، وبين المجتمعات البيضاء و الزنجية كما هي فزان ومن ثم الجرميين.

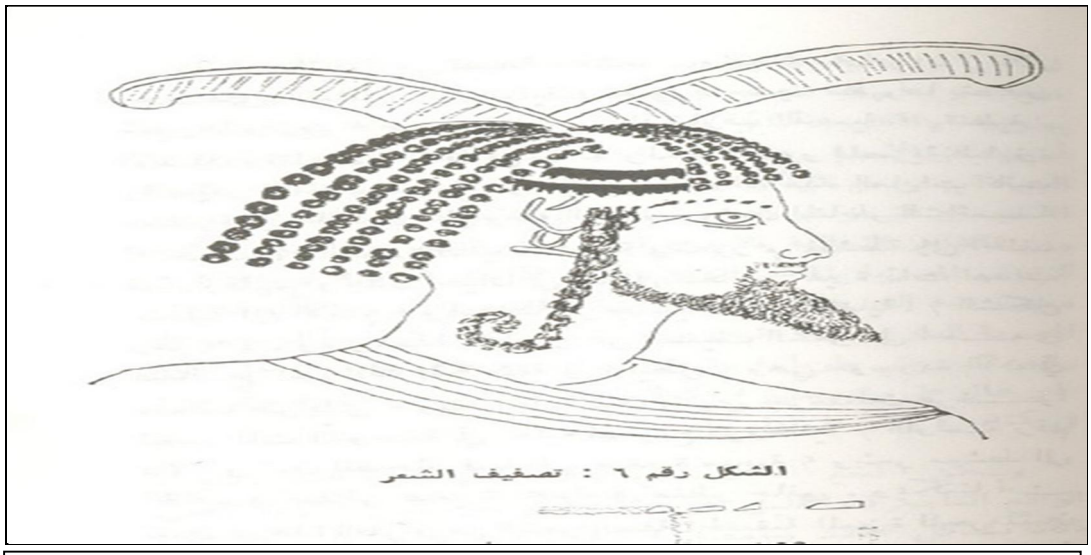

الشكل (42): كيفية وضع الريشة عند الجرميين
المرجع : دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص .82.

(*) ظهرت الريشة أيضا عند مجتمعات خارجة عن النطاق الجغرافي للصحراء الوسطى، وهاهم المجموعة البشرية للمجموعة (ج) في منطقة النوبة ذو صفات مشتركة مع الجرميين في فزان فقد ظهرت الريشة على رؤوسهم رفقة الذيل المستعار، وقد تعبر هذه الإشارة إلى الوحدة الثقافية بين الشعبين (موري فابريزيو، المرجع السَّابق، ص.72.).

ثانيا / الحياة الدينية:

I. المعتقدات الدينية:

لا تختلف المعتقدات الجرمية عن عادات ومعتقدات بقية القبائل الليبية الأخرى، وهذا هيرودوت يروي لنا حول النسامون وهم أبناء عمومة الجرميين قائلا: " أما طريقتهم في اقسم واستطلاع الغيب، فإنهم يقسمون بالرجال المنتمين إلى عشيرتهم واذين كانوا أكثر عدلاً وطيبي الذكر، وذلك بوضع أيديهم على قبورهم، وفيما يتعلق بإستطلاع الغيب ، فتتمثل طريقتهم في أن الراغبين في ذلك يتوجهون إلى قبور أسلافهم ثم يصلون وينامون على القبور، ويعتبرون كل أحلامهم وحياً يجب إتباعه."[46].

ومن المعتقدات التي كانت شائعة لديهم وهو نوع من الإعتقاد بالخلود بعد الموت، ويتضح ذلك من خلال المقتنيات التي عثر عليها بالقبور من أواني وأدوات الزينة وغيرها، وأن تصورهم للحياة الأخرى أنها إستمرار لحياتهم اليومية.

وعلى هذا الأساس، كان تمجيد الأموات شيئاً مألوفاً في الثقافات الأفريقية الشمالية، وقد اتخذ هذا التمجيد أشكالاً شتى، كعبادة الأسلاف، والتشاور مع أرواحهم في احتفالات كبيرة تقام عند مقابرهم، وكانت المباني الجنائزية تعكس احترام أكبر من المعتاد لممارسة الشعائر عند المقابر.

وقد بنى ملوك جرمة قبورهم على أماكن المرتفعة من الوادي الآجال ليشرفوا على رعاياهم الذين دفنوا في بطن الوادي، كما أشرفوا عيهم في الحياة الدنيا، إلا أنّنا لا نعرف شيئاً عن الميثولوجية الجرمية وهل كان أهل فزان قديماً يتصورون أنّ حياة الميت تقتصر على داخل القبر أم أنهم كالمصريين القدماء تصوروا وجود عالم سفلي تحت الأرض أو بقعة أخرى من الكون يبعث فيه الموتى و هناك نقطة هامة هو أنّ عدم عثورنا على أية أدوات حربية في قبور الجرمية ربما كان دليلاً على أنهم تصوروا الآخرة عالم سلام لا حرب فيها، أو أنّ الآهة تسيطر عيه بما لا يدع لقوى الشر مجالاً للنشاط فيها.

وكما لا حظنا في المبحث السابق أن فزان كانت معبراً للتجارة و الشعوب بين شرق أفريقيا وغربها وبين شمالها وجنوبها فانها كانت كذلك معبراً للثقافات الدينية بين البلاد الواقعة حولها.

---

[46] هيرودوت، المصدر السّابق ، الفقرة.172.ص.43.

1. المعبود حمّون:

يعتبر هذا المعبود من أصول ليبية وربما وصل إلى مصر مع المهاجرين الليبيين الأُول الذين نزحوا إلى وادي النيل في عصر ماقبل الأسرات، ويبدو بأنه اتحد بطريقة ما مع الإله من أحد آلهة مصر العليا، وصار الإله آمون أعظم الآلهة المصرية في عهد الإمبراطورية المصرية وتوّطد مركزه بعد إنتصاره على الهرطقة الأتونية، وأقيم له معبد كبير في واحة سيوة[47].

ومن هذه الواحة إنتشرت العقيدة الأمونية بالصحراء ووصلت تأثيرها إلى الإغريق في قورينائية (برقة)، وباستيلاء الفرس بقيادة ملكهم قمبيز على معبد أمون الكبير بالكرنك أصبح لمعبد أمون بسيوة مركز مرموق بين مراكز عبادة هذا الإله[48]، وقد اكتسب هذا المعبد مكانة خاصة في القرن الخامس قبل الميلاد في مدن الأغريق بما قدمه لهم من النبوءات على انتصارهم على أعدائهم الفرس، في وقت قطع فيه الأغريق أي رجاء لهم في النصر، وسمي الأغريق هذا المعبد بمعبد " زيوس أمون"[49].

ولم تنتشر عبادة الإله أمون بهيئته المصرية التي كانت تعتبر إلهاً للإخصاب، بل اكتسب خصائص جديدة فصار عالماً بالغيب يستشيره التجار ورجال القوافل عما يعن لهم من الأمور وصار هادي للضالين بالصحراء ويرشدهم إلى ينابيع المياه والآبار إذا ماهددهم العطش والقيظ، وأصبح حامياً لسكان الواحات الضعاف من بطش الأمبراطوريات التي تضخمت وأصبحت تهدد الإمارات والممالك الصغيرة بالصحراء الليبية، فكان الإله أمون بما له من قوة سحرية يشير الزوابع والرياح ويهلك الجيوش الجرارة كما فعل بجيش اعاهل الفارسي قمبيز الذي أُرسل لإستيلاء على سيوة فهلك في الطريق[50].

يقول هيرودوت أن النسامون وهم جيران الجرميين وبنو عمومتهم، كان بعظمون الإله آمون فا يستبعد أن تكون عبادة هذا الإله قد إنتقلت إلى جرمة من طرف النسامونيين ما لم يكن لجرميين أنفسهم من عبَّاده الأُوّل[51]، وأن التحليل اللغوي للإسم (Garaman) قد تبيّن لنا أنفاً يدل على أن جزءاً من ذلك الاسم يحوي إسم الإله أمان أو أمون، وقد تم الكشف عن مجموعة مباني جرمية لها جدران حجرية بعضها مربعة الشكل ، ويقال أنه معبد لإله الصحراء آمون، ولتأكيد على ذلك كشفت تنقيبات المصلحة الليبية للآثار بقيادة "أيوب محمد سليمان" في جرمة عن وجود تماثيل صغيرة الحجم تعود للإله آمون وهو يرتدي التاج[52].

---

[47] Bates (O), Op.Cit.,p.194.

[48] العقون أم الخير ، المصادر الدينية...، المرجع السّابق،،ص.294.

[49] Bates (O.), Op.Cit.,p.174.

[50] العقون أم الخير، المرجع السّابق، ص. 300.

[51] هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 176، ص.84.

[52] أيوب محمد سليمان، مختصر...، المرجع السَّابق،ص.63.

2. المعبود جراما (الشكل 43):

وهو جد الجرميين الأول، وحسب الأساطير الأغريقية أنه إبن الإله أبوللو من الأميرة أكاكاليس إبنة الملك مينوس ملك كريت الأسطوري، وتروي هذه الأساطير أنّ اللأميرة قد أحبت الإله أبولو وحملت منه واضطر والدها دفعاً للعار أن يرسلها إلى شواطئ تريبتون حيث أنجبت إبنها جاراما، وبعد أن شب هذا اولد أحب بدوره الحنثى تريبتونيا و أنجب منها نسامون جد النسامونيين ، ويظهر أن عبادة الإله جراما قد إنتقلت مع الجرميين أثناء هجرتهم من سواحل طرابس الغرب وخليج قابس إلى فزان[53].

ويشير بعض الكتاب الكلاسيك إلى أن عبادة إله جراما تصنف ضمن عبادة الأجداد شائعة عند الليبيين وأنهم كانوا يستطلعون الغيب عن طريق الإتصال بالأرواح الأجداد أو بروح جدهم الأول جراما، و يذكر بومبينيوس ملا (Pomponius Mela) هذا الأمر بقوله "...إن المرِيد كان يغتسل ويتطهر ثم يرقد على قبر جدٍ معين ، وأثناء نومه تتجلى له في الرؤيا أحداث المستقبل فيعرف منها ما يعني له من المواضيع التي لابد من الإقدام عليها..."[54]، ولعل السبب الذي من أجله قد بنيت القبور ذات المصطبتين المربعتين بهذه الكيفية هو تسهيل عملية النوم لمن رغب الإضطجاع على القبر لقراءة المستقبل من ملوك جرمة القديمة، وذلك باتصالهم بالجد الأول.

الشكل :(43) رأس لإله جراما الوثني بمتحف جرمة الآثري.
الرابط: https://www.temehu.com/Cities_sites/museum-of-germa.htm

[53] أيوب محمد سليمان،جرمة من تاريخ...، المرجع السَّابق،ص.191.

[54] Pomponius mela, Géographie, Trad: Louis Baudet, livre III, 2. http://remacle.org/bloodwolf/erudits/mela/livre3 (17-04-2020).

3. المعبودة تانيت:

معبودة ليبية الأصل وقد نعتت بأسمى المراتب وحظوة في قلوب الناس، وظلت طوال حياتها مخلصة للوطن الأم الذي أنجبها، ظلت آلهة صحراوية لم تتأثر باللاهوت المصري أو الميثولوجيا الأغريقية أو بالأقطار الفينيقية، كانت هذه الألهة تانيت سيدة الصحراء، هادية القوافل بالنهار و الليل ، مفجرة عيون الماء، فكثرة الماء بالآبار رمز الحياة و الخلود[55].

ويشير تشالز دانيلز أنها ذو منبع ليبي قدّست عند قاطني الواحات وبالصحراء الداخلية ، وجد فيها القرطاجيون صورة من الآلهة عشتار الفينيقية فاتخذوها زوجة لآلههم بعل حمّون، ولكن هذه الألهة ظلت مع ذلك ليبية صميمة لم تتمكن الآساطير الفينيقية من أن تغير صورتها فظلت الزوجة الليبية لقرينها الفينيقي[56].

وقد وجدت منحوت في زنككرا تمثل البقرة التي تحمل الشمس بين قرينها في جسدها رمحان متقاطعان وهو رمز حربي ربما يفسر لنا السر الذي جعل القبائل الليبية المحاربة تحت لواء إرنا (Ierna) يحملون رمزاً يمثل البقرة التي تحمل قرص الشمس بين قرنيها كعلامة حربية تجلب النصر، ولعل هذا هو السبب الذي كان من أجله تلبس الفتاة في حفل الآلهة أثينا التي هي تانيت ملابس المحاربات ، ولعل هذا هو الذي وصم ذلك الاحتفال أيضاً بطابع العنف في تمثيل حركات القتال بين الفتيات في إحتفالهن يعيد أمهم تانيت الأنثى المحاربة[57].

وقد عثر في في وادي الآجال على شواهد لقبور المنتمية إلى القرنين السادس، والسابع قبل الميلاد، تحمل واجهته نصوصاً وزخارف بونية من ذلك النوع المألوف للباحثين والذي يتضمن رسماً لقرص الشمس و الهلال ويصورهما متجهين نحو الأسفل، وهذا اعتبره بعض الباحثين كأقدم مؤشر لعبدة تانيت في جرمة على وجه اليقين[58].

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن الجرميين لم يتأثروا بالعبادات الفينيقية فلم يقدموا القرابين البشرية كالفينيقيين، والقرطاجيين كما أنهم لم يتأثروا بالديانة الرومانية[59].

---

[55] الزناتي المبروك، المؤلهة تانيت، مجلة آثار العرب، العدد الرابع، مارس ، 1992، ص.55.

[56] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،64.

[57] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق ،ص.196.

[58] الراشدي فرج، عادات الدفن عند الجارامانت ، وعلاقاتها بعادات الدفن عند شعوب أخرى، تاريخ إفريقياالعام، دراسات ووثائق، ندوة ايونيسكو، باريس،1984،ص.100.

[59] الأثرم رجب، المرجع السَّابق،ص.218.

II. المقابر الجنائزية:

1. نمط الشوشات (الأسطواني):

إلا أنّ القبور الأسطوانية المسماة بالشوشات هي أكثر أشكال المقابرا القديمة تطوراً، وهي عبارة عن قطع أسطوانية من الأحجار العادية ذات سطح مستو، يوجد بعض هذه الشواهد في موقع فجيج وفي منطقة قصر الوطواط ومواقع أخرى، ويوحي كثير من هذه الأنماط في وادي الآجال ومنها الشواهد الموجودة في زنكيكرا ـــ بأنها بنيت على هيئة قبور مدرجة (الشكلان 44 و 45) ، إلاّ أن أكثر القبور الأسطوانية إسترعاءً هي القبور التي ترجع إلى القرن الثالث الميلادي، والموجودة في جبانة سانية بن هويدي (الشكل 46)، وهذه القبورر بكاملها مبنية بقوالب اللبن المصفوفة بمهارة(*)، ويتم التنوع الواضح في أسلوب البناء عن ملكة الإبداع عند الحرفيين الجرميين(60).

الشكل (44):مقبرة أسطوانية مدرجة في زنككرا - الراشدي فرج،المرجع السَّابق،ص.87.

الشكل :(45) تمثيل استعادي للمقبرة الأسطوانيةالمدرجة في وادي الآجال

Camps (G.),Sur trois,,, Op.Cit.,p.109.

(*) تعتبر الشوشات طراز أفريقيا شمالياً أصيلاً، ولا شك أنّ المدغاسن و قبر الرومية في الجزائر يمثلان هذا الطرراز في أوج تطوره (الطالب بالتصرف).

(60) الراشدي فرج، المرجع السَّابق،ص.87.

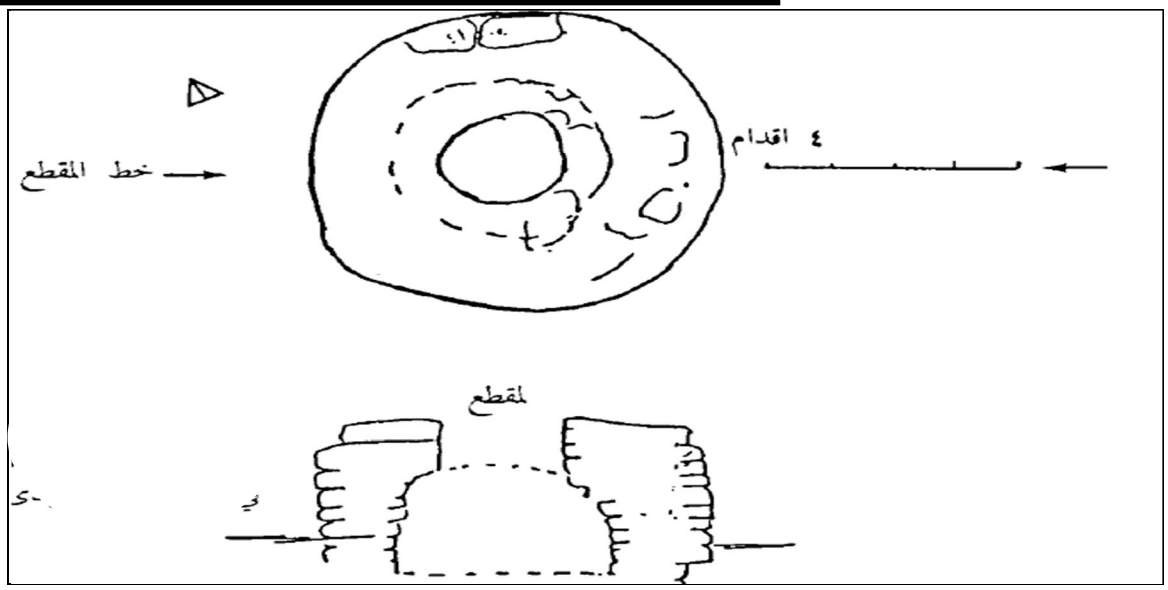

الشكل رقم (46) : المقبرة الأسطوانية في سانية بن هويدي
الراشدي فرج، مرجع سَّابق،ص.87.

2. نمط البازينا (الرباعي الأضلاع):

ينبغي أن يدرج الشاهد المربع والرباعي الأضلاع أيضا ضمن الأشكال المتطورة لقبور البربر، ويتسم العديد من هذه القبور، شأنه شأن الشوشات، بأن له درجات، وتلك السمة هي ما يجعله يسمى بالبازينا (Bazina)، ويعرف الباحث " بن عبد المؤمن " البازينا بأنها جثوة متطورة مغطاة خارجيا عن طريق البناء، وهي نوعان بازينا صغيرة مخصصّة للدفن الأولي، وبازينا الضخمة المخصصّة للأماكن الأبدية للموتى[1].

ويزخر وادي الآجال معقل الجرميين بهذا الطراز من المدافن: والقبور الموجودة من هذا النمط في " الجبانة الصرحية" ، أو الجبانة الملكية (على بعد خمسة كيلومترات جنوبي جرمة القديمة)، تتخذ شكلاً مربعاً أو مستطيلاً وتعلوها درجتان أو ثلاث درجات (الشكلان 47 48) وكانت تطلى من الخارج بطبقة من الجبس، وثمة نموذج خاص في سانية بن هويدي (عى بعد ثلاثة كيلومترات شرق جرمة) تتسم عمارته بقدر من التطور (الشكل 49)[*] ، وكان هذا النموذج مبنياً بقوالب اللبن، شأنه شأن جميع المدافن في سانية بن هويدي، ويظهر جزء منه فقط فوق مستوى الأرض، وهو يبدو في الوقت الحالي على هيئة بناء رباعي الأضلاع، ويوجد على الجانب

[1] بن عبد المؤمن محمد ، المرجع السَّابق، ص 86.

[*] يذكرنا هذا النوع بالمدافن لجدار (مدغوسة بتيارت) فهي تعد بلا منازع أكبر المقابر الرباعية الأضلاع تطورا في شمال إفريقيا لكنها أحدث عهداً من المدافن المدرجة في وادي الآجال التي تعد نموذج مصغر وأصيل للبازينا المتأخرة (الطالب بالتصرف).

الشـــرقي من الجزء الظاهر من المدافن تتمثل في جدارين واطئين يتضـــمنان بقايا لوحة حجرية ومائدة لتقديم القرابين[61].

الشكل :(47) المقبرة التاسعة في الشريح.
Sergi (S.), The Gramantes…,Op,Cit.p,47.

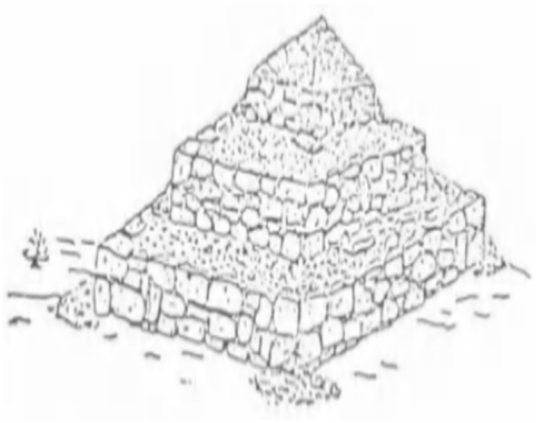

الشكل :(48) تمثيل إستيعادي للمقبرةالمربعة المدرجة في وادي الأجال
Camps (G.),Sur trois,,, Op.Cit.,p.109.

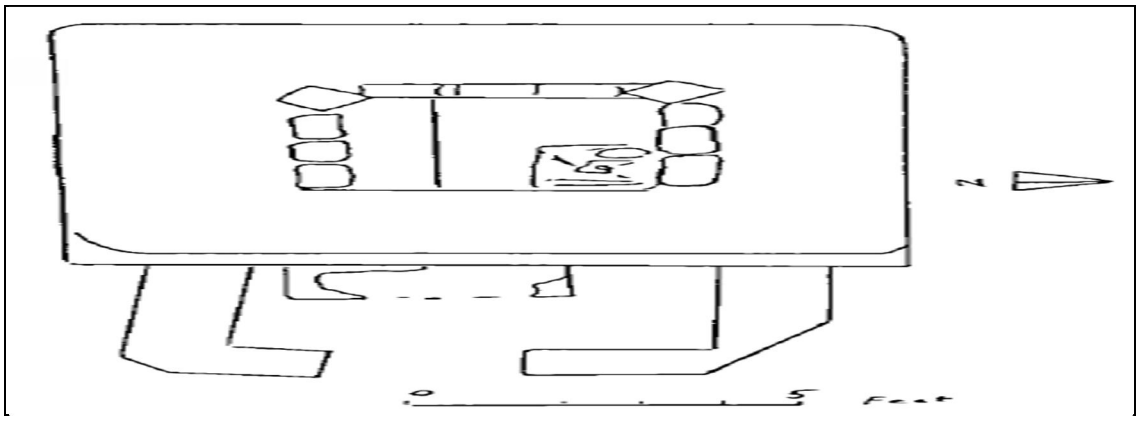

الشكل :(49) مخطط مقبرة فيسانيةبن هويدي
الراشدي فرج، المرجع السَّابق،ص.87

[61]الراشدي فرج، المرجع السَّابق،ص.94.

3. المدافن الهرمية:

توجد في وادي الآجال ثلاث جبانات معروفة بها مدافن هرمية الشكل، وتقع إحدى هذه الجبانات أسفل الجرف عند الشـريج (الشـكل 40)، وقد أكتشـفت جبانتان أخريان في عام 1959 بالقرب من منطقة الحاتية بوسط الوادي، كما لاحظ دانيلز بوجود نماذج منفردة في نقاط متناثرة في الوسط الوادي[62].

وكانت الأهرام تقام عادة في مواجهة الشـرق، ومن ثم يكون الدخول إليها من هذا الجانب، وكان موضـع المدفن ينمثل في خندق مربع يقع تحت الأرض ويغطي بكومة من الأحجار (الشكل 51)

إنّ التاريخ الذي حدد لأهرام وادي الآجال هو فترة تردي المملكة المروية[*] التي يرجح أن تكون مصـــدر هذا الطراز من عمائر الدفن، وتتجه معظم دافن هذا الوادي ناحية الشرق ول يتم العثور على أية مقابر مسورة أو ملحق بها معابد صغيرة وإن كانت اللوحات الحجرية التقليدية وموائد تقديم القرابين موجود دائما[63].

وكان مكان الدفن في الشـريج بوادي الآجال يقع فيما يبدوا أسـفل كومة من الأحجار تحت الهرم نفسـه، ويعلوه ممر رئيسي، ويفترض (ج) كامبس(Camps.G.) أن الجثث فيه كانت تدفن في وضع القرفصاء[64].

وفيما يتصـــل بالجوانب الأنثربولوجية لبناة أهرام وادي الآجال، طرح البعض احتمالا مؤداه أن بناء المدافن ربما كانت نتيجة لمجيئ عنصـــر أجنبي، قد يكون مصـــرياً ، أو نوبياً، إذا توضـــح النتيجة التي خلص إليها ســـرجي (Sergi) من دراســـة جمجمتين عثر عليهما في الشـــريج، أنهما تنتميان إلى عنصـــر أروبي – أفريقي، أما في جبانة الحاتية الهرمية أعطت نتائج إفريقية زنجية متناسبة مع المرويون في السودان.[65]

وربما لا يعدو اختيار الشكل الهرمي للمدافن في وادي الآجال حسب سرجي(Sergi.S.) أن يكون مسايرة لنمط شائع كما يحتمل أن يكون وجود هذا الطراز من المدافن دليلاً على قيام اتصال بين السكان القدامى لوادي الآجال وسـكان مروى، فالواقع أن هناك من يقولون بأن مملكة كوش المسـتقلة الأولى أسـسـها الأسـلاف الليبيون للبيانكلي، ويقال أن أفراد قبيلة القوران في الســـودان هم أســـلاف الجرميين[66]، إلا أنه لا بد من حل مشـــكلة أنثربولوجيا القبيلة قبل أن نستطيع الشروع في تحديد مثل هذه العلاقة.

---

[62] دانيلز تشالز، التنقيبات ...، المرجع السَّابق،ص.37.

[*] موضوع منشأ هذا الطراز من المدافن موضوع شائق، لأن هذه النوعية لا تتشابه مع أنواع أخرى من المدافن، ويرجح السبب أن يكون مصدر التأثير هو الشرق و الجنوب الشرقي، أي مصر والسودان، والإتجاه السائد ينسب إلى الثقافة المروية التي ظلت قائمة لفترة تناهز التسعمائة عام...للمزيد يراجع: (نور أسامة عبد الرحمن، المرجع السَّابق، ص. 17.).

[63] Camps (G.), Sur trois types peu connus de monuments funéraires Nord-Africains,B.S.P.F,Vol,LVI,p.104.

[64] Ibid.,p.104.

[65] Sergi (S.), The Gramantes of Libya, Congrés International de Sciences,Anthropology-ques et Ethnologique,Compte Rendu de la premiére session,london,1934.p.45.

[66] Ibid.,p.45-47.

الشكل :(50) المقبرة الهرمية في الشريح
Sergi (S.), The Gramantes…,Op,Cit.p,47

الشكل :(51) جزء من مقبرة هرمية
دانيلز تشالز ،المرجع السَّابق،ص.59,

4. ضريح جرمة:

أو يسمى بضريح قصر الوطواط (الشكل 52) الذي أعتبر لفترة طويلة نموذجاً فريداً للتغلغل الروماني في الصحراء الوسطى، والذي يعرف الآن بأنه النموذج الوحيد المتبقي ممّا لا يقل عن خمسة أضرحة كانت تقع جميعاً في منطقة جرمة.

وفيما يتصل بطبيعة ضريح جرمة، فإننا حين ننظر إلى شكله الكلاسيكي وزخارفه فإنه يستصوب أن ننظر في إطاره الروماني، عوضـــاً أن نظر في إطاره محلي أو حتى بوني، نظراً لأن له سمات ذات طابع روماني[67]، إلا أنه في حجمه وشـكله النمطيين يذكرنا بصـروح مماثلة في المقبرة الفربية بتبسـة، تحمل مزيجاً من السـمات الرومانية و البونية، أما من حيث التفاصـي، استخدم السـقف المثلث بدلاً من الهرم ، فهو لا يعدو أن يكون على غرار المباني الحجرية في جرمة، وعلى الرغم من أن الذين أقاموه كانوا في أغلب الظن حرفيين استحضروا من الخارج، فإنه يرجح أن يكون قد أقيم لشـخصـية محلية هامة قد يكون تاجر يعمل في إسـتيراد الفخار والوجاج الروماني الذي وجد في قبور أخرى ربما كانت أحد رؤساء الجرميين[68].

[67] أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق، 152.

[68] جوتشايلد ريتشارد جورج، المرجع السَّابق، ص.94.

الشكل (52): الضريح الروماني بقصر الوطواط - جرمة -
Trousset (P,), « Garama »,Op.Cit, consulté le 06 février 2019. URL
الرابط:http://encyclopedieberbere .revues.org/ 2019.

5. شواهد القبر جرمة:

على خلاف شواهد القبور المنتمية إلى ثقافات معاصرة و الموجودة لها في حوض البحر الأبيض المتوسط، فإن نماذج قليلة جداً من شـواهد قبور وادي الآجال هي التي تحمل نقوشـاً، وقد ثبت ، حيثما تم العثور على هذه النماذج، أنها حديثة العهد نسـبياً، ويترتب على ذلك أن تظل الأمور غامضـة إلى حد كبير حين نبحث عادات الجرميين ومعتقداتهم، ويبدو أنّ النماذج الأولى للشـاهد البسـيط لم يكن لها أي شـكل من أشـكال النصـب التذكاري، وكان تطوّر المدافن هو الذي أدى فيما يبدو إلى إدخال شـكل العمود القائم الذي ظهر في وقت ما لم يتسـن تحديده، ولما كانت هذه الشـواهد متنوعة الأشـكال فإنها تصـنف في مجموعات مثل المجموعة العمودية و مجموعة القرون ومجموعة الكفوف، وتظهر هذه الشواهد في جبانات تحتوي على أوان فخارية رومانية ترجع إلى فترة ما من القرن الأول الميلادي أو إلى فترة تسبقه بقليل[69].

[69] دانيلز تشالز، امرجع السَّابق، ص.76.

6. الشواهد العمودية الشكل:

كان للمقابر القديمة في وادي الآجال بلاطتان توضعان متعامدتين كشاهد يتخذ شكلا بدائيا (الشكلان 53 و54) وربما لم يكن ذلك وليد الصدفة، فهذه الشواهد تعتبر إمتداداً لشواهد القبور المنتمية إلى القرنين السابع و السادس قبل الميلاد في قرطاج[70]، وعلى ذلك يمكن أن نفترض أن الجرميين ربما إستوحوا شواهد قبورهم من العمود البوني، ولا غرابة إذن أن تكون معظم الشواهد المكللة بمثلث، كالشواهد الموجودة بمنطقة قصر الوطواط وفجيج من أقدم الطراز في وادي الأجال[71].

الشكل (53): شاهد قبر بجرمة قديمة
Sergi (S.), The Gramantes…,Op,Cit.p,49.

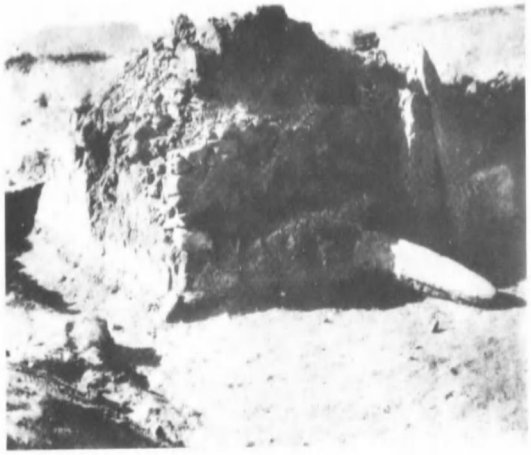

الشكل (54): شاهد في الجبانة الشرقية.
دانيلز تشالز، المرجع السّابق،ص،59

1. الشواهد القرنية الشكل:

ظهر إستخدام القرن كرمز لأول مرة في وقت مبكر يرجع إلى العصر الحجري الحديث (الشكل 55)، ويمكن تتبع تاريخه بسهولة حتى العصر الروماني، وفضلاً عن ذلك فإن هذا الرمز ينتشر عبر رقعة شاسعة تمتد من مواقع العصر الحجري الحديث في الصحراء الوسطى إلى مواقع في حوض البحر المتوسط[72].

وفي فزان ظهرت الشواهد القرنية الشكل مع المدافن الأولى في الجبانة الجنوبية (Nécropole Méridionale) و الجبانة الصرحية (Nécropole Monumentale) ،(الشكل 56)، وكانت بعض الشواهد التي

[70] أيوب محمد سليمان،المرجع السَّابق،154.

[71] الراشدي فرج، المرجع السَّابق،ص.100.

[72] Camps (G.), Op.Cit.,p.109.

عثر عليها بجوار المدافن غير مصقولة وذات شكل ساذج على حين كان البعض الآخر مصقولا بعناية ومتناسق الشكل[73].

وقد بُذلت عدّة محاولات من طرف الباحثين ومنهم " يافز و قوتي" للربط بين رمز القرن الذي يظهر في رسوم الصخرية بفزان و القرون المصوّرة في رموز مسائلة والتي ترجع إلى فترات لا حقة وتنتمي إلى ثقافات أخرى،وعلى ذلك يمكن الافتراض أن كل مافعله الجرميين هو أنهم استمروا على تقاليد العصر الحجري الحديث وانتقلت منهم إلى العصور الوسطى ممّا أتاح لرمز القرن أن يظل باقيا حتى وقتنا هذا[74].

الشكل (55): شواهد على شكل قرن من سانية بن هويدي
دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص،59.

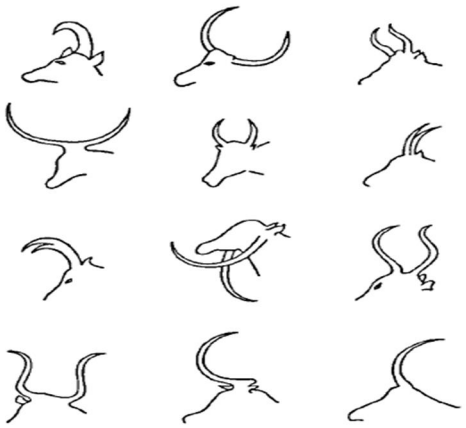

الشكل (56): تمثيل استيعادي للقرن في الفنون الصخرية الليبية
الراشدي فرج، المرجع السَّابق،ص.87

(73) Ibid,p.110.
(74) Yves & Gauthier (C.), Monuments Funéraires Sahariens Et aires culturelles,AARS Paris,N°11-2007,p.65.

7. الشواهد التي تتخذ شكل الكف:

هذا الطراز من شواهد القبور يسهل التعرف عليه، فهو عبارة عن بلاطة حجرية ذات وضع قائم وتستند عادة إلى جدار المقبرة وتقع دائما وراء موائد تقديم القرابين ، وهو ينحت عادة من الحجر ويبلغ طوله في المتوسط متراً وعرضه ستين سنتيمتراً، وقد اتّفق الباحثون على تسمية " الكف" بسبب شكله غير المألوف ولكونه شبيهاً بالكف البشرية،ويبدو أن إستخدام كلمة الكف في وصف هذه الشواهد قد استوحى من تصوير الكفوف المنحوتة على الأعمدة البونية، ومن ثم كان الاعتقاد بأن " الكفوف الجرمية" قد تكون نتاجاً لتاثير بوني[75].

وتوجد بجرمة نماذج من الشواهد القبور البونية ، وتظهر عليها من الرموز فمنها العمودية الشكل ومنها المستطيلة أو التي تضيق تدريجياً مع اتجاهها إلى قمة الشاهد[76].

إن دراسة هذه الشواهد البونية تعد أمراً هاماً لكل من يحاول فهم سر شواهد القبور الجرمية التي تتخذ شكل الكف، ومع ذلك فإننا لا نجد أي نصوص منقوشة يزيد من صعوبة فهمها.

8. موائد تقديم القرابين:

كثيرا ما نجد أمام هذه الشواهد موائد تقديم القرابين عبارة عن كتل من الحجر المنحوت متفاوتة الأحجام، توضع عادة على الجانب الشرقي أو الغربي للمدفن أمام الشواهد، وكان الغرض من هذه الموائد هو أن تحمل القرابين التي يقدمها أقارب الميت، سواء للميت نفسه، أو للميتة، أو لإله المرسوم على الشاهد[77].

ومعظم موائد الجرمية مستطيلة الشكل ومقسمة إلى جزءين : الأول عبارة عن تجويف مستطيل كبير (يكون عادة بجوار الشاهد) ، على حين توجد في الثاني تجويفات أصغر، وتوجد في زنككرا مائدة لتقديم القرابين ترجع إلى العصر الروماني، حفرت فيها التجويفات باتقان بالغ (الشكل 57) ويشغل التجويف الكبير نصف الشاهد، على حين يشمل النصف الأخر ثلاثة تجويفات أصغر حجماً[78].

وتكشف موائد تقديم القرابين الموجودة في سبها، لأول وهلة ، عن تباين واسع في الأشكال وعدد التجويفات الموائد (الشكل 58) ويتراوح ارتفاع المائدة ، في المتوسط، بين 20 و 25 سنتمترا، على حين يتراوح طولها بين سبعين ومائة سنتيمترا وعرضها بين أربعين وخمسين سنتمترا[79].

---

[75] الراشدي فرج، المرجع السَّابق،ص.104.

[76] نفسه،ص.104.

[77] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص.81.

[78] Sergi (S.), Op.Cit.p.47.

[79] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،ص.241.

الشكل (57): شاهد على شكل كف ومائدة قرابين من قبر يرجع إلى العهد الروماني في جبانة زنككرا
دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص.84.

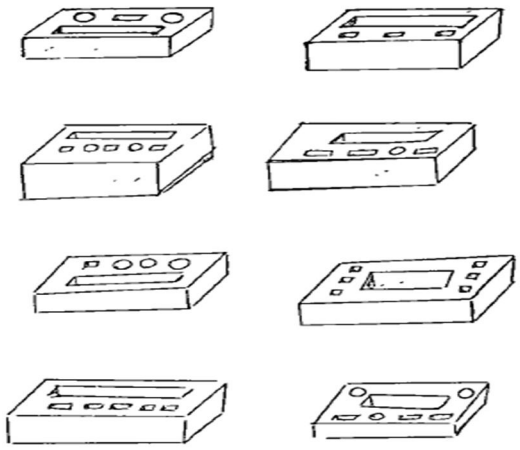

الشكل (58): مائدة جرمية نمطية لتقديم القرابين موجودة متحف سبها
الراشدي فرج، المرجع السَّابق،ص.101

III. شعائر وطقوس الدفن:

يبدو أنّ الجرميين قد مارسوا نوعاً واحداً فقط من الدفن، هو دفن الموتى في وضع القرفصاء، فكان الجثمان يوضع في وضع متكوّر بدرجات مختلفة من الإنكماش، بدءاً من الوضع المرتخي أو نصف المنكمش إلى الوضع المنكمش تماماً الذي يكون كوضع الجنين (الشكل 59)، وكان هذا الشكل شائعاً على نطاق واسع في شمال غربي إفريقيا(*) وفي جنوبي الصحراء منذ عصور ماقبل التاريخ.

إنَّ معنى الوضع المتكوّر أو الجنيني في تقاليد الجرمية ليس مفهوما واضحاً حسب أيوب، إذ لم يتبق أية مصادر يمكن تفسيره في ضوئها، ولا نملك هنا سوى الافتراض بأنه إذا كان للجرميون يؤمنون بوجود حياة أخرى بعد الموت، ويشاركون ثقافات أخرى سابقة عليهم معتقداتها في هذا الشأن، فإن دفن الجثمان في وضع مماثل لوضع الجنين ربّما كان يعني انتظار الميت لميلاد جديد في حياة أخرى[80].

وكانت رؤوس بعض الهياكل العظمية ترتكز إلى مسند خشبي (الشكل 60) ، وهي عادة ترتبط فيما يبدو بتقليد استمر طويلاً في العالم القديم، ومع ذلك فإن النمط الوحيد المناظر لمسند الرأس الذي عثر عليه في وادي الآجال من طرف البعثة الإيطالية هو ذلك النمط الذي استخدمه قدماء المصريين على نطاق واسع[81].

(*) وقد عثر في وادي الجيتار بوهران على وضع جثمان قرفصائي يرجع إلى العصر الحجري الحديث (الباحث بالتصرف).

(80) أيوب محمد سليمان ، المرجع السَّابق، ص.156.

(81)Sergi (S.), Op.Cit.p.47.

الشكل (59): هيكل عظمي في وضع القرفصاء من جبانة جات

Sergi (S.), Op,Cit.p,49

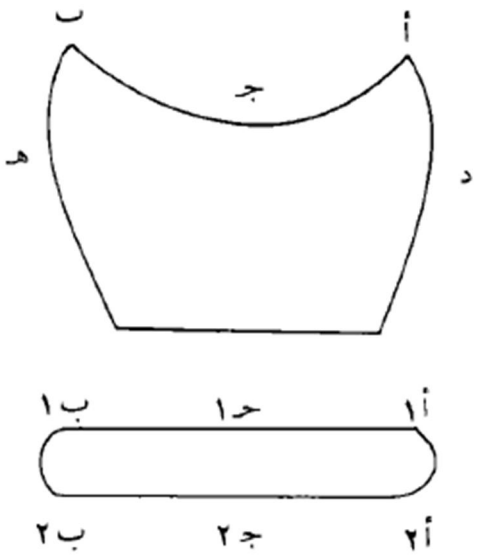

الشكل (60): مسند رأس من زنككرا دانيلز تشالز، مرجع سابق،ص.102.

IV. ديانة اليهودية والمسيحية:

من المعروف أنّ جالية كبيرة نشيطة من اليهود إستقرت بالمدن الإغريقية ببرقة وفي المدن الثلاث، وقد كان تقارب العادات بين الليبيين و اليهود سبباً في علاقات الود و الصداقة التي بدأت بين المجموعتين والتي أدت إلى أن يتزاوج اليهود بالليبيين[82].

ولقد تمكنت الجالية اليهودية في تهويد بعض الليبيين الذين كانوا يسكنون في جوارهم، و قد وجد بجادو جالية من اليهود يمتهنون التجارة ، وهناك في القصص الشعبية بين بعض قبائل فزانية وعلاقاتهم باليهود جادو، ولا نستبعد أن تكون البيوت التجارية من يهود جادو هي التي كانت تمول قبائل الجمالة لا سيما قبيلة مزاتة التي كانت تسكن جبل نفوسة مما عاونها على إقتحام الصحراء أو إنتزاع السيادة على طرق القوافل من الجرميين[83].

ومع أنَّ المسيحية جاءت إلى شمال أفريقيا منذ وقت مبكر من بداية التقويم المسيحي إلا أنّ إنتشارها بالصحراء كان محدوداً جداً وحتى هناك من يرى سبب هلاك جرمة هما الدوناتيين الذين أحرقوها وخربوها عام 394م وهذا يعني إمتداد المسيحية في منطقة فزان لم يكن واردا وذلك لوثنية سكانها وهذا ما جعل المسيح

[82] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص. 193.

[83] نفسه، ص.193.

الدوناتيين أن يشنوا هجماتهم على مدينة جرمة [84]، وبعد اضطلاعنا على مختلف سجلات الأسقفية ومجامعها لا نجد أي مؤشر مسيحي حول سكان جرمة بالرغم أنهم كانوا من أشهر القبائل الليبية نفوذا وامتداد جنوب المدن الثلاث.

و يبدو لي أيضا ، أنّ إشارة المؤرخ البيزنطي بركوب غير واضحة إن كان الجرميين قد إستجابوا لنداء الأمبراطور جيستيانوس واعتنقو المسيحية أم لا ؟، كما أنه لم يقم إلى غاية الأن أي دليل مادي يؤكد هذا الكلام، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتخذ من العلامات الزخرفية الشبيهة دلالة على تحول قبائل الصحراء فزان إلى المسيحية ، إِذْ أنَّ تلك العلامات الشبيهة بالصليب كانت معروفة منذ عصور أقدم من المسيح، و هذا يدّل أنَّ القبائل الجرمية لم تتقبل المسيحية ولم تكن عميقة الجذور في نفوسهم ولم تبلغ حرارة الإيمان فيهم ما بلغته في نفوس قبط مصر أو مسيحي النوبة الذين حافظوا على عقيدتهم حتى القرن الخامس عشر أو السادس عشر الميلادي أي حتى بعد مدة طوية من وصول المسلمين إلى إقليم جرمة.

[84] البرغوثي عبد اللطيف ، المرجع السَّابق، ص.380.

الفصل الخامس

الفصل الخامس : علاقات جرمة بدول الجوار.

أولا / العلاقات الجرمية مع الكيانات السياسية الإقليمية (دول الجوار)

I. مع القبائل اللّيبية المجاورة.
II. علاقات جرمة مع المدن الثلاث (Emporiae).
III. علاقة الجرميين بالقرطاجيين.
IV. علاقة الجرميين بالنوميدين.

ثانيا / العلاقات الجرمية الرومانية

I. العلاقات العدائية.
II. العلاقات السلمية.
III. الحصون (CAESTRA).
IV. المزارع المحصنة (LIMITANI).
V. دور شبكة الطرق في الإستراتيجية العسكرية.

الفصل الخامس : علاقات جرمة بدول الجوار

أولا / العلاقات الجرمية مع الكيانات السياسية الإقليمية (دول الجوار)

I. مع القبائل اللّيبية المجاورة:

لا نستطيع تحديد تاريخ محدّد لبدء العلاقات الجرمية مع القبائل الليبية المجاورة لهم، لكن لا شكَّ في ذلك أنها كانت منذ وقت مبكر، سواء مع القبائل الساحلية أو الداخلية المجاورة (الخريطة 16)، ليس من المستبعد أيضاً أنّ هذه العلاقات إقتصرت على الجانب المبادلات التجارية البسيطة من السلع المصنعة محليّاً، ثم تطورت تلك السّلع بعد احتكاك القبائل بغيرها من الشعوب المتوسطية.

كان الجرميون يتعاملون في تجارة اللّيبية مع الخارج وكأنهم أبناء أمة واحدة، بحيث لا نجد وساطة ليبية أخرى ، هذا دلالة على وحدة الإثنية لليبيين من النيل إلى المحيط الأطلسي، إذ يذكر هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد أنَّ هناك شعبان أصيلان في أرض الليبيين وشعبان دخيلان: الشعبان الأصيلان هما الليبيون و الأثيوبيون، والدخيلان هما الإغريق و الفينيقيون[85].

ويشير هيرودوت كذلك إلى أنّ اللّيبيين كانت لهم نفس العادات والتقاليد في اللباس و زينة إلا أنهم يختلفون عن بعضهم من ناحية الأكل حسب الظروف البيئية[86] وقد حدثنا هذا الأخير أيضا في كتابه الثاني على أسلوب التعاهد والميثاق عند الليبيين التي تعقدها فيما بينها لدفع أخطار تهددها، أو لشن حروب على عدو مشترك لها[87] ولعل أقوى هذه التحالفات بين الجيران الليبيين كانت ما بين النسامونيين و المكاي، ومابين الجرميين و المارماريدي.

و الملاحظ عليه، أنَّ العلاقة بين الجرميين وجيرانهم من القبائل الليبية كانت على مبدأ التعابش السلمي في أغلب الأحيان وهذا لا يعني أنه لا توجد خلافات بينهما وذلك من أجل تنافس على مناطق الرعي[88]، وقد دّلت النصوص أنّ الأحداث التي أحاطت بالمنطقة جعلت القبائل الجرمية تتحالف مع أشقائها الليبية في مواجهة عدو المشترك.

---

[85] هيرودوت، الكتاب الثاني، المصدر السّابق،الفقرة 32، ص.25.

[86] نفسه، الكتاب الرابع، المصدر السابق، الفقرة 168،ص36.

[87] نفسه، الفقرة 44،ص 53.

[88] Mattingly (D.J), Tripolitana…,Pp.35-36.

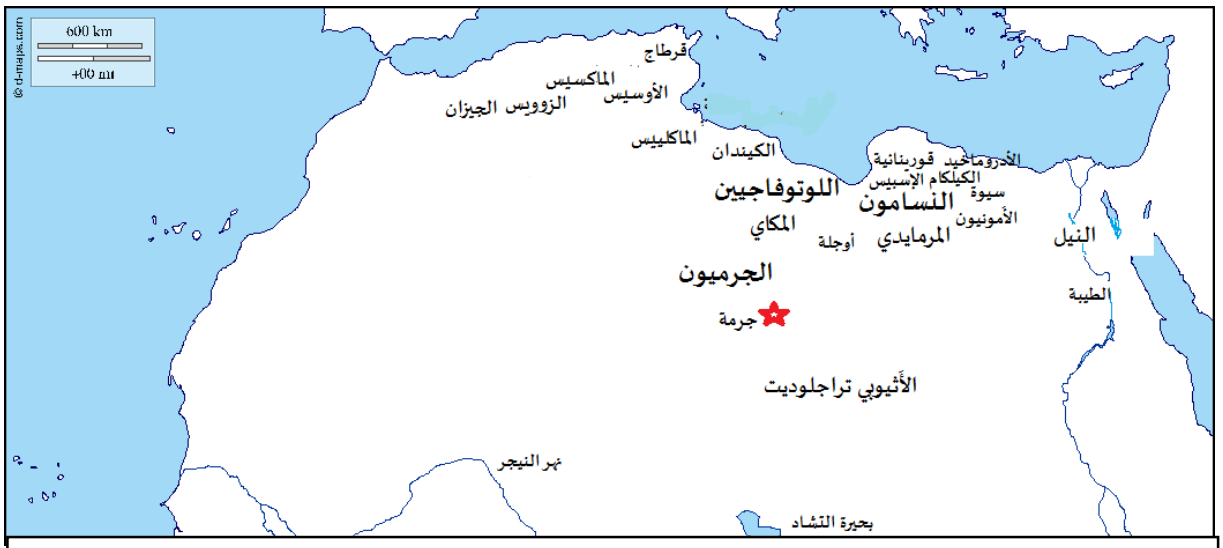

الخريطة (16): تبيّن توطين أهم المجموعات اللّيبية المجاورة لمملكة جرمة بناء على معطيات هيرودوت ج 4 (الطالب بالتصرف)

1. مساندة قبائل الموسولامي *(Mussulamii)*:

تعتبر ثورة الموســـولامي بقيادة "تاكفاريناس" من أهم الثورات الوطنية التي قامت ضـــد الرومان ، والتي انتشـــرت في أرجاء نوميديا وانحاز إليها العديد من القبائل الليبية بهدف طرد الرومان من بلادهم كما لم يتوقف الرومان أبدا عن القتال في ليبيا بســـبب غارات جرميين المتكرّرة. ولهذا صـــنفوها أعنف وأطول حروب ،فبعد حملة بالبوس بخمسة وعشرون عاما قامت مقاومة "تاكفاريناس" في نوميديا و أجزاء من مملكة موريطانيا فاعتبرها الرومان حربا حقيقية، وهي تلك التي اندلعت في أولى ســـنوات حكم الامبراطور "تيبريوس" (Tiberius) والذي نقله "تاكيتوس" (Tacitvs) وسردها بطريقة رائعة ،و يعتبر هذا الأخير المصدر الوحيد في سرد أحداث تلك الحرب.

"تاكفاريناس" هو أحد القادة العسـكريين البارزين في تاريخ المغرب القديم، رغم سـكوت المصـادر التاريخية عنه، ولد عام 08 ق.م، ينتمي إلى قبيلة الموسـولام، التي تسـتقر في الأوراس وضـواحيه، إنخرط في صـفوف الجيش الروماني ضمن فرق المساعدين (Auxiliae) ، وهو في ريعان شبابه، وتدرب خلال السنوات التي قضاها في الجيش

الروماني على فنون القتال ونال ترقية إلى منصـــب ديكريو (DECVRIO) كما تعرف على أســـاليب الحرب لدى الرومان ، فاكتسب خلالها خبرة عسكرية ، وظفها في قيادة جيشه، والتخطيط لمعاركه ضد الغزاة[89].

إنســـحب هذا القائد من الكتائب الرومانية في ظروف غامضـــة ، لم يصـــلنا من المؤرخين القدامى عن أســـباب وظروف انســـحابه من الجيش إلا النزر القليل، فكل ما هنالك أنه لدى انســـحابه من الجندية جمع حوله الكثير من أبناء قبيلته الموسـولام(*)، ودّربهم على اسـتعمال السـلاح، وعلمهم أسـاليب القتال اسـتعداداً للمقاومة، التي أعلنها ســـنة 17 للميلاد ضـــد وحدات الجيش والمؤســـســـات والمراكز الرومانية، وانضـــمت إليه جُل القبائل النوميدية، فأصبح قائداً وزعيماً لثورة حقيقية وراسل الإمبراطور تيبريوس كلاوديوس عارضاً عليه شروط السلم، وقد تدعمت حركته بشـــباب المور بقيادة أحد فرســـانهم يدعى " مازيبيا"[90] ، فأصـــبحت تلك الحركة التي قادها تاكفاريناس انتفاضة شعبية، عمت معظم الأراضي النوميدية والموريةبل وصلت صداها جنوبا عند الجرميين، وكأنها أحييت روح المقاومة التي قادها الملك يوغرطة قبل قرن من حركة تاكفاريناس.

وبعد تحالف تاكفاريناس مع مختلف القبائل الليبية المجاورة، رأى أنه لا بد إندلا ع الثورة في منطقة حيدرة (Ammaediarae) وهي مقر إقامة الفرقة الأغســـطســـية الثالثة (LEG.AVG.III) قبل إنتقالها لتازولت (Lambasis) كما وجه تاكفاريناس نداء أخر للإمبراطور تيبريوس كلاوديوس والمتمثل في إعادة الأراضي لأصحابها والتي منحت للمحاربين القدماء (VETERANI) ،مقابل ايقاف لهيب الثورة ، ويكون بالتالي هذه المشـــاريع الإســـتيطانية من بين الأســـباب التي أدت إلى إندلا ع الثورة، ولهذا عمل الرومان على انشـــاء خط دفاعي الرابط من قابس — حيدرة — قفصة بهدف مراقبة القبائل الموسولام والحد من تحركاتها[91].

بعد أنَّ تحالف "تاكفاريناس" —كما ذكرنا ســـابقا- مع قبائل المور والليبيين في الشـــرق، وبعد أن قســـم جيشـــه إلى فرق من المشـــاة وأخرى من الفرســـان على ما يذكر "تاكيتوس"، وزع قيادته بينه وبين "مزيبيا" الموري ، فاحتفظ هو بالعناصر المدّربة وفق الأساليب الرومانية، وأقام المعسكرات، وكوّن الفرق القوية ذات التسليح الخفيف

---

[89] مسرحي جمال، أوضاع الشرق الجزائري القديم من زوال المملكة النوميدية حتى الغزوات الوندالية 46 ق.م – 429 م – دراسة تحليلية حول الواقع السياسي والإقتصادي في ظل الإحتلال الروماني، أطروحة لنيل درجة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة باتنة 1،2017 – 201 ، ص.146.

[*] الموسولام: إسم أطلقه الرومان على إتحاد القبلي الذين كانوا يستوطنون الأوراس ، وهم فرع من النوميد ،كان يشتهرون بالروح العسكرية والمقاومة ضد رومان سنتي 5 و 6 م، ومن بعدها ساندة أحد أفراده الشهير بتاكفاريناس، أعجب القادة الرومان بصلابة هذه القبيلة ومقاومتها، فأنشاؤا عدة كتائب تحمل إسمها وتم تجنيدها وارسالها إلى سوريا وموريطانيا وحتى إلى بلاد الفرس (البارثيين) ... للمزيد يراجع (akkache Ahmed,Tacfarinnas, Société National,Alger,1968.)

[90] Benabou (M.), Tacfarinas : Insurgé Berber contre la colonisation romaine, (Les Africains),T.IV,éd.Jeune-Afrique,Paris,1977, Pp.293-313,p.301.

[91] حارش محمد الهادي ، ثورة تكفاريناس (18-24 م)، مجلة الجديد للعلوم الإنسانية، العدد 9، 1995، جامعة الجزائر2، ص.129.

التي اتبعت أسلوب الكر والفر " حرب العصابات" الذي يجيده النوميديون ويرهق الرومان المتعودين على المعارك المنظمة، وهو ما أدهش بروقنصل افريقيا " فيريوس كاميليوس" رغم أنّ هذا الأخير هزم تاكفاريناس عام 17م في ضواحي وادي المثول، وهو مادفع تاكفاريناس إلى تغير أسلوب القتال على ما تذكر المصادر ، لكن نفس المصادر تسكت عن الأحداث التي جرت ما بين 18 -20م إلا أن الوضع العسكري الروماني كان متردي في تلك اللحظة، وهذا ما يفسر طلب الدعم لا سيما بعد الإستيلاء على بعض القلاع التي كانت تؤمن له الغنائم، واستمر تكفاريناس غارته على المعاقل القريبة من مقر الفيلق الأغسطسي الثالث و كانت الأحداث في صالحه مما دفع بالرومان إلى استدعاء الفيلق الاسباني (LEG.HISPANICA XIIII) في منتصف أبريل من سنة 20م من أجل تعزيز الفيلق الأغسطسي الثالث[92]، فأسندت قيادة الجيش أطربون (Trubinicae) أونيوس بلاسيوس (IVNIVS BLAESVS) الذي أقدم هاجما على حصون تاكفاريناس مما أجبره على التراجع نحو الجبال، أقام الرومان سلسلة من الحصون لكي لا يضطر إلى الرجوع نحو المعسكرات، ومن أجل دعم قواه عمل تاكفاريناس على الحصول على الدعم ملك الجرميين الذين كانوا قوة لا يستهان بها أنذاك، كما وصفها تاكيتوس أنها قبيلة معائدة ومحبة للحرب[93]، فوعده الملك بتقديم الإمدادات، أما تاكفاريناس اعتمد عليهم كقاعدة لشن غاراتهم على مدينة لبدة الكبرى[94].

ويفسر مساندة ملك جرمة لحركة تاكفاريناس سلاحاً ذو حدين فبالإضافة إلى تقديمه فرقا من الفرسان لمساعدة تاكفاريناس، كانت بلاد جرمة تقدم له مركزاً حليفاً أمناً يلجأ إليه عند الضرورة، وبالفعل تمّ شن الغارات بمساعدة الجرميين، كونهم قوة خفيفة التسليح ويمتازون بالسرعة كون أغلب فرقهم من راكبي الخيول وكانت مهمتها الرئيسية الإغارة على مؤخرة الجيوش وطمر المياه وقطع خطوط مواصلتها كما سنعرف في حملة الموالية.

ونتيجة لهذا جهز بروقنصل بليزوس فرقا عسكرية سريعة التنقل وخفيفة الحركة من أجل مناوشة الجرميين ، حيث وزع القوى الأولى لقائد يسمى كورنيليوس سكيبيو (CORNILIVS SCIPIOI) كانت مهمته السيطرة على المناطق المجاورة لبلاد الجرميين باعتبارهم الأنصار التقليدين لثوار الليبيين و فرض قوته على الطرق الرابطة بين المدن الثلاث و جرمة، وكان مركز قيادة هذه الوحدات بلبدة والتي استطاع تاكفاريناس أن يغزوها ويتراجع إلى بلاد جرمة[95]، وفي تلك الفترة عمل بروقنصل بليزيوس على سحب الفيلق الإسباني التاسع فاستغل تاكفاريناس هذا الحدث لصالحه وذلك بنشر أخبار مفادها أن روما اضطرت لسحب قواتها نتيجة ثورات شعوب أخرى ومن هنا

---

[92] حارش محمد الهادي، المرجع السَّابق، ص.130.

[93] Tacite, Ann,4.50 = gentum indomitam ...

[94] عيسى محمد علي، ثورة تكفاريناس وتبليط شوارع لبدة، مجلة آثار العرب، العدد الخامس، سبتمبر 1996،ص.22.

[95] نفسه،ص.23 - 24.

وجه دعوته لســـكان المنطقة لكي ينظموا إليه ويتخلصـــوا من الرومان، مما أدى لزيادة قوته ومقاومته لهم. ونتيجة لذلك امتد لهيب الثورة من أعمدة هرقل غرباً إلى سرت الكبرى شرقاً[96].

ازداد دعم مملكة جرمة لحركة تاكفاريناس وشـاركوه في الغنائم، ولم تسـتطع القوات الرومانية إرسـال حملة لإرغام الجرميين على التخلي عن مسـاندة "تاكفاريناس"، الذي كان في تلك الفترة يحاصـر مدينة " تيرسـيكوم" بجانب صالداي و التي تلقت الدعم من بروقنصل "دولابيلا" (DOLABELLA) عام 24 م الذي اسس كتائب وفرق عديدة لقيام بعملية كبيرة هدفها محاصـرة تاكفاريناس و ترصـد حركاته، الأمر الذي أجبر على تاكفاريناس ورجاله التخلي عن تلك المدينة فتوجهوا غرباً حيث عسكروا بموقع أوزيا (AVZIA)[97].

وجاء عند بعض المؤرخين أنّ "تاكفاريناس" توجه نحو مملكة موريطانيا ليجعلها ميدان حربه، لأن حاشـية بطليموس قد طلبت منه ذلك وواعدته بالعون والتأييد[98]، وهي في رأينا نية لا تتسـم بالروح الوطنية ولا تتحمس للثورة، وإن كانت الحاشـية قد اسـتدعته فعلاً فما هي إلا مكيدة مدبرة من أجل إخراجه من الصـحراء وفك الإمدادات التي كانت تأتي إليه من الجرميين ، مما يسهل من مهمة محاصرته في الشمال و القبض عليه، وهذا ما تمّ فعلا عندما باغت دولابيلا تاكفاريناس ليلاً في الوقت الذي لم يكن فيه الثوار على اسـتعداد للمقاومة، وقد تمكن جيش الروماني من تطويق المكان ، ولما أدرك "تاكفاريناس" بأنه مقتول أو مأسـورا، فاختار الموتة الكريمة الشـريفة ، لذلك خرج من ملجئه ورمى بنفسـه مواجها العدو ومقاوما لضـرباته إلى أن سـقط في سـاحة الشـرف سـنة 24م. ومن ذلك عاد "دولابيلا" إلى مدينة لبدة وكرّس نقيشة شكر وإهداء للألهة النصر و الخلود على نصره.

ويشـير أحد المؤرخين نقلا عن "تاكيتوس" أنّ الجرميون أرسـلوا وفداً إلى روما مع القائد الروماني "دولابيلا" للاعتذار للإمبراطور تبيريوس وطلب الصفح منه عن دورهم في دعم ثورة تكفريناس وتقديمهم المساعدة له[99]،

وقـد رحـبـت روما بـالـوفـد الجـرمـي ، وكـان ذلـك مـن المشـــاهـد الـنـادرة في روما واقنع الوفـد الجرمي روما بزوال كـل مـا يـدعو إلى التخوف من الجرميين ،كـمـا أنّ هـذه المبـاردة أراحت روما من شن حملة جديدة علي فزان باهظة التكاليف وليست مضمونة النتائج مع شعب قوي أحاطنفسه بمزيد من الحماية ووسائل الدفاع الصحراوية ، كما أنه ليس من مصلحة روما استثارة قبائل المنطقة الداعمة لبعضها

---

[96] حارش محمد الهادي، المرجع السَّابق، ص.130-131..

[97] الشنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999،ص.53.

[98] دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج1، مطبعة الحلي وشركاؤه،ط1،ص.477.

[99] الفاخري مبروكة سعيد، العلاقات السياسية بين المملكة الجرمية في الجنوب الليبي والمدن الرومانية على الساحل الليبي (منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي)، مجلة سبها (العلوم الإنسانية) العدد الثاني، 2013،ص.121

البعض ، وكذلك خشـية روما من إقدام الجرميين على أعمال انتقامية ضـدهم كل تلك الأمور مجتمعة سـاعدت على نجاح الوفد الجرمي في روما[100].

2. التعاون مع القبائل الليبية الأخرى:

وبعد القضـاء على الثورة الموسـولام ،واصـل الجرميون دعم الثورات قبائل الجيتولي على خط الجنوبي الممتد من منطقة موريطانيا إلى غاية لبتيس ماجنا[101]، كما سـاندوا أيضـا المارمايدي مع مجموع من القبائل الليبية أخرى كالنسـامونيين والمكاي واللتان جمعهما الإشـتراك في حرب ضـد قورينائية الأمر الذي دفع بالإمبراطور "أغسـطس" إلي تنصـيب القائد "بوبليوس سـرليكوس كورينيوس" حاكماً لقورينائية وكريت وكلفه بمهمة التصـدي لهجوم هذه القبـائل التي مـا لبثت إن حقق النصـــر عليهـا عـام 15ق.م. ويبـدو أنَّهُ من بين قـادة هـذه الحملة قـائـد يـدعي "كوسوس" الذي ورد ذكره عند فلوريس عندما تحدث عن حروب الرومان ضد القبائل الليبية.[102]

ومن خلال تتبعي لسـياق التجارة الداخلية التي ربطت الجرميين بالقبائل المجاورة من أجل ضـمان حرية وسـلامة القوافل التجارية، تبيّنَ لي من خلال بعض المراجع بأنّ هناك تعاون قائماً بين النسـامونيين والجرميين في تجارة القوافل الصـحراوية عبر مراحل زمنية ، ويمكن أن ألمح إلى حصـن بونجيم الذي يعد محطة رئيسـية للتجار القوافل اللّيبين والذي سأعالجة لا حقا في الجانب خاص بالمنظومة الدفاعية.

وقد بيّنت بعض المخلفات الأثرية أنّ الجرميين قد أقاموا نقاط للحراسـة على الطرق المارة عبر اراضـيهم وكانت هذه المنشـأت لها أبراج لمراقبة يتوسـطها بئر لتقديم الماء للقوافل وحتى أماكن لإيواء الخيول، ومن أشـهر هذه نقاط حصـن مارة (Mara) وشـرابة (Srraba) وترجع أهمية هذه المنشـأت لحماية القوافل و المواصـلات بين جرمة والمناطق الجنوبية ومنها إلى الشـمالية [103]، وممكن أن تكون هذه النقاط التي ذكرها ديودور الصـقلي هي نفسـها التي درسـها (أ) باتس (Bates.O)عملياً، حيث أشـار ديودور أنَّ أفراد من قبيلة النسـامون كانت لهم مناطق لحراسة القوافل القـادة من مثلث الواحـات يتم جمع فيهـا محصـــول من التمور[104]، ويبـدو لي أنَّ تـأمين كـان من عمـل الجرميين ومن خلال المخططات الأثرية التي تم عرضـها سابقا في الفصل الثاني بوجود أماكن تخزين التمور و الحبوب في زنككرا ويكونوا قد فرضوا ضرائب عينة على بعض القبائل ومن بينهم النسامونيين

---

[100] نفسه،ص.121.

[101] حارش محمد الهادي ، المرجع السَّابق،ص.129.

[102] Florus, Op.Cit, II. 31.

[103] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص.90.

[104] Bates (O.), Op.Cit.p.101.

أما الجانب الديني قد أسهم في توثيق تلك العلاقات بين القبائل سواء الموجودة في الداخل أو الساحل ومن ملاحظ إختيار بعض اسماء لهم تؤكد بمدى ارتباطهم بأله أمون مثل لجرميين على ما يبدوا، يتكون من شقين: جر بمعنى حقل باللغة الليبية و "أمن" (أمون) الرب أمون، ومعنى "أجرامن" (الجرامنيون) حقل أمون أو في حمى أمون[105]، أما النسامون في نسق الليبي أيضا تتركب من كلمتين " إناس" و " آمون" أي بمعنى قال أمون أو أوحى أمون، إذا صح الإفتراض ، إرتباطهم بالرب أمون وعبادتهم، وقد ذكر هيرودوت مملكة إيتيارك (Etcarchus) تسمى بمملكة الأمونيين[106]، بدون شك، تيمنا بالرب أمون، وعلماً على إسم المجموعة البشرية التي كانت تقطن منطقة الواحات التي يوجد بها معبد ومهبط وحي الرب أمون.

كل هذه الإشارات يبدو لي أنها لا دلالة على وجود وحدة عقائدية إجتماعية بين الليبيين فمن الناحية النظرية يمكن للروابط الدينية أن تؤلف إتحادات كبيرة في أوقات الأزمات، إلا أنّ المشاكل تنشأ عندما لا يحدث هذا الإتجاه.

3. مع مستوطنة قورينائية:

قورينائية[*] هي إحدى المدن التي بُنيت زمن الغزو الدّوري الإغريقي في مطلع الربع الأخير من القرن السابع قبل الميلاد، وأصبحت مركزاً إقتصادياً مهماً، إلا أنَّ الليبيين رفضوا ذلك وظلوا يكنون في صدورهم كراهية للإغريق أكثر من ستِين عاماً، وخاصة بعد تدفق المهاجرين الإغريق بقورينائية وضواحيها واستيلائهم عليها، فالتجأ الليبييون إلى ملك مصر أبريس طالبين منه العون و المساعدة على طرد الغرباء الإغريق من ليبيا، فبعث إلليهم بنجدة فشلت في مهمتها وقد كانت للملك أمازيس ذو الأصول الليبية (الأسرة 26) الصلة مع قورينائيين فتزوج بنت ملكها لاديكي (Ladyke)[107].

كما حرصت القبائل الليبية وأقصد النسامونيين و الجرميين وحتى المكاي على إستقطاب قرطاجة في ضرب إغريق قورينائية وقد دلّل على ذلك نقش موجود في قورينية خلّد انتصار خمسة قادة عسكريين إغريق على تحالف

---

[105] أعشي مصطفى، المرجع السَّابق،ص.62.

[106] هيرودوت، الكتاب الثاني،الفقرة 32، ص.25.

[*] هذه المدينة التي أسسها المهاجرين الإغريق في شرق ليبيا على خليج السيرت الأكبر سنة 631 ق.م، وكان لها إشعاع سياسي وازدهار اقتصادي ، وقد حاولت الدخول في تنافس مع قرطاج ، ويعتقد أن اسم قوريني (أو قورانا حسب لهجة الإغريق في ذلك الوقت) قد اشتق من اسم نبات الزنبق البري والذي يسمى عند السكان الأصليين نبات "القورا"، والذي كان ينبت بكميات كبيرة في موقع المدينة.، للمزيد يراجع (نصحى ابراهيم ، إنشاء قورينى وشقيقاتها، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى 1979، ص155).

[107] أعشي مصطفى ، المرجع السَّابق،ص.26.

الجرميين والمكاي مع النسامونيين (الشكل 61) [108]،الملفت في هذه الحرب أنها كانت حرباً بحريةً مما يؤكد تورط قرطاجة فيه.

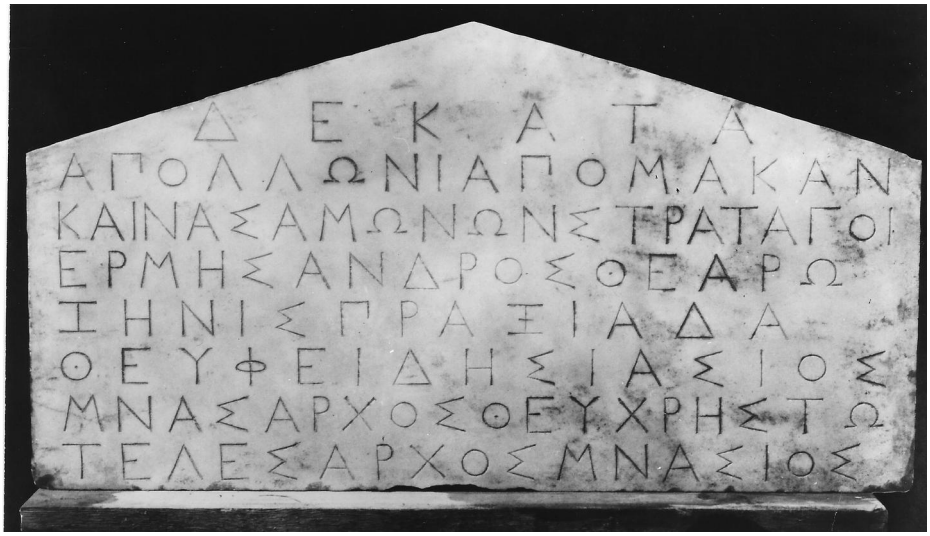

الشكل (61) : ناقشة قورينائية تبيّن تقديم عشرة غنائم لإله أبولو بمناسبة إنتصار قادة الإغريق الخمس على القبائل المكاي والنسامون والجرميين.

IGCyr 017100 (http://doi.org/10.6092/UNIBO/IGCYRGVCYR (11-07-2020). 11:54.

من المحتمل أنّ هيرودوت قد زار برقة حوالي 441 ق.م حيث كانت تقوم في أيامه خمس مدن إغريقية أنشأها المستعمرون اليونان في الأراضي الليبية واستفاد من خلال تواجده بها، من سماع بعض الروايات حول الأقوام الليبية وعاداتهم وتقاليدهم،نستشف من أحاديثه في الجزء الرابع أنّ العلاقات بين الليبين والمستوطنين الإغريق في برقة(*) كانت أغلب الأوقات جيدة وقد أدت هذه العلاقات السلمية إلى تبادل التأثيرات بين القبائل الليبية والإغريق ويشير في فقرة أخرى إلى أن الإغريق إقتبسوا عن الليبيين لباس ودرع وتماثيل الربة أثينا[109]، فهل هذا الإقتباس علاقة بأصل الربة أثينا والتي قد تكون ليبية مثل الرب بوصيدون ؟.

[108] Dobias-Lalou, Catherine. Greek Verse Inscriptions of Cyrenaica in collaboration with Alice Bencivenni, with help from Joyce M. Reynolds and Charlotte Roueché. Bologna: CRR-MM, Alma Mater Studiorum Università di Bologna, 2017. ISBN 9788898010684, http://doi.org/10.6092/UNIBO/IGCYRGVCYR (11-07-2020). 11:54.

(*) ويفسر أحد الباحثين أن كلمة " بر" أي " بيت" تعني في المصرية " معبد" أي بيت الكاو أو مدينة القرائن وهي قريبة من " فر" أي " قصر" ومنه كلمة " فرعون" بمعنى " رب قصر"...للمزيد يراجع: (بازمة محمد مصطفى، تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية وتأثرهم بها، المؤتمر التاريخي ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية بنغازي،1968،ص.89).

(109) هيرودوت، المصدر السَّابق،الفقرة 189، ص.77.

ويؤكد هيرودوت أنّ إسم "البالاديات" (Palladia) الذي يطلق على درع تماثيل الربة أثينا أن أصله ليبي، ويضيف أبو التاريخ، أنه من ضمن الإقتباسات التي أخذها الإغريق عن الليبيين هي إستعمال العربة التي تجرها أربعة خيول، وقد سمى بعض الباحثين هذه العربات بالجرميات أو ركض الطائر[110]، وهذا يعني أن الإغريق لم يكونوا يعرفون لا لعربة ولا للخيول، وأنَّ الفضل في تعرفهم عليهم يعود للجرميين.

ويرى هيرودوت أنّ جموع القبائل الليبية بما فيهم الجرميون يدفنون أمواتهم كالإغريق، باستثناء النسامونيين الذين يدفنون موتاهم جالسين[111]، ويبدوا أنَّ ما يذكره هيرودوت ليس صحيحاً فقد علمنا من خلال الفصل السابق أنَّ الإكتشافات الآثرية بجرمة القديمة أظهرت أغلب الهياكل العظمية على طريقة الجنينية القرفصائية،كما إهتم بندرا الشاعر الإغريقي في إظهار ليبيا كشخصية أسطورية والذي يعتبرها إبنة إله إيبافوص إبن إلة زيوس، قد دوّن الشاعر هذه الأسطورة كونه سمعها من إغريق قورينائية[112]، وهي مدينة الليبية التي تأغرقت.

كانت القوافل التي تصل برقة أغلبها تأتي من الداخل حاملة معها خامات المواد الأولية من الصحراء الكبرى وكان التجار الإغريق في هذه المدينة يتطلعون إلى تلك القوافل لا للحصول على تلك المواد فقط ولكن لمعرفة اخبار وجغرافية البلاد الواقعة خلف الصحراء ليبيا، كان لأعيان قورينائية صلات حسنة ببعض ملوك الدواخل[113]، فقد ذكر هيرودوت أنَّ معبد أمون زيوس في سيوة كان يحابي الإغريق ضد الفرس حتى أنه تعرض لسخط وغزوات الأخيرين، يذكر هيرودوت الطرق الصحراوية التي كانت تربط ضفاف النيل بسواحل المحيط الأطلسي كما أنه يتحدث عن كشوف جغرافية قام بها بعض الليبيين عبر الصحراء إلى البلاد التي تعرف اليوم باسم تشاد[114].

من باب التاريخ أنَّ الإغريق بزعامة هيرودوت أول من ذكروا لنا عن الجرميين، ولو أنه ليس لدينا من دليل على قيام هيرودوت بزيارة بلاد الجرميين، وربما قد إستقى معلوماته خلال إقامته عن أحد التجار الإغريق من سكان قورينائية الذين زاروا جرمة.

---

[110] خاتمي مصطفى، العقون أم الخير، المرجع السَّابق، ص.17.

[111] هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة 172، ص.43.

[112] أنديشة أحمد ، التاريخ ...، مرجعالسَّابق، 112.

[113] شلوف عبد السلام محمد ، قبيلة النسامونس ، مجلة قاريونس العلمية ، ع 1-2 السنة 4 ، جامعة قاريونس ، 1991، ص ص 160-161.

[114] هيرودوت، المصدر السَّابق، الكتاب الثاني، الفقرة 42، ص.33.

لقد بيّنت لنا أيضا بعض الشواهد على إثبات العلاقة بين الليبيين و القورينائيين(*) حيث عثر في كريت على قلائد من العاج والتي شكلت على هيئة قردة مختومة بالطابع القورينائي، بالإضافة عثر عليه في شحات بأحواز قورينة على بيض النعام مشابها لمحتويات القبور الجرمية في زنككرا[115].

II. علاقات جرمة مع المدن الثلاث (Emporiae):

نجح الفينيقيون في إختيارهم لموقع المدن الثلاث التي استقروا بها على الساحل وذلك لوجود شواطئ لرسو السفن، ووجود الطرق التي تربطها بجنوب الإقليم وكان ذلك بعد تأسيس مدينة قرطاجة، ومن أهم المراكز التجارية التي أسسها الفينيقيون المهاجرين من مدينة صور هي مدينة لبدة الكبرى حوالي القرن السادس قبل الميلاد، والتي ذكرتها المصادر الآدبية باسم لبتيس (Lepcis) ووصفتها بالكبرى أو العظمى (Magna)[116].

أما صبراتة (Sabrata) فهي إحدى المراكز الفينيقية التي أنشأت في القرن السادس ق.م أو قبله بقليل، على يد مهاجرين من مدينة صور وهي عبارة عن ميناء تجاري يربط بين المناطق الجبلية و الساحلية.

وبالنسبة لأويات (Oya) تعتبر ثالث ميناء يربط بين لبدة الكبرى وصبراتة أما تاريخ تأسيسها فيرجح أنه أقدم من القرن الخامس قبل الميلاد، وأن مؤسيسها مهاجرون من أصل فينيقي جاءوا من صقلية أو ربما من صيدا بالاشتراك مع بعض الليبيين، و يشير الباحث (أ) أنديشة أنّ الشاعر الملحمي سيليوس إيتاليكوس أشار إلى مساهمة الأفارقة في تشيد مدينة أويات، ويعد مينائها من أهم المنافذ المهمة لتجارة القوافل القادمة من أواسط افريقيا وبلاد جرمة[117].

وقبل تطرق إلى العلاقات التي ربطت بين الجرميين و المستوطنات الفينيقية على ساحل الليبي ، تجدر الإشارة إلى أنّ الليبيين كان لهم نشاط تجاري قبل التواجد الفينيقي، هذا هيرودوت يشير إلى أنّ الليبيين في الساحل الغربي من أرضهم كانوا على علاقة تجارية مع الفينيقيين، كم وصف هذه العلاقة بالتجارة الخرساء،حيث كان الفينيقيين يحضرون بضائعهم إلى الشاطئ، ويتركونها هناك ويعودون إلى سفنهم ويشعلون ناراً حتى يرى الليبيين الدخان يأتون إلى الساحل ويضعون الذهب بجانب البضاعة ويبتعدون، ثم يأتي الفينيقيين لمعاينة الثمن إذا وجدوه غير مرضي

(*) ومما يدل على أنّ العلاقة بين الليبيين والإغريق كانت ودية ومتينة ومستقرة بعض الوقت إن الإغريق كانوا ملتزمين بحدودهم ويتعاونون مع السكان المحليين في النشاط الاقتصادي، حيث كانت القبائل الليبية تسيطر علي بنات السلفيوم، وكان الإغريق في حاجة إليه للمزيد... يراجع (نصحي إبراهيم، المرجع السَّابق،ص.155.).

(115) العقيلي فاطمة سالم ، المرجع السَّابق،ص.72.

(116) أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية ، دار النشر ، بيروت ، 1981، ص.65.

(117) أنديشة أحمد ، المرجع السَّابق، ص. 23.

ابتعدوا وبقوا في سفنهم منتظرين حتى يأتي الليبيين ويزيدون الثمن، وتتكرر العملية حتى يقبل الفينيقيينبالثمن ويأخذون الذهب ويرحلون[118].

إنَّ ما يذكره هيرودوت على متاجرة الفينيقيين مع القبائل الليبية بما فيها الجرميين يؤكد على قدم التعاملات التجارية بين الطرفين، مع العلم أنّ التاريخ لم يترك لنا سوى شذرات استدّل منها العلماء على وجود تلك العلاقات التجارية التي ربطت بين الجرميين بالمدن الثلاث.

وليس من المستبعد، أنَّ الإستيطان الفينيقي لمدن الثلاث كان مختلفا عن الإستيطان الاغريقي في قورينا، وقد انعكس ذلك على طبيعة العلاقات التي ربطت القبائل الليبية بصفة عامة و الجرميين بصفة خاصة بهؤلاء المستوطنين الذين أتوا مسالمين لساحل الليبي منتهجين سياسة البناء والأعمار، حيث كان نفوذ الجرميين يمتد من دواخل طرابلس ولبدة الكبرى شمالاً إلى ضفاف الغربية من بحيرة تشاد جنوباً وبمحالفتهم إستطاع الفينيقيين الإتجار مع أواسط أفريقيا وبالتالي لم تكن هناك أي نزاعات ظاهرة بينهما[119]،ولتأكيد على ذلك فإن المصادر التاريخية التي تطرقت إلى تلك الفترة من التاريخ الليبي القديم، لا توجد إشارة إلى حملات أو حروب شنّتها المدن الفينيقية على القبائل الليبية سوا الساحلية أو التي في الدواخل مثل قبيلة جرمة، بل كانوا في حالة من التعاون و السلام معهم.

حسب اعتقادي أنَّ السبب راجع إلى عدم تدخل الفينيقيون في حياة السكان المحليين خارج إطار المدن الثلاث خاصة الجرميين ، ولا ننسى أهتمام القرطاجيين فيما بعد بالزراعة واستيطانهم في المنطقة بشكل ودي، وعدم اعتدائهم على أراضي القبائل الليبية بل العكس تماما، فقد عملوا على تقديم المساعدة بالأساليب العلمية في الزراعة، ولا سيما زراعة الزيتون، لا نستبعد أنَّ الفينيقيون استفادوا من وسائل جديدة لري المزروعات التي كان يتقنها الجرميون في زرع و الشرب.

لقد أكَّدت في الفصل السابق من خلال المعطيات المادية التي أشرت إليها على أنَّ إقليم فزان كان منذ القدم مصدراً للعديد من السلع المهمة ، تأتي على رأسها الأحجار الكريمة ، التي تاجر بها الجرميين مع الفينيقين وفي أول سجل لنشاط التجاري الصحراوي وثَّق حرخوف (Harkuf) من الأسرة السادسة في تجريدته على مقبرته في أسوان " أنه كان يستعين بالقوافل الليبية إلى بلاد يام ووات وأن تلك القوافل كانت تضم أكثر من ثلاثمائة حمار"، لعلَّ هذا العدّد الكبير من الحيوانات لا دلالة على الإزدهار الذي تميزت به قوافل الصحراء منذ وقت مبكر[120].

---

[118] هيرودوت ، المصدر السّابق، الكتاب الرابع ، الفقرة،196،ص 76.

[119] عبد العليم مصطفى كمال، المرجع السَّابق،ص.835.

[120] حسين عبد العالي مراجع، المرجع السَّابق،ص.41.

وقد أثار موضوع تجارة القوافل الصحراوية جدلا بين المؤرخين ، فهناك من يؤكد على أهمية التجارة الصحراوية الجرمية فيدعم اقتصاد المدن الثلاث وقد بين مما سبق من خلال مختلف المعطيات الآثرية بوجود أربع طرق تجارية التي ربطت جرمة بالمدن الثلاث : منها طريق ربط جرمة إلى صبراتة عبر صحراء أوباري و غدامس، وطريق أخر ربط جرمة بمدينة أويا عبر واحات " الدوادة" ووادي " زجرا" ، طريق ثالث سار شرقاً من وادي الآجال إلى سبها ، ثم إلى دبدب بوادي الشاطئ ، ثم جزرة إلى غاية لبدة[121].

وقد عمل الفينيقيون على الساحل الغربي في مدنهم الثلاث على إيجاد نوع من التعاون بين الطرفين ممّا ساعد على عملية التقارب والإندماج فيما بينهم ،نتج عن هذا حدوث إختلاط بين الفينيقيين و الليبيين ، حدث بينهما تزاوج[122]، نتج عن ظهور جيل جديد يسمى باليبو فينيقي متأثراً بالحضارة الفينيقية ، لا سيما تحول تلك المستوطنات الثلاث (Emporia) إلى المدن الليبية الفينيقية الكبرى (Civitates) حيث تمّ إستيعاب أغلب القبائل الليبية في المنطقة الساحلية[123]، خاصةً مع بروز قرطاجة كقوة عسكرية تجارية.

III. علاقة الجرميين بالقرطاجيين :

وعن طريق المراكز التجارية التي أسسّها الفينيقيون ومن بينها قرطاجة التي دخلت في خضم واسع من العلاقات التجارية مع سكان الواحات، وذلك عن طريق القبائل اللّيبية المقيمة خارج نطاق الساحل ، وقد إستفاد القرطاجيين من تلك الصلة بالجرميين الذين كانوا على ترابط وثيق مع مواطن التي تقع خلفهم والمتمثلة في طاسيلي و الآهقار وتبستي ، وذلك نظراً لتحكم الجرميين بالطرق الصحراوية [124].

ولم يحاول القرطاجيون على السيطرة المباشرة أو الإشراف على طرق القوافل الصحراوية، بل تركت الأمر للجرميين لإدراكهم ومعرفتهم بالخبايا الصحراء، ومنه حدث إنسجام وتعاون في المجال التجاري، وتوفير الحماية للطرق المؤدية إلى عاصمة جرمة، وتمكنهم بمساعدة المكاي من طرد داريوس ابن ملك اسبرطة، من المستعمرة التي أنشأها في "وادي كينيبس" (وادي كعام سنة 514 ق.م) حسب هيرودوت[125]، هذا التعاون القرطاجي الليبي من خلال نقيشة قورينائية يدل بلا شك على أهمية المنطقة و الحرص الشديد من القرطاجيين إلى منع سب تسلّل الإغريق إلى الطرق المؤدية إلى بلاد جرمة، ولذلك جعلت قرطاجة بين منطقة نفوذها في غرب ليبيا ومنطقة نفوذ الإغريق في

---

[121] العقيلي سالم فاطيمة ، المرجع السَّابق، ص.77.

[122] الميار عبد الحفيظ ، ظاهرة استمرارية اللغة و الثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس الغرب خلال العصر الروماني، مجلة أفاق تاريخية ، العدد الأول، السنة الأولى، 1996، ص.117.

[123] أنديشة أحمد، الحياة الإجتماعية... ، المرجع السَّابق،ص. 25.

[124] عبد العليم مصطفى كمال، المرجع السَّابق، ص.81.

[125] هيرودوت ، المصدر السَّابق، الفقرة42، ص.53.

برقة مذبح الأخوين فيلينوس حداً فاصلاً، كما ساعدت هذه الحادثة على انتشار الثقافة و اللغة الفينيقية التي اتجهت نحو المناطق الداخلية عن طريق السكان المحليين[126].

لقد حثّ القرطاجيين القبائل جرمة على زيادة نشاطها التجاري، حيث نجد أثيناوس (Athenaus) إلى قيام أحد التجار القرطاجيين ويدعى ماجو برحلة مع قوافل جرمة ويذكر أن هذا التاجر قد عبر الصحراء ثلاث مرات مرافقاً لتلك القوافل التي تتكون من عدد كبير من الحمير[127]، ولم يقتصر التحالف على التجارة فقط، بل كان تحالفاً سياسياً وعسكرياً، وفي هذا الصدد أكدت مصادرنا الأدبية دعم الجرميين لقرطاجة في كل حروبها ضد الرومان، حيث أورد بوليبيوس أن الجرامنت كانوا ضمن تركيبة هانيبال[128]، كما أنّ سيلوس اتاليكوس (Silius Italicus) تغنى بمشاركة القبائل الليبية ومن بينها الجرمة في الحروب البونية الثانية.[129]

أمّد الجرميين القرطاجيين بالجواهر و الأقمشة و الأسلحة بالإضافة إلى معدن القصدير، وحجر الهماتايت(النطرون)، حيث وجدت هذه المادة في فزان (جنوب من مرزوق)، جلبت من أقاصي الصحراء اللّيبية وصُدرت إلى وادي النيل حيث استخدم في التحنيط[130].

وعند محاولة تصورنا سلع التجارة التي تاجر بها الجرميين مع قرطاجة، رأينا شيئ ذكرته المصادر هو حجر " الكاربونيكل" ، بالإضافة للجلود و الحيونات و الذهب، بمعنى آخر نقلوا كلما كان يتم تسويقه عبر قرطاجة وما كان متوفرا لديهم و الأسواق العالمية أنذاك تطلبه، و حسبي لعل هذا ما قويّ روابط التحالف بين الطرفين و الإرتباط التجاري بينهما ، حيث كان الجرميين سادة التجارة الصحراوية ، واكتفت قرطاجة بدور الموزع لهذه السلع ، وحقيقة كان هذا الأسلوب منهجاً عند القرطاجيين ، وهذا ما تجسد في التجارة الصامتة التي تحدث عنها هيروت، فطالما كانوا يتحصلون على سلع التجارة لم يحاولوا فرض نفوذهم على الشريك التجاري لهم.

كما اقتبس الجرميون عن القرطاجيين طريقة تربية النحل وشهدت الصناعة تطوراً ملحوظاً خلال الفترة القرطاجية، يتضح ذلك من خلال الأواني الفخارية و الأمفورات و الجرار الضخمة، وبرزت صناعة الأقمشة المطرزة، إضافة إلى دبغ الجلود وتجفيف التمور و الزيتون[131].

---

[126] عبد العليم مصطفى كمال،المرجع السَّابق، ص.79.

[127] Athénée de Naucratis, , II.2.p.39.

[128] Polybe, Histoires,I.19, Watz (P.), (détail des éditions) – lire en ligne – http://remacle.org/bloodwolf/historiens/polybe/livre1.htm

[129] Silius Italicus, La Guerre puniqueIII.276,t,1, -- lire en ligne –. http://remacle.org/bloodwolf/historiens/italicus/punique15.htm

[130] موري فابريزيو ، المرجع السَّابق،ص.236.

[131] العقيلي سالم فاطيمة ، المرجع السَّابق، ص.82

IV. علاقة الجرميين بالنوميدين

بعد انتهاء الحرب البونية الثالثة وتدمير قرطاجة ثمَّ حرقها عام 146 ق.م من طرف الرومان تأثرت المدن الثلاث بذلك، والتي يعتقد أنها كانت تابعة لقرطاجة وتدعمها بالجنود و المؤونة، ليس من المستبعد أنّ هؤلاء الجنود كانوا من المرتزقة الليبيين بما فيهم الجرميين الذين كانوا في صفوف حنبعل آل برقة في حروبه ضد الرومان، حيث بلغ تعدادهم أكثر من 100 فارس [132].

وقبل معركة "زاما" الشهيرة وهي آخر جولة في الحروب البونيقية الثانية بين الرومان والقرطاجيين وحلفائهم من ملوك المغرب القديم، كان هناك نزاع بين ملوك النوميديتين "سيفاكس" و"ماسينيسا"، مما اضطر هذا الأخير إلى اللجوء بين مناطق أمبوريا و بلاد جرمة والإختباء بها لعدة سنوات، و هناك تطّلع على الموارد الإقتصادية الموجودة عند الجرميين، ويشير " أيوب محمد سليمان" أنه لا يخفي على أحد، أنَّ ملك ماسينيسا كان يعرف مدى دعامة قبائل جرمة بروحهم الحربية العالية حيث كان أغلبهم من فرسان الخفة راكبي الخيول و العربات اسلحتهم من الرماح و السيوف(*)، تمّكن من إقناع الجرميين في دخولهم للحرب معه مقابل ذلك بمزايا يتمتعون بها[133]، بالفعل أمدَّ الجرميين ماسينيسا بجنود وساعدوه في استرداد عرشه من غريمه سيفاكس ، فقد حاربوا أيضاً في صفوف الملك النوميدي في معركة زاما سنة 201 ق.م ، وهي المعركة التي فاز فيها الرومان و كسب من خلالها حلفاؤهم النوميديين الشرقيون أملاك قرطاجة ، فبسط الإغليد ماسينيسا نفوذه من نهر ملوية غرباً إلى غاية خليج سرت الكبير شرقاً، ووحد النوميديتين، مع الإحتفاظ بكرتا العاصمة الثقافية لليبيين[134].

وعرفت مملكة نوميديا تشجيعاً للحياة الإقتصادية بعد الإستقرار السياسي ، فوطدت العلاقات مع مختلف البلدان الحوض المتوسط خارجيا ومع مختلف القبائل الليبية داخليا وعن طريق فزان كان للجرميين دورا ايجابي في القوافل التجارية الصحراوية و قدومها إلى الشمال محمّلة بالمنتوجات الأفريقية وأهمها الرقيق، العاج ، الريش ، بيض النعام، الحيونات المفترسة وأخيراً الذهب[135]، و لا يستبعد أن تكون مملكة جرمة حلقة وصل بين السكان الصحراء والنوميديين.

وقد برزت مملكة نوميديا بعد تطورها خلال عهدي الملك ماسينيسا وابنه مكيبسا، و توسعها المترامي الأطراف مثلا يحتذى به للقبائل الليبية التي عاشت في الداخل فأخذوا يقتبسون منها أساليب الحياة، وقد نجحت

---

[132] أيوب محمد سليمان ، المرجع السَّابق، ص.135.

[*] سنلاحظ فيما بعد أن الجرميين قد طوروا فنونهم القتالية ووحداتهم العسكرية ابان ثوراتهم ضد الرومان.

[133] أيوب محمد سليمان ، المرجع السَّابق، ص.135.

[134] الشنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15، سنة 1988م، ص.24.

[135] العقيلي سالم فاطيمة ، المرجع السَّابق، ص.75.

هذه المملكة في ضم جل قبائل الليبية باستثناء مملكة جرمة وهذا دليل على نفوذها السياسي و التجاري وبقيت مستقلة أن أي كيان سياسي إلا أن تأثير النوميديين قد وصل إلى جرمة ويتضح ذلك من خلال نقلهم عنهم أساليب العمارة خاصة في النمط الجنائزي(*)، والذي أخذه الملوك النوميديين من المؤثرات المعمارية القرطاجية ، ولما كان الجرميون كغيرهم من القبائل الليبية مفتونين بتقليد النوميدي فقد نقلوا عنهم طراز الموزاليوم مما يؤكد أن هذا البناء من صنع الجرميين وليس الرومان أنّ جميع الذين دفنوا في هذه الجبانات والتي كشفت عنهم الحفريات أنهم من الجرميين ، وليس بينهم أحد من الرومان بالاضافة إلى وجود أربع موزاليوم في جهات قريبة من جرمة القديمة وبالخصوص في المقابر قرزة، مما يدل أن هذا الطراز لم يأت مع التأثيرات الرومانية بل أنه جاء بها النوميديين إلى جرمة[136].

بعد إزالة قرطاج من الوجود وانتقال المعالم البعث الحضاري منها إلى كيرتا خاصة بعد تمدنها فقد عمل الرومان على إزالة المملكة النوميدية أيضاً واستعملوا لذلك نفس أساليبهم التي سبق وأن استعملوها ضد قرطاج ، إذ أخذوا يثيرون الفتنة والبعضاء بين أفراد الأسرة المالكة وهم أحفاذ ماسينيسا، كما أنهم أخذوا يؤلبون القبائل الليبية الأُخرى على نوميديا ونجحوا في نهاية الأَمر من تدمير هذه المملكة التي كان لإقبالها الفضل في انتصار الرومان على القرطاجيين[137].

وبإضمحلال كيرتا إنتقل البناؤون والتجار وأرباب الحرف إلى مملكة جرمة وهذا هو تفسير لإنتقال ثقافة النوميدية البونية إليها، فازدهرت جرمة وبدأ يدّب فيها نشاط من جديد قبيل الميلاد[138].

ومن الواضح أنّ سياسة روما بشمال أفريقيا كانت تدور حول إبقاء جميع القبائل وحتى الممالك الليبية ضعيفة لكي لا تستطيع مناوءة النفوذ الروماني على شواطئ القارة ، وجدت روما أنّ مملكة جرمة ستصبح خطراً عليها إذا استمر تمدنها على ذلك النحو الذي بدأت فيه عقب إضحلال مملكة نوميديا، ولهذا نرى إصدار الإمبراطور أغسطس أوكتافيوس قرار إلى القائد لوكيوس كورنيليوس بالبوس (LVCIUVS CORNILIVS BALBVS) بإخضاع مملكة جرمة.

(*) من المعروف أنَّ النوميديين قلدوا الإغريق، وأخذوا عنهم فنون العمارة النوميدية ، وذلك باتخاذ طراز مميز لإقامة هذا المقابر على شكل موزاليم الذي تأثر به سكان جرمة وشيدوا نمطا مشابها له في جبانة الملوك قصر الوطواط بزنككرا (بتصرف الطالب).

(136) أيوب محمد سليمان ، جرمة في عصر ...،مرجع سابق،ص.161.

(137) الشنيتي محمد البشير، المرجع السّابق، ص. 26.

(138) أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق،ص. 137.

ثانيا / العلاقات الجرمية الرومانية

I. العلاقات العدائية:

تسرب الرومان إلى المدن الثلاث سلمياً منذ تدخلهم في تقسيم المملكة النوميدية بعد وفاة "ماسينيسا"، حيث كانت المدن الثلاث تشكّل جزءاً من هذه المملكة ويتولى "مكيبسا" أمور الحكم بدأ التسرب الفعلي للرومان إلى المنطقة عن طريق أثرياء الرومان من تجار وصنّاع وأرباب سفن مثل "هيرينيوس" الذي استقر في لبدة الكبرى في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد[139].

وعندما أعلنت روما الحرب على "يوغرطة" بصورة فعلية وصلت الرسل من مدينة لبدة الكبرى إلى روما يلتمسون الصداقة والتحالف مع الرومان الذين لبوا طلب مدينة لبدة[140]، ويرى بعض الباحثين أنّ مدينتي صبراتة وأويا قد حصلتا على معاهدة مماثلة مع روما ودخلوا في نطاق الأمبراطورية [141] .

واستمرت المدن الثلاث على هذا النحو من شبه الإستقلال حت نهاية الحرب الاهلية بين بومبي وقيصر التي نشبت بينهما في 49 ق.م، وانضم يوبا الأول مع بومبي وسيطروا عل لبدة وأجبروها على أن تزودهم بالسلاح والرجال والمؤون، وبعد انتصار قيصر في معركة فرساليا عام 48 ق.م واغتيال بومبي في الإسكندرية، تجمعت جيوشه في إفريقيا بقيادة "ميليتوس سكيبيو" و "ماركوس كاتو" الذي عبر مناطق المدن الثلاث قادماً من قورينائية، وتوحد مع القوات النوميدية بقيادة يوبا الأول إستعداداً لملاقاة قيصر الذي عبر البحر المتوسط إل أفريقيا حيث دارت بينه وبين قادة جيوش بومبي العديد من المعارك، كانت أخرها تابسوس عام 47 ق.م[142]، وكان من نتائجها إلغاء يوليوس قيصر للمملكة النوميدية وضم الجزء الأكبر منها في ولاية الرومانية سُميت أفريقيا الجديدة عين عليها المؤرخ سالوست، أما ولاية أفريقيا الرومانية فقد أطلق عليها أفريقيا القديمة، وكان العقاب الذي أنزله يوليوس قيصر بلبدة الكبرى صارماً حيث أنزلها إلى مدينة خاضعة لروما بعد أن كانت حليفة لها، كما فرض عليها غرامة سنوية تقدر بثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون لأنها استضافت كاتو عند مروره بها وقبلت التحالف مع يوبا الأول[143]، ويبدو لي أنّ هذا العقاب كان يشمل صبراتة وأويا أيضاً لإتباعهما سياسة لبدة الكبرى.

---

[139] الجراري محمد ، الإستيطان الروماني في ليبيا، الإستعمار الإستيطاني الإيطالي، منشورات جامعة الفاتح، مركز دراسة الجهاد الليبيين، 1984، ص.43.

[140] نفسه ، ص. 52.

[141] جاد الله فوزي فهيم ، المرجع السَّابق، ص. 22.

[142] نصحي ابراهيم ، تاريخ الرومان ، منشورات الجامعة الليبية ،كلية الأداب ، جزءان ، 1971 م ،1973، ص.210.

[143] أنديشة أحمد ، المرجع السَّابق، 51.

بعد أن تمكن الرومان من السيطرة على المدن الثلاث (Emporiae) أخذوا يتطلعون على المناطق الداخلية من ليبيا وكيفية إختراق الصحراء لتطويق مملكة جرمة التي أصبحت تشكل قوة لا يستهان بها وهذا ما يتعارض مع مخططات الرومانية التوسعية في المنطقة، خاصةً وأنَّ الجرميين وقفوا إل جانب جيرانهم وأبناء عمومتهم الليبيين ودعموا الثورات قبائل الجيتول والموسولامي بقيادة تاكفاريناس مما اعتبره الرومان تحدياً لسلطتهم وهذا ما أدى إلى نشوء احتكاك بين الطرفين واتخاذ الرومان لذلك ذريعة لحملتهم على الجرميين.

1. الحملات العسكرية:

من الملاحظ أنه في السنوات الأولى من حكم الأَمبراطور أوكتافيوس أغسطس قام العديد من الحكام المفوضين [*](LEGATVS AVGVSTVS) من قبل المراسيم السلطات الرومانية بحملات عسكرية في إفريقيا، لقمع ثورات القبائل ومنها على سبيل قبائل جرمة و الجيتول التي رفضت الحكم الروماني ،من أبرز ليغاتوس هو "لوكيوس كورنيليوس بالبوس"[**].

أ. حملة لوكيوس كورنيليوس بالبوس (LVCIVS CORNILIVS BALBVS) سنة 19 ق.م:

في سنة 19 ق.م الذي كان يوافق حكم قيصر أوكتافيوس أغسطس، إخترقت الوحدات الجيش المرابطة بمدينة قورينائية بفيلق يقوده ليغاتوس إسباني المولد في قادس وقرطاجي الأصل يدعى لوكيوس كورنيليوس بالبوس (LVCIVS CORNILIVS BALBVS) حدود مملكة جرمة مستوليا على غدامس (CIDAMVS) الذي أنشئ فيه حصناً ثم مخترقا الصحراء إلى أداري بوادي الشاطئ ويظهر أنه فاجأ بظهوره مستوطنات جرمة مجتازاً لصحراء أوباري (الخريطة رقم 17) و يعدد لنا بليني في روايته أهم المناطق التي استولى عليها القائد الروماني في قوله " "... في ذلك الإتجاه تقع أرض فزانيا (فزان) التي إستولينا عليها وفتحناها بقوة أسلحتنا إذ غزونا مدن أليلي (Alele) وكيلابا (Cillaba) وكذلك كيدانوس (Cydanus) (غدامس) الموجودة قبل صبراتة، ومن هذه النقطة تبدأ سلسلة من الجبال تمتد لمسافة طويلة من الشرق إلى الغرب،

---

[*] أو المفوض الإمبراطوري (LEGATVS AVGVSTVS) : هي رتبة عسكرية بمثابة قائد عسكري وحاكم على المقاطعة بعد الحاقها لأملاك روما مباشرة، وللعلم أنّ الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس أولى إهتمام بالغ بتعيين بالبوس باعتباره من كبار الرتب النخبوية من طبقة الفرسان.

[**] بإضافة إلى كورنيليوس بالبوس الذي أرسله أغسطس لصد الجرميين، ففي سنة نفسه نال ثقة من الإمبراطور صديق بالبوس يسمى كورنيليوس كوسوس (CORNILIVS CVSVS) الذي أرسل الى موريطانيا لقيادة الوحدات العسكرية لتصدي هجمات الجيتول ، والذي تمكن من زحزحة هذه الثورة وحقق إنتصارات، وتلقى أوسمة من قبل الأمبراطور، ولقب بالجيتولي تشريفاً وتخليدا له، على العكس صديقة بالبولس الذي فشل في حملته ضد الجرميين، فعاد خائبا....للمزيد يراجع : .(Mercier (E.),Op.Cit.p.91)

ولقد أطلق عليها الرومان جبل السوداء (Ater) وذلك نسبة للونها الذي إكتسبته بفعل العوامل التكتونية أو نتيجة لإحتراقها بفعل أشعة الشمس، خلف هذا الجبل تمتد الصحراء تقع على أطرافها الشمالية ماتلجا (Matelga) المدينة الجرمية ثم دبريس (Debris) حيث يوجد نبع ماء يطلق عليه ماءً ساخناً لدرجة الغليان في منتصف الليل بينما يطلق ماء في برودة الثلج في منتصف النهار، وكذلك مدينة جاراما (Garama) الشهيرة عاصمة للجرميين.

لقد إستولت القوات الرومانية على كافة النواحي المذكورة، وكلّل "كورنيليوس بالوس" (Cornelius Balbus) بأكاليل النصر لفوزه في تلك الغزوات فزف في عربة النصر وحصل هو وعمه بالبوس الكبير (Balbus Maximum)، على شرف (Quiritium) وحق المواطنة لأنهما لم يكونا من مواليد روما بل كانا أجنبيين من مدينة قادس ".

ويضيف أيضا : " مدينة تابيديو (Tabidio)، قبيلة نيتري (Niteri)، مدينة نيغي جميلة (Neghigemela)، قبيلة بابيوم (Bubeium)، قبيلة أنيبي (Enipi)، مدينة ثبن(Thuben)، جبل السوداء، مدن نيتيرن (Nitirun)، رابسا (Rapsa)، قبيلة ديسيرا (Discera)، مدينة دبريس (Debris)، وادي ناثابر(Nathabar)، مدينة تابساجو (Tapsago)، قبيلة ناناجي(Nannagi)، مدينة بون(Boin)، مدينة بجي(Pege) ، وادي داسيباري (Dasibari)، وكذلك المدن المجاورة التالية: باراكو (Baraco) وبالوبا (Baluba) و الاسي (Alasi) وبالسا (Balsa) وجولي (Goli) وماكسالا (Maxula) وزيزاما (Zizama) وجبل جيري أو غيري(Gyri) وهي التي يظهر من إسمها أن بها الأحجار الكريمة المعروفة(*).

وإلى يومنا هذا لا يوجد درب مطروق يصل ساحل البحر ببلاد الجرمة لأن ذلك الجنس الملعون قد دأب على طمر الأبار الواقعة على الطرق المؤدية إلى بلادهم، هذا علماً بأن هذه الآبار من السهل حفرها نظراً لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض، إلا أنها تتطلب معرفة الأماكن التي يمكن العثور فيها على المياه.

وفي خلال الحروب التي خضنا غمارها في هذه الأيام ضد أهالي مدينة أويا (Oeenses)تحت قيادة الإمبراطور فاسبازيان عثر الرومان على طريق أقصر بأربعة أيام عن الطريق المعروفة، وقد أطلق على هذا الطريق الجديد إسم الطريق الواقع خلف الرأس الصخري(Caputa Saxi)"[144]

(*) هناك مجموعة كبيرة من الأسماء التي لم يتعرف عليها حتى وقتنا الحاضر بعضها لأسماء مناطق و الآخرى لأسماء أنهار وقد كانت فترة الحملة التي قام بها الرومان بقيادة بالبوس في العام 19 ق.م أكبر فترة توثيق للمناطق الجنوبية من ليبيا وقد نقل لنا بلين الأكبر هذه المعلومات في فترة حياته مابين (23-29م)...للمزيد يراجع: أيوب محمد سليمان، حملة كورنيليوس بالبوس، ليبيا في التاريخ القديم، منشورات الجامعة الليبية،1968،ص.157.

[144] بليني الأكبر، المصدر السّابق، الفقرة 25-27.ص.31.

ويتضح من النص وجود صعوبة في التحقق من أسماء المدن والقبائل لعدم وجودها في مصدر أخر لتتم مقارنتها أو مطابقتها للواقع ولهذا إرتأيت أن الأسماء التي أوردها بليني الأكبر غير مؤكدة ولا يمكن الإعتماد عليها في تحديد أسماء القبائل والمدن التي وصلها كورنيليوس بالبوس

ونفهم أيضا من تلك الأنباء التي يرويها بليني الأكبر عن فزان مبالغ فيها ودليل أننا لم نعثر بها على أي أثر يدل على وصول الرومان في هذا التاريخ المبكر ، ولم نجد بالصحراء أي نصب تذكاري أو نقش أو أي شيئ إعتاد الرومان أن يخلدوه به إنتصاراتهم في البلاد المفتوحة، كما أن هنالك نصوص رومانية تشير إلى أن الجرميين كانوا يحاربون بعد مرور أقل من مائة عام من حملة بالبوس على ساحل طرابلس ، ولا يمكن أن يعقل ذلك الأمر إن لم يكن الجرميين قد طردوا الرومان من فزان أولاً، كما أنه نستشف من أخبار بليني الأكبر التي أوردنها أنفاً أنه هناك بعض الشك في كثير مما نسب إلى القائد بالبوس من إنجازات وليس هناك من دليل على أن حملة كورنيليوس بالبوس كانت حملة صغيرة محدودة النتائج.

و من المعلوم أنّ سترابون المؤرخ الروماني المعاصر لتلك الحملة لم يذكر عنها شيئا، لكن الأقرب من الصواب أن الحرب بين الرومان و الجرميين بدأت فعلا في سنة 19 ق.م(*).

ويجتمع بعض المؤرخين بأنّ هناك أسباب عديدة جعلت الإمبراطور أوكتافيوس يصدر قراره لسيطرة على مملكة جرمة، لعل أهمها قوة المملكة ونموها جنوب إقليم المدن الثلاث، وسيطرتها على القوافل التي تربط بين الشمال و دواخل إفريقيا، كما أنّ الجرميين استغلوا كل فرصة لدعم القبائل الأخر مثل الجيتول، كما يضيف بعض الباحثين من بينهم "أيوب محمد سليمان" أنه من ضمن أسباب الحملة هي محاولة جرمة مشاركة الرومان في السيطرة على المنطقة الساحلية(145).

ونستشف أيضا من رواية بليني الأكبر أنّ الرومان إعتبروا حملة بالبوس بمثابة نصراً عظيماً، وبالغوا في تعظيمها لأنها تعتبر مجازفة كبيرة، في المواجهة مصاعب الصحراء و السير لمسافات طويلة دون خرائط ووسائل نقل مناسبة، حيث تقدر المسافة المقطوعة من الساحل إلى مملكة جرمة بثلاثين يوماً حسب ما عرفناه سابقا عند هيرودوت عن بعد جرمة من قورينائية، كانت هذه الحملة هي الأولى من نوعها لدى الرومان إذ اكتسبو خبرة بالأماكن الصحراوية لكنها لم تنجح و لم تحقق إنتصارات على مملكة جرمة ودليل على ذلك أنهم لم يكرسوا

(*) بالرغم من اختلاف المراجع في تحديد تاريخ هذه الحملة فمعظمها تتفق على عام 19 ق.م، والبعض الآخر يضع سنة 20 ق.م ، إلا أنه من المرجح أن 19 ق.م هو تاريخ صحيح، لأن بالبوس إحتفل بنصره في 28 مارس عام 19 ق.م... للمزيد يراجع : جاد الله فوزي فهيم، المرجع السّابق، ص.07.).

(145) أيوب محمد سليمان، حملة كورنيليوس...، المرجع السّابق ص.207.

نقوشـا على غير عادتهم ،فلو نجحت لكانت هناك حميات عسـكرية رومانية مسـتقرة في جرمة، ولم يهدد الجرميين سـكان لبدة ويحاصـرها بعدها بخمسـين عاما، إذا فمن المعروف أن هذه الحملة وصـلت فقط للحدود الشـمالية للمملكة وأدت غرضـها بإستيلاء على غدامس ولم يدخلوا جرمة بل تمّ طردهم منها وأن بالبوس نفسه وجد مركزه محفوفاً بالخطر فآثر الرجوع إلى لبدة عن طريق آخر هو طريق واديزيزامت وجبال مسلاتة.

و من الجلي أنّ حملة بالبوس كان لها دور فعال لدى الجرميين إذ اتحدت القبائل الجرمية تحت لواء ملك واحد واستعادت قوتها، وبعد مُضي أربع سنوات فقط من هذه الحملة تحالف الجرميين مع قبيلة المارمارياداي وقاموا بغزو قورينائية وواجهو كتائب الرومانية التي كانت بقيادة القائد (PRAEFCTVS) المسـمى بوبليوس سـكيبو كويرينيوس (PVBLIVS SVPICVS QVUIRINIVS)[146]، ولا ننسى حسب المخططات التي درسناها سابقاً أن جرمة بعد الحملة قامت بتغيير عاصـمتها خلال القرن الأول الميلادي من زنككرا ، إلى موقع جرمة القديمة بوادي الآجال، فعملوا على تحسين أوضاعهم الإقتصادية و السياسية فيما بعد.

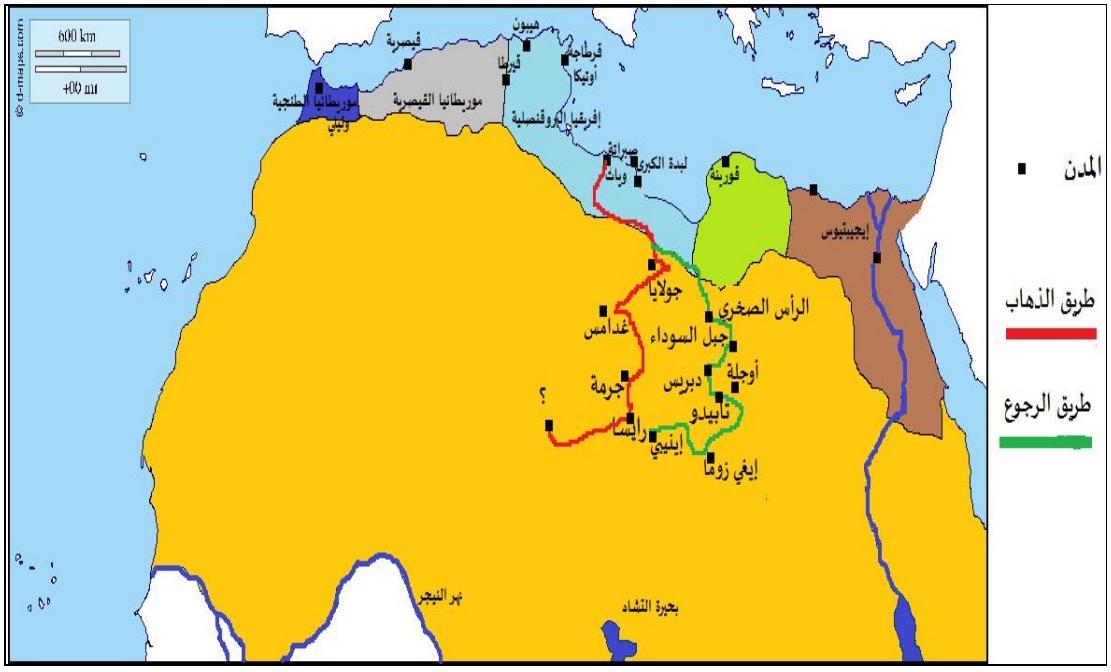

الخريطة (17) : تبيّن مسار لحملة لوكيوس كورنيليوس بالبوس عام 19 ق.م (من عمل الباحث وفق معطيات بليني الأكبر).

[146] أيوب محمد سليمان، حملة كورنيليوس...، المرجع السّابق، ص.211-212.

ب. حملة فاليريوس فستوس (VALERIVS FESTVS) **حوالي 80 م:**

عرفت الإمبراطورية بعد وفاة الإمبراطور لوكسيوس نيرون (LVCISIVS NERON) حرب أهلية ولم تستقر إلى غاية تولي الإمبراطور فسباسيان (TITVS FLAVIVS VESPASIANVS) مابين 69 م – 89 م الذي أعاد ترسيخ السلام في روما و أقاليمها، وكان للحرب أهلية قبل ذلك أثرا على المدن الثلاث فتنازعت الأسر الحاكمة فيما بينها، مما دفع بمدينتي لبدة و وأويا للقيام بحرب لتسوية النزاع بينهما، وهنا تجدد الصراع الجرمي الروماني بسبب وقوف جرمة مع مدينة أويا [147].

وجدت مملكة جرمة نفسها في هذا النزاع بسبب إغارة كل من الطرفين على الأراضي الزراعية للطرف الأخر والسطو عليها، كما كان للمدينتين منافسة تجارية تحول إلى صراع مسلح، فاندلعت حرب عام 80 م[148].

ويبدو أنّ ما زاد من حدة الصراع بين المدينتين هو تفضيل الرومان لمدينة لبدة الكبرى على حساب المدينتين الأخريين، ولذلك لسيطرة الأولى على الشؤون السياسية في المنطقة.

وسرعان ما أنّ وجدت مدينة أويا نفسها غير قادرة على المقاومة لضعفها عسكرياً وقوة منافستها لجأت إلى طلب المساعدة من مملكة جرمة كقوة جيو سياسية في فزان أنذاك، حيث تقدّم الجيش الجرمي نحو مدينة لبدة الكبرى، وقاموا بحصار مواطني المدينة داخل أسوارها ، وخربوا كل المناطق الريفية المحاذية لها، مما سبب ذلك أضراراً كبيرة لمدينة لبدة من إنتاج الزراعي[149].

قامت مدينة لبدة بمناشدة القوات الرومانية، فكلفت هذه الأخيرة ليغاتوس نوميديا فاليريوس فستوس لنجدة مدينة لبدة الكبرى، وعند وصول وحداته[*] من الفرسان (Alae) و كتائب من المشات (Cohortem Pediti) التي شتت قوى الجرميين واستردت منهم جزء من غنائمهم ، وحرّرت المدينة وأسرت العديد من الجرميين ربما تعرضوا للتعذيب في المسرح المكشوف في مدينة لبدة الكبرى ، وهذا ما نشاهده على بعض قطع من

---

[147] جاد الله فوزي فهيم، المعارك و المواقع الحربية بين الليبيين و المستعمرين من الإغريق والرومان، نسخة إلكترونية، ص. 5.

[148] الزدام نجلاء عبدالله، المرجع السَّابق،ص.173.

[149] أنديشة أحمد، التاريخ السياسي، المرجع السَّابق،ص.80.

[*] كانت كل كتيبة (Cohorte) باللاتينية رومانية تضم في صفوفها قرابة 600/400 جندي يقودها أطربون (Tribunus) رتبة قائد سام في الجيش، كينتوريو (Centurio) قائد مائة جنديأو بريفيكتوس Praefectus رتبة قائد سام في الجيش يهتم بالأمور اللوجستية). المصدر: الموسوعة الإيطالية، طبعة (1931) .Enciclopedia Italiana (ملاحظة هذا النص مترجم).

الفسيفساء الذي عثر عليها دار بوك عميرة بزليتن في إحدى ضواحي لبدة مناظر تمثل بعض الأسرى الجرميين التعساء وهم يقدمون كطعام للأسود في حلبات لبدة (يمكن العودة للشكل 34)(*).

تمكن فاليريوس فستوس من الإستيلاء على وويات وعمل على عقد صلح و تسوية النزاع بينها وبين لبدة ، ومن أجل أن يثبت قدراته للإمبراطور الجديد عمل على إرسال حملة لتأديب الجرميين حينما توجه إلى الجنوب عام 80 م لإخضاعهم، ويرى الميار أن طريق الذي سلكه فستوس قد خلق الكثير من التساؤلات، فيرى البعض أنه مرّ عبر حصن غدامس (Castrae Cidamvs) إلى هون ، وعبر مزدة إلى الحمادة الحمراء، في حين يرى البعض الآخر أنه ينطلق من أويا إلى مزدة ومنها إلى الحمادة الحمراء مباشرةً، ولفصل في هذا أن ظروف تغيرت مقارنة بحملة بالبوس عند بليني الأكبر ، الذي قال أن أحد الأدلاء كشف لفستوس طريق أقصر من الطريق المعروف من قبل، يستغرق أربعة أيام وقد عرف " برأس الصخرة" (PRAETER CAPVT SAXI). ولعل من المقصود أيضا أن قطعه يقل بمسيرة

أربعة أيام عن الزمن الذي ذكره هيرودوت عند حديثه على المسافة التي تفصل اللُّو تفاجي(**) (الأكلة اللوتس) عن الجرميين والتي تقدر بثلاثين يوما[150].

طارد القائد فستوس الجرميين إلى المناطق الجنوبية حتى التلال الواقعة في المنطقة التي تعرف اليوم باسم الشويرف (الخريطة 18)، هي التي يسمسها بليني الأكبر بالمنطقة الواقعة خلف الرأس الصغرى (CAPVT SAXI MENORIA)[151]، ولكن الوحدات الرومانية لم تنجح في التوغل نحو الجنوب من هذه المنطقة لقيام الجرميين بقطع خطوط تموينهم و لتدميرهم لآبار خلفهم بالرمال، وهذا يشير إلى أنّ الجرميين كانت لهم دراية بالتخطيط الحربي، مما جعلهم يربكون العدو، ونتيجة تخوف فستوس من قطع طريق إمداداته، فم يتقدم لأبعد من ذلك ومنذ ذلك الوقت شرع الرومان بوضع خطا دفاعيا يشتمل معسكرات و الحصون لدفاع عن أملاكهم في الشريط الساحلي وذلك في المنطقة الجنوبية الممتدة من الرأس الصخري في كل من جرزة حتى جادوا وغربان[152].

(*) يشكك لنا رستوفترف بأن الأسرى في الفسيفساء زليتن ليسوا بالجرميين بل كانوا من النوميد حاربوا مع تكفاريناس، ويبيّن أنهم قدموا كطعام للأسود في حلبات المصارعة في لبدة الكبرى، للمزيد يراجع : رستوفنزف، المرجع السَّابق، ص.214.).

(**) يبدو أنّ اللوطوفاجيين كانوا يستوطنون المنطقة الساحلية ،حسب تسميتهم لهم علاقة بزهرة اللوتوس ، وحسب الباحثين أن جزيرة جربة بخليج تونس تنتشر فيها شجرة اللوتس المثمرة، أول إشارة لهم أتى بها هوميروس في الأوذيسا (81.IX) وهيرودوت في الجزء الرابع الفقرة 177، وبليني الأكبر (الجزء الخامس، الفقرة 28.)، بينما يرها أيوب هي نفسها قبائل اللواتة (تعريب المصطلح) التي كانت تسكن جنوب مدينتي ويات وصبراتة وسهل جفارة وكانت لهم حروب طاحنة مع الجرميين في عهد الأفول...للمزيد يراجع (أيوب محمد سليمان ، المرجع السَّابق، ص.223.).

[150] هيرودوت، المصدر السَّابق، الفقرة،183،ص.62.

[151] أيوب محمد سليمان ، جرمة من تاريخ ...، المرجع السَّابق، ص.139.

[152] نفسه،ص.139-140.

ونخلص من هذه الحملة أن الرومان فشـــلوا من تدمير قوة الجرميين ويرجح نجاح الجرامنت بإســـتخدامهم الجمال كتخطيط حربي حيث أن وصولهم بسرعة غير متوقعة كان له تأثيره على الرومان وكان الجيش اجرمي يتكون بصفة عامة من المشاة و الفرسان راكبي الخيول تقودها عربات وكذلك راكبي الجمال واسلحتهم السيوف والرماح، كما تبين لنا من هذه الحملة أنه كانت هناك فرقة خاصة في الجيش مهمتها طمر الآبار وسد المسالك على العدو بقطع خطوط تموينه.

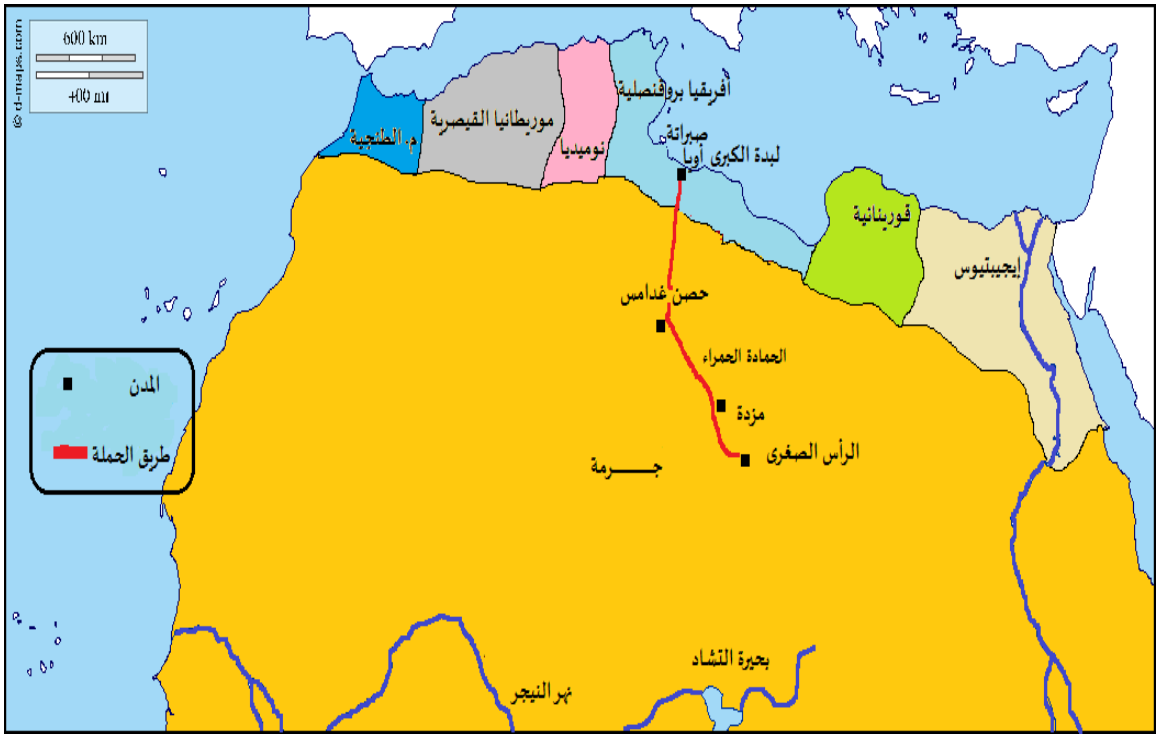

الخريطة (18) : تبيّن مسار حملة فاليريوس فوستوس على بلاد جرمة (من عمل الباحث وفق معطيات المؤرخين) :

أنديشة أحمد، التاريخ السياسي...، المرجع السَّابق،ص.80.-

II. العلاقات السلمية:

بنهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني سئم الرومان و الجرميين من هذه الحروب التي لم تصل إلى نتيجة حاسمة، فاستقرت الأحوال بعد هذه الحملة وعمّ السلام و العلاقات الطيبة بين الرومان و الجرميين ولأول مرة يحصل مبدأ الصلح بينهما.

1. الصلح بين جرمة والرومان:

يبدو أنَّ بعد حملة فاليريوس فستوس (VALERIVS FVSTVS) مباشرة حلّ السلام بين الطرفين المتحاربين من الجرميين والرمان فحتى العلاقات بين الدواخل ليبيا وسواحلها في المدن الثلاث عرفت تطوراً في المبادلات التجارية ويظهر لنا أنّ ملمح السّلم قد جاء لأسباب نذكر منها:

الأحداث السياسية التي تلت وقوع صدام بين الرومان والنسامونيين المجاورين لمملكة جرمة كانوا من قبل على علاقة ود مع الرومان وربما كانوا قد ساعدوهم أيضاً ضد مملكة جرمة إبان حملة "فاليريوس فستوس" وتزويدهم بالإمدادات التي كانت تقطع من طرف الجرميين[153]، جاءت الحوادث هذا الصراع أن النسامونيين استاءوا من ممارسات جباة الضرائب الرومان الذين يبتزون الأموال ويعملون بقسوة في تحصيل الضرائب من أفراد القبيلة، وهجموا عليهم وقتلوهم[154]، مما دفع السلطات الرومانية إلى إرسال حملة عسكرية بقيادة "سوليوس فلاكوس" (SVLIVS FLACVS) كان برتبة حاكم جيوش في نوميديا، استدعي لتأديب النسامونيين إلا أن الثوار بمساندة قبائل مكاي تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالرومان واحتلال معسكرهم[155].

ويذكر "ديون كسيوس" (DION CASIVS) أنّ النسامونيين لم يقوموا بمطاردة الرومان بعد الهزيمة بل عاقروا الخمر التي وجدوها بالمعسكر حتى ثملوا وهاجموا "سوليوس فلاكوس" على حين غرة، ثم هاجمهم في عاصمتهم فدمرها [156]، يعتقد بعض الباحثين أنّ فلاكوس تتبع الفارين منها إلى الصحراء حتى جبال تيبستي ، وعلى ذلك ذكر أيضا ديون أن الإمبراطور دوميتيانوس أمام مجلس الشيوخ بأنه لن يقوم للنسامونيين قائمة من الأن[157].

يتبيّن لي أنّ التعليق الإمبراطور مبالغ فيه على لسان ما سمع منهم المؤرخ الروماني ديون كسيوس، وهذا يبيّن مدى التعصب الرومان على القبائل الليبية، فالقضاء على النسامون كان مجرد أمنية تراود الرومان، لأن نفس

---

[153] جاد الله فوزي، المرجع السّابق، 83.

[154] Elmayer (A.F.), Tripolitania and the roman empir, 1977,p.77.

[155] Trousset (p.), Despois (j.), Gauthier (y.) Op.Cit.,Online connection on (04 -02- 2020). URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2083.

[156] Dion Casius, Histoire Romaine, traduite en Français par e.gros, (lire en ligne);livre LX,P.6.

[157] Ibid,LX.P.8.

المصدر في جزئه العاشر يذكر أن النسامونيين قوة لا يستهان بها و أنهم في عهد سبتيميوس سيفيروس 193 م-211 م تحالفوا مع الجرميين وقاموا بالإغارة على المنطقة الساحلية[158].

أدت الحوادث الهجوم النسامونيين على معسكرات الرومان إلى أن يقبل الرومان الصلح مع مملكة جرمة خاصة بعد معرفتهم بأقصر الطرق إلى مملكة جرمة وبسبب تدهور تجارة الصحراء بعد حملة بالبوس[159]، ورأى الجرميين ذلك مجدياً كون حملات الرومان ضدهم أنهكت قوى مملكتهم وأقفلت أسواق لبدة وصبراتة وأويا في وجه تجارتهم، كما أن قبائل الصحراء الكبرى الموجود جنوب مملكة جرمة قد قطعوا القوافل وربما أغاروا على حدود جرمة نفسها دون أن يجدوا من يقف أمامهم لإنشغال مملكة جرمة بالحرب في الشمال[160]، ونتيجة لتوالي هذه المعارك فقد وجدت مملكة جرمة أنه خير لها أن تطب الصلح من الرومان على شريطة أن يوافق الرومان على إستقلالها وسيادتها

ونستند من خلال نص " بطليموس الجغرافي " الذي أشار فيه إلى سفر ملكا ليبياً يدعى " مركين" قد خرج على رأس سفارة لمقابلة الإمبراطور الروماني " دوميتيانوس " في روما، وأنّ الملك الليبي لم يجد الأَمبراطور في روما فسافر حيث قابله في بلاد الغال (ليون)[161].

وفي المصدر السابق دلّ على أنّ هذا الملك من النسامونيين ويرى " أيوب" أنّ بطليموس قد أخلط بين زعيم النسامونيين وملك جرمة وهو خطأ كثيراً ما وقع فيه الكتَّاب الرومان، فالأَقرب إلى الحقيقة لديه هو أن يكون الملك الذي قابل الأَمبراطور الروماني جرمياً وليس نسامونياً وذلك لأَنه في الزمن الذي تمت فيه المقابلة سنة 89 م، كانت العلاقات عدائية بين النسامونيين والرومان قد بدأ، وقد قلنا مما سبق أن الأَمبراطور دومتيان أعلن أن جيوشه قد أبادت النسامونيين. فبعد ذلك بأسابيع تمت مقابلة بين الأَمبراطور دومتيان وأحد الملوك الليبين[162].

الأقرب إلى العقل أنّ يكون هذا الملك من جرمة وليس من النسامونيين كما قال المؤرخ "أيوب"، حيث هناك دليل أثري عثر عليه في المقابر الطبقة الرابعة بجبانة سانية هويدي بجرمة على عدد من الفخار المعروف باسم الأَواني السانيونية (Sanion Wares) المختومة عليه باسم ورشة الليزو،وهي الأواني التي إشتهرت بها بلاد الغال (حيث تمت المقابلة) بإنتاجها ومن الجائز أن بعض المرافقين لملك جرمة قد إشترى هذه الأَواني من هناك وحملها إلى

---

[158] ديوان كسيوس، التاريخ الروماني، الجزء العاشر، الكتب LXXI وlxxx، ترجمة : غطيس مصطفى، مطبعة أنطوبريس للطباعة والنشر، تطوان، 2013،ص.47.

[159] دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص.22.

[160] أيوب محمد سليمان ، المرجع السَّابق،ص.143.

[161] بطليموس كلاوديوس، المصدر السَّابق، الفصل الثالث، الفقرة: 08، ص. 15.

[162] أيوب محمد سليمان ، المرجع السَّابق،ص.150.

جرمة، أو أنّ بعض التجار الجرميين المرافقين للملك قد تعاقد مع ورشـــة الليزو على توريد هذا الفخار الرائع لجرمة[163]، وهذا دليل تاريخي قوي يدعم بأن الشخصية التي قابلت الإمبراطور دوميتيانوس كان ملك جرمة.

تمحضـــت المقابلة عن إتفاقية بين الطرفين الروماني والجرمي وهو أن تســـاعد الفرق الرومانية بلبدة الجند الجرمي في تطهير طرق القوافل جنوبي جرمة من الأثيوبيين[*]، ومن غير طبيعي أن يطلب النســـامونيين هذا الطلب، فلا بد أن الذي حضر المقابلة هو ملك جرمة وفعلاً وضعت المعاهدة موضع التنفيذ[164].

نتج عن هذه المعاهدة إحلال الســـلام بين الرومان على الســـاحل و مملكة جرمة في الجنوب، ومن نتائج هذا الإتفاق الإقتصادي أن الرومان كانوا يهدفون إلى إقامة وكالات تجارية في جرمة[165]،

ومن هنا بدأ الرومان يعدون العدة لإرســـال حملة اســـتطلاعية نحو الجنوب وهي مختلفة عن الحملات الرومانية الســـابقة من حيث الأهداف والنتائج وتمت هذه بحملتين أولها في زمن الإمبراطور دومتيانوس 81 -96 م بقيادة ســـبتيميوس فلاكوس (SEPTEMIVS FLACVS) ، والثانية حدثت في زمن الإمبراطور تراجانوس بقيادة يوليوس ماتيرنيوس (IVLIVS MATERNVS).

---

[163] أيوب محمد سليمان ، المرجع السَّابق ،ص.150 – 151.

[*] بطبيعة الحال أنّ الرومان كانوا يطلقون على البلاد التي تقطن جنوب مملكة جرمة بالأَثيوبيين، كما أطلق العرب على نفس البلاد إسم بلاد السودان بمعنى السكان السود الوجوه (الباحث بالتصرف).

[164] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،ص.151.

[165] عبد العليم مصطفى كمال، المرجع السَّابق، ص.91.

2. حملة الإستطلاعية الرومانية – الجرمية الأولى

وبناء على نص لبطليموس الجغرافي وصل قائد الفيلق الأوغسطسي الثالث (LEG.AVG.III) سبتميوس فلاكوس (SEPTIMVS FLACVS) بالتوجه من المدن الثلاث (EMPORIAE) صوب مملكة جرمة، وقوبل بالترحيب في جرمة وبعدها توجه بصحبة ملك جرمة جنوبا نحو أراضي الأثيوبيين، وذلك لقيام بتأديب عصابات الصحراء[166]، (الخريطة 19).

ويبدو لي أنها حملة إستطلاعية بامتياز حيث قامت بإكتشاف المنطقة عسكرياً واقتصادياً، في حين يذكر بعض الباحثين أنّ الحملة كانت إستمرار لحملة يوليوس فلاكوس ضد النسامونيين ويرجحون أنّ فلاكوس بعد هزيمته للنسامونيين طاردهم نحو الجنوب حتى نهاية بلاد مملكة جرمة، وربما تكون هذه هي الحقيقة لأن الجرميين لم يقدموا مساعدتهم لها كما سيتم في الحملة الثانية ليوليوس ماترينيوس بل جاءتهم لبلادهم، ومن المؤكد حدوثها زمن الإمبراطور دوميتيانوس حسب بطليموس، وهذا ماتتفق عليها أغلب المراجع في حين هناك إختلاف في تحديد تاريخ محدد لها فالبعض يضعها عام 100م والبعض الأخر يرجح حدوثها فيما بعد عام 86 م[167].

أعطت الحملة الأولى للرومان فكرة القيام بحملة أخرى، لا سيما بعد أنّ استطلعوا المنطقة، وقد حدثت فعلا في زمن الإمبراطور تراجان وبقيادة يوليوس ماتيرنيوس.

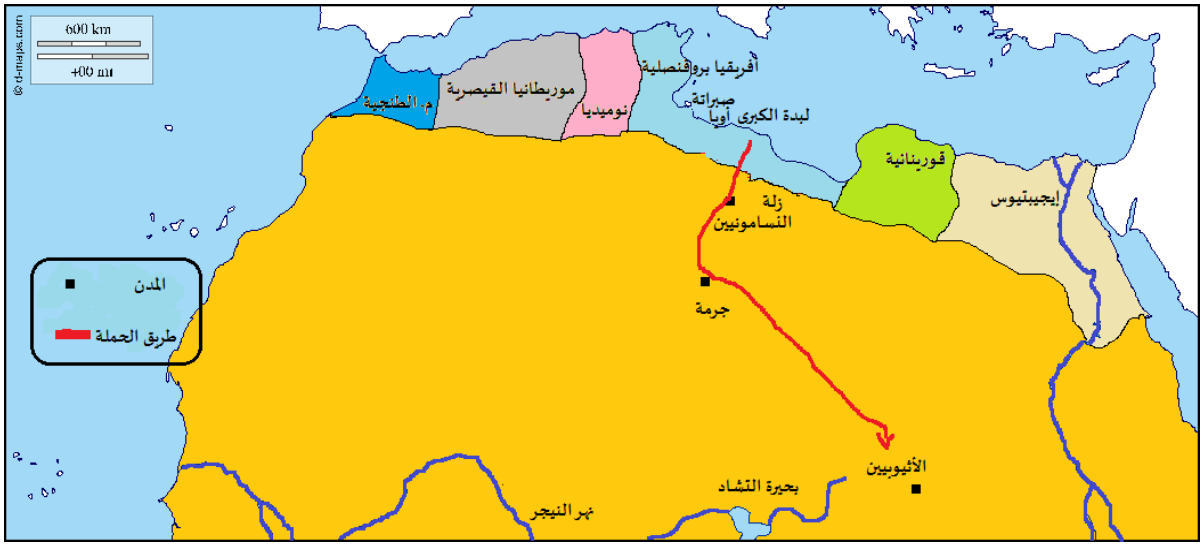

الخريطة (19) : تبين مسار لحملة سبتيميوس فلاكوس رفقة ملك جرمة (من عمل الباحث وفق معطيات بطليموس في جغرافيته).

[166] بطليموس كلاوديوس، المصدر السَّابق، الفصل الثالث، الفقرة: 10، ص.16.

[167] أنديشة أحمد، المرجع السَّابق، ص.86.

3. الحملة الإستيطلاعية الرومانية – الجرمية الثانية

ومع مطلع القرن الثاني الميلادي، وتحديداً في عهد الأمبراطور تراجانوس 98 م- 117م ، حدثت حملة إستطلاعية قادها يوليوس ماتيرنيوس (IVLIVS MATERNIVS) ، والذي اختلفت الآراء في تحديد حقيقة وظيفته ، وهل هو قائد فرقة عسكرية مثلا سابقه فلاكوس أم هو تاجراً ؟

فالإجابة نجدها عند بطليموس الجغرافي الذي قال عنه أنه خرج بقواته[168]، وهذا دلالة على قيادته للجيش سواء كان برتبة أطربون (TRVBVNICAE) يتحكم في عدة كتائب أم قائداً عادياً يتحكم في فرقة واحدة لا تتعدى 500 جنديا (PRAEFECTUS) ،وعلى أيّة حال توجه هذا القائد من مدينة لبدة بقواته إلى جرمة ، ومنها حرج مع ملكها نحو الجنوب وأتما مهمتهما في تطهير المسالك والدروب التي تربط جرمة بالصحراء الكبرى من عصابات وقطاع الطرق[169]، ثم سارا نحو الجنوب لمدة أربعة شهور حتى وصلا إلى بلاد يسميها بليني الأكبر أجيزمبا (Agisymba) التي يصفها بأنها المنطقة التي يوجد بها الحيونات البرية مثل الفيلة و الفرس البحر، وكان أغربها وحيد القرن، ولكنه كان بقرنين (الخريطة 20)[170].

ويقول "أيوب محمد سليمان" لقد كانت النقطة التي وصلت إليها هذه الحملة مثار إهتمام كثير من الأروبيين الذين يهمهم معرفة أول رجل أبيض وصل إلى قلب القارة الأفريقية.

فقال الكثير من الكتّاب على غرار " غراتسياني" إنَّ أجيزمبا (Agisymba) تقع في دارفور في السودان أو حول بحيرة تشاد وهي معلومة عند الجرميين[171] وقال " بوفيل" إنها تقع في مرتفعات تبستي[172] ، ويقارن " أيوب" المدة التي قطعتها الحملة من جرمة جنوباً (وهي أربعة أشهر) ومن الأدلة التاريخية المجتمعة لديه من العصور الإسلامية المبكرة أنّ جيزمبا تحريف لكلمة "أجدز" من بلاد النيجر وكانت تعرف في العصر الإسلامي بإسم "كوار"، وكانت "كوار" هذه على صلة قديمة بجرمة وكانت عاصمتها "خاور" ترتبط بطريق للقوافل مع جرمة عبر جبال طاسيلي ناجر ، وكانت هذه الطريق في القرون الأولى للميلاد لا زالت أرضاً صخرية لم تبتلعها الرمال بعد وكان في إمكان خيول الجرميين وعرباتهم عبورها بكل سهولة وكانت تحرس هذا الطريق قلعتا "شربة" و"قصر مارا"،

---

[168] بطليموس كلاوديوس، المصدر السَّابق، الجزء الأول، الفقرة: 10، ص.16.

[169] Desanges (J.),«Agisymba», Encyclopédie berbére, 2Ad-Aguh-n-Tahlé,Aix-en – Provence, Edisud,1985,p.259-261.

[170] بليني الأكبر، المصدر السَّابق، الفقرة 38، ص.31.

[171] غراتسياني رودولفو، إعادة احتلال فزان، ترجمة:عبد السلام مصطفى باش إمام، مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1995،ص 37.

[172] بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة : الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، ط2، بنغازي، 1988، ص 48.

ولما ســـــدت الرمال هذا الطريق في حوالي القرن الخامس الميلادي حوّل الجرميين طريق قوافلهم لتمر على الأرض الصخرية لجبال الأمساك المتصلة بطاسيلي والممتدة إلى الغرب من الطريق القديمة[173].

ولا زال يقيم في النيجر إلى اليوم، وفي نفس المكان الذي وصـــل إليه ملك جرمة وماتريرنوس قبيلة إسمها جرمة، وهم أحفاد الجنود الجرميين الذين ظلُّوا منذ القرن الأول الميلادي بذلك المكان و يعتقد الباحث (د) ماتنجلي أن: الفضل يرجع للجرميين كونهم أوصلوا الفخار الروماني إلى بلاد أواسط إفريقيا ومن ضمنها مملكة مروى القديمة بالســـودان حيث عثر بمقابر ملوكها على كمية كبيرة من الفخار الروماني الذي يرجع إلى مصـــانع مقاطعات الأفريقية في الشمال، وربما نقل الجرميين من مروى معرفتهم إنشاء المقابر الهرمية[174].

و بعد عرضنا المعطيات المتوفرة حول هذه الحملة ومراحلها ، يمكن الإستينتاج بأن هدف هذه الحملة إنما كان اقتصاديا بالدرجة الأولى، يهدف إلى السيطرة على الطرق التجارية المتجهة شمالا، كذلك تأمين هذه الطرق ، والبحث عن مصـــادر التجارة الأفريقية مما ســـاهم في ازدهار التجارة بين جرمة والشـــمال، كما يتبين لنا أن هاتين الحملتين قد تمّتا بموافقة الجرميين مما يدل على تغيير مجرى العلاقات مع روما وتجســـد قمةُ التعاون ومدى اشـــتراك المصالح. وهذا ما جعل مملكة جرمة تنجح في إبقاء على سيادتها على طرق القوافل إلى غاية إنهيارها، ويرجع طول هذه المدة إلى إرتباطهم بمعاهدات مع القبائل و الشـعوب التي تمر بها هذه الطرق وإلى صـلاتهم الودية التي حافظوا عليها مع جيرانهم أو مع العالم الخارجي في البحر المتوسط.

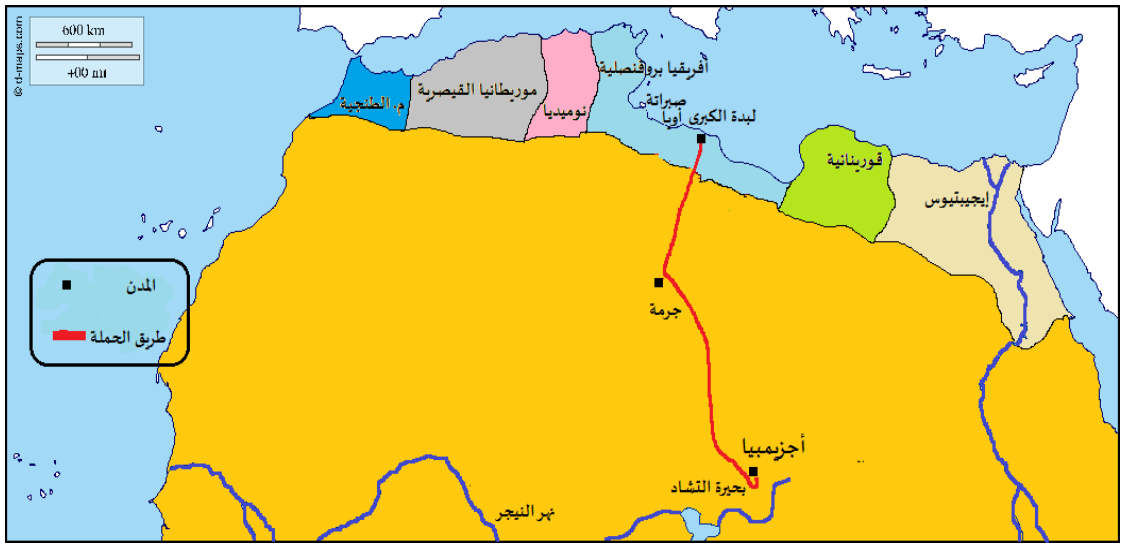

الخريطة (20): تبين مسار لحملة يوليوس ماترينيوس رفقة ملك جرمة إلى أجزيمبيا في بحيرة التشاد (من عمل الطالب وفق رواية بطليموس في جغرافيته).

(173) أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق،ص.152.

(174) ماتنجلي ديفيد جون، المرجع السَّابق، ص.93.

ثالثا – منظومة الدفاعية الرومانية في جرمة:

تحالف قبائل النسامون والجرميين في أواخر القرن الثاني الميلادي وقامتا بغارات مشتركة على على المدن الرومانية الساحلية وذلك أثناء حكم الإمبراطور سبتيموس سيفيروس(*) 193 -211م الذي قاد بنفسه حملة لمطاردة النسامونيس والجرميين حتى فزان عام 203-204م.

و عل صوء هذه الحملة، تبين للإمبراطور سبيميوس سيفيروس خطورة هذه القبائل واستراتيجية موطنها، لذلك قرر إقامة تحصيناتيه تقي المدن الشمالية من أطماع القبائل الليبية السابقة الذكر، قد قام بإنشاء نظام دفاعي ثابت ، أستمر عليه من بعده أبنه ماركوس أوريليوس كاركلا 212–217م وحفيده الإسكندر سيفيروس 224–235م[175]، وذلك حتى يضمن لولاياته الأمن والاستقرار. ويعتمد هذا النظام على سلسلة من التحصينات على الحدودالجنوبية للمدن الرومانية الساحلية، تتضمن إنشاء وإقامة القلاع والحصون .

I. الحصون (CAESTRA):

تعتبر الحصون من الوسائل المباشرة التي اتخذها الرومان في سبيل تحقيق سيادتهم الرومانية فكانت تتركز بصفة خاصة في تدعيم قواتهم العسكرية.

وقد تعددت التحصينات التي أقامها الرومان في فزان ما بين معسكرات محاطة بالأسوار وأبراج مراقبة متفرقة ومزارع محصنة مزودة بمحطات مياه، ومن أبرز هذه التحصينات نجد:

1. حصن جولايا – بونجيم – (*Caestra Gholaia*):

يقع هذا الحصن في واحة تعرف اليوم بأبي نجيم، وهي تقع على بعد 110 كلم^2 جنوب الساحل و 200 كلم^2 جنوب مرتفعات كيفالي برومونتوريوم "مصراتة " وتُمثل الواحة رأس وادي بيه – الكايب، وهو فرع من وادي ألبي الكبير، وبعد النقطة الرئيسية من واحات جرمة الشمالية وتشمل سوكنة – ودان ومناطق أخرى مأهولة بالسكان وتطل على الطريق يربط هذه المناطق جرمة ووسط أفريقيا (الخريطة 21)[176].

(*) ولد لوكيوس سبتيميوس سيفيروس في مدينة لبدة الكبرى حوالي 146م ، ينحدر من عائلة عريقة تنتمي إلى طبقة الفرسان، تحصلت على حق المواطنة الرومانية بفضل الخدمة التي قدمتها للإمبراطورية الرومانية، وكان سيفيروس أول افريقي يعتلي عرش الأمبرطورية الرومانية من 193 م– 211 م...للمزيد يراجع : رمضان تسعديث ، الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم (193م – 235م)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، جوان 1990، ص.04.

[175] مبروكة سعيد الفاخري، المرجع السَّابق،ص.125.

[176] المسلاتي خالد عمر، أعمال التخريب في حصن بونجيم (جولايا)، العدد 21/20 السنة الخامسة، مجلة أفاق أثرية، طرابلس، 2017،ص. 03.

تمَّ اكتشاف موقع الحصن من قبل النقيب البريطاني ليون (Lyon) سنة 1819، ويعتقد الباحث " الميار" بأنه استينادا إل وصق الضابط البريطاني ، فإن أشياءأكثيرة ضاعت ، واندثرت مع مرور الوقت، كأبراج المداخل العالية التي نعت منها أجاؤها العليا فيما بعد لبناء قلعة عثمانية، وقد نشر (رينيه) كانيا (Cagnat.R.) تصميماً للحصن خطّطه الرحالة دوفريه (Duveyrier) الذي زار بونجيم سنة 1869 ولكننا نجد أن تفاصيل البوابات والجدار بين البرجين غير دقيقة ، رغم صحة الأجزاء الأساسية [177].

وقد لقى حصن جولايا (أبو نجيم) اهتماماً كبيراً، إذْ وضع " جود تشايلد" مخطط تفصيلي للموقع إعتمد في ذلك على الزيارات الميدانية والصور الجوية ، أما أعمال التنقيب بالموقع قد أجريت على يد رينيه ريبوفات (René Rebuffat) رئيس البعثة الفرنسية لاستكشاف منطقة ما قبل الصحراء، و رئيس الفريق الذي عمل على التنقيب في حصن بونجيم ما بين عامي : 1969– 1970[178].

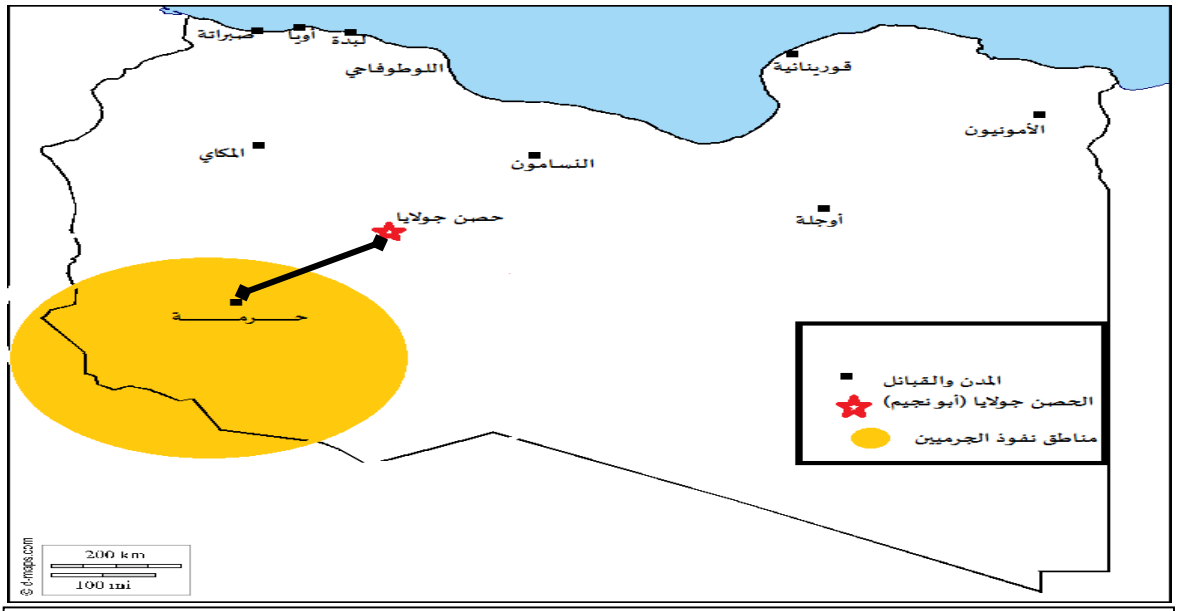

الخريطة (21): تبين تموقع حصن جولايا (أبو نجيم)، (من عمل الطالب).

كان حصن بونجيم بمثابة خط دفاعي ومحطة جمارك لفرض الرسوم على البضائع القادمة من الجنوب (جرمة) إلى المدن الرومانية في الشمال وهذا ما أثبتته نتائج البحث الآثري في تلك المنطقة، وقد ورد تسميته في العديد من النقوش والشقاف الفخارية غولايا (Gholae) غولاس (Golas) ويبدو أنها مشتقة من جذر (Aealia) وهي تسمية رومانية لعديد من الأباطرة والرومان، وهي نفسها مذكورة عند المؤرخ الروماني لوكان (Lucan) ، وقد نجد هذه الكلمة مصحفة باللغة العربية من كلمة " الغول" والتي تعني بالشيطان مرعب ويراها أحد الباحثين في

---

[177] الميار فضيل عبد الحفيظ، حصون طرابلس الرومانية ،مجلة الدراسات الليبية القديمة، مجلد 16،1985، ص.79.

[178] المسلاتي خالد عمر، المرجع السَّابق،ص.03.

إجتهاده أنّ هذا يتزامن مع وظائف الحصـن الذي تمّ بناؤه لنشـر الخوف عند القبائل المجاورة وأقواها أنذاك الجرميين ، ويبدو أنها أيضـاً أنها تسـمية فينيقية قد أطلقها التجار الفينيقيين على هذه المنطقة التي كانت نقطة وصـل بينهم وبين الجرميين[179].

وقد إقتبسـها الرومان في العديد من نقائشـهم أهمها تجريدة طويلة تفيد أنه تمّ تشـيد هذا الحصـن عام 201-202 ميلادي من قبل أعمال المفوض العسكري كوينتوس أنيسيوس فاوستوس (الشكل 62) [180] ، كما عثر على نقش كتابي منسـوب إلى كوينتوس أوفيديوس كوينتانوس (Q.AVIDIVS QUINTANVS) وهو قائد كينتوريون للفيلق الأغسطسي الثالث بمناسبة وصوله إلى جولايا (الشكل 63) وعبر عن سعيه إلى إيجاد مكان مخصص وأمناً لجيشه لإنجاز حمام حيث يقول : "وبإرادة الألهة التي لا تفشل والتي قدست هذا المكان بمياه صحيّة في خضم تلال من الرمال، وأخفت أجسادنا من اللهيب الحرارة النارية ومن أجل سلامة الألهة تم تكريس " [181]، و هذه ناقشـة أخرى من قبل نفس الفيلق بمناسـبة إعادة ترميم حصـن جولا عام 217م برعاية سـادة الأباطرة الأخوين (أوريليوس كركلا – إلكسندر جيتا)[182] (الشكل 64)، و ناقشة أخرى تمجد الإله سالوس التي لا تُقهر (SALI INVICTO) من طرف القائد بتيكيوس باستور (PETICIVS PASTOR) على رأس الفرقة الأغسطسي الثالث[183] (الشكل 65) ولا ننسى وثيقة عبارة عن مذبح وجود داخل حصـن يقدم فيها يوليوس ديوجينوس الشكره للأله المحلي جولايا.

ولا ننسـى وجود نقائش من الفرسـان (ALAE) تابعة للفيلق تحت قيادة قائد المائة (CENTVRIO)[184]،والتي قدمت إلى الحصن بعد حلّ الفرقة الأغسطيّة الثّالثة عام 238م[185].

كشفت فرقة الآثار الفرنسية في إحدى ضواحي الحصن، عن وجود معالم مسكن روماني يقع على التل الذي عثر فيه عل ناقشـة جوبيتر أمون (IOVI HAMMON)، كرسـها قائد المئة توليوس رومولوس (TVLLIVS ROMVLVS) على شرف الإمبراطور صاحب الديار[186] (الشكل 66).

---

(179) Geddeda (R.A.), The Defense system in Libya dauing The I-IV centuries A.D. portland stato,uniiversity,1978,

(180) IRT.914= CAES AVGQ ANICIO FAVSTO LEG AVG COS 〖[····]〗 [····]

(181) IRT. 918 = QVAESII MVLTVM QVOT MEMORIAE TRADEREAGEN SPRAE CVNCTOSINA CASTRA MILITESVOTVM COMMVNEM PRO ……..SALVTISGRATIA

(182) IRT. 913 = IMP CAES L SEPTIMIO SEVEROPIO PERTINACI AVG ARAB ADIAB PARTH PONT MAX TR POT XIMP XI COS III PP ET IMPCAESM AVRELIO ANTONINO AVG TR PO T III COSETLSE 〖P〗 TIMIO 〖GETAE〗 CAES AVG PER VEXILLATIONEM 〖LEG〗 〖III〗 〖AVG〗

(183) IRT. 917 = SOLI INVICTO SAC PETICIVS PASTOR MVSLA

(184) IRT.919 = CENTVRIO 〖LEG〗 〖III〗 〖AVG〗 FACIENDVM CVRAVIT

(185) IRT.914 = 915 = CAES AVGQ ANICIO FAVSTO LEG AVG COS 〖[····]〗 [····]

(186) IRT.920 = IOVI HAMMONRED AVG SACRTVLLIVS ROMVLVS C EX MA[··] ORIARIOPRAE[·····]VSVE[····· ? ··]

يمتد الحصن على مساحة خمسة عشر هكتار تقريبا ، وهو عبارة عن مستطيل ذي طراز تقليدي من نوع ما قبل زمن ديوكليتيانوس ، أبعاده (136X 91) بأركان مستديرة كان يحتوي على بروج بداخله، وعلى مجموعة من المباني الصغيرة، والحارات الضيقة محاطة بسور يبدو أنه شيد بعد بناء الحصن كما أنه مزود بثلاثة من البوابات ، ويقدر طول السور الغربي مابين ألف وثلاثمائة متر، وألف وأربعمائة متر(الشكل 67) [187].

يوجد بالحصن أيضاً مقدمة البناء المركزي وسط القلعة أو مقر القيادة (Principia) و العديد من المعابد للإله جوبيتر و حمون والجبانات، والحمامات، والبيوت، والطرق وجد به مقر الحامية العسكرية التي كانت تدّون تقاريها على قطع فخارية كبيرة، كما أثبتت الحفريات الأخيرة على أنّ القرى الموجودة في أبونجيم تتكون من أكواخ ومنازل صغيرة قائمة الزوايا ودائرية الشكل لها أبواب من الحجارة، ويحيط بالحصن من ناحية الشرق والغرب الثكنات العسكرية، والجانب الغربي كان مقراً لمخازن الغلال ، كما يحتوي على مباني حكومية منها مقر للإجتماعات ومنبر للمحاكمة، والخطب ومن أرشيف الخطابات و التقارير، التي وجدت في أبي نجيم يلاحظ إشارة إلى وجود تجمعات صغيرة من الجرميين مع قطعان الماشية والبغال[188].

كما يتضح أنّ أبو نجيم كانت محطة تقليدية لقوافل الجرميين الذين كانت علاقاتهم بالرومان جيدة في تلك الفترة كما يلاحظ عدم وجود تهديدات أو الخطر من القبائل المعادية للرومان، وقد هجر الحصن بين عامي 259 – 263م[189].

ولعل من أهم الإكتشافات بموقع الحصن من طرف رينيه روبيفات هو العثور على مجموعة من شقاف الفخار المخطوط والذي قدّر عددها 146 قطعة والتي استطاع الباحثين تصنيفها إلى ثلاث مجموعات: تناولت الأولى تقارير اليومية والأعمال اليومية وقائمة الرسائل الواردة.

ويوجد بين الشقاف المهمّة 146 قطعة تتحدّث 113 منها عن الأمور العسكريّة، وقد وجدت بالجزء الجنوبي من مركز القيادة تؤرخ مابين 253 الى 259 م. وهذه المجموعة من الشقاف تعطينا أسماء العديد من الجنود. وقد وجد بعد دراسة هذه الأسماء أنّ حوالي 60 % منها أسماء ليبيّة تحمل أسماء ترجع للأسرة الإمبراطوريّة مثل لقب "أوريليوس جوليوس" و40 % تحمل أسماء عائلات تتكرّر بكثرة في منطقة أفريقيا الشّماليّة مثل لقب "إيميليوس" و"كايكيليوس" و"كورنيليوس" وبعض هذه الأسماء تحمل ألقاباً محلّيّة مثل "هانيبال" و"تونيلا"

[187] Rebiffat (R.), Notes sur le Camp Romain de Gholaia (Bu Njem), Libyan Studies,1989,Pp.156- 167-p.158.

[188] Ibid,p.159.

[189] Rebuffat (R.), « Bu Njem », Encyclopédie berbère [En ligne], 11 | 1992, document B109, mis en ligne le 01 mars 2013, consulté le 07 avril 2020. URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/1873

و"بوبيوس" و"بوزوريس"، وتوجد أيضاً أسماء محلّيّة أخرى مثل "كريسانس" و"داتيوس" و"دوناتوس" و"روجاتوس."[190].

كما تدقق لنا هذه التقارير عن عدد الجنود الإجمالي وعدد الجنود الموجودين في موقع أعمالهم وعدد الجنود المرضى مع ذكر أسمائهم وعدد الجنود الذين هم في إجازة وعدد الجنود الذين يقومون بإعداد الحمّامات وإعداد الخبز.

أما عن علاقة الجرميين بهذا الحصن فقد ذكرت لنا هذه الشقاف الفخارية أسماء لتجار هم وجاءت على شكل رسائل مملاة من أحد الجنود وموجّهة إلى بعض الأشخاص اللّيبيّين الذين يملكون جمالاً وأن مملكة جرمة كانت تزود عمليّات نقل للمواد الغذائيّة كالقمح والزّيت عن طريق الجمال[191]، كما ورد في القائمة السّابقة للواردات الجرمية في الفصل الثالث.

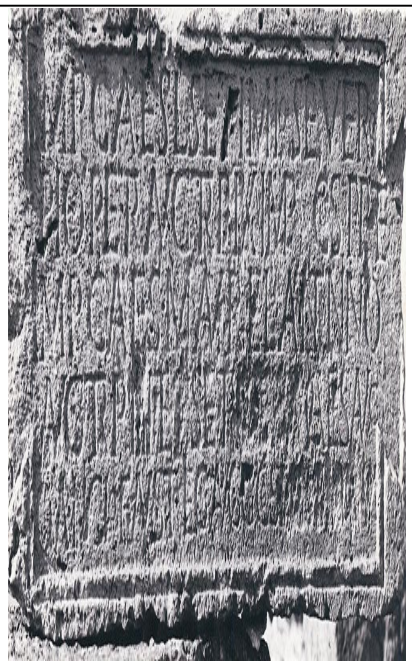

الأَمبراطور قيصر لُوكيوس سيبتيموس سيفيروس التقي ، البرتيناكس، الأغسطسي ، المنتصر في شبه الجزيرة العربية ، المنتصر في أديابين ، المنتصر في بارثيا ، الكاهن الأعظم، وذي سلطة تريبونية للمرة العاشرة ، أمبراطورا لأحد عشر مرة ، القنصل لثلاث مرات ، وهو أبو الوطن ، والإمبراطور قيصر ماركوس أوريليوس أنتونينوس أوغسطس ، الذي يمسك بالسلطة التريبونية للمرة الثالثة ، ليغاتيس أغسطسي، كويتوس أنيكوس فوستوس القائد الأعلى للفيلق الأغسطسي الثالث ، التقي – المظفر، بأمر من القنصل

الشكل (62) : أمر ببناء الحصن عام 253م من قبل ليغاتيس كوينتوس أنيكيوس فوستوس للفيلق أوغسطسي الثالث (ترجمة الطالب).

[190] روبيفات رينيه، المرجع السَّابق،31.

[191] نفسه،31.

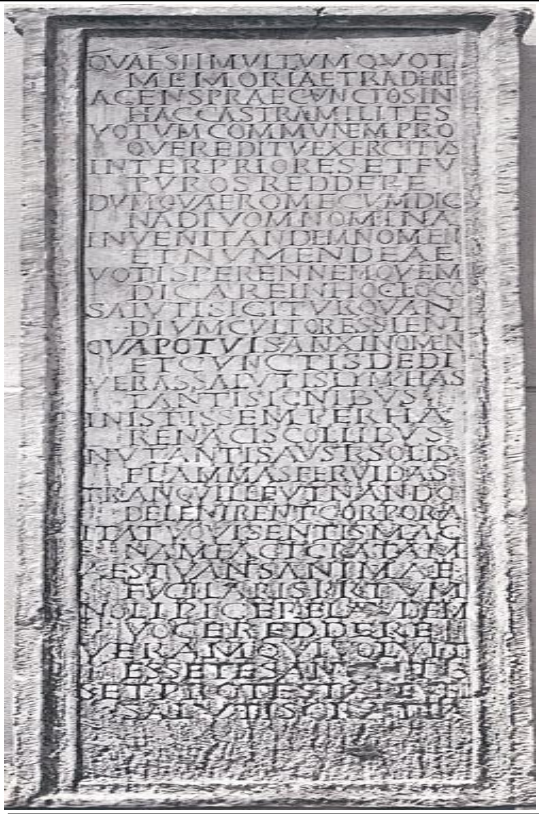

أثناء عملي في قيادة جمع الجُنود لتشيد هذا الحصن ، سعيت كثيرًا وبكل قدراتي أن أضع هذه الذاكرة ، ومن أجل أن أعلن لقراري في وقت سابق وقرار المستقبل القريب ، كان التعهد في بناء حصننا مشتركًا للجميع والذي تم تشيده من أجل العودة الآمنة للجيش. ولهذا بحثت في ذهني عن الإلهيات المناسبة ، فكرت أخيرًا في اسم وقوة إلهية لا تفشل أبدًا لتكريس وحماية هذا المكان ، قدست الاسم الشمس طالما كان هناك من عبادها هنا ؛ إلى كل ما قدمته من المياه الصحية الحقيقية في درجات الحرارة الناريّة كهذه في خضم تلال من الرمال ، قد يخفف جنودنا أجسادهم من اللهب المشتعل للشمس الجنوبية عن طريق السباحة وأخذ الحمام في هدوء.، من أجل صحتك ، الكل يشهد من أجل معسكرنا – أنجز.

الشكل (63): ناقشة تشيد الحمام الجند تمجيدا للألهة الشمس حصن جولايا – (ترجمة الطالب)

IRT. 918

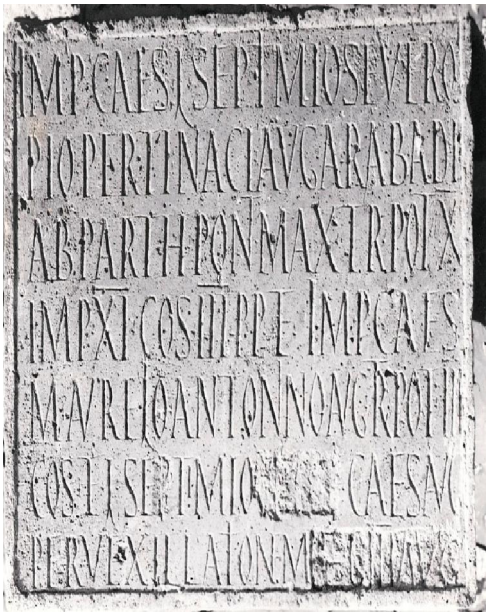

الأَمبراطور قيصر لُوكيوس سيبتيموس سيفيروس التقي ، البرتيناكس، الأغسطسي ، المنتصر في شبه الجزيرة العربية ، المنتصر في أديابين ، المنتصر في بارثيا ، الكاهن الأعظم، وذي سلطة تريبونية للمرة العاشرة ، أمبراطورا لأحد عشر مرة ، القنصل لثلاث مرات ، وهو أبو الوطن ، والإمبراطور قيصر ماركوس أوريليوس أنتونينوس أوغسطس ، الذي يمسك بالسلطة التريبونية للمرة الثالثة ، القنصل ، ولوكيوس سيبتيموس جيتا تم إنشاء السور لقيصر أغسطس الجليل باستخدام كتائب الفيلق الثالث أوغسطسي

الشكل (64): إعادة ترميم حصن جولايا من قبل الفيلق الأغسطسي الثالث (ترجمة الطالب).

IRT=913.

خصصت لإلهة الشمس المقدسة والتي لا تهزم يدفع بيتيكيوس باستور نذره بإرادة إله المستحقة

(ترجمة الطالب)

الشكل (65): تكريسة باستور بيتيكيوس للألهة الشمس التي لا تهزم IRT.917.

إلى جوبيتر الطيب العظيم وإلى بعل حمون، الأغسطسيين المقدسين

من قائد المائة تيليوس روموولوس

ولجميع مقاتلي مفرزته

الشكل (66) : ناقشة جوبيتر وبعل حمون كرسها تيليوس روموولوس (ترجمة الطالب).

IRT.920.

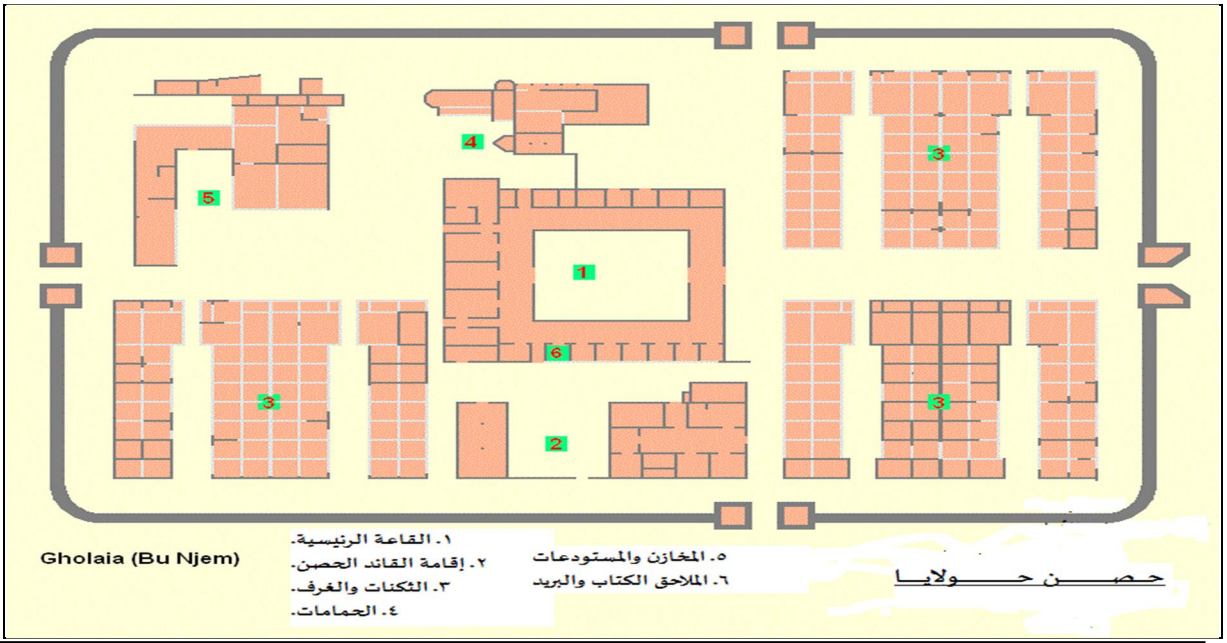

الشكل (67): مخطط لحصن بونجيم (مترجم من الطالب) نقلا عن:

Rebiffat (R.), Notes sur le Camp Romain de Gholaia (Bu Njem), Libyan Studies,1989,p.158.

2. حصن غدامس (CAESTRVM CIDAMVS):

تقع واحة غدامس في الشمال الغربي من ليبيا وفلكيا على خط طول 9.4 شرقا وعلى دائرة عرض30.6 شمالا وتقع جغرافيا على الحافة الغربية لحمادة الحمراء عل ى ارتفاع يصل حوالي 372 م فوق مستوى سطح البحر يحدها من ناحية الشرق مدينة درج التي تبعد عليها 09 كم بينما من الغرب تحدها الحدود الجزائرية التي تمتد عندها نقطة الدبداب وتبعد 9 كم ويحدها من ناحية الشمال الحدود التونسية الجزائرية وتبعد عن نقطة خرسانة 13 كم في حين يحدها من الجنوب مدينة غات على بعد 800 كم، وتحيط بها الكثبان الرملية من الشمال والغرب في حين تبعد 503كم جنوب غرب العاصمة طرابلس الخريطة (الخريطة 22)[192].

اما موضوع المنطقة التي وجد فيها حصن فقد نشات وتطورت بالقرب من العديد من الاودية بالمنطقة كما انها توجد عند الحافة الغربية لحماده الحمراء ،حيث يبدأ الامتداد الواسع يعد حوض غدامس في الحمادة الحمراء ووادي الحياة قلب جرمة جنوبا اوباري في اتجاه الشرق ،وكذلك امتداد وادي الحياة في اتجاه الغرب والجنوب الى واحة غات[193].

ولهذا إختار الرومان هذا الموقع كونه من أهم خطوط الدفاعية الرئيسية والرابط بين خط المواصلات للطرق التجارية المهمة، يقع هذا الحصن بأعلة واحة غدامس تسمى بالأصنام[194]،

من الواضح أنّ هذا الحصن كان له صلة وثيقة مع الجرميين، ويتجلى ذلك من لوح فيه نقش بارز منحوت في أســس برج الواحة، والذي يبيّن لنا مشــهداً لإمرأتين ترتدي الزي الأنثوي الليبي وهذا ما يذكرنا باللباس التمحو التي تظهر على الآثار المصرية[195].

وقدّ سجل بليني الأكبر إسم كيداموس (CIDAMVS) في قائمة إنتصارات التي حققها "كورنيليوس بالبوس" ضــد الجرميين[196]، وهذا مايدّل أنّ الواحة كانت من الأحواز الجرمية ومأهولة من ســكان خلال القرن الأول قبل الميلاد، أما بطليموس يوردها بتسمية تيداموس (Tidamvs) [197]

وقد ذكر بركوبيوس (Procopius) في القرن الســـادس للميلاد، أنّ الأهالي غدامس كانوا دائماً مرتبطين بحلفائهم من الرومان من خلال معاهدات الســلم، كما أنهم من المور الذين إعتنقوا المســيحية في عهد الإمبراطور

---

[192] فلاح عبد اللطيف، غدامس تاريخ وحضارة، المؤتمر العلمي حول المدن القديمة في ليبيا، دار صادر للنشر،1988،ص.21.

[193] الغدامسي أحمد محمد، تاريخ غدامس القديم و الحديث، ط1، القاهرة،1985،ص.16.

[194] فلاح عبد اللطيف، المرجع السَّابق،ص. 24.

[195] Geddeda (R.A.), Op.Cit, p.79.

[196] بليني الأكبر، المصدر السَّابق، الفقرة 25-27، ص.31.

[197] بطليموس كلاوديوس، المصدر السَّابق، الفصل الثالث، الفقرة: 17، ص.25.

جيستيانوس[1]، ولا ننسى أنّ الفاتح العربي عقبة بن نافع عند سيطر على الحصن بصعوبة بسبب وجود مفرزة من من الجند هناك[2]، وهذا إبن خلدون يذكرها بأنها مهبط لقوافل الحجاج وتجارتها وفيرة سكانها من الإباضيين[3].

الإباضيين[3].

فصاحب كتاب المسالك والممالك في القرن الخامس الهجري يقول: ومن تادمكّة إلى غدامس أربعون مرحلة في الصحراء، والماء فيها على مسيرة اليومين والثلاثة أحساء،وغدامس مدينة لطيفة كثيرة النخل والمياه وأهلها بربر مسلمون. وبغدامس دواميس كانت سجناً للكاهنة التي كانت بإفريقية[4].

. وذكر ياقوت الحموى في كتابة معجم البلدان بأن في وسطها عينا أزلية وعليها أثر بنيان عجيب رومى يفيض الماء فيها، ويقسمه أهل البلدة بأقساط معلومة لا يقدر أحد يأخذ أكثر من حقه وعليها يزرعون ويقصد ياقوت بذلك عين الفرس [5].

ويرى (ب) تروسيه (Trousset.P) أن غدامس ماهي إلى كلمة عربية تم تصحيفها من كلمتها الأصلية كيداموس ولا شك أنها ليبية تعبر عن وصف ما نجهله[6].

ويظهر أنَّ الحصن تم تشيده من قبل مفرزة الفيلق الأغسطسي الثالث بقيادة ليغاتوس نوميديا تحت تصرف الإمبراطور كركلا من خلال نقيشة مكرسة لها[7]، ويبدو أنَّ الإمبراطور كركلا لم يتمكن من إتمام بناء هذا الحصن وذلك بسبب مقاومة الجرميين هناك ومع ذلك نجد ناقشة أخرى في مبنى القديم بموقع (الأصنام) يبيّن لنا أنّ الإسكندر سيفيريس حاول تحصين المنطقة من خلال إستكمال العمل الذي بدأه شقيقه كركلا[8].

---

(1) Procope de Césarée, «La Guerre contre les Vandales (Guerres de Justinien», livres III et IV), traduit et commenté commenté par Denis Roques, préface de Philippe Muray,Les Belles Lettres,Paris,XVII,p.284.

(2) إبن عبد الحكم، فالمصدر السَّابق،ص.33.

(3) إبن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي سلطان الأكبر، تحقيق حامد أحمد الطاهر، مطبعة بولاق، بولاق، القاهرة،1965، ص. 121.

(4) البكري عبيد الله، المصدر السَّابق، ، ص.881.

(5) ياقوت شهاب الدين بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار إحياء العربي، بيروت، 1998، ص.352.

(6) Trousset (P.), « Cidamus », Encyclopédie berbère [Online], 13 | 1994, document C63, Online since 01 March 2012, connection on 08 April 2020. URL: http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2279

(7) Geddeda (R.A.), Op.Cit.,p.80.

(8) Ibid.,p.81.

ومما يدعوا إلى الإعتقاد بأنَّ حصـن كان يشـمل ثكنة عسـكرية صـغيرة تحتوي على مفرزات تابعة للفيلق الأغسـطسـي الثالث في ابونجيم، و بجانب هذا الحصن عند ما يعرف الأن بقصـر مجدول عثر على الأبراج الرئيسـية للحصن مما يدل أن مساحته كانت أكبر ومن ثم تم إعادة بناء في شكله الدائري[1].

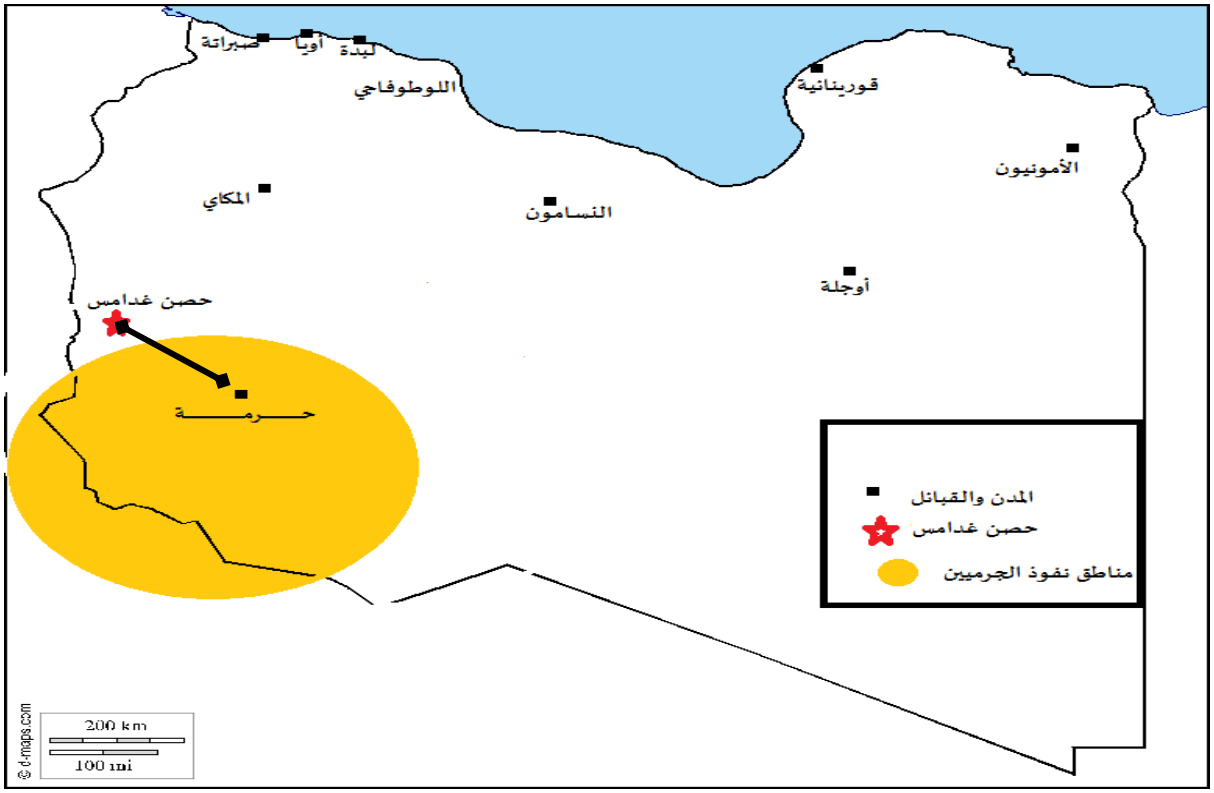

الخريطة رقم (22): تبين تموقع حصن غدامس (CIDAMVS) من مناطق نفوذ مملكة جرمة (من عمل الطالب).

[1] Geddeda (R.A.), Op..,p.82.

3. حصن القريات الغربية والشرقية :

يوجد هذا الحصن في الواحات مناطق تسمى بالوديان الفرعية التي تصب في وادي زمزم الكبير، يحدها غربا الحمادة الحمراء ، بينما من جانبها الجنوبي كثيرا ما يتعرض لهجمات الجرميين في الوادي الآجال، كون هذه القلاع تقع بين جرمة والمدن الساحلية (الخريطة 23)[1].

أ. حصن القريات الغربية (الإسم الروماني مجهول):

تؤكد النقوش أنّ القلعة الغربية أنشئت في عهد ألكسندر سيفيروس[2]، وقد رُمّم من طرف الفيلق الأغسطسي الثالث في ومن الأمبراطور غورديان الثالث 238 – 244 م [3].

وقد نال هذا الحصن وصفاً بعد أن زاره الرحالة الألماني هينريخ بارث (Barth.H) عام 1849 م، بدّقة في مخططاته ، حيث يمتد على مساحة تقدر (183 متر طولا ، 132 متر عرضاً) ويتكون من مدخل رئيسي يحتوي من ثلاثة أقواس محاطة بأسوار خارجية وأربعة أبراج كما يوجد برج يطل على حافة المنحدر الذي أقيم عليه الحصن ورد عليه نقش روماني بإختصارات التالية (PRO AFR ILL) التي يمكن ترجمتها ب " مقاطعة إفريقيا الرائعة " ، كما لاحظ "بارث " في الجانب الأيسر من البوابة الرئيسية مشهداً منحوتاً يبين عربة وعليها شخص يقودها بمذبح بملابس غريبة ومحاط بزوجين من النسور ، كثير ما نلاحظه في نفس المشاهد الفسيفسائية الموجودة بصبراتة (Sabrata) ولبدة الكبرى (Leptis Magna) تُعبر عن ألهة النصر (Victoria) ووجوده في الحصون الغربية لا دلالة عن إنتصار عن القبائل الجرمية المحاذية لهم في الجنوب[4].

وقد ذكرا لنا بارث نقشا لم يصلنا محتواه الأصلي الذي عثر عليه عام 1849 بل مترجم باللغة الإنجليزية مفاده أنه رفع من طرف قائد العشرة (Decvrion) في الفيلق الواحد والعشرون (LEG.XXI) و المسمى قائده بيكاتيس نيرو (Picatis Nero) أنه صان الحصن خلال العهد الإمبراطور ألكسندر سيفيروس من هجمات متمردة

(1) Mattinglay (D.J.), Farmers and frontier, Exploiting and Defending the country side of Roman Tripolitania, Libyan Studies, Vol 20, 1989,p.140.
(2) IRT.896.
(3) IRT.891.
(4) Geddeda (R.A.), Op.Cit.,p.91 .

من قبل فيكتوتيوس (Victiotious) و سـفانان (Sevenan)، أثناء تشـيد هذا الحصـن "[1] ، ويبدو لنا من قراءة بارث أنّ الأسماء المتمردة كانت ليبية ونجهل إن كانت أيضا جرمية أم لا ؟، ولا يمكننا الإستبعاد فرضية أنّ الجرميين أنذاك كثيرا ما قاموا بتهديد هذا الحصـن وكانوا مسـؤولين عن تدميره عبر غاراتهم على أجزائها من الغرب، ولم تزين البوابة وأقواسـها بزخارف وإهداءات للألهة ولهذا لم يكن بمقدور ذلك الفيلق أن يتمم بناء هذا الحصـن كلياً نتيجة ضربات قادة الجرميين.

ويشـير (د) ماتنجلي(Matingly.D.J) أنه لسـوء الحظ كان للقلعة إسـم يختص بها ولكن تمّ محوه في نقش عثر عليه في ركام البوابة من قبل هاينريخ بارث في رحلته الثانية إلى فزان عام 1869م[2].

ويبدو أن البرج الجنوبي (الشـكل 56) لهذه البوابة قبل انهدامه كان على ثلاث طوابق ويصـل ارتفاعه إلى حوالي 12.50 مترا، وعند هذه البوابة عثر على قاعدة تمثال أعيد استخدامها وتحمل نقشا لاتينيا أشار إلى الفيلق الاغسـطي المقيم بالحصـن وأيضـا إلى اسـم قائد الحصـن المدعو قائد المائة ايليوس كريسـسـنتيوس، إضـافة إلى ظهور ثلاثة حروف من الاسم الذي كان يعرف به هذا الحصن الذي يبدأ بـــ ميد (MYD...) ..[3]، كما أشير النقش إلى إن التمثال كان مكرسـا إلى جوليا دومنا بمناسبة ارتقاء ابنها الإمبراطور الروماني الاسكندر سفيروس للعرش في عام 222م[4].

ومن ناحية أخرى من الصعب تتبع التفاصيل الداخلية لأجزاء الحصن بسبب وجود مساكن الليبيين التي بنيت ما بعد العصر البيزنطي والتي دمرت المباني التي توجد داخل الحصن إلا انه تم التعرف على مقرات الجنود التي اغلبها دمر أسـفل المنازل المحلية التي بنيت أعلاها. وخارج الحصـن اتضـح من خلال المسـح وجود محجر في الجهة الشـمالية الشـرقية من الحصـن ، إضـافة إلى وجود ثلاث معابد أعلى ثبة للشـرق من المحجر السـابق ، ومن خلال دراسة الفخار والعملة التي عثر عليها هناك اتضح إن منطقة المعابد والحصن أيضا استمر في الاستعمال مدنيا من 360 /380 إلى حوالي عام 540 م. و ربما عاد للحصـــن وظيفته العســـكرية بعد غارات قبائل الجرمية في القرن الرابع حيث استقرت به وحدة عسكرية استمرت حتى حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي. كما انه يرجح إنه بعد عام 455 اي بعد سـيطرة الوندال على الإقليم الطرابلسـي (المدن الثلاث) كان الحصـن مقرا لأحد شـيوخ

(1) Ibid,p.91= To the Emperor Caesar M. Aurelius Severus, the district, the Senate, the Camp, and the free town of dedicated this---P. Nero Decursion of Moors, caused by the station of the Severan regiment(horse) of the 21st Legion· Victio:tious, · Sevenan· to be established.; and be instituted by his own art in the.same regiment.
(2)Mattinglay (D.J.), Op.Cit,p.143.
(3) Geddeda (R.A.), Op.Cit.,p.93.
(4) IRT.990

القبائل المحلية التي كانت تسيطر قبيلته وتراقب طريق القوافل المتجهة إلى فزان، والحفريات المستقبلية من المؤكد انه تضيف على هذا الحصن الروماني[1].

لقد إهتم الرومان بتسيد الحصن في هذه المنطقة بالخصوص كونها تشرف على الطريق الرئيسي القادم من المدن الثلاث إلى مملكة جرمة هو نفسه الطريق الأقصر الذي أخبرنا عليه بليني الأكبر للوصول إلى جرمة بخمسة أيام؟ ، ويشرف على حصن روماني صغير أخر في القريات الشرقية[2].

ب. حصن القريات الشرقية (الإسم الروماني مجهول):

ومن حوالي عشرين كيلومتراً إلى الشرق من القريات الغربية ، يقع حصن صغير مدمر في واحة تحمل نفس الإسم القريات، ولم يبقَ من الحصن الشرقي إلا جدران رئيسية من القلعة بزوايا مستديرة ، وقد سبق لمتنجلي(Matingly.D.J.) أن قد حدد مساحته الكلية على أرجاء البقايا الأثرية التي تعود لنفس الحصن بمساحة تقدر بتسعة هكتارات[3].

تمت إزالة معالم الداخلية للحصن من قبل الجيش الإيطالي خلال الحرب العالمية الثانية، وعدل لمطاردة المقاومة الليبية أنذاك وهو نفس الغرض الذي كان لدى أسلافهم من الرومان الذي طاردوا الجرميين بإنشاء سلسلة من خطوط الدفاعية [4].

ونتيجة لقلة الوثائق الأثرية في هذا الحصن تعذر علينا أن نحصل عن معلومات إضافية لكن يرجع تأريخه إلى عهد الأمبراطور الألكسندر سيفيروس 222 –235م ، كما يلاحظ على طريقة بناء القصر أنها تشببه الأسلوب المستخدم في قصر القريات الغربية وقصر أبو الأركان يرجع للقرن الثالث الميلادي[5].

بالإضافة لهذه الحصون الكبيرة الثلاث أبو نجيم الغريان الغربيين و غدامس وجدت حصون أصغر منها قامت قامت بمهمة الربط و الإتصال بين هذه الحصون منها تلك الحصون التي وجدت في منطقة مزدة وأورو العوينية وبالقرب من قصر ميمون وحصن زيزي بالقرب من حصن الجولايا [6].

---

[1] الهدار محمد خالد، حفريات في حصن القريات الغربية 2009 – 2010، أرشيف المدونة الآثار الليبية الإلكترونية ، 2011، (تم إطلاع عليه يوم –09–04–2020 على ساعة 20:18).

[2] Geddeda (R.A.), Op.Cit.,p.92.
[3] Mattinglay (D.J.), Op.Cit,p.154.
[4] Geddeda (R.A.), Op.Cit.,p.94.
[5] Ibid,p.94.

[6] أنديشة أحمد، المرجع السَّابق، 204.

وفي نهاية الأمر أرى أنَّ هذه الحصون بنوعيها الكبير والصغير كانت مقرا لجنود الفيالق والكتائب المساعدة الذين يتولون فيها حملاتهم ضد الجرميين ومراقبتهم للطرق التجارية وحمايتها من سيطرة عليهما.

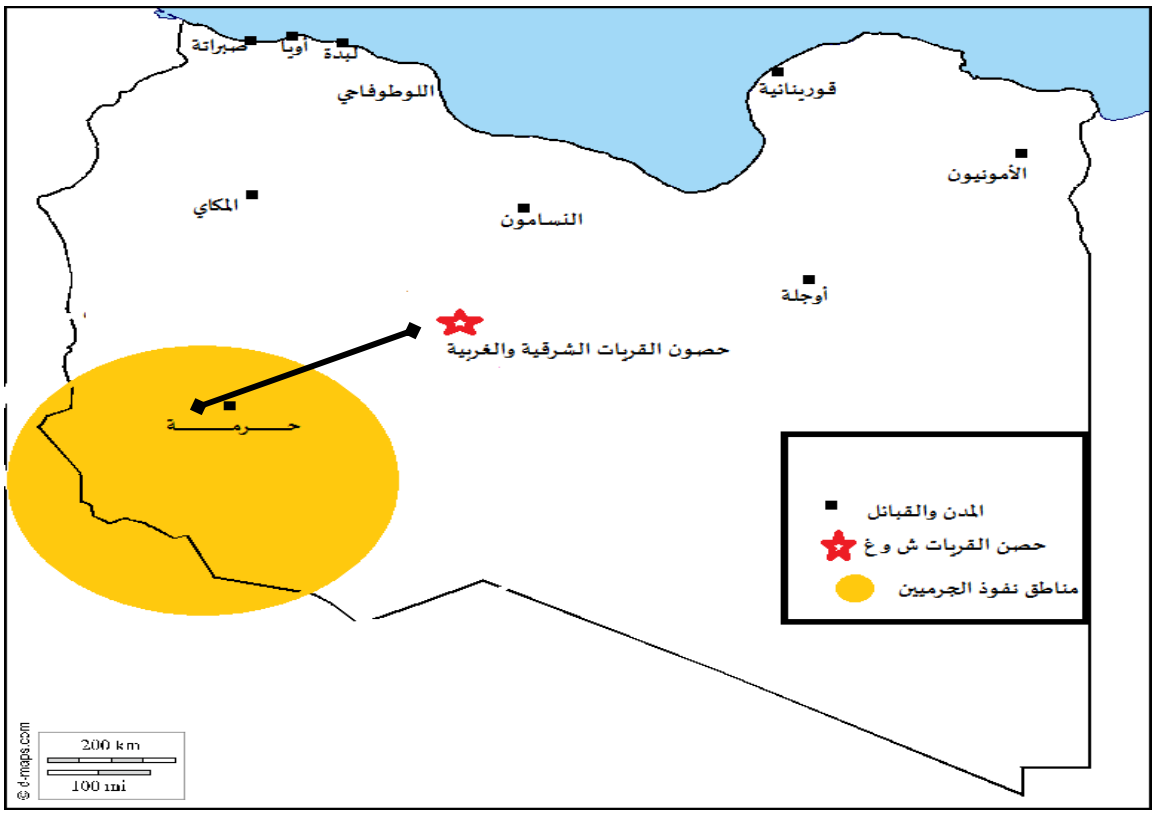

الخريطة رقم (23) : تبيِّن تموقع الحصون الشرقية والغربية من مناطق نفوذ مملكة جرمة (من عمل الطالب)

II. المزارع المحصنة (LIMITANI):

لقد أقام الإمبراطور الأسكندر سيفيروس 222 م– 235 م خط الدفاع الثاني في إقليم جرمة خلال القرن الثالث الميلادي ويتمثل في نوع جديد من المنشـــأت العمرانية فكانت عبارة عن مجموعة من المزارع المحصـــنة عرف ساكنوها باليمتاني (Limitani) فهي تتواجد بقرب من الأودية مثل وادي سوف الجين ووادي زمزم [1].

كانت سياسة الأباطرة السيفيرين تعمد إلى توطين قدر أكبر من الجنود القدامى (Veterani) في الوحات الليبية وتشـــجيهم على الإقامة وإعفائهم من دفع الضـــرائب بالمقابل أن يدافع هؤلاء المســـرحون عن مناطقهم من هجمات الجرمية الليبية إن إقتضـــى الأمر، كما تســـعى الســـلطات الرومانية إلى تقديم الإمكانيات اللازمة للعمل الزراعي[2] ، فلهذا نرى أن هذا الشخص كان يجمع بين وظيفتين الجندية و الفلاحة، وسترابون في القرن الأول قبل الميلاد يذكر لنا هذا النوع من المزارع الذي يســـكنها حســـبه الرومان والليبيون المزارعون، وهذا مايدل على إقرار بالتعايش الروماني الليبي وتجنيدهم في الكتائب خاصة بهم، ولا ننسى أن القانون الذي أصدره سبتيميوس سيفيروس عام 201م حول إمكانية زواج المجندين المسرحين والعيش مع عائلاتهم داخل المزارع المحصنة خاصة بهم[3].

ويرى أنديشـــة أن النظم الزراعية في ذلك الزمن تطورت بفعل أن الأمبراطور فالنتيانوس 364– 275م وضـع أسـس علاقات طيبة مع الحرميين ، ومنح لهم بعض الأراضـي عرفت ب (Terra Limitaneae) ونحن نعلم أنها أمة فلاحة وري ونتيجة لتلك العلاقات تطورت زراعة الرومانية في الواحات الليبية[4].

وتتكون المزارع المحصنة من المباني فيها طابقان يحيط بها خندق عريض ملحق بمعاصر الزيتون، كما شيدت الأضرحة المعلمية على شكل مسلات، وقد عثر على نموذج منها في وادي نفذ، وكانت هذه المزارع المحصنة مزودة بمستودعات لتخزين الحبوب والزيت كما، أنها كانت مسؤولة على توزيعها من الدواخل إلى الساحل[5].

وتعتبر مزرعة قرزة من أشـهر مزارع الحدود المحصـنة نظراً لأهميتها الإقتصـادية، وقد أنشـئت هذه الأخيرة في عهد الأخوين ماركوس أورليوس كركلا والإســـكندر جيتا، وكانت مقرا لإقامة الجند من الليبين المترومنيين أو من الرومان المسرحين من خدمة الفيالق والفرق المساعدة[6].

---

(1) Geddeda (R.A.), Op.Cit.,p.98.

(2) أنديشة أحمد، المرجع السَّابق،206.

(3) Mattinglay (D.J.), Op.Cit,p.156.

(4) أنديشة أحمد، المرجع السَّابق،206-207..

(5) تشايلد جود، المرجع السَّابق، ص.89.

(6) Geddeda (R.A.), Op.Cit.,p.103.

وقد إشـــتهرت مزرعة قرزة المحصـــنة بمنتوجات فلاحية متميزة من أشـــجار الفاكهة والحبوب والبقوليات، ويظهر ذلك في نحوت موجودة في أحد مباني على منظر لحدائق كثيرة الأشـــجار، كما إحتوت لنا هذه المزرعة الدفاعية على ثلاثة وثلاثين مبنا تحيط بها الأكواخ الصغيرة، وقد تعددت أشكالها نظرا لتعدد إستعمالاتها[1].

وقد سـكنت منطقة قرزة المحصـنة فرع من فبائل الجرمية ، بدليل وجود نفس الموائد الجرمية، ومما تدلنا عليه أيضاً بعض النقوش الليبية المكتشفة في قرزة ويرجح إنتسابها للجرميين[2].

III. دور شبكة الطرق في الإستراتيجية العسكرية :

إضـــافة إلى الطرق التجارية التي أســـتحدثها الجرميون منذ ما قبل العهد الفينيقي والقرطاجي، إســـتحدث الرومان طرقاً عســـكرية لها فائدة تجارية وأمنية ، وقاموا بتحســـين بعض طرق القوافل الجرمية والتي كانت تعتبر طرقا طويلة وكان العرض الأدنى مترين وسبع وثلاثين سنتيمتراً وكانت تشق كثيراً في المرتفعات[3].

و يبدو لنا أنّ مهمة هذه الطرق تأتي في توفير الحماية للمناطق الزراعية الواقعة خلف المدن الســـاحلية، ويرجح أن وحدة من الجيش الروماني كانت تقوم على توفير الراحة على هذه الطرق.

وتعتبر الأعلام الميلية (Milestones) الأعمدة التي انفرد الرومان كمظهر حضـاري وقد وضـعت لتحديد مســافات غاية الدقة، ومن خلال أمثلة الأحجار الأميال التي تربط المملكة الجرمية بالمدن الرومانية أو حصـون في الشـمال، تم العثور عن خمسـة أعمدة (متكاملة أو شـبه متكاملة النقوش) ويشـير (د) ماتنجلي (Matingly D.J.) إلى مدى التشـابة الذي يجمع بينها إلى حد كبير إلى وجود تقنية خاصـة بها فهي أما أن تكون دائرية أو اسـطوانية الشـكل فطولها لا يزيد عن (3.50م) وقطرها (65 ســم) ، يتكون كل منها من قاعدة صــغيرة مكعبة ويعلوها عمود صـــنع كلاهما[4]، من أبرزها المعلم الميلي للطريق على بعد ثمانين ميلا من حصـــن جولايا ويرجع إلى زمن الإمبراطور كركلا (211-217 م) [5]،وهناك معالم أخرى في مجموعات من أثنين إلى أربع عند كل محطة ميلية على على طول الطريق مزدة التي تمثل ملتقى لإثنين من الطرق المهمة المتوجهة إلى فزان[6]، أما المعلم الأخير الذي وجد

---

(1) إعداد مصلحة الآثار، مدينة قرزة، مجلة آثار العرب، العدد الثالث، سبتمبر، 1991، ص.100.

(2) Geddeda (R.A.), Op.Cit.,p.103.

(3) شارل أندريه جوليان تاريخ أفريقيا، ترجمة مزالي أحمد البشير بن سلامة، الدار التونيسية للنشر، ط5،1985 م، ص.156.

(4) Mattinglay (D.J.), Op.Cit,p.171..

(5) IRT.915 = Imp(eratori) Caes(ari) L(ucio) SeptimioSeuero Pio Pert(inaci) Aug(usto)tr(ibunicia) p(otestate) IX imp(eratori) XI [co(n)s(uli)] II p(atri) p(atriae) etImp(eratori) Caes(ari) M(arco) A[urel(io)] Antonino Aug(usto) tr(ibunicia) p(otestate) [IIII et 〚L(ucio)〛] Sept(imio) 〚Getae〛 Ca[es(ari) Au(- - -) p(assum) Mil(iarium)L XXX

(6) IRT.951 – 952 – 955 – 956.

بعد سبع وخمسين ميلا من جنوب طريق القريات الغربية الذي يصلها إلى فزان[1]، ولم توجد أي علامات أخرى جنوب معلم مزدة كي يتم تتبع الطرق نحو فزان

بالإضافة للمعالم العسكرية السابقة عثر على بقايا طرق تمتد إلى الحصون، والقلاع الرئيسية، ومنها الطريق الذي استخدمه فاليريوس فستوس في حملته ضد الجرميين عام 69م، ويرجع بعض الباحثين أنه يمر بحصن القريات الغربية[2].

ومن أهم الطرق العسكرية في ليبيا نحو الجنوب طريق ويات، مزدة ، فزان، ويعد من أهم الطرق المركزية من الساحل إلى مملكة جرمة تقع النقطة الرئيسية للسيطرة الرومانية على هذا الطريق في حصن القريات الغربية، وجل أثار هذا الطريق فقدت في السهل الرملي في منطقة جفارة[3].

وتلتقي هذه الطرق في حصن أبو نجيم (Gholaia)، سواءً المتفرعة من فزان عبر الحمادة الحمراء من حصن القريات الغربية أو التي تربط الحصن بالمدن الساحلية عبر الأودية الزراعية، ويصل هذا الحصن طريق نحو الجنوب الشرقي، حيث وجد حصن بالقرب من زلة[*] أقيم لحراسة الطريق[4]، وقد إحتوت الطرق العسكرية على مراكز الحراسة وحماية القلاع والمزارع المحصنة من الهجمات القبائل الجرمية في الجنوب[5].

إستمر نظام الدفاع الروماني في المناطق الداخلية من أجزاء الشمالية من فزان حتى نهاية العصر الروماني، باحتلال الوندال الساحل الطرابلسي سنة 445م، انتهى هذا النظام الدفاعي وليس هنالك ما يدل على إحياء البيزنطيين له.

---

(1) IRT.957.

(2) الهدار محمد خالد، المرجع السَّابق، (تم إطلاع عليه يوم -09-04-2020 على ساعة 20:18).

(3) نفسه الرابط.

(*) زلة : منطقة تقع جنوبي سرت وهناك من يسميهم بالزويلة وقيل أنها مهد القبائل النسامون، ولعل تسمية الجمل في الصحراء الكبرى بالزايلة مرجعه هذا الحيوان جاء إلى الصحراء الكبرى لأول مرة مع أهل زلة ...للمزيد يراجع (أيوب محمد سليمان ، المرجع السَّابق ، ص.208.).

(4) البرغوثي عبد اللطيف محمود، مرجع سابق، 263.

(5) Geddeda (R.A.), Op.Cit.,p.101.

الفصل السادس

الفصل السادس : جرمة في العصور القديمة المتأخرة

أولاً / جرمة خلال العهدين الوندالي والبيزنطي

I. قبيل العهد الوندالي (فترة الفوضى).

II. جرمة والونداليون.

III. جرمة والبيزنطيون

ثانياً / الفتوحات العربية

I. جرمة مابين الفتح أو الغزو

II. النقد والتقييم لروايتي ابن عبد الحكم والبكري

ثالثا / سقوط جرمة

I. فرضيات الخاصة بالسقوط المبكر للمملكة جرمة

II. فرضيات الخاصة بالسقوط المتأخر للمملكة جرمة.

الفصل السادس : جرمة في العصور القديمة المتأخرة:

أولاً / جرمة خلال العهدين الوندالي والبيزنطي :

I. قبيل العهد الوندالي (فترة الفوضى) :

لقد عجلّ في انحطاط مملكة جرمة وتقهقرها حسب ما بناه اعتقاد (ع) البرغوثي بأن موقف القبائل اللّيبية المتلاحمة إجمالاً مع الحركة الدوناتية(*) ومما زاد الأمر تطرفاً وعنفاً، أنها ضمت لصفوفها الكثير من المتمردين ، ما أدى بها في نهاية الأمر إلى الإنحراف عن اتجاهها النضالي والتحول إلى أداة التخريب، حيث اغتنمت الدوناتية الفرصة لتهاجم مدينة جرمة مما أدى الى حرقها عام 395 م والحاق الضرر باقتصاد المملكة وعمرانها[1].

وذلك لسببين :

الأول نقمتهم على الكنيسة الكاثوليكية في روما.

الثاني : استيائهم من الجرميين في تحالفهم مع الرومان.

هذه المعلومات نجدها أيضا عند الباحث البريطاني (ت) دانيلز [2]ونجهل تماما عن كيفية توثيق مصدرها ولم يأخذ عنهما من طرف الباحثين في دراسات الجرمية على غرار (د) ماتنجلي أو الباحث الليبي أيوب محمد سليمان اللذان لم ينقلا شيئا عن الغزو الدوناتي لمملكة جرمة.

وحسبيّ أنّ الباحثان (ع) البرغوثي (ت) دانيلز قد اختلط عليهما الأمر بين القبائل الأوستوريين(**) و القبائل الجرمية ، حيث كانت الأولى قد تحالفت مع الحركة الدوناتية و قامت بهجومات

(*) الدوناتية : هي حركة ثورية اجتماعية أسّسها أسقف دوناتوس من الأكواخ السود (Episcopus donatus de cesae nigras) ظهرت سنة 311م، وهي حركة دينية كانت في بدايتها عبارة عن انشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية وقامت ضد الإحتلال الروماني صراع بين الدولة والكنيسة، ومن أهم نتائجها تجاوز المقاومة العسكرية إلى النضال الديني والاجتماعي عرف بكيكوموليونات أو الدوارين (Circumcelliones) الذين يهومون في الأهراء الريفية...للمزيد يراجع: المبكر محمد ، شمال إفريقيا القديم (حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية 305م- 429م، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001، ص.117.

(1) البرغوثي عبد اللطيف، المرجع السَّابق، ص 275.

(2) دانيلز تشالز، المرجع السَّابق،ص. 164.

(**) تستوطن هذه القبيلة جنوب خليج سرت، عُرف عنها هجومات كثيرة على مدن الإقليم الأمبوري خاصة لبدة...للمزيد يراجع (دانيلز تشالز، المرجع السابق، ص90.).

على الإقليم الأمبوري بين عامي 363 و 367م وبالخصوص على مدينة لبدة الكبرى التي يعتمد اقتصادها على التجارة الصحراوية وموازاة مع ذلك يذكر الباحث (ع)حامد كساد التجارة الجرمية في مدينة أويا وإغلاق أسواقها بسبب تحركات الدوناتية[3].

على عكس ما رآه (ر) غراتسياتي أنّ الاضطرابات والتقلّبات التي حدثت بالساحل مثل الصراع الديني المسيحي لم يكن لها أي انعكاس على الساحة الجرمية[4].

ويبدو لي، أنّ افتراض الغزو الدوناتي لا يقوم على دعائم كافية انطلاقاً من:

أ. أنّ البقايا المادية المكتشفة في إقليم جرمة حتى الآن لم تسجل وجود كنائس لتعطي الدوناتيين المبرر الكافي للهجوم على جرمة.

ب. إنّ نتائج حفريات البعثة الملكية البريطانية التي أشرت إليها سابقاً أثبتت استمرار تدفق السلع الرومانية إلى الإقليم دون انقطاع حتى القرن السادس الميلادي، وبغض النظر عن التنظيم السياسي القائم آنذاك فإن ذلك يُعدّ مؤشراً على الاستقرار الأمني النسبي خلال تلك الفترة.

ت. إنَّ ثورة الدوناتيين كما نقرأها في النصوص الكتابية للمؤرخين المحدثين تعكس حالة الغضب الذي يملئ قلوب السكان ونقمتهم من تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للإقليم الأمبوري، وقد أخذت هذه الثورة طابع حرب العصابات التي تمارس أعمال السلب والنهب وبالتالي من المستبعد أن تكون هذه الجماعات من التنظيم إلى درجة المجازفة باجتياز الصحراء الواسعة والوصول إلى جرمة وتدميرها خاصة وأنها في تلك الفترة لم تكن تمتلك حوافز مجزية تستحق هذا العناء أو تشكل خطر محتملاً على الثورة.

(3) حامد سعيد علي، التجارة والأسواق في طرابلس عبر التاريخ ،المجلد 2 العدد4 مجلة تراث الشعب، طرابلس، 1992، ص 115.

(4) غراتسياني رودولفو، المرجع السَّابق، ص 41

II. جرمة والوندااليون:

عندما استولى الوندال على الشريط الساحلي من منطقة طرابلس لم يحاولوا بسط نفوذهم على الدواخل والواحات، ففشلوا في فرض سيطرتهم على القبائل الفزانية التي ما انفكت تهاجم مدن ذلك الساحل[5] .

على ضوء هذا كله ونظراً لإنعدام الوثائق الكافية عن أحوال جرمة خلال الفترة الوندالية فأنا أفترض أنَّ هذه المملكة بعد الفترة الرومانية تراجعت عن نظامها الحضاري وانغمست في الحياة البدوية التي سيطر عليها النظام القبلي، ونظرا لضيق الحدود الساحلية الوندالية بينهم وبين سكان الواحات كانت النتيجة المنطقية أنَّ جرمة انغلقت على نفسها وأصبحت معزولة عن العالم ، فتفرغت لحماية أراضيها وواحاتها من الغارات التي كانت تشن ضدها من طرف القبائل الليبية المجاورة.

نجحت سياسة جنسريك[*] في استقطاب القبائل الليبية ولا شك أنّ مملكة جرمة كانت مُسالمة للوندال طول فترة تواجدهم ، ودليل على ذلك أنهم لم يشتركوا في ثورة القائد الليبي كاباون[**] وكانت هذه الثورة عنيفة واستخدمت فيها الجمال في القتال بنجاح ويخبرنا المؤرخ البيزنطي بركوبيوس (Procopius)

" أنه عندما اقترب الوندال أَمَرَ كاباون بجماله فأنيخت خلف بعضها البعض في اثني عشرة دائرة مركزها واحد، ثم وضع في الفراغ الداخلي حول مركز هذه الدوائر جميع الأمتعة والنساء و الأطفال وأمر رجاله بأن يقفوا بين الجمال برماحهم الطويلة وحيال هذه الكتيبة الصلبة لم يستطع الوندال بسيوفهم وحرابهم القصيرة وخيولهم أن يفعلوا شيئا، وخاصةً أنَّ الخيل نفرت من الجمال ولم تجرأ على الدنو منها بدرجة كافية وهكذا وقع الوندال فريسة للنيبال الليبية التي راحت تنهال عليهم والرماح الطويلة التي كانت تنوشهم فوقع الكثير منهم صرعى وقتل الكثيرون وهم يحاولون الفرار وانتهت حملتهم بهزيمة مخزية لهم ونصر مؤزر للمور "[6].

---

[5] أيوب محمد سليمان، مختصر تاريخ...، المرجع السَّابق ،ص. 74.

[*] لا يجد الدارس في المصادر القليلة جداً التي تتطرق إلى الفترة الوندالية ما يمكنه رسم سيرة الملك الوندالي جنسريك، غير أنَّ كل ما نعرفه عن هذا القائد هو أنه ابن جود جيزل أخ غير شقيق لجونتريك، وتفيدنا مؤلفات جوردانس وبروكوبيوس ومالكوس البيزنطي أنه ولد سنة 390م وتوفي سنة 477م... للمزيد يراجع : العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429 – 534م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص.59.

[**] قائد لواتي من المور حسب بركوبيوس، كان قائدا وعسكري أعلن ثورته ضد الوندال خلال فترة حكم الملك تراسموند، عرفت ثورته بالمقاومة راكبي الجمل...للمزيد يراجع : العود محمد الصالح، المرجع السَّابق، ص 86.

[6] بركوبيوس القيصري ، المصدر السّابق، الفقرة 08، ص.143.

ومما يؤخذ عن بركوبيوس القيصري في سرده لتلك الحادثة هو أنه لم يذكر اسم القبيلة التي كان على رأسها كاباون، وهذا مؤشر على وجود تحالف قبلي ليبي لم يضم قبائل جرمة ، ظهور حروب فيما بعد بينها وبين لواته التي ينتسب إليها كاباون، كما ينسب جميع القبائل الليبية تحت تسمية المور(*) وهذا مخالف للواقع التاريخي والجغرافي.

كما يستغرب الباحث (ي) مودران (Moderan,Y) عن عدم امكانية مشاركة قبائل جرمة في تحالف القبائل الليبية برغم من أنّ "كاباون" كان طيب الأسلوب مع سكان المناطق الصحراوية التي عبرتها قواته ربما هذا راجع لإحتلاله ونهبه لمدينة لبدة الحليفة للجرميين(7)، رغم أنّ نفس المؤلف يورد هذه الفكرة من فقرات بروكوبيوس ولم يذكر هذا الأخير ولو ملمحا عن هذا التحالف الجرمي الوندالي.

(*) يذكر الباحث كورتوا (Courtois) مصطلح (Mauru) على لسان المؤرخ بروكوبيوس أكثر من 130 مرة للحديث عن القبائل الليبية في صراعها مع البيزنطيين ، وهو الإسم الوحيد الذي كتب له البقاء حتى أعطى له بركوبيوس شمولية على كافة الأقاليم الإفريقية ، وحتى الإسبان في زمن حرب الاسترداد حافظوا على نفس التسمية ما نسميهم اليوم " مغاربيين" للمزيد يراجع الكتاب :

Courtois (C) ،*«Les Vandales et l'Afrique*) Gouvernement général de l'Algérie, Direction de l'Intérieur et des Beaux- Arts, service des Antiquités)», paris, 1955.

(7) Moderan, (Y). Les Maures et l'Afrique romaine IVe-VIIe siecle. Rome, Ecole francaise de Rome,2003,p 58.

III. جرمة والبيزنطيون:

مهّدت الفوضـــى التي تردّت فيها شمال أفريقيا في القرن الســـادس الميلادي، الســـبيل للإمبراطور جيســتيانوس(*) أن يضــم تلك البلاد إلى أملاك الأمبراطورية الرومانية الشــرقية فأرســل قائده بلزاريوس ســنة 533م، وتمّكن هذا القائد من الإستيلاء على شمال غرب أفريقيا بيسر وسهولة ورحّب به الأهالي كمُخلِّصٍ لهم ومنقذٍ لهم من ظلم الحكام الوندال[8]، ولم يهتم البيزنطيون بعمق البلاد الليبية على عكس أســـلافهم من الرومان ولم يعمروا المدنيين في الحصون الداخلية على قبلة الواحات الجرمية.

لقد تعرفنا من قبل أنّ سياسة الرومان كانت تهدف إلى الإستيطان في مختلف المزارع المحصنة وعلى جوانب المعســـكرات من خلال منح الأراضـــي للمحارب القديم (Veteranus)، وكان هؤلاء خير دعامة للكتائب الرومانية ،بينما لم يكن يقيم من المدنيين البيزنطين في تلك المنشـــآت الرومانية قرب الواحات الليبية ولم نعثر على أيّة نقائش بيزنطية أو مســـكوكات، فلا شـــك أنَّ البيزنطيون لم يلوا اهتماماً بالمناطق الجنوبية للمدن الثلاث كما رأينا بالصحراء الليبية ؟

كانت تعيش على سواحل الطرابلسية عدد كبير من القبائل الليبية من بينها قبائل لواتة (Laguatan) وهم اللوتوفاجي الذين يسكنون جنوب مدينتي أويا وصبراتة وسهل الجفارة منذ أقدم العصور، وكانت قبائل زنانة(*) تســكن في الجزء الغربي من جبل نفوســة وقبائل مزاتة التي تقطن مزدة، وقبائل الهوارة التي تســكن في خليج سرت والتي شيدت عاصمة في بلدة زلة وكانت هذه القبائل في شجار مع بعضها على المراعي ومع الأمبراطورية الرومانية وثمّ الوندال من بعدهم[9].

(*) جوستيانوس: هو فلافيوسس تيروس يوستينيانوس 483- 565 م، كان إمبراطوراً رومانياً شرقياً، حكم منذ سنة 527م إلى غاية وفاته ، في عهده توسعت الأمبراطورية الرومانية، كما يعتبر قديساً في الكنيسة الأرثوذكسية ، هاجم شمال إفريقيا وهو من قام بالقضاء على الوندال في هذه المنطقة دون أنّ تواجهه مقاومة تذكر بسبب تحول الوندال إلى الترف واللهو من جهة وسوء العلاقة بينهم وبين المور من جهة ثانية ...للمزيد يراجع :

Diehl (C) , « Justinien et la civilisation Byzantine,Revue Historique », T. 79, Fasc. 2 Published By: Presses Universitaires de France Paris,1901,pp 385-390 , p 385.

(8) Courtois (C.), Op.Cit, p 132.

(*) زناتة : من شعوب بربرية قديمة تتركز أصولهم من طرابلس إلى طنجة فوفق ابن خلدون، زناتة مستمد من اسم علم : جانا (سلف بربري). البربر، لتحويل الاسم السليم إلى اسم عام، يضيفون "ت" في النهاية، والذي يشكل جانات في المفرد وجاناتن في الجمع قال فيهم أيضاً: زناتة واسمه جانا بن يحي بن صلوات بن ورتناج بن ضرى بن سفكو بن قيدواد بن شعبا بن مادغيس بن هود بن هرسق بن كداد بن مازيغ...للمزيد يراجع : ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج6،ص 212.

(9) الهدار محمد خالد، المرجع السَّابق، (تم إطلاع عليه يوم -15-04-2020 على ساعة 20:18).

حدث الاصـطدام الأول بين البيزنطين وهؤلاء الليبيين حسـب بروكوبيوس أثناء إحدى الإحتفالات التي أقيمت بلبدة في منتصـف القرن السـادس ميلادي إذ قامت مشـادات بين الدوق البيزنطي سـرجيوس وبعض الزعمـاء من لواتـة (Laguatan) وذلـك احتجـاجـا على انتهـاك الجيش البيزنطي للأراضـــي الزراعيـة والمحاصيل المورية وتجديد التعاهد مع الإدارة البيزنطية وإعلان وتأكيد السلم بين الطرفين.

وحسـب بركوبيوس شـخصـية بيدانتوس (Pudentius) قد لعبت دورا هاما في إقناع الدوق سـرجيوس (Sergius) باسـتقبال وفد من أعيان القبائل الليبية، بينما تبقى البقية خارج أسـوار المدينة ، بذلك يتم ايقاف الزحف على مـدينـة لبـدة، ونظرا لطبيعـة الإحتجـاجـات " المورية" التي اتهمـت البيزنطيين بـانتهـاك أراضـــيهم الزراعية، فقد اشـتدت المفاوضـات إلى درجة إقدام الدوق على ذبح زعيم لواتي وثمانين شـيخاً إلا واحدا فقط ، تمكن من الفرار ونقل النبأ إلى القبائل المتمركزة خارج أســـوار المدينة ، التي ســـارعت بدورها إلى إعلان الحرب[10].

ولعل هذه الأحداث حسـب (ش) ذيل (Deihl Ch) كانت كفيلة بالتوقف عندها ، فكون القبائل المورية (الليبية) تحتج على انتهاك محاصـــيلها ، من شـــأنه أن يؤكد تمســـكها بملكية الأراضـــي وأن ادارة الإمبراطورية كانت تقر لهم بذلك ، وقد يكون التحول الذي عرفته السياسة البيزنطية تجاه القبائل الصحراوية، نتيجة ضغط طبقة ملاك الأراضي الزراعية على السلطة البيزنطية في نقض اتفاقيات التي التزمت بها مع القبائل الصحراوية ، فإن احتجاج هذه القبائل وعلى رأسها كل من لواتة و الهوارة كان أولا بطريقة سلمية[11].

وتتجلى الصـورة أكثر في أنّ إدارة المقاطعة الطرابلسـية تحت ضـغط الملاكين الكبار بادرت بتفجير الوضـع ، إلا أن هذه المبادرة سـرعان ما تحولت إلى يد القبائل الليبية الصـحراوية بمجرد إعلان الحرب سـنة 544م، حيث لم تكتف ببسـط نفوذها على المقاطعة الطرابلسـية فحسـب، بل كثيرا ما أصـبحت مقاطعتي المزاق والبروقنصلية ساحة لمعاركها في إطار كونفيدرالي جعلها من القوة إلى درجة تهديد الوجود البيزنطي ببلاد المغرب القديم كلها.

(10) بروكوبيوس القيصري ، المصدر السّابق، الفقرة 21، ص 144

(11) Diehl,(C). l'Afrique Byzantine,Histoire de la domination byzantine en Afrique du Nord(533-709), https://digi.ub.uni-heidelberg.de/diglit/diehl, Paris. 1896,p 105.

مما جعل الدوق سرجيوس يسارع لطلب نجدة القائد العام للجيش البيزنطي بإفريقيا "سولومون" وهو ما صادف إعلان أنطالس(*) (Antalas) الحرب بالمقاطعة الطرابلسية ومهاجمة مدينة لبدة وتدميرها،وقتل في المعركة سرجيوس كما أباد جيشاً بيزنطياً أخر كان يقوده سولومون، ولم يتمكنوا الحفاظ بالساحل، وفي أعقاب هذا النصر تحركت كافة قبائل المجاورة لتشد إزر اللواتيين[12].

وتجدر الاشارة أنّ ابن خلدون تطرق إلى هذه الحادثة لاحقاً (أي مطاردة سولومون للواتة) إذ قال:

أنَّ أحد الملوك الفاطميين نزل على أثار الأقدمين بالقصـــور التي على الجبال المبنية بالحجر المنحوت، ورأى كتاباً في حجر فسيح، فأمر المنصور قراءته، وإذا فيه : أنّ سليمان السردغوس خالف أهل هذا البلد من اللواتة على الملك، فبعثني إليهم ففتح الله عليهم وبنيت هذا البناء لأذكر به[13].

لكن ملاحقة سـولومون حسـب ابن خلدون كانت في وادي ميناس بتيارت وليسـت بفزان وهذا ما يدخلنا في جدال عقيم أنّ قبائل اللواتة كانت على شـــكل كنفيدراليات متحدّة في بلاد المغرب القديم وهذا سر مطاردة سولومون لهم إلى غاية جدارات تيارت.

لقد بلغ خطر تهديد القبائل الليبية للإمبراطورية البيزنطية فأرسـل الأمبراطور جوسـتيانوس إليهم المدد من مصر وأخذوا يقمعون الثورة وبشدة وخربوا ضياع و مساكن المور الذي يقصد بهم بركوبيوس كل الليبيون،

(*) أنطلاس: أمير المور، كان حليفاً للرومان لأكثر من 10 سنوات، أعلن الحرب بسبب مقتل أخيه، تمكن من جر القبائل الليبية من بينها قبيلة من مسقط رأسه تسمى الفراكسة التي كانت تستعمل الخيول في حروبها ...للمزيد يراجع :

Camps (G), «Antalas» ،*Encyclopédie berbère*] En ligne], 5 | 1988, document A231, mis en ligne le 01 décembre 2012 ،consulté le 04 juin 2021 .URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2518 ؛ DOI : https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2518

(12) بروكوبيوس القيصري ، المصدر السّابق، الفقرة 21، ص 144 (مكررة)

(13) إبن خلدون، المصدر السَّابق، ج6، ص.237.

واضـــطر هؤلاء إلى هجرة أوطانهم ومراعيهم وكانوا في ذلك الوقت قد أكثروا من تربية الجمال(*) كما أكثروا من استعمالها في السفر والحرب(14).

في هذه الحرب (سنة 547م) برزت شخصية يارنا (Irena) على رأس قبيلة لواتة متقمصا شخصية خادم الإله غرزيل(**)، وانتهج إســتراتيجية معروفة بوضــع الجمال على شــكل دائرة كبيرة لتكســير هجمات الفرسان البيزنطيين حيث يصفه بروكوبيوس في قوله :

"...أطلق العنان لفرســانه، واثقا في قوته، وخوفا من الدخول في معارك مفتوحة، تخندق في دائرة من الجمال المشــدودة الوثاق تســمح له بإحداث الفوضــى في ســاحة المعركة لكنها فشــلت في اختراق فرســان البيزنطيين "(15).

ويبدو أنّ هذه القبائل تلقت هزيمة ثقيلة و توغلت فراراً من البيزنطيين في الصـــحراء حيث لاقاهم الجرميين ، فوجدت هذه القبائل الليبية نفسها بين عدوين: البيزنطيين على ساحل البحر من ناحية، والجرميين في الصحراء من ناحية أُخرى ، فكان عليهم أن يفتحوا لأنفسهم طريقاً للحياة وأن يهاجموا الجانب الأضعف، لذلك نشــبت بين المزاتيين(***) والجرميين حرب ضــروس انتهت باســتيلاء المزاتيين على منطقة حمادة الحمراء وجبل حسونة وكذلك إلى استيلائهم على ودان ثم وادي الشاطئ وأصبحت ودان قاعدة ملكهم.

(*)يظهر أنَّ الجمل كان غير معروفاً في بلاد ليبيا قبل القرن الخامس قبل الميلاد إذا استثنينا الجمل البري الذي إختفى منذ أزمان بعيدة جدا، وقد اصطحب إسكندر الأكبر عدداً منها في رحلته إلى سيوة، وظل انتشار الجمل في شمال أفريقيا محدوداً لمدة طويلة إذ لم يرد ذكر لهذا الحيوان في الوثائق الرومانية في القرون التالية لوصول الإسكندر إلى سيوة، ولعل أول ذكر لإستعمال الجمال بأفريقيا كان التقرير العسكري الذي ذكر فيه أن قيصر قد غنم من أعدائه بشمال أفريقيا إثنين وعشرين جملاً سنة 46 ق.م (مقاومة يوبا الأول)، لكن الوثائق الليبية من الفن الصخري بفزان وتادرارت أكاكوس وطاسيلي بينت لنا وجود الجمل منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وأطلق على المرحلة من الفن الصخري مرحلة الجمال (Camilius) أما من نسبة الأساطير الطوارق (تماشق) أن الأميرة تين هنان هي أول من جاءت إلى هضبة الآهقار بالجمال حوالي القرن الرابع الميلادي، للمزيد يراجع : » Chameau », Encyclopédie berbère [En ligne], 12 | 1993, document C41, mis en ligne le 30 mars 2012, consulté le 11 avril 2020. URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2627

(14) بركوب القيصري، المصدر السَّابق الفقرة 23، ص. 147.

(**) إله غرزيل (Gurzil) هو إله القبائل المورية بالمقاطعة الطرابلسية، يبدو أنّ له علاقة بالإله آمون (Ammon) و ذلك في المناطق 766 الداخلية لهذه المقاطعة بمنطقة أوجيلا (Augila) ،التي تحدث عنها أبو عبيد البكري أيضا في حدود القرن العلشر ميلادي تحت اسم "كرزا"...للمزيد يراجع : عيبش يوسف، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية لبلاد المغرب أثناء الأحتلال البيزنطي، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2006- 2007، ص 212.

(15) بركوب القيصري، المصدر السَّابق الفقرة 23، ص. 147.، ص 147.

(***) المزاتة : بطن كبير ومشهور من بطون لواتَةَ وحسب ابن خلدون هم بنو زاير بن لوا الأصغر، ومنازلهم مراحل من بين أعظمها تورغة قبالة حبل نفوسة...للمزيد يراجع : ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج 6، ص.141.

أما الهواريون (Austuriani) فقد انسحبوا أمام البيزنطيين تاركين زلة في يدهم، وتوغلوا في الصحراء حيث شيدوا مدينة صغيرة سموها بزويلة تصغيراً لعاصمتهم القديمة زلة ولم يقيموا حول عاصمتهم الجديدة سوراً لحمايتها مكتفين ببعد موقعها، ولقد خرجت المنطقة في شرقي فزان من يد الجرميين إلى يد الهواريين (الخريطة 24)[16].

ويظهر بأن قبائل النيجر أيضاً قد اشتد ساعدها فاستقلت عن الجرميين وأقامت عاصمة لها في خاور[*]، ولم يبقَ في ملك الجرميين سوى منطقة وادي الآجال ووادي مرزق وتقلصت مملكة جرمة لتشمل هذين الواديين وما بينهما[17].

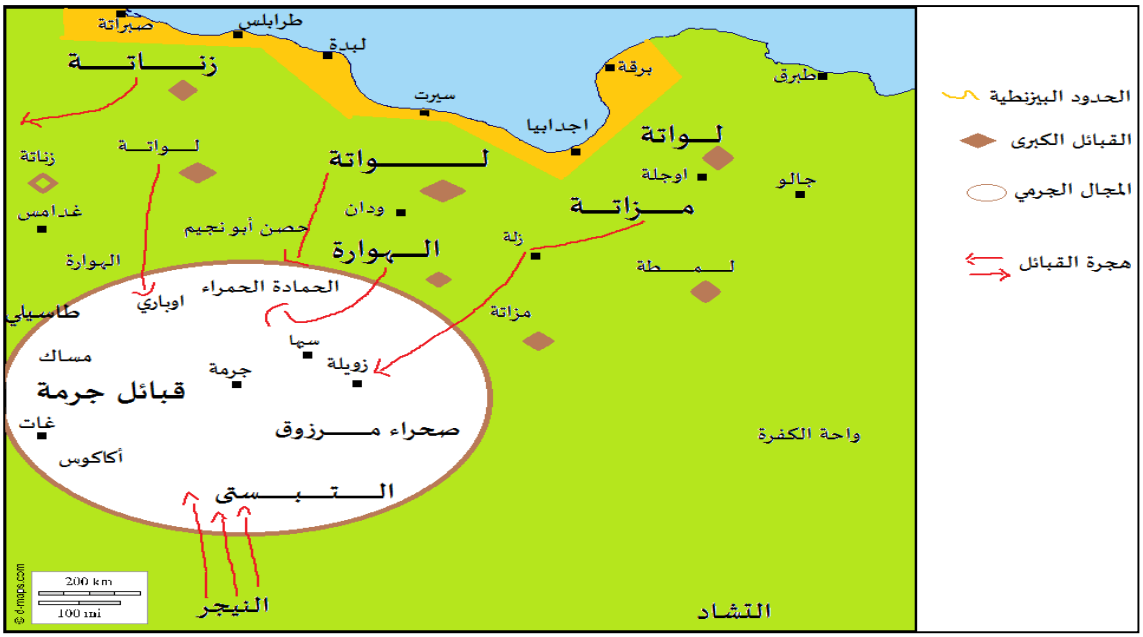

الخريطة رقم (24) : توغل القبائل الليبية في المجال الجغرافي لمملكة جرمة (من عمل الطالب بناء على المعطيات المؤرخين – بركوبيوس القيصري وابن خلدون وأيوب محمد سليمان.

[16] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص.225.

[*] لقد تكلمنا أنفاً عن التحالف الجرمي الروماني من خلال رحلة ملك جرمة ويوليوس ماترينيوس إلى بلاد النيجر، وضموا أجزمبا وتركوا بها مدنيين من أهالي جرمة.

[17] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص.225.

ويبدو لي ، أنَّ الواحات الجرمية انتزعت من طرف المزيتيين والهوارة(*) بسبب استخدامهما للجمال في حين استمر الجرميين في الإعتماد على الخيول والعربات ، يعود ذلك لإحتمالين:

الأول : أن الجرميين لم يعرفوا الجمل إلا في أوقات متأخرة جداً، وربما اقتصر استعماله فقط في الأعمال التجارية دون الحربية، العامل الذي كان سبباً في منح التفوق الحربي للقبائل البربرية في حربهم ضد الجرميين (كون الجمل يخترق الصحراء بسهولة ويتنقل لمسافات طويلة على أطرافها على عكس الحصان).

الثاني : هو أنّ الجرميين قد عرفوا الجمل منذ بداية القرون الميلادية واستعملوه، لكن ذلك صادف مع فترة انحطاط المملكة الجرمية بتفككها السياسي وانهيار بنائها الاقتصادي.

ونتيجة لذلك فإن تلك القبائل (الهوارة والمزاتة) لم تنزع من أيدي الجرميين مصادر الثروة الزراعية فقط بل استولت أيضاً على طرق التجارة والقوافل الجرمية عبر الصحراء[18].

وهنا يتضح لي فقدان الجرميون الموردين الإقتصاديين الذين كانا شريان النهضة الجرمية التي سبقت نهاية القرن الرابع الميلادي.

ولقد حاول الجرميون أن يصدوا عن أنفسهم أذى القبائل المغيرة باللجوء إلى البيزنطيين وتوفير نوع من الحماية البيزنطية لعاصمتهم جرمة وما بقي بين أيديهم من مزارع وممتلكات ، فتوصلوا إلى نوع من التفاهم مع البيزنطيين تمّ بموجبه إرسال حامية بيزنطية رابطت في قلعة لوروكو(**) بوادي الآجال على بعد ستين كيلومتراً من جرمة، لحماية جرمة وبقية الواحات ذلك الوادي مقابل أن يدفع الجرميون نفقات تلك الحامية وأن تتحول جرمة إلى الديانة المسيحية.

(*) الهوارة: اشتهرت منذ القرن 4م في صيغ مختلفة من بينها (Austuriani) في قائمة بركوبيوس ، هي من قبائل صحراوية متنقلة تعيش حياة البداوة دخلت في نطاق اللواتة في حربها ضد البيزنطيين تحت قيادة أميرها يارنا (Ierna) والذي كان خادما للأله غرزيل (Gurzil)... للمزيد يراجع

Moderan, (Y) «Les Maures et l'Afrique romaine IVe-VIIe siecle », Ecole francaise de Rome, Rome ,2003,p 37.

(18) البرغوثي عبد اللطيف محمود، المرجع السّابق،ص.177.

(**) اعتبرها ديل (Diehl) أنها أحسن نموذج لفن العمارة الذي كان سائدا بين أوساط مهندسي القرن السادس، شيدت هذه القلعة صغيرة على شكل مربع تقدر أضلاعه 190 X 160 أما ارتفاع يجهل تماما في ظل غياب دعماتها التقنية (الحجرية) ...للمزيد يراجع : Diehl (Ch), Op.Cit,p 186.

ومما يؤكد ذلك إشارة من (ش) ذيل (Deihl Ch) نقلا عن المؤرخ بركوبيوس إلى إنتشار المسيحية في أوساط مجموعة من القبائل الصحراوية مثل الغدابناتيني (Gadabitani) وسكان غدامس وفزان (fezzani)[19]، مما يؤكد السياسة التي انتهجها البيزنطيون لتفكيك هذا التحالف الليبي وكسب أطراف ليبية أخرى كالجرميين وخاصة أن النصوص لم تتحدث عن أية ثورة بعد هذا التاريخ، بل بعضها أشار إلى المساعدة التي قدمتها القبائل الفزانية ويعتقد أنها الجرمية في الحملة التي نظمها هرقليوس سنة 609 م على مصر ، مما يفترض وجود تحالف بين الطرفين.

ويبدو أنَّ مملكة جرمة قد ظهرت عليها بوادر الهرم و الشيخوخة وشحّا في مواردها الإقتصادية و عجزت عن دفع النفقات الحامية البيزنطية التي أشرنا عليها سابقاً مما أدى إلى انسحابها تاركة جرمة لتواجه مصيرها بنفسها.

وبوسعي أن أتصور أنَّ جرمة وبقية واحاتها ظلت نهباً لنزوات بعض القبائل المجاورة وغاراتها عليها منذ ذلك الحين إلى غاية الفتح العربي ، وفي مثل تلك الحالة فإن سبيل الحماية الوحيدة للفرد والجماعة عند الجرميين هو انتقال من نظام ملكي موحد إلى النظام القبلي بوصفه بديلاً للفوضى المطلقة.

وفي نفس هذا الوقت حدث تغير ملحوظ في حالة المناخ كان من نتيجته ازدياد الجفاف وقلة المياه وتحرّك الرمال حتى غطت الكثير من الدروب والطرق القديمة وأصبح عسيراً على العربات و الخيول الجرمية أن تستمر السير في الطرق القديمة الصخرية الصلدة[20].

وهذا ما سهل على القبائل البربرية بجمالهم التي كان في إمكانها أن تحل المشكلة بما لها من قابلية على تحمل العطش والقدرة على اختراق الصحراء ورمالها، ولذا فلم يصبح صعباً على قبائل المزايتيين والهواريين أن ينتزعوا سيادة الصحراء من الجرميين.

ومن الطبيعي إنّ تزايد الأخطار يؤدي في مثل هذه الحالة إلى تقوية الرابطة بين الفرد وقبيلته مما يزيد في تقوية ووحدة العصبية القبلية وعمقها، فيزيد بالتالي ضراوة التناحر القبلي وعنفه، ولذلك فإنا يجب أن نستغرب قلة المقاومة الجرمية التي لقيها الفاتحون العرب عند استيلائهم على جرمة لأن هذه المنطقة قد بلغت أقصى درجات الضعف و الإنحطاط مع المطلع القرن السابع للميلاد.

---

[19] Diehl (Ch), Op.Cit,p 184.

[20] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق، ص.227.

يلاحظ ضـــعف جرمة وتراجعها من خلال آثارها الضـــعيفة في المباني التي ترجع للقرن الســـادس ميلادي، وما بعده وهي مبان شيدت على غير ترتيب أو نظام كما أنها شيدت بقطع الأحجار القديمة ومن الأعمدة الأولى التي انتزعت من أماكنها لإعادة استعمالها(*)، وكذلك في القبور الصغيرة الفقيرة المحتويات التي ترجع للقرن السابع ميلادي[21].

(*) يراجع الحفريات البعثة الأثرية الوطنية للمصلحة الليبية التي تقدّم بها الأستاذ أيوب محمد سليمان لعام 1968م

[21] أيوب محمد سليمان، المرجع السَّابق ، ص.228.

ثانياً / الفتوحات العربية:

I. جرمة مابين الفتح أو الغزو:

يعدُّ ابن عبد الحكم المتوفي بمصر عام 871 م، أقدم الكتَّاب العرب الذين ذكروا بشيئ من التفصيل أحوال جرمة خلال الفتح العربي الأول والذي تقع أخبارها في القرن السابع ميلادي بالرغم من أنه يتحدث بصورة مقتضبة فقط كما تراه الباحثة (ب) مقرانطة[22] ، ما يهمنا من كتابه "فتوح مصر و المغرب" أخبار الحملة الثانية فقد كانت بقيادة عقبة بن نافع[*] ابن أخت عمرو بن العاص سنة 669 م إلى فزان ، وهي نفس الرواية نجدها عند البكري المتوفي حوالي 1094 م في كتابه "المسالك و الممالك في ذكر مدينة طرابلس وفزان".

و قد قال ابن عبد الحكم في جزء خاص عن أنباء فتح المسلمين بقيادة عقبة بن نافع الفهري لفزان

" ...حدّثنا عبد الملك بن مسلمة، حدّثنا ابن لَهيعة عن يزيد بن أبي حُبيب قال: غزا معاوية بن حُديج إفريقيا ثلاث غزوات، أما الأُولى فكانت سنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان، وأعطى عثمان مروان الخمس من تلك الغزوة وهي غزوة لا يعرفها كثير من الناس، والثانية سنة أَربعين والثالثة سنة خمسين .

قال: ثم خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حُديج، عقبة بن نافع الفهري سنة ست وأربعين ومعه بُسْر بن أرطأة[**] وشريك ابن سَمِيٌّ المرادي فأَقبل حتى نزل بمعمداس من سرت، وكان توجه بُسر إليها كما حدّثنا يحي بن عبد الله ابن بكير عن الليث بن سعد سنة ست وعشرين من سرت فأدركه الشتاء وكان مضعفاً.

وبلغه أنّ أهل ودّان قد نقضوا عهدهم ومنعوا ما كان بُسر بن أرطأة فرضه عليهم، وكان عمرو بن العاص قد بعث عقبة بن نافع جيشهُ هناك واستخلف عليهم عمرو بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي ثم سار بنفسه وبمن خف معه أربعمائة فارس وأربعمائة بعير وثمانمائة قربة حتى قدم ودّان فافتتحها، وأخذ ملكهم فجدع أذنه،

([22]) مقرانطة بختة ، دور المصادر العربية للعصر الوسيط في كتابة تاريخ الجزائر القديم ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد رقم 09 ديسمبر 2014 ، ص 261.

(*) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري وأمّه سلمى بنت حرملة، ولد بعام واحد قبل الهجرة لذلك فهو يعتبر صحابي بالمولد، وهو يمت بصلة للصّحابي عمرو بن العاص (رضي الله عنه) من ناحية الأم وقيل أنّهما ابني خالة ، يعد المؤسس الحقيقي للحكم العربي في افريقيا الشمالية، بنى مدينة القيروان، وأوغل في الفتح حتى بلغ المحيط الأطلس غربا وفي الصحراء الوسطى أوكاد يتجاوزها...للمزيد يراجع: : الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج1 دار العلم للملايين ، ط1، بيروت 1979،ص.98.

(**) بُسْرَ بن أبي أرطأة أو إسم أرطأة عمير، من بني عامر بن غالب بن فهر من قريس، يكنى بسر أبو عبد الرحمن، ولد قبل وفاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام بسنتين، وهو أحد الذين بعث بهم عمر بن الخطاب مدداً لعمروا بن العاص لفتح مصر على أحد الأقوال، كما شهد صفين مع معاوية ، وتوفي أيام معاوية الثاني، للمزيد يراجع: الزركلي خير الدين، المرجع السَّابق،ص.72

فقال لم فعلت هذا بي، وقد عاهدتني ؟ فقال عقبة : فعلت هذا بك أدباً، إذا مسست أذنك ذكرته، فلم تحارب العرب.

واستخرج منهم ما كان بُسر فرضه عليهم ثلاثمائة رأس وستين رأساً، ثم سألهم عقبة: هل ورائكم أحد؟ فقيل له: جرمة وهي مدينة فزان العظمى، فسار إليها في ثماني ليال من ودّان(*).

فلما دنا منها رسل فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، فنزل منها على ستة أميال، وخرج ملكهم يريد عقبة وأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راجلاً حتى أتى عقبة وقد لغب(**) وكان ناعماً فجعله يبصق الدم فقال له: لِمَ فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعاً؟

فقال عقبة : أدباً لك إذا ذكرته لم تحارب العرب ، وفرض عليهم ثلاثمائة وستين عبداً، ووجه الرجل من يومه ذلك إلى المشرق ثم مضى على جهته من فوره ذلك إلى قصور فزان فافتتحها قصراً قصراً حتى انتهى إلى أقصاها ، فسألهم هل من ورائكم أحداً؟ قالوا نعم أهل خاور، وهو قصر عظيم على رأس المفازة في وعورة على ظهر جبل وهو قصبة كوار، فسار إليها خمسة عشر ليلة ، فلما انتهى اليها تحصنوا فحاصرهم شهراً فلم يستطيع لهم شيئاً.

فمضى أمامه على قصور كوار فافتتحها حتى انتهى إلى أقصاها وفيها ملكها فأخذه فقطع أصبعه فقال: لم فعلت هذا بي؟ قال: أدباً لك إذا نظرت إلى أصبعك لم تحارب العرب، وفرض عليهم ثلاثمائة وستين عبداً، فسألهم هل من ورائكم أحد؟ فقال الدليل ليس عندي بذلك معرفة ولا دلالة فانصرف عقبة راجعاً ، فمر بقصر خاور، فلم يعرض له ولم ينزل بهم وسار ثلاثة أيام فأمنوا مدينتهم.

وأقام عقبة بمكان اسمه اليوم ماء فرس ولم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشرف منه عقبة وأصحابه على الموت فصلى عقبة ركعتين ودعا الله، وجعل فرس عقبة يبحث بيديه الأرض حتى كشف عن صفاة فانفجر منها الماء فجعل الفرس يمص ذلك الماء، فأبصره عقبة فنادى في الناس إن احتفروا سبعين حسياً فشربوا واستقوا فسمي ذلك المكان ما فرس.

(*) ودّان: مدينة تقع في منخفض الجفرة الذي يتوسط ليبيا، وتبعد 650 كلم جنوب شرق العاصمة طرابلس، وتاريخياً كان اسم ودان يطلق على كل مايسمى الأن الجفرة، لوحظ من الموسوعة الحرة اليوم الأربعاء 15 مايو 2021 (12:16).

(**) بمعنى : تعب تعباً شديداً.

ثم رجع عقبة إلى خاور(***) من غير طريق التي كان أقبل منها فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلاً ، فوجدهم مطمئنين قد تمهدوا في اسراتهم فاستباح ما في المدينة من ذرياتهم وأموالهم وقتل مقاتليهم ، ثم انصرف راجعاً فسار حتى نزل بموضع زويلة اليوم، ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر.

وقد جمت خيولهم وظهورهم فسار متوجهاً إلى المغرب وجانب الطريق الأعظم وأخذ إلى أرض مزاتة بفزان فافتتح كل قصر بها ثم مضي إلى غدامس فافتتح قلاعها وقصورها...[23].

أما عبيد الله البكري في القرن الحادي عشر نقل لنا هذه الأحداث برواية نفسها متناً لا اختلافاً لكن بإسنادين اثنين :

الأول: عن عبد الملك بن مسلمة عن اليث بن سعيد. (في كتاب المسالك و الممالك ، الجزء الثاني)، ص.13 و 14.

الثاني: عن أحمد بن سليمان وحُبيب بن نصر عن سحنون بن سعيد عن ابن وهب عن الليث بن سعيد عن زياد بن عجلان (في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب)، ص.82 – 86.

(***) تقع مدينة خاور (كاوار) على الضفة الغربية لنهر النيجر وتبعد قليلا عن منعطف نهر النيجر من جهة الشمال وتعد جزءا من إقليم غربي السودان الذي يعد أقرب الأقاليم إلى البحر المتوسط، في الوقت ذاته شكل نهر النيجر ممراً طبيعيا تتَّم عن طريقه الاتصالات التجارية والثقافية بمناطق بلاد السودان...للمزيد يراجع : غوري إبراهيم حلمي ، أطلس العالم، ط5، دار المشرق العربي ، حلب 2005، ص 62.

[23] إبن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ص.194 إلى غاية 198.

II. النقد والتقييم لروايتي ابن عبد الحكم والبكري:

بعد عرض الروايتين كمادة خام من المصـــادر العربية الوحيدة التي ذكرت جرمة كبلد وقبيلة وكذلك فزان كإقليم جُغرافي واسع يحتوي على جرمة ، نحاول في هذا العنصر تسليط الضوء على المادة المعرفية المتحصل عليها واســتخدام كل المناهج العلمية التاريخية المتاحة ، هدفنا في ذلك الوصــول إلى الحقيقة في أقرب ما يمكن الحصــول عليه.

إذْ نستخلص من روايتي ابن عبد الحكم والبكري أنّ القائد العربي عقبة بن نافع قد حاصر مدينة الزويلة وأنها سُــلمت له بعد مقاومة ضــعيفة، وقام بجدع أذن ملكها، فاســتغرب الملك كيف يفعل عقبة هذا الفعل وقد عاهده.

ونحن بدورنا نسـأل ونسـتغرب عن هذا الفعل ، لأنه لا يجوز لمسـلم أبرم عهداً، أن ينقضـه بدون سـبب يوجب ذلك، ويتصــرف بالشــكل الذي نســب إلى عقبة ، ثم بعد ذلك زحف عقبة على إثرها إلى مدينة جرمة فدعاهم إلى الإسـلام قبل وصـوله إليهم ، فخرج ملك جرمة يسـتقبله مظهراً الطاعة له، وهو بهذا نزل عند مطالب عقبة.

و بالتالي نتوقع أنّ لا داعي لأن ينكل به عقبة، ويضــطهده حتى يلغب ويبصــق الدم، لدرجة أنه أبدى دهشــة واسـتنكاراً لهذا العمل غير الإنسـاني، وأخيرا إذا كانت هذه التصـرفات قد صـدرت عن عقبة فعلاً ، فلما أغفلها الأغلبية من المؤرخين، على الرغم من ذكرهم وقائع كثيرة عن فتح بلاد المغرب ؟

نعقب على الأمر بأننا واســتناداً إلى الروايتين نســتبعد حدوث مثل هذه التصــرفات من قائد أطنبت المصــادر والمراجع في ذكر خصــاله الحميدة و أنّ ما نُســب إلى عقبة من أعمال تنافي روح الإســلام كهذه التي نناقشــها، أو إنها ربما من مبالغات الرواة وتلفيقهم من أخبار التي نقلها لنا كلا من ابن عبد الحكم والبكري عن الفتوحات في الصــحراء، وهي تبتعد كثيراً على الحقائق التاريخية التي حدثت، والتي صــدرت عن عقبة، وهي في الوقت ذاته ليست من الإسلام في شيئ.

ولأن عقبة بن نافع وغيره من قادة الفتح الإسلامي، كانوا على مستوى من الفهم للإسلام، ومن الحرص على تطبيقه، بحيث يستبعد أن يمارسوا تلك الممارسات التي تعطي تصوراً سلبياً عنهم كدعاة لهذا الإسلام، يحملون عقيدته إلى الناس ويجاهدون لنشره بين العالمين وليس للتجبر في الأرض وسحق الشعوب وجمع الغنائم.

ونجد أبو دياك يقول أنّ الممارســـات المنســـوبة إلى عقبة مع ملك جرمة وودّان، مردها يرجع إلى غلبة الأسلوب العسكري على شخصية عقبة الذي يعبر عن نفسيته التي تتسم بالعنف أكثر من اللين[24].

وعندنا قصـة أخرى تخص المعاملة السـيئة التي اسـتخدمها عقبة مع بعض القادة المسـلمين أيضـاً ومنهم " أبي المهاجر" ،فهذا ابن خلدون يذكر أنّ عقبة بن نافع عندما أعاده يزيد بن المعاوية على ولاية المغرب عام اثنين وستين من الهجرة، قام بتوثيق أبي المهاجر دينار بالحديد وإهانته كسيلة [25].

أما مسـألة الكرامة التي تنسـبها المصـادر إلى عقبة عند موضـع ماء الفرس، وكيف أنّ الله أخرج الماء من الأرض على إثر دعائه، فليس عجيباً أن ينقذ الله فئة خرجت للجهاد في ســبيله من مأزق وقعت فيه[*]، ومن البدهيات لدينا كمسلمين أن ننظر إلى الكرامة نظرة المؤمن بها على أنها تحصل لأولياء الله الصالحين، كما هو شأن المعجزة التي يظهرها الله تأييداً للأنبياء والمرسلين[**].

لكن من غير المقبول أن نقف كمتفرجين فقط أمام ما يصوره المؤرخون في هذا المجال، ولاسّيما أنّ المصادر أشـارت إلى أنّ عقبة خرج في هذه الحملة في الصـحراء، وهو يحسـب لها حسـابها، ولذلك تزود بالماء، فحمل معه ثمانمائة قربة ماء كما قال ابن عبد الحكم.

فإذا سلمنا بأنه وصل إلى مرحلة نفذ فيها الماء الذي معه، فينبغي أن نعرف أنه يرافقه أدلاء، يرشدونه إلى المســالك التي توصــل إلى مكان الماء في تلك الأصــقاع الصــحراوية، وإلا كيف يغامر ويتوغل في فيافيها دون استعدادات كاملة، ودون التعرف على أماكن المياه في تلك الأراضي؟

ولذلك نقول لا بد أن يكون الرواة قد اختلفوا في الرواية المذكورة، و ليثبتوا أنّ عقبة مســتجاب الدعاء، وعلى كل الأحوال نحن لم نوفِّ القصــة حقها من النقاش والتحليل ، فالتصــديق بالكرامة أمر مســلم به عندنا، وممكن جداً أن يكرم الله عباداً له كعقبة وصــحبه، بإخراجهم من أزمة أشــرفوا على الموت فيها، ما داموا خرجوا جهاداً في سبيله ونشرا لدينه وابتغاءً لمرضاته.

---

[24] أبو دياك صالح محمد فياض، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف دراسة سياسية وحضارية، أربد مكتبة الكتاني، عمان،1988،ص.86.

[25] ابن خلدون، المصدر السّابق، ج4،ص.237.

[*] ونجد رواية جاء بها البلاذري عن الواقدي حينما حدّثنا عن هروب الحيات والسباع ببركة دعاء عقبة من موضوع القيروان وأنه كان مستجاب الدعوة... للمزيد يراجع: البلاذري، فتوح البلدان، ص.228.).

[**] لكن التاريخ من ناحية الأخرى، علمنا بأن الأشخاص يصنعون لأنفسهم كرمات وفضائل عظيمة ، الهدف منها الرفع من مكانته وقربه من الله ، كل هذا ليتقرب من المؤمنين بالكرامات ، مثل ادعاء الأقدمون من المصرين والعراقيين والإغريق نسبهم إلى الآلهة وإمكانيته إعطاء الحياة والموت (الطالب بالتصرف).

أما النقطة الثانية التي تتوقف عندها ، فهي المدة الزمنية التي قضـــاها عقبة في حملته لبســـط ســـلطته والحصـــول على ولاء كل هذه البلدان كاملة ، نفهم من الرواية أنَّ عقبة عندما رجع من خاور(*) من طريق أخر لزويلة عبر جرمة بمسيرة لم تتعدى خمسة أشهر، وهي مدة نشك في أن عقبة قد أتمّ جميع هذه الفتوحات فيها فلا بد وأنَّ حملة كبيرة مثل هذه وفي صحراء فزان إلى نهر النيجر قد استغرقت مدة أطول مما ذكر (الخريطة 25)

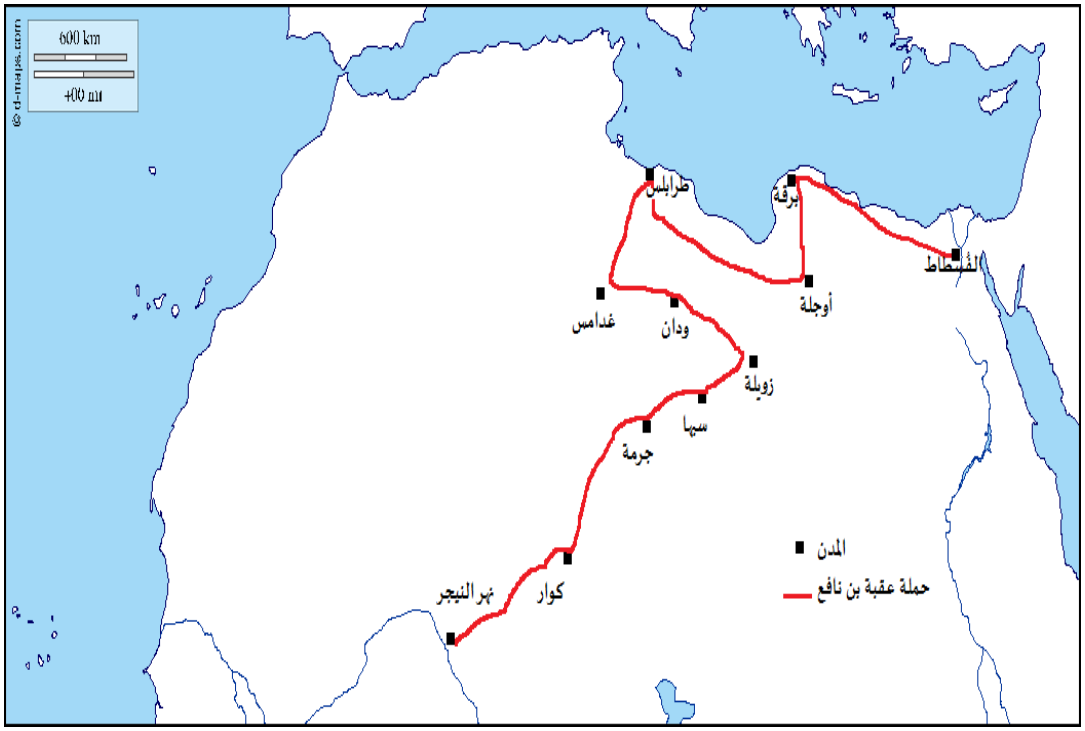

الخريطة رقم (25): تبيّن حملة عقبة بن نافع في الصحراء (من عمل الباحث وفق روايتي البكري و ابن عبد الحكم)

ويلاحظ أنّ مختلف المؤرخين الفرنسيين استغلوا نصيّ ابن عبد الحكم والبكري وأعطوا لها نوع من العناية فيرى الباحث (أ) موســـيار (Maucier E.) أنّ حملة عقبة بن نافع على قصـــور جرمة وتعدي على ملكها بمثابة الوحش متعطش للدم والمال وأنه كان يتصـرف بمنهج يشـترط فيه على المنهزمين اعتناق الإسـلام والخضـوع في آن واحد[26].

(*) يعتقد " تيري" أنّ سكان خاوار (كاوار) وفزّان على قرابة في الدم، وربما يرجعون إلى أصل مشترك، ويشير إلى الرواية بأن أصل صناعة الملح في كاوار يقع في الصحراء الليبية في مرزوق، كما يستقرأ من "العظم" تبعية واحات كاوار لفزان ...للمزيد يراجع تيري جاك ، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة : جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، 2004 ، ص 141.

([26]) Maucier (E.), « Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale selon les documents fournis par les auteurs arabes et notamment par l'Histoire des Berbères d'Ibn Kaldoun ». Éditeur : L. Marle (Constantine 1875),p 57 http://catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb309283274

ويقول عنه (ج) مارسيه (Marcais G) أنه استغل غياب القوات البيزنطية التي تركت فراغا كبيرا بإفريقية لتصدي أحد المغتصبين(*) الذين ظهروا بصقلية[27].

أما (ج) كامبس (Camps G) يرى أنّ عقبة بن نافع من الغزاة المفعمين بروح التعصب ، فأثناء تقدمه في الصحراء الطرابلسية لم يتقابل مع الروم بل استغل همجيته على البربر الضعفاء ، فلا قوة لديهم وقلاعهم لا شك أنها كانت فارغة من المدافعين، تسقط من ذاتها ، وكان هذا الانتصار يظهر لعقبة سهلا على حساب البربر وأغلبهم مسالمين[28].

فمن الواضح أنّ تقديرات موسيار (Mercier E.) ومارسي (Marcais G) و حتى كامبس (Camps G) للتواجد العربي في شمال الإفريقي ونتائجه مبالغ فيه، يريدون بهذه المبالغة أن يثبتوا أنّ هدف العرب مادي صرف ، أما عبارات التي كتبها مارسيي إذا تأملنا في شأنها أنه يلتمس عذرا للبيزنطيين الذين انشغلوا في نظره بمشاكلهم الداخلية ومن ثم أتيحت الفرصة لعقبة كي ينتصر على البربر فهل نسي المؤلف أنّ قبيل عقبة بسنوات قليلة تمّ فتح العديد من المدن الشامية التي كانت بها أقوى الوحدات البيزنطية ؟.

أما موسيار (Maucier E.) سعى إلى تشويه الحقيقة في كلامه عندما يقول أنّ عقبة كان يشترط على المنهزمين اعتناق الإسلام والخضوع في آن واحد والمبادئ الإسلامية كما هو معروف تقوم على أساس المساواة بين كل المسلمين ، فهل كان مارسي يجهل ذلك ؟

أما تصور كامبس (Camps G) لعقبة أنّه كان بمثابة وحش متعطش للدم والمال فهذا دليل على التعصب المؤرخ بالروح الصليبية التي يلتمسها كل قارئ لكتاباته التاريخية عن البربر أيضا خلال الفترة الرومانية.

وعليه ، يلاحظ أنّ المؤرخين الفرنسين استغلوا المصادر العربية لكنهم لم يتقصوها جيدا فمثلا أحاديث البكري وابن عبد الحكم على أنّ عقبة كان شديدا قاسيا على الذين نقضوا ما سبق لهم أن قطعوا على أنفسهم من عهود للمسلمين أو الذين كانوا يتحصنون منه بقلاعهم أي جيوب المقاومة وهذا موقع معه مع ملك جرمة ،

(*) عندما بحثت عن هوية هذا المغتصب حسب تعبير مرسيه (Marcais) تبين لي أنه جناديوس (Gennadius) وهو الإغريقي الذي أسس إمارة في صقلية دامت عدة سنات وأعلن ثورته ضد الإمبراطور قسطنطن الثاني ...للمزيد يراجع :

Julien (Ch'A), Histoire de L'afrique du Nord.T.II. : Tunisie, Algérie, Maroc. 1. Des origines à la conquête arabe, 647 ap. J.-C. 2e édition, revue et mise à jour par Christian Courtois Reliure inconnue –1951,p14.

(27) Marcais (G) La Berbérie Musulmane et l'Orient au Moyen Age (Collection "Les grandes crises de l'Histoire") Éditeur : Aubier Montaigne ,Date d'édition : 1946,p 31.

(28) Camps (G) , Comment la Berbérie est devenue le Maghreb arabe.Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée ,Année 1983 pp. 7-24 p 15.

فهل يمكن تفسير عدم تطرق المؤرخين مرسيه وموسيار ،كامبس لهذه الأخبار لتعليل شدّة عقبة إلا لخشيتهم من أنّ ذلك سيؤدي ، لا محالة ، إلى تبرير أعماله ورفع منزلته التاريخية وهو لا يتماشى مع أغراضهم بطبيعة الحال ؟ وهل يمكن تفسير سكوتهم عما ذكره ابن الأثير مثلا ، من انضمام من أسلم من البربر فكثر جمعه ؟

ثالثا / سقوط جرمة :

يفترض العديد من الباحثين احتمالات حول نهاية مملكة جرمة، فمنهم من يؤكد على أن سقوطها كان مبكرا أي لا يتجاوز نهاية القرن الرابع للميلاد وهي مرتبطة بزوال الإمبراطورية الرومانية، بينما نجد العديد من المؤرخين يؤكدون أن مملكة جرمة جاءت نهايتها في العصور الوسطى حسب ما تم رصده من مصادر معاصرة لها :

I. فرضيات خاصة بالسقوط المبكر للمملكة جرمة :

حسب ما سُلِّم به من الاجتهادات السابقة حول وجود شواهد دالة على بروز سلطة سياسية مركزية مستقرة ومنظمة نوعا ما مثل وجود المقابر الملكية وما احتوته من الكنوز(*) وتوفر نظام الليمس الجرمي أو الفجّارت دلالة على أنّ المنظومة فيما بعد قد سقطت بفعل الأعداء أو يكون القضاء عليها بعد انهيار من طرف اللصوص والعابثين.

وعليه، فإن البحث عن الظروف والملابسات التي كانت وراء الإنهيار المفاجئ لجرمة، جعلني أسجل العديد من احتمالات مختلفة للباحثين، تبدو لي في مجملها منطقية مع الفرضيات المتأخرة وبالتالي سيلاحظ أنّ النتيجة التي سنصل إليها لا تختلف عن تلك الفرضيات.

ويفترض (د.أل) هاينز مما يسرده من العديد الباحثين من أمثال (ليفراني وآنداه) ، أنّ انهيار المملكة الجرمية القوية كان لأسباب اقتصادية وذلك مرتبط بضعف وانهيار الإمبراطورية الرومانية وتدهور التجارة الصحراوية المعتمدة على أسواق البحر المتوسط[29].

يعزز هذا الافتراض مصداقية العصر الذي شهدته الإمبراطورية في مطلع القرن الثالث للميلاد بعد وفاة الإمبراطور اسكندر سيفيروس ومنها الانهيار الكبير في التجارة الخارجية،ومن الطبيعي أن تنعكس هذه الآثار السلبية المترتبة عن تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية للإمبراطورية الرومانية على بنية الإقتصاد للاقليم الأمبوري وبالضرورة في التجارة الصحراوية الجرمية.

(*) يذكر غراتسياني أنّ الكثير من هذه الكنوز موجودة في متحف كولونيالي (Museo Coloniale) بروما...للمزيد يراجع (غراتسياني رودولفو، المرجع السّابق، ص 46.

[29] هاينز د.أل ، آثار طرابلس الغرب، ترجمة : عديلة حسن مياس ، ط2، مطابع وزارة الإعلام والثقافة ، طرابلس الغرب، 1965، ص 45.

وذهب (ك) كورتوا (Courtois,C) إلى الاعتقاد أنّ في القرن السادس كانت توجد ثمانِ ممالك بربرية(*)، أكبرها مملكة جرمة لكن تراجعت بفعل ضربات قبائل مجاورة لها، وهذا من أجل سيطرة على مسالك التجارة الصحراوية وسرعان ما أصبحت منسية فلا نعرف عنها شيئ خلال هذه الحقبة (القرن السادس للميلاد)[30].

وإذا كان الباحثون قد اختلفوا في تحديد السبب المباشر للانهيار الجرمي فانهم اتفقوا على مدى أهمية دور التغيرات المناخية واستمرارها نحو الجفاف في التعجيل بالانهيار ، حيث يرى (ع) البرغوثي بسببه تدنى منسوب الأمطار والمياه الجوفية [31].

أما أيوب يرى أنّ مردود تحريك الرمال قد ساعد في تغطية الكثير من الدروب والطرق التجارية القديمة، وبالتالي أصبح من العسير على العربات والخيول الجرمية أن تستمر في السير خلال هذه الطرق الصحراوية التي كانت تعتبر الشريان الرئيسي للحياة الجرمية، وربما كان هذا التصحر سببا في عدم قدرة القيادة السياسية في جلب الأيدي العاملة القادرة على الزراعة وصيانة نظام الري (الفُجّارات) ، فتقلصت الأراضي الزراعية وحدث جفاف للمراعي[32].

مما جعل مملكة جرمة تقف مكتوفة الأيدي إزاء هذا التطور المناخي ، الذي أدى في النهاية إلى إضعاف السلطة الحاكمة في جرمة وعجزها عن إيجاد بديل ، قامت ثورة اجتماعية داخلية ، وما بقايا أثار الحرائق والدمار في القصور والقلاع التي أرجعها " أيوب" إلى منتصف القرن الرابع للميلاد، إلا نتاج لهذه الثورة.

من الناحية الأخرى، يفترض (ب) ديفيستون أنّ الإنهيار الجرمي مرتبط ببروز دولة غانا(*) على مسرح الأحداث في غرب أفريقيا خلال القرن الثالث ميلادي، كوسيط تجاري ومركزي لتبادل السلع التجارية بين الشمال

(*) يبدو لي بعضها مثاراً لشك كثير، وفي تقديري أن جرمة لم تعد بمصاف المملكة كون المصادر القرن السادس عددت ممالك مورية من أمثال مملكة ماسونا بألتافا ويبداس ومملكة ماستينغاس ومن ثم إمارة غرمول (الطالب بالتصرف).

[30] Courtois (C), Op.Cit,p 54.

[31] البرغوثي عبد اللطيف، المرجع السّابق، ص 378.

[32] أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق،ص 227.

(*) تعتبر غانا من أقدم الممالك الأفريقية التي ظهرت في السودان الغربي، وقد تكونت في المنطقة ما بين الانحناءين امتقابلين لنهري السنغال والنيجر، وضمت بشكل أساسي (أوكر) في الشمال و (الهوذ) في الجنوب، إلا أنها امتدت في عظمتها مع حوالي (نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر ميلادي)، فأصبحت حدودها تحاذي الصحراء في الشمال والغرب نهر السنغال في الجنوب ونهر النيجر في الشرق...للمزيد يراجع (ظاهر جاسم محمد، أفريقيا ماوراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ، 2003 ، ص 35.).

والجنوب ، وسيطرتها المطلقة على تجارة الذهب نتيجة لعمليات التنظيم المحكمة التي مارستها السلطة الحاكمة، باعتبار الذهب كأهم السلع التي كان يجلبها الجرميون من الحزام السوداني[33].

الأمر الذي ساهم في تحول التجارة الدولية من محور الطرق التجارية الشرقية، حيث كانت جرمة إحدى محطاتها المهمة إلى المحور الغربي والذي تشكل غانا محوره الرئيس.

ومع هذا فإن (ف) ميديروس ، يشدد على القول أنّ مملكة غانا المشار إليها في مصادر الكتَّاب العرب في القرون الوسطى قد وضع دعائمها سكان جرمة في حوالي القرون الأولى قبل الميلاد[34].

ويعزز هذا القول (م) يونس بأن بعض القبائل التي تعرضت إلى الطرد أو التهجير من الشمال الأفريقي في عهد الإمبراطور الروماني ألكسندر سيفيروس (Alexander Severus) 222 – 235م ، خاصة منها القبائل الجرمية قد تمكنت من تأسيس دولة غانا القديمة[35] .

بهذه الصيغة تكون جرمة المركزية قد انكمشت على نفسها بعد ان فقدت مواردها التجارية بفعل السياسة المنتهجة من طرف الرومان منذ القرن الثالث للميلاد وبالتالي بدأت علامات الشيخوخة تدب في أوصالها.

فقد تكالبت عليها مجموعة من العوامل والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، والتي يبدو أنها قد شكلت عائقا ليس أمام قدرة السلطة الجرمية فقط في ضمان استمرار تدفق السلع الصحراوية والاستوائية إلى مراكز الشمالية مما نتج انخفاض في اقبال الطبقات الرومانية المترفة في اقتناء سلع الترفيه، مثل الأحجار الكريمة و العاج وهي الثروة الأساسية للتجارة الجرمية، الأمر الذي حتّم على انتهاء التجارة التكاملية التي كانت تتسم بها العلاقات بين الجرميين والرومان، ومن بعدهم البيزنطيون.

وقد سبق ذكر افتراض المؤرخ أيوب في مسألة العلاقات الوندالية الجرمية، أنّ انهيار المملكة الجرمية جاء نتيجة الصدام المسلح بين الجيوش البيزنطية وقبائل البربر (لواتة، زناتة، مزاتة، هواره) التي اكثرت من استعمال الجمل في الترحال والحرب خلال تلك الفترة، وانهزام قبائل البربر وانسحابها إلى الجنوب حيث مناطق النفوذ الجرمية

---

[33] ديفيستون باستيل ، لمحات من تاريخ أفريقيا، ترجمة : مركز البحوث والدراسات الافريقية، منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، ب.ت، ص ص 46 .47.

[34] ميديروس دو فرانسوا، شعوب السودان : تنقل السكان، في تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثالث، أفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، ط2، اليونيسكو، لبنان، 1997، ص 154.

[35] يونس محمد المبروك، موقع ليبيا ودوره في التواصل الحضاري العربي الأفريقي، مجلة تراث الشعب، العددان الأول والثاني، طرابلس، 1994 ، ص 20

حتّم بالتالي الصراع المسلح بين الطرفين فقامت الحروب بين الجرميين والمزاتين بالأخص، وانتهت بانتصار الأخيرة واستلائها على منطقة فزان[36].

ورافق ذلك انشقاق قبائل النيجر في الجنوب وإقامة عاصمة لهم في " خاور"، وهكذا انحصرت المملكة مكانيا فقط في وادي الآجال ووادي مرزق وما بينهما، ولا شك في ذلك قد أدى إلى فقدان المملكة لجزء هام من مواردها الإقتصادية والبشرية مما كان له الأثر السيئ في تقلص نفوذها

يؤيد (ج) تيري " أيضا فرضية أيوب محمد سليمان ، حيث يرى أن الحرب التي كانت بين " مزات" (ودان) و الفزازنة (الجرميين) انهزم فيها الأخيرون وتزامن مع نزوح بربر إقليم برقة وخليج سرت نحو الجنوب (وادي الآجال) حيث طردوا الجرميين قبل استقرارهم في الهقار[37].

وباستقراء بعض المعطيات الأثرية والنصوص، يبدو أنّ هذا الافتراض غير المقنع حسب (ت) ليفيتسكي الذي يرى أنّ الجرميين لم يتأثروا كثيرا بنزوح بعض القبائل البربرية بل تمّ صدّ تلك الهجرات مع سلسلة من التحالفات الجرمية مع السلطة البيزنطية ، حتى انهارت نهائيا مع بداية القرن السابع الميلادي، كأول وأقوى تنظيم سياسي عسكري فيما وراء الإقليم الأمبوري[38].

مع أنّ (ت) ليفيتسكي يصّر على القول بأن المملكة الجرمية القديمة لم تختفي إلا مع القرنين السابع والثامن للميلاد على أيدي الفاتحين العرب، ويؤيده في ذلك (ت) دانيلز[*] في قوله بأن سقوط جرمة نستدل به من خلال المعطيات الأثرية عن هشاشة البناء مع التواجد العربي في الشمال الأفريقي .[4].

---

[36] أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق،ص236..

[37] تيري جاك ، المرجع السّابق ، ص481

[38] ليفيتسكي تاديوز، دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، في تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثالث، أفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، ط2، اليونيسكو، لبنان ، 1997، ص 320.

[*] يبدو لي أنّ إفتراض "ليفيتسكي" و"دانيلز" فيه مبالغة نوعا، لأنهم لم يطلعوا على الوثائق العربية التي عاصرت فتح جرمة، وعليه فإن إلحاح دانيلز في كثير من عباراته على أن التواجد العربي كان سببا في سقوط جرمة مبني على سلسلة من الادعاءات والمغالطات التي أوردتها النزعة المركزية الأروبية (الطالب بالتصرف).

[4] دانيلز تشالز، المرجع السّابق، ص 62.

II. فرضيات خاصة بالسقوط المتأخر للمملكة الجرمية :

عندما تتبعت السيرورة التاريخية في إقليم فزان تبين لي إنَّ الحملات العربية الأولى التي قصدت مملكة جرمة لم تتمكن من القضاء عليها نهائياً وكذلك حملة عقبة بن نافع لم تضع نهاية لمملكة جرمة، الأمر الذي يشير إلى استمرار وبقاء السيطرة والزعامة ولو الروحية للسلطة الحاكمة لها، واحتفاظ المملكة لبعض أهميتها على الأقل حتى القرن الحادي عشر للميلاد.

إذ نجد الكاتب الفارسي الشهير اليعقوبي في القرن التاسع الميلادي يذكر عن جرمة أنها ما زالت على قيد الحياة حيث يقول :

" وجنس يعرف بفزان أخلاط من الناس لهم رئيس يطلع فيهم وبلد واسع ومدينة عظيمة وبينهم وبين مزاتة حرب لا فح أبداً"[39].

ذلك كان حال جرمة في القرن التاسع الميلادي، حروب متصلة بينهم وبين البربر المزيتيين القادمين من مزده بالشمال والذين استولوا على ودان ووادي الشاطئ ومن ناحية أخرى أقام الهواريون مدينة زويلة التي أخذت أهميتها تزداد، ويظهر من النص أن أهل زويلة وودان كانوا من البربر الذين اعتنقوا الإسلام، بينما ظلت جرمة على وثنيتها في أغلب الأمر.

ومن جهة أخرى فقد دوّن الجغرافي الشهير المسعودي عن جرمة أنها كانت ولا زالت في الوجود حتى في القرن العاشر ميلادي في قوله :

"...أما غير هؤلاء من الحبشة الذي قدمنا ذكرهم ممن أمعن في المغرب مثل الزغاوة ومديدة والقوماطي وزويلة و الجرمة أو الخرمة فكل من هؤلاء وغيرهم من أنواع البربر ملك ومملكة وما وراء هذه كلها في جهة الجنوب قفار ورمال لا تنبت زرعا ولا مرعى إلى أن تنتهي إلى العرق الذي ذكرناه، ومن ورائه مجالات المتلثمين كما قلناه مفاوز معطشة إلى بلاد السودان"[40].

وبعده في القرن العاشر ينقل لنا الإدريسي في نزهة المشتاق في القرن الحادي عشر ميلاد يؤرخ لجرمة ويصف بالعظمة في قوله:

---

[39] اليعقوبي ، المصدر السَّابق، ص184.

[40] المسعودي، المصدر السَّابق ،ص22.

"...ويلي أرض زغاوة أرض فزان وبها من البلاد مدينة جرمة، ومدينة تساوة والسودان يسمون تساوة جرمى الصغرى وهاتان المدينتان يقرب بعضهما من بعض وبينهما نحو مرحلة أو دونها، وقدرهما في العظم وكثرة العامر سواء، ومياههم من الآبار وعندهم نخيلات ويزرعون الذرة والشعير"[41].

أما البكري الذي يؤرخ للقرن الحادي عشر ميلادي أيضاً، فيشير إشارة مبهمة إلى أنّ جرمة كانت لا تزال في الوجود فمن المحتمل أن بلدة تامرتا كان يقصد به جرما ولا سيما وأنه قال بأنه كان يسكنها بنو فزان[42]، فلا بد وأن تحريفاً بسيطاً حدث أثناء النقل أو النسخ.

ويمكن أن نستدّل مما كتبه البكري أيضاً أنّ جرمة كانت بها سجلات تحقيق الشخصية و المراسلات بين أجزاء المملكة كانت متصلة و الأمن كان مستتباً،إلا أن نص البكري يشير إلى ازدياد نفوذ زويلة وإلى أصبحت عاصمة لفزان حتى أصبحت تُعرف بمدينة فزان الكبرى فدانت لها جرمة[43].

وتعتبر جرمة من المدن الأولى التي زارها الوارجلاني أبي يوسف في عام 1175م، في رحلته والتي جاءت في أخر فترة من حكم بني خطاب[*] في زويلة وقد سّجل أحوالها وأحوازها من منطقة تبستي وسبها وسائر بلاد فزان في قصيدة رانية طويلة أسماها بالحجازية فقال:

مجابة تَحْلزام أيُّ مجابةِ *** لها حاجزان بين رمل وحاجرِ

جزى الله عنا جرمةً وبلادها *** وفزان خيراً شاكراً غير كافرِ

هم أوسعونا ماستطاعوا بخيرهم *** وعافية جلت ومن تمر تامرِ

وكانت تيبستو منزلاً نزلت به *** وراحت إلى سبهى وسمنو وفاطرِ[44].

---

[41] الإدريسي ، نُزهة المشتاق في إختراق الأفاق، ج2، راجعه : أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ،1971، ص85.

[42] البكري ، المصدر السّابق ص10.

[43] نفسه.،ص.09.

[*] هي أسرة أسّسها عبدالله بن الخطاب المزاتي عام 306 هـ ، واتخذ من زويلة حاضرةً لها، وشملت الإمارة أغلب واحات فزان، وساعد على ذلك وقوع مدينة زويلة على مفترق الطرق والقوافل العابرة من المشرق والمغرب ، ومن البحر إلى بلاد السودان جنوباً، أصبحت مركزاً لتجارة الصحراء يؤمها التجار من كل حدب وصوب، وتزامنت إمارة بني الخطاب مع قيام الدولة العبيدية وانتهت بنهايتها حتى دمرها قرقوش في سنة 571هـ...للمزيد يراجع : البكري، المصدر السّابق،ص.11.).

[44] يحي بن بهون (المحقق) ، رحلة الوارجلاني، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،ط1 ، تلمسان،2011، ص.28.

و من خلال هذا العرض يبدو لي أنّ المؤرخين يجمعون بأنه ابتداءا من القرن العاشر للميلاد، أصبحت جرمة في قبضة ملوك أسرة بني الخطاب في زويلة، إلى أن استولى عليها أحد ضباط صلاح الدين الأيوبي سنة 1184م يسمى قرقوش الأرميني(*) الذي أضحى حاكما على بلاد فزان حتى خرج عليه أبنائها وحاصروه في ودان حتى سلم وقتل عام 1212م، وبمقتل قرقوش أصبحت واحات فزان بغير حاكم مما أطمع الجيران فيه[45].

وكان الزغاويون من سكان تشاد قد أقاموا مملكة لهم في "كانم" خلال القرن الثاني عشر الميلادي وأصبحت حدودهم تتاخم فزان، كما كان ملوكهم يعتمدون في حياتهم الإقتصادية على استمرار طريق القوافل مع طرابلس مفتوحاً، فلما دالت سلطة قرقوش استولى الزغاويون الذين عرفوا باسم الكانوري على فزان وجعلوا من مدينة تراغن مقراً للحاكم الكانوري أو الكانمي.

ويقول أبو الفدا في كتابه تقويم البلدان:

" وفي شرقي غدامس ودان وهي جزائر نخل وفي جنوبها فزان وهي أيضاً جزائر نخل ومياه ولها مدن وعمائر من الأقدمين ملكاً وسلطتاً وهي الأن في طاعة ملك كانم[46].

ولا شك أنّ أبو الفدا كان يقصد مملكة جرمة التي شهدت لها الآثار و الكتابات بتميزها الحضاري ليس في فزان فقط بل في كل شمال غرب أفريقيا.

لم يستقر الكانميون مدة طويلة في فزان إذ سرعان ما ظهر الخرمان فهم من البربر إذا يقول الشيخ فالح عنهم " هم أمم من البربر يعرفون بالخرمان يسكنون في وادي الأجال" [47].

ورغم أن بعض المؤرخين الحديثين، مثل أيوب يرون أنّ الخرمان كان يقصد بها جرمان أو جرمة ولا سيما أنه قال أنهم كانوا يسكنون وادي الآجال وقد بيّنا في الفصول السابقة بأّن وادي الآجال كان قلب مملكة الجرميين، وأن التغير في الاسم إنما جاء من مقتضيات العصر آنذاك.

(*) قرقوش: كلمة تركية معناه العقاب الطائر،وقرقوش هو : شرف الدين مولى صلاح الدين الأيوبي، الذي قاد حملة على أوجلة وزويلة وواحات فزان ، وقتل عام 609هـ...للمزيد يراجع: الزركلي خير الدين، المصدر السَّابق،ص.193.).

[45] أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق،ص.234.

[46] أبوالفدا محمد بن إسماعيل، تقويم البلدان، راجعه العيدان رينود، دار الطباعة السلطانية (نسخة الإلكترونية)، ص.143.

[47] البرغوثي عبد اللطيف، المرجع السّابق،ص.321.

ويستدّل الباحث أيوب محمد سليمان من أساطير الأهالي على أنهم جرميون حيث أن الخرمانيين كانوا يستعملون الخيول لا الجمال وكل هذا يدّل على مواصفات الجرميين قديماً[48].

كما يرى " أيوب محمد سليمان" في مختصره أنّ جرمة القديمة قد ضعفت ابتداءا من القرن السابع الميلادي إلا أنها ظلت على قيد الحياة حتى القرن التاسع الميلادي حيث هجرت تماماً وأخذت الرمال تغطيها بينما إقام أهاليها مزارعهم ونخيلهم فوق الأطلال المباني القديمة[49] .

وهذا يتنافى مع أراء المسعودي والإدريسي والبكري بأن المدينة كانت موجودة إلى غاية القرن 11 ميلادي.

ويظهر أنّ الضربة التي أودت بزويلة عاصمة مملكة الهواريين على يد قرقوش قد أتعبت مملكة جرمة بغاراتهم المتكررة عليها أدت إلى الإستيلاء عليها مما أدى إلى طرد الجرميين شرقاً ،ومع الحلول الجيش الكانوري تشادي قد زاد من ضعف البربر الهواريين حتى أنهم هجروا إلى الغرب إلى هضبة الآهقار (جنوب شرق الجزائر حالياً) تاركين فزان كلية،وأفسحوا بذلك المجال للجرميين لإعادة تنظيم قوتهم في مسقط رأسهم بوادي الآجال، ويبدو أنّ جرمة قد أسلم سكانها ونسيت تقاليد الوثنية والمسيحية ، وقد ظهروا باسم خرمة تمييزا عن جرمة المسيحية[50].

ورغم إسلامهم فقد ظل الجرميين أو الخرمان مخلصين للحيوان الذي رافق أجدادهم في فزان منذ ألفية الأولى قبل الميلاد، فقد ظلت الجياد عماداً لجيش الخرمان.

ويعتقد أيوب أنَّ خرمة مدت نفوذها من وادي الآجال حتى بلغ زويلة شرقاً وسوكنة شمالاً وضمت إليها غدامس إلا أنها عندما أرادت أن تبسط سلطانها على جهات غات وما يجاورها ، جاءت موجه العرب الهلاليين و السليميين فاصطدموا بهم ودفعوهم إلى ماوراء فزان في الجنوب فاستقروا في هضبة الأهقار و الطاسيلي في الصحراء الوسطى (الجزائرية حالياً) حيث تناسلوا وتكاثروا إلى غاية قيام دولة المرابطين التي وحدث كافة قبائل الطوارق في الصحراء الوسطى واتساع هذه الدولة حتى بلغت حدودها إسبانيا شمالاً ومصر شرقاً، ولكن ما لبثت هذه الأمبراطورية أن تفككت حتى قضى عليها الموحدين نهائيا[51].

---

[48] أيوب محمد سليمان، المرجع السّابق،ص236..

[49] أيوب محمد سليمان، مختصر...، المرجع السّابق،ص.41.

[50] أيوب محمد سليمان، جرمة ....،المرجع السّابق ،ص.41-42.

[51] أيوب محمد سليمان، جرمة ....،المرجع السّابق ،ص.242.

وتذكر لنا المراجع التاريخية بأنه،بعد سقوط دولة المرابطين رجع الطوارق إلى عيشة البداوة وتمتعت كل قبيلة فيها باستقلالها تحت حكم أمغار (الشيخ)[52].

و يرى " أيوب محمد سليمان" أن خرمان عادوا مرة أخرى إلى وادي الأجال لتحكم نفسها بنفسها واحتفظوا بمنصب الأمغار واستولوا على غات إلا أن جموع من إخوانهم الطوارق خافوا من أن تنتقل السلطة إلى خرمان ، فنشبت حروب بينهما.

و من جهة أخرى تذكر الرواية المتداولة بين شيوخ جرمة ، أنَّ أجدادهم أخبروهم أن بعض غارات الطوارق الناجحة داهمت جرمة وتركتها خرابا ، ونجد أنّ أهاليها قاوموا هذه الحروب لخمسة قرون، إلا أن أضحت في هاوية الفقر و الخراب وتنتشر بها الأوبئة والأمراض حتى يتم هجرها نهائياً سنة 1811م في عهد العثماني[53].

وعلى ضوء هذه الشهادات التدوينية للفرضيات السابقة (الأولى والثانية) نخلص إلى :

أ. أنّ الحملات الرومانية على مملكة جرمة لم تهدد نفوذهم ولم تضع حد لنهايتها بل نجد أن منحى العلاقات قد تغيرت إلى الأحسن بفعل تحكم الجرميين بالشريان التجارة الصحراوية.

ب. أنّ الصراع الديني المسيحي لم يكن لها أي انعكاس على الساحة الجرمية كوننا لم نسجل وجود بقايا دوناتيين حتى نحملهم السبب في تدمير جرمة.

ت. أنّ انهيار المملكة الجرمية كان بسبب ضعف وانهيار الإمبراطورية الرومانية وتدهور التجرة الصحراوية المعتمدة على أسواق البحر المتوسط.

ث. من الممكن تحول اهتمام التجار الرومان إلى الدويلات في منطقة ما وراء الصحراء منها بروز دولة غانا المبكرة التي عرفت نمو وازدهار في البناء الإقتصادي وتحكم في الطروقات التجارية ، من الطبيعي أن تنعكس سلبا على التجارة الجرمية وبالتالي كسادها.

ج. تداعيات الصدام المسلح بين الجيوش البيزنطية وقبائل البربر التي انسحبت إلى الجنوب واستيلائها على مناطق نفوذ الجرمية كان له الأثر السيئ في تماسكها داخليا وتقلص هيمنتها خارجيا.

---

[52] ليفيتسكي تاديوز، المرجع السَّابق، ص 300.

[53] أيوب محمد سليمان ، المرجع السّابق ، ص.247.

ح. تدهور جرمة متعلق بالانقسام مجتمعها داخليا خلال القرن الرابع للميلاد وذلك راجع في دور القوى العبودية التي كانت في وقت ما أحد الأطراف للقوى الإنتاجية الزراعية والصناعية، فاحتمال أن أعدادهم أخذت تتكدس حتى بلغت ذروتها خلال قرون الازدهار، ومع إحكام الجفاف بحلقاته على الإقليم وتوقف العمل بنظام قنوات الري (الفُجَّارات) الرافد الرئيس لإنتاج الغذاء الأعداد وعجز السلطة السياسية عن إيجادبديل آخر مع ضعفها، قامت ثورة اجتماعية داخلية، وما بقايا أثار الحرائق والدمار في القصور والقلاع التي ارجعها الباحثين إلى منتصف القرن الرابع للميلاد، إلا نتاج لهذه الثورة.

خ. أنّ أغلب الباحثين قد اتفقوا على مدى أهمية استمرار التغيرات المناخية نحو الجفاف قد عجّل سقوط جرمة وذلك ساهم في إصابة الشريان الرئيس للحياة الجرمية المتمثل في التجارة الصحراوية، وظهور حلقات الرمال التي غطت الكثير من الطرق التجارة القديمة، بذلك أصبحت الحياة أكثر صعوبة ووجدت السلطة السياسية بجرمة في نهاية الأمر أنه لا يسعها إلا أن تستسلم لهذا الواقع الطبيعي (الجفاف).

د. أنّ الحضارة الجرمية لم تختف خلال القرن السادس على أيدي الفاتحين العرب كما أصر عليه العديد من الباحثين، بل أن المصادر العربية تشهد على وجودها واحتفاظ المملكة لبعض أهميتها على الأقل حتى القرن الحادي عشر والثاني عشر للميلاد.

خاتمة

خاتمة :

بعد استعراض ماكان بحوزتي من مادة بحثية وعرضها للتحليل والنقد، اتضح لي أنّ منطقة جرمة من أهم المناطق في إقليم فزان بصفةٍ خاصة و الصحراء الوسطى بصفةٍ عامة، وأنه لا يمكننا فصلها عن منطقة الغات وطاسيلي ناجر(الجنوب الشرقي الجزائري) بل هي امتداد حضاريّ لها، و أنَّ إقليم فزان كان معقل لقبيلة جرمة لذلك يطلق عليه الباحثون إقليم جرمة، ويُحدد هذا الإقليم من ناحية الشمال بالحمادة الحمراء ويتلاقى بزاوية مع الهروج جبل السودة، أما هضبة تبستي فتشكل الركن الجنوبي له، ومن الشرق هضبة بالهروج الأبيض والأسود، أما غربا فإنها تتلاصق مع هضبة طاسلي، كما توصلنا بشكل خاص إلى الدّور الأساسي الذي قام به وادي الآجال كونه ساهم في ازدهار مملكة جرمة بل كان الواحة الرئيسة للجرميين الذين مارسوا فيها نشاطهم الزراعي والحضاريّ.

إنَّ المتتبع للمظاهر التضاريسية العامة لإقليم جرمة يجد مدى الإختلاف من مكان إلى آخر من حيث الارتفاع والانحدار ودرجة التقاطع، ومن حيث العوامل الباطنية المكونة لها، لكن مجمل القول أنَّ هذا السطح صحراوي المظهر كان منذ قبل يتمتع بمناخ أمثل توّج بمظاهر حضارية تثبتها أو تدل عليها انطلاقا من اللقى الأثرية ورسومات الفن الصخري، إذ تعد الرسوم الصخرية و اللوحات التي تركها الجرميون على جدران الصخور من المصادر المهمة التي نعتمد عليها لحد بعيد في رسم صورة الحياة بجرمة منذ عصور ماقبل التاريخ.

وبعد دراسات مقارنة توصل فريق من الباحثين على غرار (أ) باتس (Bates.O) في أنَّ عناصر قبيلة التمحو التي ذكرتها النصوص المصرية القديمة منذ الأسرة السادسة (2323 ق.م-2150 ق.م) هم من الجرميون المعروفون في المصادر الأدبية والرسومات فهؤلاء التمحو المعروفون جنوب مصر هم نفسهم (الأقوام ج.) بالنوبة ونفسهم الجرميون بالفزان وجبال طاسيلي بالصحراء الوسطى وأنَّهم انتشروا في الصحراء الليبية التي تعدُّ مواطنهم الأصلي إلى مسافات بعيدة شرقاً حتى وادي النيل حيث نجد هناك دليلاً على وحدتهم في الصحراء.

كما بيّنت لنا النقائش اللاتنية وصفاً عن الجرميين من خلال نقيشتي سوسة بتونس وحصن جولايا بغدامس، إضافة إلى الفسيفساء "فيلا دار بوك عميرة" بالقرب من "زليطن" جانبا مهما عن الجرميين على أساس أنهم من المجرمين وأسرى الضحايا المنحوسي الحظ، وقد ورد عن الكثير من المؤرخين والجغرافيين في العصر القديم تحديد ملامح الجرميين وأخبارهم وذلك من طرف الكتّاب الأغريق ، والرومان ، و حتى العرب في عهد أفولها.

لقد خضعت منطقة جرمة لسلسلة من حفريات ممنهجة كان لها الفضل الكبير في رصد الإرث الحضاري لها وأجابت عن مختلف الإشكاليات المبهمة لهذه المملكة الأسطورية التي استسقينا أخبارها من المصادر الأدبية، أولى

هذه البعثات كانت الإيطالية ومن ثم الفرنسية والبريطانية ولعل أهمها البعثة الوطنية التي خصت بالأعمال الأثرية التي قامت بها مصلحة الآثار الليبية بفزان وتحت مسؤولية محمد سليمان أيوب.

إنّ المتتبع لدراسات تاريخ إقليم جرمة خلال العصر الحجري القديم، يجد ندرة المعطيات الأثرية حولها مقارنة بالمناطق الشمالية خاصة ببرقة وطرابلس، وبالرغم مما تم كشفه من مخلفات أثرية ثبُتَّ أنَّ المنطقة الصحراوية في ليبيا مرت بجميع مراحل ماقبل التاريخ.

ودليلي على ذلك من خلال المعطيات الآثرية التي أكدّت أنّ منطقة جرمة عرفت عدة مواقع للثقافة الآلدوانية والأشولية مخلفةً ثمانية وثلاثين موقعا في إقليم جرمة (بحيرة مرزوق، وادي أشاشي، حوض أوباري، حمادة زكار.

كما أتاحت لي المادة العلمية المتوفرة أنَّ إقليم جرمة سجّل مواقع تعود لفترات الموستيرية والعاترية كوادي الغان إضافةً إلى عين ويف بترهونة ووادي المردوم كما وصلت جنوبا إلى السرير التستي، وتمّ تأريخ تواجدهما بين 60 ألف إلى 20 ألف سنة قبل الميلاد

وقد أدركت أنَّ المناخ الأمثل أثَّر بشكل كبير في الحياة اليومية لمجتمعات الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري الحديث كما تبين أن مجتمع الصيادين في هذه المنطقة قد بلغ تطوره الثقافي من الصيد البري والمائي وذلك من خلال وجود البقايا العظمية السمكية وأدوات الصيد (الخطاف والصنارة) ورسوم القوارب، كما لم تكتفِ هذه المجتمعات بممارسة الصيد بل أحدثت لنا نشاطا آخر وهو الوصول إلى ثقافة الرعي من خلال وجود البقايا العظمية للحيوانات المدّجنة ومشاهد متنوعة من واجهات الصخور تظهر لنا قطعانا من الغنم والبقر والماعز، كما مارس الإنسان في مرحلة المناخ الأمثل نشاطا اقتصاديا وهو الزراعة،فعبر عنها ذلك الإنسان بواسطة محطات الفن الصخري.

وعليه، فإنَّ الواقع في صحراء فزان وأكاكوس ومساك خلال فترة العصر الحجري الحديث تمثل في تركيز المجتمعات على الحياة اليومية التي توفر العيش، لكن هذا لم يجعله عائقاً في إبداعه الثقافي.

أما عن صاحب هذه الرسومات الفن الصخري فإنَّ البحث الأثري في إقليم جرمة يشير إلى وجودُ جنسين مختلفين، فأولهما الجنس الأسود وهو الأقدم وأما الجنس الأبيض الذي قدم من الساحل برغم من أن الكتابات الأروبية قد جعلته دخيلاً على المنطقة، بينما دّلت المعطيات الأثرية على مدى قدمه حيث يعتبر الصانع الرئيسي للثقافة القفصية، إضافة إلى هذا الجنسين قد تمّت ملاحظة فصيل آخر وهو الجنس المختلط في فترة الرؤوس المستديرة ابتداءً من 6000 ق.م، وبالتالي أمكنني القول أن كلا الجنسين السابقين تواجدا بالصحراء الوسطى قبل مرحلة الرؤوس المستديرة وكانت دائرة عرض (24°) هي نقطة لقاء الطرفين اللذين كانوا سببا في ظهور ثقافتين، حيث

تميزت كل مرحلة بخصائصها المتنوعة، فهناك مرحلة العصر الحجري الحديث ذي التقليد السوداني، وهناك مرحلة العصر الحجري الحديث ذي التقليد القفصي.

غير أنه للأسف لم نتوصل إلى الآن حول معرفة أصل الجرميين ولا الموطن الأول لهم ، كما أننا لا نعرف على وجه التحديد الزمن الذي جاؤوا فيه إلى فزان، ولقد قدم الذين أولوا الموضوع بعض العناية عدة احتمالات عن سؤال: من أين جاء الجرميون ومتى على وجه التقريب كانت لحظة ظهورهم في جنوب ليبيا؟

هذا عن الأصل أما التسمية فقد ارتأيت أنَّ الأصّح في نُطق التسمية هو الجرامانيّون وليس الجرامنتيون أو الجرامانتيس (Garamantes)، وذلك بالاستغناء عن اللاحق الإغريقي (أنتس –Antes)، فالقاعدة المتبعة في نقل الأعلام الإثنية والجغرافية تتمثل في إقصاء اللواحق الأجنبية التي أُدخلت على الجذور ثم صبها في قوالب عربية.

ومما استرعى إنتباهي أنَّ نظام الحكم في جرمة ملكيا لكن بميزة ديمقراطية على مايبدو، فالملك هو رأس الحكومة، وله السلطة التنفيذية،وهو ينتخب انتخابا من مجلس شيوخ القبيلة المكون من الرجال الكبار في المجتمع والذين يشترطون عليه صفات تميّزه عن غيره من العامة وهذا الأمر مشترك مع بقية القبائل الليبية وهو مايدعم فرضية الأصل الواحد..

وكان للجرميين نظامهم الاجتماعي الخاص بهم الذي يخضع الفرد لأسرته، وقبيلته وكان له ولاء مكاني وأسري ولكل فرد في المجتمع أسرة وأبناء معروفون لديه ولدى الجميع، لكن التعدد في الزوجات كان شائعاً بينهم.

ويمكن القول، أنَّ المجتمع الجرمي يتكون من الفئات التالية: الملك وحاشيته ثم طبقة الأمراء أو حكام الأقاليم، وهؤلاء يمثلون الطبقة المهنية سياسيا، كما نجد عامة الشعب وهم بدورهم منقسمين إلى فئتين: فئة الحضر الذين يقطنون المدن مثل جرمة والواحات حيث الأسواق التجارية والأراضي الزراعية حيث تتوفر سبل الحياة المستقرة، وفئة الرعاة أصحاب التنقل والترحال.

عندما نتفحص أيّا من الآثار المادية الطبيعية للأماكن التي سكنها الجرميون، نجد أنّ مدينة جرمة تقع في مركز الوادي، ولكنها لم تكن أول مكان أقام به الجرميون لأن قلعة زنككرا البارزة هي أول حصن الذي استقروا فيه، حيث وجدت بقايا ثلاثة أسوار يبلغ طولها 2 كلم ومن المعروف أن هذه المنطقة أقدم من مدينة جرمة بحوالي ألف سنة، وقد ظلت مسكونة حتى بداية العصر المسيحي بفترة قصيرة، ثم هجرت في أوائل القرن الأول الميلادي.

كما تميّز المجتمع الجرمي بلباسه الخاص الذي لفت انتباه العديد من الكتّاب الأجانب ومن رسومهم على واجهات الصخور حيث جسدتهم على شكل جلابيب طويلة مثل الليبين القدامى في الألف الثالثة قبل الميلاد التي وثقتهم المصادر المصرية القديمة، إضافةً إلى ملامح وضع الوشم وكيفية تصفيف الشعر، كما أنَّ الريشة قد رمزت

للجرميين لشيئين الجزء الأول: ترمز للمجال الجغرافي الذي تقطنه الأقوام الواقعة غرب النيل، أما الجزء الثاني ربما يدخل ضمن الرموز الشرف ومكانة الليبيين.

عاش الجرميون في موقع متميّز كان ذا أهمية اقتصادية كبيرة، فوجود الواحات ساهم في تقدم الزراعة وهيأ لهم موقعهم وسط الصحراء سبل الاتصال بالشمال والجنوب والتحكم في القوافل التجارية.

وكما يظهر لي أنّ الجرميين من أقوام متديّنة ويتجسد ذلك من خلال مقابرهم الجنائزية وأنماطها وطقوس دفن الميت فهي متشابهة مع الأنماط الجنائزية لبقية الليبيين.

لم يعش الجرميون منعزلين عن جوارهم الجغرافي ، بل كان لهم علاقات وطيدة مع جيرانهم من القبائل الليبية الأخرى مثل النسامون والمكاي والنوميد، فنشأ بين هذه القبائل روح التعاون في حالات السلم والحرب، كما أخذ الجرميون عن النوميديين فن البناء والعمارة وتشيد المقابر، وعليه استخلصت فكرة عامة أنّ الجرميين كانت لهم صلات مباشرة بكل من كان يسيطر على الساحل الليبي فاتسمت علاقاتهم بالفينيقين في المدن الثلاث بكونها جيدة ومع القرطاجيين كانت ودية وسليمة ولم يصطدم الطرفان ببعضهم البعض بل جمعتهم علاقات اقتصادية نشطة وهو نفس الشيئ مع النوميديين.

بعد أن تمكن الرومان من احتلال الجزء الغربي من ليبيا أخذوا يتطلعون لبسط سيطرتهم نحو الداخل فواجهوا مملكة جرمة واعتبروها قوة لا يستهان بها ، فجهزوا حملات حربية مكنت الرومان من التغلغل نحو الجنوب وتعرفوا على أحوال جرمة وجغرافيتها ومن بين تلك الحملات حملة بالبوس (19ق.م) وحرب تكفاريناس (17م-24م) وحملة يوليوس ماتيرنيوس الودية (100م).

وقد أراد الرومان أن يطوقوا مملكة جرمة فعملوا في عهد سبتيموس سيفيروس لإقامة نظام دفاعي عرف باسم التخوم الطرابلسية وأقاموا مجموعة من القلاع والحصون مثل حصن جولايا بأبو نجيم وحصن غدامس، أما القلاع فتجسدت بقلاع القريات الشرقية والغربية، كما أنشأ الرومان مزارع محصنة ومنحوها لمتقاعدي الجيش.

وقد خلصت أنَّ مملكة جرمة لم تود الدخول في نطاق الثورات المسيحية لكن استمراريتها على الوثنية أدى بها إلى التخريب من طرف الدوناتيين الذين انحرفوا عن المسار التحرري عام 394م.

والشيئ الذي لمسته في هذا البحث هو مدى غياب النفوذ الجرمي الفترة الرومانية (القديم المتأخر) فهناك فريق من الباحثين من رأى سبب ذلك يكمن ضعف مملكة جرمة والذي حلّ بها قبل الفترة الوندالية ، لكن بعض الباحثين الأخرين يرون استمراريتهم ونفوذهم حتى ولو كان ضعيفا، كون المصادر البيزنطية لم تُسَمِّ القبائل الليبية على حدى بل تحت التسمية الشمولية للمور.

لي في نهاية هذا البحث أن أقول، أنّ مملكة جرمة ضعفت من خلال ما بيّنه لنا البحث الأثري من البنايات الهشة وغير المرتبة، وصادف ذلك انتشار الإسلام وتمّكن القائد عقبة بن نافع من فتحها عام 644م وذكرت المصادر أنه لم يحسن معاملة ملكها، ليس لدينا إشارات إلى أنَّ مملكة جرمة كانت نهايتها على يد العرب، بل وصلتنا أخبار عنها من طرف الرواة والجغرافيين في العصور الوسطى ودخلت في نطاق الطوارق ودعم الدولة المرابطية.

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع والدوريات

ذ

فهرس المصادر والمراجع والدوريات

أولا – المصادر

I. النقوش

1. Reynolds (J. M). and. Ward-Perkins (J. B), « Inscriptions of Roman Tripolitania », enhanced electronic reissue by Gabriel Bodard and Charlotte Roueché (**2009**). ISBN 978-1-897747-23-0. Available: http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/.

2. Dobias-Lalou, Catherine.« Greek Verse Inscriptions of Cyrenaica», in collaboration with Alice Bencivenni, with help from Joyce M. Reynolds and Charlotte Roueché. Bologna: CRR-MM, Alma Mater Studiorum Università di Bologna, 2017. ISBN 9788898010684, http://doi.org/10.6092/UNIBO/IGCYRGVCYR.

II. المصادر باللغة العربية

1. : أبو الفضل إبن منظور ، لسان العرب، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، 1997.
2. أبو عبد الله الشريف الإدريسي، نُزهة المشتاق في إختراق الأفاق، ج2، راجعه : أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ،1971.
3. أبو عبيد الله بن محمد البكري ،المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد،1969.
4. أحمد بن إسحاق اليعقوبي ، البلدان، تحقيق الضناوي محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
5. بركوبيوس القيصري ، الحرّوب الوندالية ، جمعها وترجمها وعلق عليها : خشيم علي فهمي، أعدها للنشر تامنغاست، القاهرة ، 1975.
6. بطليموس ، الكتاب الرابع من جغرافيته، ترجمة : الذويب محمد مبروك ، منشورات جامع قاريونس، بنغازي، 2004.
7. بليني الأكبر، الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي، ترجمة الذويب محمد مبروك،جامعة قاريونس، بنغازي، 2019.
8. الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجواهر،الجزء الأول، قميحة محمد مفيد دار الكتب العلمية، 1982.
9. ديون كسيوس، التاريخ الروماني، الجزء العاشر، الكتب LXXX – LXXI، ترجمة : غطيس مصطفى، مطبعة أنطوبريس للطباعة والنشر، تطوان، 2013.
10. سترابون، الكتاب السابع عشر من جغرافيته، ترجمة الذويب محمد المبروك، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003.

11. عبد الرحمن بن عبد الله إبن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، تقديم وتحقيق محمد صبيح، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر ،1976.
12. عبد الرحمن بن محمد (إبن خلدون)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي سلطان الأكبر، تحقيق حامد أحمد الطاهر، مطبعة بولاق، القاهرة،1965.
13. فرجيليوس، الإنياذة، الجزء الأول ،مراجعة وتقديم : شعراوي عبد المعطي، المركز القومي للترجمة،ط2، القاهرة،2001.
14. محمد بن إسماعيل أبوالفدا ، تقويم البلدان، راجعه العيدان رينود، دار الطباعة السلطانية (نسخةّ إلكترونية)، ب.ت.
15. هيرودوت، التاريخ ، الكتاب الرابع، ترجمة: أعشي مصطفى، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ومركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط،2009.
16. ياقوت شهاب الدين بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار إحياء العربي، بيروت، 1998.

III. المصادر باللغة الأجنبية

1. Apollonius de Rhodes , « Argonatiques » , trad: Caussin (J.A.), Le sitede l'antiquité grecque et latin (en ligne) de philippe remacle, http://remacle.org/bloodwolf/poetes/falc/apollonius/livre1.htm.
2. Aristotle, « Generation of animals » ,Harvard University Press,Loeb Classical Library,1943,VIII,28.
3. Athénée de Naucratis, « Deipnosophistae », édition critique grec-latin par Schweighauser, 2 volumes,Strasbourg, 1969.
4. Diodurs de Sicile, Bibliothéque Historique II,.,Trad: l'Abbé Terrasson, http://remacle.org/bloodwolf/historiens/diodore/livre2a.htm
5. Dion Casius, «Histoire Romaine » livre LX, traduite en Français par e.gros, (lire en ligne).
6. Florus, « Abrégé de l'histoire romaine », trad: jules pierrot, http://remacle.org/bloodwolf/historiens/florus/index.htm
7. Gaius Julius Solinus, « Polyhistor», t.27 ph.100, trad. pour la première fois en français par M. A. Agnantv . http://remacle.org/bloodwolf/erudits/solin/deux.htm#VII
8. Lucien de Samosate , « Oeuvres complètes de Lucien de Samosate Dipsades » , trad. nouvelle avec une introd. et des notes par Eugène Talbot: Hachette,Paris, 1912 http://remacle.org/bloodwolf/philosophes/Lucien/pecheur.htm.
9. Polybe, « Histoires » , Watz (P.), (détail des éditions) – lire en ligne – http://remacle.org/bloodwolf/historiens/polybe/livre1.htm.
10. Pomponius mela, Géographie ,livre III, 2.1, Trad:M. Louis Baudet, C.L.F éditeur,1843 http://remacle.org/bloodwolf/erudits/mela/livre3.

11. Procope de Césarée, « La Guerre contre les Vandales *(*Guerres de Justinien », *livres III* et IV), traduit et commenté par Denis Roques, préface de Philippe Muray,Les Belles Lettres,Paris.
12. Silius Italicus, « La Guerre punique » ,t,1, -- lire en ligne –. http://remacle.org/bloodwolf/historiens/italicus/punique15.htm
13. Tacite, Annales, « Oevres complétes de tacite », trad: brunou (JL) Libraraire de Hachette (L), Paris, 1859. http://remacle.org/bloodwolf/historiens/tacite/annales4.htm.

ثانياً – المراجع

I. الكتب باللغة العربية

1. ابراهيم أحمد رزقانة ، جغرافية الوطن العربي المملكة الليبية، دار النهضة العربية، 1964.
2. ابراهيم العيد بشي ، تاسيلي ناجر، البيئة الجغرافية و الحضارية،ج1 ، دار الحبر، الجزائر،2009.
3. ابراهيم حلمي غوري ، أطلس العالم، ط5، دار المشرق العربي ، حلب 2005.
4. ابراهيم نصحى ، أنشاء قورينى وشقيقاتها، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى 1979.
5. ابراهيم نصحي ، تاريخ الرومان ، منشورات الجامعة اليبية ، كلية الأداب ، جزءان ،1973.
6. أبو المحاسن محمد عصفور، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981.
7. أحمد حسين ألياس، طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، 1989.
8. أحمد محمد الغدامسي ، تاريخ غدامس القديم و الحديث، ط1، القاهرة،1985.
9. أحمد محمد أنديشة ، التاريخ السياسي والإقتصادي للمدن الثلاث، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 2007.
10. أحمد محمد أنديشة ، الحياة الإجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، ط1، جامعة التحدي،سرت ليبيا، 2008.
11. إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
12. أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية (950 ق.م-715 ق.م)، دار القدس العربي، وهران، 2015.
13. أندريه جوليان شارل تاريخ أفريقيا، ترجمة مزالي أحمد البشير بن سلامة، الدار التونيسية للنشر، ط1985،5.
14. باروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، ترجمة قدري أمين، دار الشروق،ط1، بيروت،1992.
15. بوزيد لخضر، الطاسيلي آزجر في ما قبل التاريخ – المعتقدات و الفن الصخري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2015.
16. جمال الدين الدّيناصوري ، جُغرافية فزان، دار ليبيا للنشر و التوزيع ببنغازي، د.ت.

17. حماة الله ولد سالم ، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربية الكبرى، دار الكتب العلمية، ب،ت.

18. الديناصوري جمال الدين وآخرون، جغرافية العالم، ج2، (إفريقيا وأستراليا) ، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، د.ت.

19. الريان محمد رجائي ، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، إربد الأردن، 2001.

20. سليم حسن، موسوعة مصر القديمة ، عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية، الجزء الرابع، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2001.

21. صالح عبد العزيز، حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة،1962.

22. صالح محمد فياض أبو دياك ، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف دراسة سياسية وحضارية، أربد مكتبة الكتاني، عمان،1988.

23. ضي الهلال لقيمودي ، لمحات تاريخية عن قزان ، 2007، (نسخة غير منشورة) مبعوثة إلكترونيا.

24. عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،2001.

25. عبد اللطيف البرغوثي التاريخ الليبي القديم، دار صادر، بيروت، ب.ت.

26. عمر جسام الغزاوي ، مُوجز علم الآثار، دار الكتب العلمية، بيروت،1998.

27. لجنة من الأساتذة، تاريخ مصر وأثارها الموسوعة المصرية، المجلد الأول، الجزء الأول، د،ت.

28. محمد الأمين الماعزي ، حضارات الصحراء " سكان فزان"، المطبعة الليبية، ط1، طرابلس، 2001

29. محمد الجراري ، الإستيطان الروماني في ليبيا، الإستعمار الإستيطاني الإيطالي، منشورات جامعة الفاتح، مركز دراسة الجهاد الليبيين، 1984.

30. محمد الصغير غانم ، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، دار الهدى، الجزائر،2003.

31. محمد العربي العقون ، الأمازيغ عبر التاريخ – نظرة موجزة في الأصول والهوية، التنوخي للنشر والتوزيع،ط1، الرباط،2010.

32. محمد المبكر ، شمال إفريقيا القديم (حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية 305م- 429م، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001.

33. محمد سليمان أيوب ، جرمة في عصر إزدهارها من (100 م إلى 450م)، كلية الأداب، الجامعة الليبية، 1968.

34. محمد سليمان أيوب ، جرمة من التاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر، ط1،طرابلس،ليبيا، 1969.

35. محمد سليمان أيوب ، مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1811، المطبعة الليبية طرابلس،ب.ت.

36. محمد سليمان أيوب ، معالم آثرية من جنوب الجماهيرية، مراجعة سعيد علي حامد، محمد علي عيسى، ط1، مصلحة الآثار، طرابلس، 1991.

37. محمد ظاهر جاسم ، أفريقيا ماوراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ، 2003.

38. مصطفى الأُعشي ، أحاديث هيرودوت عن الليبين (الأمازيغ)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، 2008.

39. مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1989.

40. يسري عبد القادر الجوهري، شمال إفريقيا دراسة في الجغرافية التاريخية، دار الجامعات المصرية،الإسكندرية، 1980.

II. الكتب المترجمة

1. إصطيفان إكصيل ، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، الجزء الثاني، مطبوعات أكاديمية للمملكة المغربية، ط1 ، الرباط،2007.

2. باربارا باريش ، حفريات جديدة في جبل الأكاكاوس، ترجمة مكائيل محرز، منشورات مركز الجهاد الليبي، طرابلس، 1979.

3. باستيل ديفيستون ، لمحات من تاريخ أفريقيا، ترجمة : مرك البحوث والدراسات الافريقية، منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، ب.ت.

4. باول جرزيوري ، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، ترجمة إبراهيم أحمد إمحمد المهداوي،منشورات جامعة قاريونس، ط 1 ، بنغازي، ليبيا،2008.

5. بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة : الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، ط2، بنغازي، 1988.

6. تشارلز دانيالز ، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا، ترجمة آحمد اليازوري، مكتبة الفرجاني،ط1، طرابلس، 1984.

7. جاك تيري ، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة : جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، 2004.

8. دونيز أير لانكستير هاينز، آثار طرابلس الغرب، ترجمة : عديلة حسن مياس ، ط2، مطابع وزارة الإعلام والثقافة ، طرابلس الغرب، 1965.

9. ديفيد جون ماتنجلي ، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة الحراري محمد الطاهر و حيدر محمد عبد الهادي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2009.

10. رودولفو غراتسياني ، إعادة احتلال فزان، ترجمة:عبد السلام مصطفى باش إمام، مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1995
11. رودولفو كوبر، من الصيد إلى الرعي في الصحراء الكبرى، ترجمة مكاييل محرز،(النسخة الإلكترونية)،ب.ت.
12. روستوفتزف ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الإجماعي و الإقتصادي، ترجمة: زكي علي ، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة،ب.ت.
13. ريتشارد جورج جوتشايلد ، دراسات الليبية، ترجمة: الميار عبد الحفيظ فضيل، دراسات ليبية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس الغرب، 1999.
14. سير ألن جاردينر ، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1973.
15. غابريال كامبس ، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة حزال عبد الرحيم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،2014.
16. فابريزو موري، تدرارات آكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني، فؤاد الكعباري، مراجعة عبد الرحمن العجيلي، مركز الجهاد الليبين للدراسات التاريخية، طرابلس،1988.
17. ليونال بالو ، الجزئر في ما قبل التاريخ،تر جمة: غانم محمد الصغير ، دار الهدى، عين مليلة،2005.

III. الكتب باللغة الأجنبية

1. Akkache Ahmed,Tacfarinnas, Société National,Alger,1968.
2. Aumassip (G.), Delibrias (G.), « Ages des Depots Neolitique du gisement de ti-n-hanakaten (Tassili –n-ajjer, Algerie) »,Libyca,C.R.A.P.E, tome.31-31,1983.
3. Aumassip (G.), et Roubet (C.), « Les premiérs Resultas d'une Mission Archéologique (Grand Erg Oriental- Grand erg d'admet) » ,1966,Paris.
4. Aummassip (G.) et Tauveron (M.) et Vernet (R.), « L'elevage Au Sahara Milieux, Hommes, Et Techniques du Sahara Prehistorique », L'harmatton,1994.
5. Ayoub (S) el kilani (A.), « Excavations in Germa (Fezzan), Ministry of tourism and antiquites » , tripoli, 1962.
6. Bates (O.), « The Estern Libyan » , Franco Cassand, Id new Impression London,1970.
7. Belair (P.), « Mission Au Fezzan, Sepututres de L'ouadi El Ajal », (Copie électronique).
8. Bellaire (P.), Gobert (E.G.), Jodot (P.), et Pauphilet (D.),« Mission au fezzan », Instit des htes de tunis, 1953.
9. Benabou (M.), « Tacfarinas » : Insurgé Berber contre la colonisation romaine, (Les Africains),T.IV,éd.Jeune-Afrique,Paris,1977.
10. Camps (G.), « La Civilisation préhistorique de l'afrique du nord et du sahara »,Paris, edition chéné,1974.
11. Camps (G.), « Nouvelles Remarque Sur Le Neolithique Du Sahara Central et meridional », libyca,tome. 23,1975.
12. Chamla (M.C.), « Les Population Anciennes Du Sahara et des regions Limitrophes, Etude restes Osseux Humains Neolitique et protohistoriques », mémoire du Centre de recherches anthropologiques prehistorique et ethnographiques,n,09,Alger,1968.

13. Courtois (C) ،*Les Vandales et l'Afrique*) Gouvernement général de l'Algérie, Direction de l'Intérieur et des Beaux- Arts, service des Antiquités), paris, 1955.
14. Diehl,(C). l'Afrique Byzantine,Histoire de la domination byzantine en Afrique du Nord(533-709), https://digi.ub.uni-heidelberg.de/diglit/diehl, Paris. 1896,p 105.
15. Elmayer (A.F.), Tripolitania and the roman empir,b.c 47 A b.c 235, Markaz jihad, tripoli, 1977.
16. Ferhat (N.) et Tauveron (M.), « Essai de bibliographie di nord de l'afrique », l'harmattan ,Alger, 2001.
17. Geddeda (R.A.), « The Defense system in Libya dauing The I-IV centuries A.D », portland stato,uniiversity,1978,.
18. Gsell (St.), « Textes Relatifs a L'histoire de L'afrique Du Nord (L.-IV du 168- 199) », Hérodote (484-420 an) , imp de jourdan,1915.
19. Hachid (M.), « Les Premiers Berbéres Entre Méditerranée – Tassili – et Nil » , Paris,Edition Edisud,2000.
20. Hachid (M.), « Tassili-N-Ajjer Au Source De M'histoire Il Ya (50 Siécle Avant Les Pyramids » ,France,Edition Paris – Mediteranean,1998.
21. Hachid (M.), « Tassili – n'Ajjer au source de l'histoire ih y a 50 siécle avant les pyramids ».Ed Mediteranée, paris.
22. Julien (Ch'A), Histoire de L'afrique du Nord.T.II. : Tunisie, Algérie, Maroc. 1. Des origines à la conquête arabe, 647 ap. J.-C. 2e édition, revue et mise à jour par Christian Courtois Reliure inconnue –1951.
23. Kay (N.M.), « Epigrams from the anthologia latina » , text, translation and commentary, first publishe, london,2006.
24. Kuper (R.), « Felsbilder aus adi Ertan und wadi tarhosht, (Sudwest Fezzan ,Libyen) » ,Akadem Druck, Graz , 1972.
25. LETHIELLEUX(J.), « Le Fezzân, ses jardins, ses palmiers », Tunis, Pubi, de L'IBLA, 1948.
26. Liverani (M.), « Aghram Nadharif » ; The Barakat Oasis (Sha'Abiya Of Ghat Libyan Sahara) In gramantian times, Ed Thr Archeology of Libyan Sahara, Volume 2,2007.
27. Marcais (G) La Berbérie Musulmane et l'Orient au Moyen Age (Collection "Les grandes crises de l'Histoire") Éditeur : Aubier Montaigne ,Date d'édition : 1946.
28. Maucier (E.), « Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale selon les documents fournis par les auteurs arabes et notamment par l'Histoire des Berbères d'Ibn Kaldoun ». Éditeur : L. Marle (Constantine 1875). http://catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb309283274
29. Moderan, (Y). Les Maures et l'Afrique romaine IVe-VIIe siecle. Rome, Ecole francaise de Rome,2003.
30. Muzzolini,(A.) « Akakus », *Encyclopédie berbère, 3 | Ahaggar – Alī ben Ghaniya*, Aix-en-Provence, Edisud, 1986.
31. Pace (B.), Sergi (S.), Caputo (G.), « Scavi Sahariani: richerche nell'Udi el-Agial », Monumenti Antichi, Academia Nazionale dei Lincei, 1951.
32. Rebuffat (R.)., « La frontière romaine en Afrique : Tripolitaine et Tingitane », Ktéma,Paris, 1979.
33. Tillet (Th.), « Le Paleolithique Du Bassin Tchadien Septentrional (Niger-Tchad) » , Editions Du Centre National De La Recherche Scientifique,1983.

34. Ulrich (H.), « Briitte, Rond heads in the djao (nord de niger and tassili mountains sud Algeria) » ,stone wath magazine,2005 (Copie elctronique).

ثالثاً– المجلات والدوريات:

أ. باللغة العربية

1. أحمد الريفي الشريف ، مفهوم الفن البدائي في ماقبل التاريخ وإطاره الجغرافي، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد السابع، العدد الأول،جامعة سبها،2007، ص ص 12 – 17.
2. أسامة عبد الرحمن ، ندوة المدن و التمدن من منظور رؤية تطورية للتعقد الثقافي في دراسة حالة: الجرمنت في فزان و المرويون في وادي النيل السوداني – دراسة مقارنة– مجلة الآثار السودانية أركاماني ، العدد السادس، مارس،2005، ص ص ث 109-135.
3. أم الخير العقون ، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة الإتحاد العام للأثاريين العرب ،العدد السابع المجلس الأعلى للدراسات العليا والبحث، القاهرة، يناير 2006/ ذو الحجة 1427، ص ص 15-45
4. أم الخير العقون ، من مصادر التشريعات المحررة للفرد عند الفرعون " بوخريس" ذي الأصل الليبي، مجلة عصور العدد،12-13-14، جامعة وهران 01، 2008-2009، ص ص 303-315.
5. أم الخير العقون، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين، مجلة التاريخ العربي، العدد الحادي والأربعون، الرباط، المغرب الأقصى ، 2007، ص ص 285 - 305.
6. امحمد وابل ، الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري الحديث، أعمال الملتقى حول الريف والمدينة،المنعقد يومي 06-07 نوفمبر 2013 بجامعة معسكر، ص ص 205-225.
7. أيوب محمد سليمان، جرمة في عصر إزدهارها الذهبي، مجلد ليبيا في التاريخ،1968 ، ص ص 184- 198.
8. تاديوز ليفيتسكي ، دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، في تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثالث، أفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، ط2، اليونيسكو، لبنان ، 1997، ص ص 309 – 348.
9. تشالز دانيز، أعمال الحفر والتنقيب في موقع الجرامنت، ترجمة مصطفى عبد الله الترجمان، مجلة آثار العرب، الجز الثاني، العدد الرابع، منشورات مصلحة الأثار بطرابلس،1991، ص ص 31-48.
10. جيهان ديزانج ، تاريخ أفريقيا العام، البربر الأصليون، الفصل السابع عشر، المجلد الثاني، تاريخ الحضارات القديمة، إشراف جمال مختار، جين أفريك، اليونيسكو،1985، ص ص 431- 453.
11. حامد سعيد علي، التجارة والأسواق في طرابلس عبر التاريخ ،المجلد 2 العدد4 مجلة تراث الشعب، طرابلس، 1992، ص ص 101 – 115.

12. خالد عمر المسلاتي ، أعمال التخريب في حصن بونجيم (جولايا)، العدد 21/20 السنة الخامسة، مجلة أفاق أثرية، طرابلس، 2017، ص ص 3- 5.

13. رينيه روبيفات ، الشقاف المخطوط بأبي نجيم، ترجمة أبو القاسم محمد علي عيسى، مجلة ليبيا القديمة، فبراير،2013، ص ص 27-39.

14. سعيد مبروكة الفاخري ، المملكة الجرمية في فزان (منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي)، مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، 2015، ص ص 111-131.

15. الطيب محمد أحمادي، الحضارة الليبية في الجنوب الليبي { إقليم فزانيا}، ب.ن، قسم الآثار، جامعة قاريونس، ص ص 329- 360.

16. عبد الحفيظ الميار ، ظاهرة استمرارية اللغة و الثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس الغرب خلال العصر الروماني، مجلة أفاق تاريخية ، العدد الأول، السنة الأولى، 1996، ص ص 115-132.

17. عبد الحفيظ الميار فضيل ، حصون طرابلس الرومانية ،مجلة الدراسات الليبية القديمة، مجلد 16،1985، ص ص 1- 26.

18. عبد اللطيف فلاح ، غدامس تاريخ وحضارة، المؤتمر العلمي حول المدن القديمة في ليبيا، دار صادر للنشر،1988، ص ص 21- 34.

19. عبد الناصر الحجازي، مناقشة الآراء التي قيلت في الجرمنت، مجلة آثار العرب،العدد الأول،1990، ص ص 59 – 63.

20. فاطمة سالم العقيلي ، الصادرات الجرامنتية من خلال النصوص الأدبية والمخلفات الأدبية، المجلة العلمية للدراسات التاريخية و الحضارية، العدد الثالث، جامعة سبها، ليبيا، 2009، ص ص 81- 99.

21. فرانسوا دو ميديروس ، شعوب السودان : تنقل السكان، في تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثالث، أفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، ط2، اليونيسكو، لبنان، 1997، ص ص 143 – 164.

22. فرج الراشدي ، عادات الدفن عند الجارامانت ، وعلاقاتها بعادات الدفن عند شعوب أخرى، تاريخ إفريقيا العام، دراسات ووثائق، ندوة اليونيسكو، باريس،1984، ص ص 86-105.

23. فرقة بحث من إعداد مصلحة الآثار، مدينة قرزة، مجلة آثار العرب، العدد الثالث، سبتمبر، 1991، ص ص 21- 35.

24. فوزي فهيم جاد الله ، المعارك و المواقع الحربية بين الليبيين و المستعمرين من الإغريق والرومان، نص محاضرة ألقيت في قاعة ابن غلبون بمركز الجهاد، طرابلس،2008.(النسخة الإلكترونية)، ص ص 1- 16.

25. فوزي فهيم جاد الله ، بين ليبيا و السودان، المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية، طربلس،1981، ص ص 27-41.

26. فوزي فهيم جاد الله ، مصادر في التاريخ الليبي قبل هيرودوت، مجلد ليبيا في التاريخ، 1967، ص ص 47-62.

27. كي زيربو (ج.)، الفن الإفريقي في ماقبل التاريخ،ترجمة بنعسي،ب،كتاب تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول،المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في إفريقيا، الأسكندرية/اليونيسكو: الهيئة العامة لمكتبة، 1983، ص ص 665- 694.

28. لخضر بن بوزيد ، التحولات المناخية في الصحراء الوسطى خلال العشرة الأف سنة الأخيرة، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، العدد 08، ب .ت، ص ص 269-297.

29. لخضر بن بوزيد ، التغيرات المناخية في الصحراء الوسطى في عصر البلايستوسين (2.59 مليون سنة – 8000 سنة قبل الميلاد)، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، المجلد 09، العدد 02،جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016، ص ص 1025- 1048.

30. ليونال بالو ، إفريقيا الشمالية في ما قبل التاريخ ، الفصل الثاني والعشرون، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في إفريقيا، المشرف كي زيربون، جين أفريك، اليونيسكو،1980، ص ص 583-591.

31. المبروك الزناتي ، المؤلهة تانيت، مجلة آثار العرب، العدد الرابع، مارس ، 1992، ص ص 51- 74.

32. مبروكة سعيد الفاخري ، العلاقات السياسية بين المملكة الجرمية في الجنوب الليبي والمدن الرومانية على الساحل الليبي (منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي)، مجلة سبها (العلوم الإنسانية) العدد الثاني، 2013، ص ص 113- 132.

33. محمد البشير الشنيتي ، قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15، سنة 1988م، ص 24- 41.

34. محمد المبروك يونس ، موقع ليبيا ودوره في التواصل الحضاري العربي الأفريقي، مجلة تراث الشعب، العددان الأول والثاني، طرابلس، 1994 ، ص ص 22 – 37.

35. محمد الهادي حارش، ثورة تكفاريناس (17 – 24 م)، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 9، ، جامعة الجزائر،1990، ص ص 129-131.

36. محمد سليمان أيوب ، حملة كورنيليوس بالبوس، ليبيا في التاريخ القديم، منشورات الجامعة الليبية، طرابلس، 1968، ص ص 215-221.

37. محمد عبد السلام، قبيلة النساموينس ، مجلة قاريونس العلمية ، ع 1-2 السنة 4 ، جامعة قاريونس ، 1991، ص ص 55-74.

38. محمد علي أبو شحمة، الإستيطان البشري بإقيم تريبوليتانيا خلال عصور ماقبل التاريخ ،المؤتمر الدولي الخامس بعنوان الكلمة و الصورة في الحضارات القديمة، مركز الدراسات البردية و النقوش، العدد 03، جامعة عين شمس، مصر، 2014، ص ص 421-438.

39. محمد علي عيسى ، ثورة تكفاريناس وتبليط شوارع لبدة، مجلة آثار العرب، العدد الخامس، سبتمبر 1996، ص ص 20-35.

40. محمد مصطفى بازمة ، تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية وتأثرهم بها، المؤتمر التاريخي ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية بنغازي،1968، ص ص 81-97.

41. مصطفى خاتمي ، أم الخير العقون ، الفُجارات وعربات الرّكض الطائر: دورها ومكانتها لدى المجتمع الجرمي القديم (فترة ما قبل الإحتلال الروماني)، مجلة عصور الجديدة – مجلة محكمة صنف ج، المجلد 10 العدد 1، مارس،2020، ص ص 9-30.

42. مقرانطة بختة ، دور المصادر العربية للعصر الوسيط في كتابة تاريخ الجزائر القديم ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد رقم 09 ديسمبر 2014 ، ص ص 259 – 276.

43. هـ. ج هوغو ، الصحراء في ما قبل التاريخ، الفصل الثالث والعشرون، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في إفريقيا، المشرف كي زيربون، جون أفريك، اليونيسكو، 1980، ص ص 604-618.

ب. باللغة الأجنبية

1. Aumassip (G.) et Tauvron (M.), « Le Sahara Central a L'Holocéne »,Mémoirie Della Societa Italiana Di Scienze Naturali E del Museo Civico Di Storia Naturale du Milano XXVI/II,1992,pp.64-80.
2. Balout (L.), « Chronologie absolue et préhistoire saharienne » . In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°11, 1972,pp.13-19.
3. Beck (P.), et Huard (P.),« Tibesti, carrefour de la prehistoir saharienne », annales econompies societes, civilistations, volume 25 ,n.05,1970,pp.179-181. (3 pages).
4. Camps – Faber (H.), « La Disparation de L'autruche en Afrique du Nord », Trav,Du, C.R.A.P.E, Alger, 1963,pp.160-243.
5. Camps (G.), « Chars protohistorique de L'afrique du nord et du sahara de guerre ou véhicules de prestige » , Encyclopedie Bérber,XII,1993,pp.267-288.
6. Camps (G.), « L'Homme de Mechta el-Abi et sa civlisation contribution a L'étude des origines gaunches» ,1969,pp.257-272.
7. Camps (G.), « Le cheval et le char dans préhistoire nord-africaine » ,in Mélanges Delbecque,1981,pp.09-22.
8. Camps (G.), « Recherches Sur Les Origines Des Cultivateurs Noirs Du Sahara » . R.O.M.M, n°07,1970,pp.35-45.

9. Camps (G.), « Sur trois types peu connus de monuments funéraires Nord-Africains » ,B.S.P.F,Vol,56,1959,pp.101-108.
10. Daniles (CH.), « Excavation and Field Work Amoust the Garamantes », Libyan Studies, Vol,20,1989mpp.45-61
11. Diehl,. (C). Justinien et la civilisation Byzantine,Revue Historique T. 79, Fasc. 2 Published By: Presses Universitaires de France Paris,1901 ،(pp. 385-390 (6 pages)
12. Desanges (J.), « Agisymba », Encyclopédie berbére, 2Ad-Aguh-n-Tahlé,Aix-en – Provence, Edisud,1985,pp.259-261.
13. Fantar (M.H.), « Le Sahara et L'homme : un savoir pour savoir – faire », Actes du colloque organisé a Douz du 27 au 29 décembre 2003, Tunis ;université de tunis el manar,pp.122-138.
14. Gallin (A.), et Lequllec (J-l), « Les ensembles ceramiques du bassin de marzuq une contribution de L'archeokoique preventive ala connaissance du messak » , cahiers de L' A.A.R.S., France, n°12,2008,pp.71-82.
15. Hachi (S.), « Les Cultures de L'homme de Mechta Afalou, Les Gisment D'afalou bou rhmmel (Massif des Babors , Algérie) » ,Mémoire de C.N.R.P.A.H, nouvelle série,n°02,pp.255-265.
16. Camps (G) , Comment la Berbérie est devenue le Maghreb arabe.Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée Année 1983 pp. 7-24.
17. Hachid (M.), « L'art rupestre prehistorique en algerie revue de préhistorique et d'anthropologie culturelle », C.R.A.P.E., 1983,pp.135-144.
18. Hashi (S.), « Place du gisements de ti-n-hakaten dans le context climatique saharien, paleoecologie des regions sahariennes », centre national d'étude historique, beni abbes,1983,pp.115-121.
19. Haurd (P.) et Allard (L.), « Gravures Rupestres Du Tadrart Akakous (Libye.s.w.) ».B.S.P.F, N°.09,tome.74,1977,pp.169-222.
20. Huard (P), « Nouvelles graveures rupestres d'in habter (fezzan sud-occidental, Libye) », Bull de la Soc Phréhist ,fr,1971,pp.618-628.
21. Huard (P.) et Leclant (J.), « La culture Des Chasseurs Du Nil et Du Sahara », Vol 01 – 02 , mémoire Du Centre De Recherches Anthropologiques Prehistoriques et Ethnograohiques, n° 29 , Alger,1980,pp.176-184.
22. Jacquet (G.),« Au Cœur du Sahara Libyien d'etranges gravuers » rupestres,Archeologia,n,123,1978,pp.40-51.
23. Kirwan (P.L.), « Expeditions to the upper Nille and the chad Darfur region » ,Libya in history, University of Libya of art, Bengazi,1986,pp.47-68.
24. Le Quellec (J.L), « Rock Art And Cultural Responses To Climatic Changes In The Central Sahaa During The Holocene ».P.C.R.D. Ed. Exploring The Mind Of Ancient Man, New Delhi, India, 2002,pp.55-74.
25. Le Quellec (J.L.), « Les images rupestres du Djebel el-uweynat », AR-N,n°19, I.F.A.S, Jphanesburg,2009,pp.13-26.

26. Le Quellec (J.L.), « Nouveaux Documents Rupestres du Wadi Tiduwa Au Messak Mellet (Fezzan , Libye) »,AARS-ACTES 1993,pp.08-42.
27. Le Quellec (J.L.), « L'adaptation aux variations climatiques survenues au sahara central durant L'holocéne », in: Exploring the Mind of Ancient Man (Festschrift to Robert Bednarik), Reddy P.C. (Dir.), New Delhi, Research India Press, 2006, p. 173-188.
28. Lefevre (Ph.) et Cabannes (R.) et Sendrail (A.), « Etude Hemotypologique des populations du Tassili N'ajjer », Bulletin Et Memoires de la societe D'anthropologie,Paris, seris 12,tome,01, fascicule,04,1967,pp.419-439.
29. Lhote (H.), « Donnes Recentes sur Les Gravures et les peintures rupestres du tassili », simposio internacional de arte rupestre,barcelona,1966,pp.270-293.
30. Lhote (H.), « le peuplement du sahara néolithique , d'aprs l'interprétation des gravures et des peintures rupestres » ,jour,Soc,Africanistes,XL,1984,pp.91-102.
31. Lhote (H.), « Le peuplement du sahara neolithique d'après L'interprétation des gravures et des peintures rupestre » , journal de La société des Africainiste,1970, pp.91-102.
32. Maitre (J-P.), « Contribution a la préhistoire de L'ahaggar,Téfdest Central » ,Mém, Du,c.r.a.p.e ,17,France ,1971, pp.52-89.
33. Mattinglay (D.J.), « Farmers and frontier, Exploiting and Defending the country side of Roman Tripolitania» , Libyan Studies, Vol 20, 1989,pp.135-153.
34. Mattingly (D.J), « Nouveaux apercus sur les garamates un étas saharien » , A.Af, vol.37. 2001,pp.45-61.
35. Mattingly (D.J.), « The Archaeology Of Fazzan »,Volume I, Synthesis, Published by the departements of Antiquities, Tripoli, The Society for Libyan Studies, London,2007,pp.30-35.
36. Mattingly (D.J.), « Preliminary results from 2010 field work on the human prehistory in the Libyan sahara », libyan studies 41,2010,pp.133-153.
37. Mattnigly (D.J.), « In search of the Gramantes: Alost civilization of the Libyan sahara », text of lecture delivered at the British Ambassadores Residence, Tripoli,24 Februray,2000, pp.69 -94.
38. Mercier.G , « La langue Libyenne et la toponymie Antique de L'antique du nord », In journal Asiatique,1924,pp.190-295.
39. Muzolini (A), « les climats au sahara et sur ses bordures du pleistocene final a laride actuel ». revue empuries ,1985,pp.08-24.
40. Muzzolini (A.), « Masques et thromophes dans l'art rupestre du Sahara central », archeonil,1991,pp.17-42.
41. Quzel (P.) Martinez (C.), « Le dernier interpluvial au sahara central », libyca, tome 06-08, 1958-1959,pp.213-227.
42. Van Der Veen (M.), « Gramantieon Agriculture »,Libya Studies, Vom,23,1992,pp.308-311.
43. Yves & Gauthier (C.), « Monuments Funéraires Sahariens Et aires culturelles » ,AARS Paris,N°11-2007,pp.65-87.
44. Auirigemma (S.), Imosici Di Zliten , Africa Italiana,Vol,2,1926,pp.145-155.
45. Arkell, « Rock pictures in Narthorn Darfur », SNR,V.20 ,Part,2,1936,pp.281-287.

رابعاً – رسائل الأطروحات و الماجستير:

أ. أطروحات الدكتوراه

1. أم الخير العقون ، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003 -2004.
2. جمال مسرحي ، أوضاع الشرق الجزائري القديم من زوال المملكة النوميدية حتى الغزوات الوندالية 46 ق.م – 429 م – دراسة تحليلية حول الواقع السياسي والإقتصادي في ظل الإحتلال الروماني، أطروحة لنيل درجة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة باتنة 1، 2017 – 2018.
3. ستي صندوق ، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية،جامعة وهران 1، 2015-2016.
4. محمد بن عبد المؤمن ، عقائد مابعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، 2011- 2012.
5. مها عيساوي ، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة منتوري، قسنطينة،2009-2010.
6. يوسف عيبش ، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية لبلاد المغرب أثناء الأحتلال البيزنطي، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2006- 2007.

ب. رسائل ماجيستير

1. أم الخير العقون ، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وغرب شمال إفريقيا (منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلا)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الإسكندرية،1988.
2. امحمد وابل ، إنعكاس مرحلة المناخ الأمثل على ثقافة المجتمعات في الصحراء الوسطى 7000 قبل الميلاد إى غاية 2500 قبل الميلاد، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 01، 2013-2014.
3. إيباه سيدي محمد، المظاهر الثقافية و الأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست (الهقار) الصحراء الوسطى – الجزائر، رسالة ماجستير، تخصص ماقبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة بوزريعة 2 ، الجزائر، 2011-2012.
4. تسعديث رمضان ، الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم (193 – 235م)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، جوان 1990.
5. حسيبة سفروان ، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار واضواحيها (الطاسيلي ناجر، الصحراء الوسطى، الجزائر)، مذكرة ماجستير، معهد الأثار، 2007- 2008.

6. حسين عبد العالي مراجع ، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ماقبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبين لمصر، بحث مفدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم،فسم الدراسات التاريخية و الآثرية، كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس، الجماهرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية،ب.ت.

7. لخضر بن بوزيد ، الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسيلي – أزجر خلال مرحلة الرؤوس المستديرة _8000 ق.م – 2500 ق.م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2009- 2010.

8. لويزة بلخيري ، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي ناجر (الصحراء الوسطى) ، مذكرة ماجستير ماقبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2011-2012.

9. محمد الصالح العود ، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429 – 534م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

10. محمد حمودي ، دراسة وجه النيوليتي الصحراوي البقري الأسفل حسب المقطع الرابع لموقع تينن هناكتن (الطاسيي ناجر – الجزائر)، رسالة ماجستير في علم الآثار ماقبل التاريخ، قسم الأثار، جامعة الجزائر 02، 2001-2002.

11. محمد رشدي جراية ، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م- 1000 ق.م) رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والأثار، جامعة قسنطينة،2007-2008.

12. نجلاء عبد الله الزدام ، الجرامنت وعلاقاتهم السياسية والتجارية مع المدن الساحلية خلال العصر الروماني، مذكرة ماجستير، كلية الأداب والعلوم جامعة مرقب، زليتن،2009.

IV. خامساً – القواميس والمعاجم

1. خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج1 دار العلم للملايين ، ط1، بيروت 1979.
2. سالم محمد الزوام ، المعجم الجغرافي للأماكن الليبية، دار ومكتبة الشعب، مصراته، 2005.
3. كرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام ، ط.27، دار المشرق، بيروت، 1984.

سادساً – المواقع الإلكترونية

I. الموسوعة البربرية:

1. Trousset (p.), Despois (j.), Gauthier (y.) Gauthier (ch.) and E.B., « Fezzân », in *Encyclopédie berbère, 18 | Escargotière – Figuig* [Online], Online 04 August 2018. URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2083.
2. Desanges (J)., « Garamantes », in Gabriel Camps (dir.), 19 | Filage – Gastel, Aix-en-Provence, Edisud(« Volumes », no 19) , 1998 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 02 février 2017. URL :http://encyclopedieberbere.revues.org/1993

3. .Camps (G.), « Les Gramantes, Conducteurs de Chars Et Batisseurs dans le fezzan antique »,2002,https://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/les_garamantes_conducteurs_de_chars_et_bAtisseurs_dans_le_fezzan_antique.asp.
4. Camps (G.), « Avertissement » , in *Encyclopédie berbère, 1 | Abadir – Acridophagie* [En ligne], mis en ligne le 01 septembre 1989, consulté le 05 juin 2019. URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/765.
5. Trousset (P.), « Cidamus », Encyclopédie berbère [Online], 13 | 1994, document C63, Online since 01 March 2012, connection on 08 April 2020. URL: http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2279
6. « Chameau », Encyclopédie berbère [En ligne], 12 | 1993, document C41, mis en ligne le 30 mars 2012, consulté le 11 avril 2020 URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2627.
7. Camps (G), «Antalas» ،*Encyclopédie berbère*] En ligne], 5 | 1988, document A231, mis en ligne le 01 décembre 2012 ،consulté le 04 juin 2021 .URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2518 ؛ DOI : https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2518
8.

II. **مدونة الآثار الليبية لخالد محمد الهدار** : http://khaledelhaddar.blogspot.com/

1. خالد محمد الهدار ، حفريات في حصن القريات الغربية 2009 – 2010، أرشيف المدونة الآثار الليبية الإلكترونية ، 2011.

III. **مواقع حكومية علمية**

1. المتحف الآثري بجرمة : www.museum-of-germa.com
2. موقع التمحو : https://www.temehu.com
3. مجلات العلوم الإنسانية والإجتماعية بليون : www.persee.fr.
4. اللجنة الأصدقاء الفن الصحراوي بالصحراء : https://aars.fr/
5. مجلة الأنثربولوجية والتاريخ السودان : www.arkamani.org
6. موقع المجلات والحوليات : www.revues.org.
7. موقع ليفيوس للأكاديمية البريطانية: www.livius.org
8. بوابة روماكل لترجمة المصادر القديمة : www.remacle.org
9. **الموسوعة الإيطالية**: http://www. enciclopedia-italiana (Enciclopedia-Italiana)/

فهرس الخرائط

فهرس الخرائط

الخريطة	عنوانها	الصفحة
01	مناطق الصحراء الوسطى.	30
02	إقليم جرمة وأحوازها.	37
03	الأودية في إقليم جرمة.	42
04	الحالة المناخية القديمة والحالية في الصحراء الكبرى.	45
05	النطاق الجغرافي للغابات المطيرة والنباتات في الصحراء إبتداءً من 8000 ق.م	50
06	موقع الحضارة الألدوفانية وما قبل الأشولية في شمال أفريقيا	57
07	مواقع الثقافة الأشولية في شمال إفريقيا.	60
08	توافد الشعوب على الصحراء الوسطى وإقليم جرمة.	72
09	أقسام النيوليتي بالصحراء الوسطى	102
10	أهم المراكز التواجد الصيادين بالصحراء الوسطى وحوض النيل.	104
11	أصول والهجرات المفترضة للرؤوس المستديرة بالصحراء الوسطى	114
12	الإتجاهات المختلفة لهجرات سكان الصحراء الليبية بعد الجفاف ألف ثالثة ق،م	115
13	أنواع الحيوانات التي تمّ إستئناسها في إقليم جرمة	151
14	مناطق إنتشار الزراعة بالصحراء الوسطى.	160
15	تمثل المسالك والطرق التي كانت تستعملها القوافل الجرمية بين الصحراء الكبرى وشمال افريقيا	171
16	تبين توطين المجموعات الليبية المجاورة لمملكة جرمة	221
17	مسار لحملة لوكيوس كورنيليوس بالبوس عام 19 ق.م	239
18	مسار حملة فاليريوس فوستوس على بلاد جرمة	242
19	مسار لحملة سبتيميوس فلاكوس رفقة ملك جرمة	246
20	مسار لحملة يوليوس ماترينيوس رفقة ملك جرمة إلى أجزيمبيا في بحيرة التشاد	248
21	تموقع حصن جولايا (أبو نجيم).	250
22	تموقع حصن غدامس (CIDAMVS) من مناطق نفوذ مملكة جرمة	258
23	تموقع الحصون الشرقية والغربية من مناطق نفوذ مملكة جرمة	262
24	هجرات القبائل الليبية إلى بلاد جرمة	272
25	حملة عقبة بن نافع في الصحراء الوسطى	278

فهرس الأشكال

فهرس الأشكال

الشكل	عنوانه	الصفحة
01	مقطع تضاريسي لفزان بشكل عام.	39
02	نماذج من الصناعات الأشولي المتأخر المكتشفة ببحيرة شاتي ومرزوق.	56
03	الأدوات الحجرية (الموستيرية والعاترية) التي وجدت بإقليم جرمة.	57
04	دائرة النسبية تُمثل التّجمعات البشرية خلال العصر الحجري الحديث بإقليم جرمة.	60
05	النسب للعناصر البشرية التي كانت تتمركز بإقليم جرمة والصحراء الوسطى حسب المعطيات الأنثربولوجية للباحثين سرجي (Sergi) م. س. شاملا (Chamla,M.C).	62
06	سلم يبين دراسات تقسيم الزمني لمراحل الفن الصخري بإقليم جرمة.	62
07	نقوش التي رسمت في مرحلة الصيادين بمتخندوش وتليزغن – جرمة.	63
08	ذكر وأنثى من أسلوب رؤوس المستديرة بأفوزي جيار بأكاكوس –جنوب الشرقي من إقليم جرمة	63
09	رسوم لأشخاص من مرحلة الرعاة في منطقة وان تابو بالأكاكوس	64
10	أسلوب تازينا تبين نقش لبقر في منطقة الأوار بالمساك.	64
11	رسوم من وادي زجرة شمال جرمة تبين عربة من أربعة جياد	65
12	مشهد من تيناوين بفزان يبين العربة و كتابة التبفناغ في المرحلة الأولية	65
13	عربات الركض الطائر بأفا جنوب جرمة	74
14	نموذج من العربات الجرمية بمتحف جرمة الأثري	75
15	الجمل وكتابة التفيناغ المسؤول عنها الجرميين.	87
16	أكاكوس– المرحلة الجمال للركض الطائر	90
17	أسير من جرمة مثبت بالعمود الخشبي على العربة	92
18	أسير من جرمة يُضرب بالسوط ويقدم كفريسة للأسد.	93
19	أعمدة بيانية تمثل عدد الفقرات ذكراً للجرميون من خلال كتّاب الكلاسيكيون	94
20	الضريح الروماني بقصر الوطواط – جرمة –	97
21	قبر الحطية الموجود بالمتحف الآثري لمدينة جرمة.	105
22	ملحق من الرسوم الصخرية بزنككرا، من إكتشاف المصلحة الآثار الليبية.	107

23	يبين المخطط للجبانة الكبرى التذكارية (حفريات مصلحة الآثار)	11
24	مخطط لمباني سانية بن هويدي بجرمة	125
25	مخطط لمباني جرمة القديمة في القرن الأول الميلادي	145
26	أشكال القرون في رسومات الصخرية بمساك والعوينات.	152
27	جدارية عنزة ترضع صغيرها –أمقويد، الصحرا الوسطى	153
28	المشهد الأول: يبين عملية تذرية الحبوب بمساك – المشهد الثاني: إعادة إنبات الأغصان من طرف الأشخاص وهم في حالة فرار كانهم يفرون من الجفاف ؟	160
29	مقطع طولي و عرضي للفُجّارة وادي الآجال و توابعها	166
30	انموذج من فُجّارات وادي الأجال	167
31	جرمة ومدن المجاورة لها من خلال طاولة بوتنجر	169
32	فيل ليبي من شركة صبراتة التجارية بميناء أوستيا في روما.	176
33	مباني جرمة الآثرية – المنظر العام-	191
34	مخطط الحفريات في جرمة القديمة	190
35	الهرم الدّيمغرافي في جرمة حسب المعطيات الآثرية	190
36	بقايا من فيلا بزنككرا مبنية بالحجر المربع	195
37	تفصيل الألبسة لدى الرعاة بعين عميل تشونات أكاكوس	196
38	أربعة من قبيلة المشواش، يظهرون بالوشم و الريشة	197
39	تصفيف الشعر عند الجرميين من خلال فسيفساء زليطن.	198
40	تصفيفات الشعر عند الليبيين بطرق مختلفة	199
41	كيفية وضع الريشة عند الجرميين	200
42	رأس لإله جراما الوثني بمتحف جرمة الآثري.	202
43	مقبرة أسطوانية مدرجة في زنككرا	205
44	تمثيل استعادي للمقبرة الأسطوانية المدرجة في وادي الآجال	207
45	المقبرة الأسطوانية في سانية بن هويدي	207
46	المقبرة التاسعة في الشريح.	208
47	تمثيل إستيعادي للمقبرة المربعة المدرجة في وادي الأجال	209
48	مخطط مقبرة في سانية بن هويدي	209
49	مخطط مقبرة في سانية بن هويدي	209

50	المقبرة الهرمية في الشريج	210
51	جزء من مقبرة هرمية	210
52	الضريح الروماني بقصر الوطواط – جرمة –	211
53	شاهد قبر بجرمة قديمة	212
54	شاهد في الجبانة الشرقية.	212
55	شواهد على شكل قرن من سانية بن هويدي	213
56	تمثيل استيعادي للقرن في الفنون الصخرية الليبية	213
57	شاهد على شكل كف ومائدة قرابين من قبر يرجع إلى العهد الروماني في جبانة زنككرا.	215
58	مائدة جرمية نمطية لتقديم القرابين موجودة متحف سبها	215
59	هيكل عظمي في وضع القرفصاء من جبانة جات	216
60	مسند رأس من زنككرا.	216
61	أمر ببناء الحصن عام 253م من قبل ليغاتيس كوينتوس أنيكيوس فوستوس للفيلق أوغسطسي الثالث	226
62	ناقشة تشيد الحمام الجند تمجيدا للألهة الشمس حصن جولايا	253
63	إعادة ترميم حصن جولايا من قبل الفيلق الأغسطسي الثالث	254
64	تكريسة باستور بيتيكيوس للألهة الشمس التي لا تهزم	254
65	ناقشة جوبيتر وبعل حمون كرسها تيليوس رومولوس	254
66	مخطط لحصن بونجيم	254

فهرس الجداول

فهرس الجداول

الجداول	عنوانها	الصفحة
01	تأثير المناخ على الغطاء النباتي في الصحراء الوسطى	48
02	يبين التآريخ للرعي في فزان خلال العصر الحجري الحديث	150
03	النباتات المزروعة والبرية في منطقة جرمة القديمة وبونجيم وزنككرا	161
04	أهم المنتوجات الصناعية في إقليم جرمة	168
05	عمليات نقل للمواد الغذائية تحت إشراف الجمالة الجرمية	175
06	أهم المستوردات الجرمية التي وجدت بحفريات جرمة	183
07	نموذج تخطيطي لتصاعد البربرية (الصفة الإجتماعية) مع بعد المسافة عن ساحل البحر الأبيض المتوسط (حسب بليني الأكبر و بومبيوس ميلا)	191

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

ا

ابن خلدون، 258، 271، 272، 278، 293

ابن عبد الحكم، ط، 87، 148، 258، 275، 276، 277، 278، 293

ابن منظور، 28، 292

المسعودي، 87، 88، 280، 282، 292

الوارجلاني، 281

اليعقوبي، 28، 87، 280، 292

الإدريسي، 280، 292

البكري، ط، 88، 133، 258، 275، 276، 280، 281، 292

العقون، ك، ل، 29، 55، 56، 62، 67، 70، 71، 109، 110، 114، 121، 123، 128، 130، 136، 137، 146، 147، 150، 152، 154، 160، 162، 176، 187، 188، 197، 199، 200، 201، 202، 205، 228، 294، 295، 298، 301، 303، 304

أ

أبو الفدا، 282

أبولونيوس الرودسي، 79، 135

أثيناوس، 232

أرسطو، 81، 155

أرنوبيوس، 86

أعشي، 30، 77، 78، 132، 227، 293

أكصيل، 158، 296

ألكسندر سيفيروس، 260

أنطالس، 271

أوغسطين، 82، 135

أوماسيب، ك، 29، 45، 59

أيوب، ح، ط، 32، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 47، 48، 49، 50، 55، 79، 82، 83، 88، 89، 90، 93، 97، 111، 125، 129، 130، 134، 136، 137، 139، 145، 148، 155، 157، 158، 159، 169، 171، 172، 175، 179، 182، 183، 184، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 206، 207، 212، 213، 215، 216، 217، 218، 234، 235، 238، 239، 240، 242، 243، 245، 246، 248، 266، 269، 272، 274، 281، 282، 283، 286، 295، 298، 300

إ

إيتيارك، 227

ب

باتس، 67، 201، 226

بارث، 31، 54، 260، 261

باروسلاف، 29، 294

بالو، 102، 107، 296، 300

بركوبيوس، 138، 147، 257، 270، 292

بروكوبيوس، 147، 271

بطليموس، ه، ح، 30، 33، 72، 84، 85، 148، 156، 171، 179، 225، 245، 247، 248، 257، 292

بلير، ز، 92، 168

بليني الأكبر، ح، 33، 49، 82، 84، 130، 131، 147، 148، 163، 170، 171، 176، 178، 181، 182، 183، 189، 238، 239، 242، 248، 257، 262، 292

بومي، 236

بومبيوس ملا، 84

بيي الأول، 69

بيليزاريوس، 138

ت

تاكفاريناس، 75، 222، 223، 224، 225

تاكيتوس، 85، 168، 170، 180، 222، 223، 225

تراجانوس، 246، 248

تروسيه، 112، 258

توفران، 45، 118

توفرون، 59

تيبريوس، 222، 223

ث

ثيوفراستوس، 163، 182

فهرس الأعلام

ج

جاردينير، 68

جالوت، 137

جرزيوري، 54، 55، 56، 62، 63، 159، 296

جنسريك، 269

جوبرت، 120

جوتشايلد، ز، 86، 212، 296

جوستيانوس، 270، 271

ح

حاشي، 114

حاشيد، ك، 62، 118، 128

حرخوف، 69، 158، 174، 231

د

دانيالز، 41، 96، 125، 296

دانيلز، ح، ط، 125، 129، 134، 139، 141، 144، 145، 155، 163، 164، 165، 167، 172، 174، 188، 191، 193، 195، 197، 198، 207، 210، 213، 215، 226، 245، 269

دولابيلا، 225

دوميتيانوس، 244، 245، 246، 247

ديزانج، 78، 112، 131، 180، 299

ديودور الصقلي، 131، 156، 160، 163، 181، 226

ديون كسيوس، 244، 292

ر

رعمسيس الأول، 137

رعمسيس الثالث، 154، 182، 188

روبيفات، ك، 74، 131، 178، 253، 254، 299

ريتشمند، ح، 96، 97

س

سترابون، ط، 37، 47، 80، 81، 82، 158، 175، 182، 183، 187، 199، 239، 293

سرجي، 90، 124، 125، 126، 141، 211، 310

سنوسرت، 70، 71

سوليوس فلاكوس، 244

ش

شاملا، 45، 113، 114، 119، 125، 140، 310

ص

صولومون، 138، 271

ع

عقبة بن نافع، 87، 148، 258، 275، 277، 278، 289، 308

ف

فاليريوس فستوس، 75، 241، 242، 244، 266

فرجيليوس، ه، 81، 82، 135، 147، 293

فلوريس، 85، 226

فوفري، 120

فيرجيليوس، 81

ق

قرقوش، 281، 282

قمبيز، 139، 205

قوتييه، 45، 104

قيصر، 159، 236، 237، 272

ك

كاباون، 270

كابيتو، ز، 89، 90، 96

كامبس، ي، 44، 48، 56، 64، 66، 111، 112، 113، 114، 116، 117، 120، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 131، 134، 135، 138، 140، 156، 157، 159، 160، 211، 295

كورنفان، 29

كورنيليوس بالبوس، 33، 83، 235، 237، 238، 239، 257، 300، 308

كورنيليوس سكيبيو، 224

كويزال، 49، 160

ل

لاديكي، 227

لوت، ك، 34، 59، 118، 122، 150

فهرس الأعلام

لوكان، 86، 156، 176، 196، 251

لوكيلاك، ط، 28، 34، 44، 45، 47، 55، 57، 59، 60، 66، 111، 113، 151

م

ماتنجلي، 33، 49، 124، 136، 140، 163، 165، 166، 180، 181، 182، 184، 189، 190، 191، 249، 261، 265، 269، 296

مارتينيز، 49

ماسينيسا، 234، 235، 236

مرسيه، ك، 132، 133

موري، ي، 31، 55، 56، 59، 70، 126، 127، 156، 174، 203، 233، 296

موزيليني، ي، 55، 59، 60، 107، 122

ن

نمرود، 157، 188

نيرون، 241

ه

هاوارد، 28، 44، 153، 161

هوجو، 60، 117

هيرودوت، أ، ح، 29، 30، 37، 49، 50، 63، 64، 72، 77، 78، 79، 93، 96، 123، 128، 130، 131، 132، 135، 136، 155، 156، 157، 158، 163، 171، 172، 174، 175، 176، 179، 180، 181، 187، 190، 204، 205، 221، 227، 228، 229، 230، 232، 239، 242، 293، 296، 300، 333

ي

يوشع بن نون، 138

يوغرطة، 223، 236

يوليوس فلاكوس، 247

يوليوس ماتيرنيوس، 246، 247، 248، 288

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأماكن والبلدان

أ

أبو درنة 119 ,

أثيوبيا 179 ,75 ,

أجيزمبا 244 ,143

أدرار إيفوراس 111 ,

أدمير 98 ,28 ,

إسبانيا 280 ,161 ,103 ,

أسوان 226 ,

آسيا الصغرى 134 ,

أغرام نظاريف 168 ,159 ,128 ,

إفريقيا 82 ,81 ,75 ,72 ,52 ,48 ,46 ,37 ,25 ,22 ,21 ,16 ,14 ,8 ,
95, 96, 98, 99, 101, 103, 104, 105, 106, 111, 118, 122, 130, 132, 134, 135, 137, 152, 153, 154, 155, 156, 159, 166, 172, 173, 174, 176, 178, 180, 199, 203, 204, 212, 213, 218, 225, 230, 231, 232, 234, 245, 247, 250, 257, 262, 266, 268, 271, 273, 279, 293, 295, 296, 297, 300, 301, 302, 305, 308, 309

الأطلس الصحراوي 145 ,115 ,114 ,102 ,56 ,22 ,21 ,

الإغريق 200 ,183 ,179 ,135 ,131 ,125 ,73 ,71 ,56 ,46 ,9 ,6 ,
215, 221, 222, 223, 227, 229, 236, 287, 301

الآهقار 167 ,145 ,102 ,101 ,98 ,97 ,42 ,29 ,28 ,24 ,22 ,21 ,
227, 268, 279, 280

البحر الأبيض المتوسط 315 ,208 ,185 ,132 ,124 ,35 ,21 ,

التشاد 309 ,143 ,11 ,

الجزائر 193 ,161 ,152 ,146 ,115 ,49 ,37 ,29 ,28 ,27 ,22 ,21 ,
197, 203, 219, 246, 279, 295, 296, 301, 304, 305, 306

السودان 181 ,166 ,111 ,108 ,82 ,66 ,65 ,62 ,54 ,22 ,21 ,
206, 242, 244, 277, 278, 301, 307

الشرق الأدنى 153 ,55 ,

الصحراء الغربية 111 ,64 ,61 ,22 ,

الصحراء الكبرى 223 ,171 ,166 ,124 ,122 ,79 ,22 ,21 ,
241, 263, 295, 297, 308, 309

الصحراء الوسطى 26 ,24 ,22 ,21 ,17 ,10 ,9 ,8 ,5 ,4 ,3 ,2 ,1 ,
27, 28, 29, 37, 38, 39, 42, 48, 52, 55, 60, 61, 95, 96, 97, 98, 99, 101, 105, 106, 107, 108, 110, 111, 112, 113, 114, 118, 120, 125, 139, 141, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 154, 155, 156, 157, 169, 170, 192, 193, 196, 197, 198, 207, 209, 280, 285, 300, 301, 305, 308, 309, 315

الطاسيلي ناجر305 ,193 ,116 ,63 ,28 ,27 ,24 ,22 ,

الطاسيلي نانجر 21 ,

العوينات169 ,168 ,151 ,149 ,146 ,107 ,63 ,61 ,55 ,53 ,

القريات الشرقية 289 ,259 ,

القريات الغربية 307 ,263 ,259 ,258 ,257 ,

الكرنك 197 ,182 ,

المحيط الأطلسي 223 ,215 ,104 ,21 ,

المدن الثلاث 218 ,213 ,184 ,181 ,178 ,173 ,172 ,80 ,11 ,
224, 226, 228, 231, 232, 234, 236, 240, 243, 258, 288

المغرب 130 ,129 ,104 ,98 ,83 ,82 ,81 ,55 ,49 ,22 ,21 ,14 ,
147, 161, 197, 216, 219, 229, 246, 271, 273, 274, 277, 293, 294, 296, 305

النوبة287 ,214 ,198 ,137 ,79 ,67 ,66 ,65 ,64 ,63 ,62 ,61 ,

النيل 109 ,108 ,106 ,67 ,63 ,62 ,61 ,60 ,55 ,53 ,26 ,23 ,
110, 111, 117, 137, 141, 145, 147, 150, 153, 161, 196, 200, 215, 223, 228, 287, 299, 309

الهندو أوروبي 131 ,

الواو الكبير 179 ,

اليونان 222 ,191 ,181 ,71 ,

أمكني 156 ,111 ,107 ,105 ,42 ,

إندي 169 ,168 ,22 ,21 ,

أوباري254 ,232 ,226 ,168 ,167 ,96 ,32 ,31 ,30 ,26 ,10 ,8 ,

أوجلة 278 ,184 ,177 ,77 ,72 ,43 ,31 ,30 ,

أوزيا 219 ,

أوستيا 312 ,173 ,152 ,

أويا 267 ,237 ,236 ,234 ,226 ,168 ,136 ,79 ,78 ,

إيطاليا 173 ,152 ,132 ,

إيغي زوما 179 ,

فهرس الأماكن والبلدان

ب

بحيرة تشاد 244 ,225 ,168 ,166 ,37 ,

برقة 227, 223, 222, 200, 153, 135, 132, 122, 104, 71, 33, ,
228

بلاد يام 226 ,171 ,62 ,

بونجيم 313 ,300 ,248 ,247 ,220 ,174 ,158 ,127 ,68 ,26 ,

ت

تادرارت الأكاكوس 152 ,61 ,56 ,55 ,47 ,

تان زوماتيك 193 ,

تبستي 285 ,278 ,168 ,167 ,122 ,119 ,110 ,102 ,30 ,26 ,

تين بوهجاج 157 ,
تين هنكاتن 112 ,
تيهوادين 28 ,

تيهوداين 103 ,98 ,

ج

جادو 213 ,112 ,53 ,21 ,

جبال السوداء 35 ,30 ,

جرمة 18, 17, 15, 14, 13, 12, 11, 10, 9, 8, 7, 6, 5, 4, 3, 2, 1, ,
21, 25, 27, 29, 30, 31, 34, 35, 37, 41, 43, 46, 47, 48,
51, 60, 61, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 81, 82, 83,
84, 85, 87, 89, 91, 92, 95, 96, 97, 98, 99, 101, 102,
112, 117, 118, 119, 120, 124,125, 127, 128, 129,
130, 131, 135, 137, 139, 140, 142, 143, 144, 145, 146,
147, 149, 150, 151, 152, 154, 155, 158, 159, 160, 165,
167, 168, 169, 171, 172, 173, 176, 177, 178, 180, 181,
182, 183, 184, 185, 188, 190, 199, 200, 201, 202, 204,
207, 208, 213, 215, 218, 219, 220, 223, 224, 225, 226,
227, 229, 230, 232, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 240,
241, 242, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 251, 254, 257,
258, 261, 263, 265, 266, 269, 270, 271, 272, 273, 274,
275, 276, 277, 278, 279, 280, 285, 287, 288, 289, 296,
297, 300, 308, 309, 310, 311, 312, 315

جولايا 309, 300, 289, 287, 262, 249, 247, 174, 101, 9, ,
313

خ

خاور 275 ,273 ,272 ,269 ,244 ,

خرمة 280 ,

خليج سرت 267 ,229 ,

د

دارفور287 ,244 ,171 ,151 ,67 ,66 ,65 ,62 ,

ر

روما 236, 233, 232, 231, 230, 220, 219, 181, 152, 77, 69, ,
241, 245, 312

ز

زليتن 306 ,237 ,175 ,152 ,83 ,68 ,30 ,

زنككرا 150, 140, 139, 133, 119, 92, 91, 88, 43, 35, 13, 3, ,
158, 160, 162, 185, 186, 187, 188, 189, 202, 211, 221,
223, 235, 288, 312, 313

زويلة 280 ,278 ,277 ,273 ,82 ,

س

سانية بن هويدي 313 ,312 ,311 ,204 ,203 ,190 ,180 ,

سبها 299, 226, 219, 211, 168, 167, 140, 85, 79, 41, 35, ,
300, 301, 313

سردليس165 ,25 ,24 ,

سوريا 217 ,134 ,

سوسة 287 ,67 ,

سيوة 268 ,223 ,200 ,155 ,136 ,135 ,

ص

صبراتة 312 ,233 ,232 ,231 ,224 ,173 ,167 ,136 ,77 ,
, 152, 167

صور 299 ,224 ,183 ,152 ,148 ,122 ,88 ,46 ,16 ,

ط

طرابلس 136, 80, 78, 35, 31, 30, 27, 25, 24, 16, 15, 13, ,
142, 153, 186, 194, 225, 226, 234, 247, 254, 265, 267,
271, 272, 278, 295, 296, 297, 298, 300, 301

فهرس الأماكن والبلدان

ع

عين بربر 129 ,
عين هابتر157 ,

غ

غات 280 ,254 ,177 ,169 ,165 ,159 ,30 ,26 ,25 ,24 ,
غدامس ,237 ,235 ,232 ,226 ,167 ,131 ,77 ,32 ,30 ,26 ,13 ,
254, 255, 259, 273, 279, 280, 289, 295, 300, 309

ف

فارس 272 ,228 ,161 ,
فزان ,35 ,34 ,33 ,32 ,30 ,29 ,27 ,26 ,25 ,22 ,21 ,15 ,11 ,2 ,
37, 38, 40, 41, 42, 43, 44, 46, 47, 48, 49, 52, 53, 54,
56, 60, 61, 62, 65, 66, 72, 73, 77, 79, 81, 82, 83, 86,
96, 97, 98, 99, 101, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110,
111, 113, 115, 118, 119, 120, 123, 124, 125, 128, 129,
130, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140,
143, 145, 146, 147, 148, 150, 151, 152, 153, 155, 156,
158, 159, 161, 162, 163, 166, 177, 179, 184, 187, 193,
198, 199, 201, 209, 213, 214, 220, 226, 228, 229, 233,
234, 237, 246, 247, 258, 263, 268, 269, 271, 272, 273,
275, 277, 278, 279, 280, 285, 286, 296, 297, 299, 300,
315
فيلا دار بوك عميرة 287 ,68 ,

ق

قادش 232 ,
قرطاج 230 ,221 ,209 ,74 ,
قرطاجة229 ,228 ,227 ,224 ,222 ,180 ,176 ,172 ,76 ,11 ,
قصر الوطواط 209 ,207 ,203 ,84 ,
قورينائية235 ,232 ,231 ,223 ,222 ,221 ,220 ,200 ,168 ,79 ,

ك

كرما 65 ,64 ,
كريت 223 ,201 ,133 ,132 ,131 ,73 ,
كوار 272 ,244 ,168 ,
كولمناطة 152 ,

ل

لبدة الكبرى ,231 ,225 ,224 ,218 ,167 ,83 ,68 ,30 ,246 ,237
232,
ليبيا ,60 ,47 ,46 ,41 ,35 ,31 ,30 ,25 ,23 ,22 ,21 ,17 ,15 ,6 ,
61, 62, 68, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 78, 79, 83, 88, 95,
102, 104, 111, 125, 130, 131, 132, 134, 135, 137, 142,
150, 151, 152, 153, 159, 168, 171, 174, 178, 186, 216,
221, 222, 223, 227, 231, 232, 233, 240, 241, 254, 263,
268, 272, 285, 286, 288, 295, 296, 297, 300, 301

م

مالي 103 ,99 ,29 ,22 ,
مرزوق ,98 ,96 ,84 ,47 ,46 ,34 ,33 ,32 ,31 ,30 ,25 ,10 ,8 ,
99, 101, 119, 146, 149, 228
مساك ,146 ,113 ,99 ,59 ,37 ,29 ,27 ,26 ,25 ,24 ,22 ,9 ,2 ,
157
مصر ,96 ,83 ,81 ,75 ,66 ,65 ,63 ,62 ,61 ,48 ,22 ,16 ,14 ,
103, 109, 129, 132, 133, 134, 135, 136, 141, 145, 148,
151, 152, 153, 155, 156, 157, 161, 169, 181, 197, 200,
206, 214, 221, 268, 271, 272, 287, 294, 295, 296, 298,
299, 302, 304, 305
موريطانيا 232 ,220 ,219 ,216 ,145 ,115 ,110 ,109 ,103 ,22 ,

ن

نفوسة 268 ,267 ,213 ,82 ,26 ,

و

وادي الآجال ,43 ,35 ,34 ,32 ,31 ,30 ,26 ,25 ,13 ,11 ,10 ,
47, 86, 87, 92, 118, 119, 120, 128, 131, 139, 140, 162,
163, 164, 167, 188, 195, 202, 203, 204, 205, 206, 208,
209, 212, 226, 269, 279, 280, 285, 312
وادي البرجوش 46 ,
وادي الشاطئ ,159 ,139 ,56 ,47 ,41 ,36 ,35 ,32 ,31 ,30 ,
177, 268
وادي النطرون 178 ,64 ,
وادي ترهوشت 145 ,
وادي تليزاغين 48 ,
وادي زجرة 311 ,168 ,47 ,56 ,36 ,
وادي زمزم الكبير257 ,
وادي كيس 139 ,
وادي متخندوش48 ,47 ,
واو الناموس 179 ,

ودّان 272 ,
ورجلان129 ,

فهرس القبائل والشعوب

فهرس القبائل والشعوب

أ

أدرماشيد 188 ,

الأثيوبو تروجلودي 70 ,

الإثيوبيين ,132 ,120 ,119 ,115 ,114 ,113 ,72 ,71 ,54 ,30 ,
157, 173, 178, 179, 234, 235

الأروبية 116 ,

الإغريق ,194 ,177 ,172 ,130 ,126 ,120 ,70 ,68 ,54 ,44 ,9 ,6 ,
208, 214, 215, 216, 220, 222, 229, 279, 292

, 6, 13, 68, 120, 122, 124, 125, 126, 159, 161, 182, 194, 196, 206

الأفارقة 218 ,114 ,

الأوسينيون 139 ,

ب

البربر ,269 ,259 ,198 ,170 ,139 ,125 ,124 ,118 ,102 ,16 ,
271, 288, 291

البوشمن 114 ,113 ,

البونيقية 222 ,

البيزنطيين 262 ,260 ,255 ,

ت

التمحو ,132 ,128 ,104 ,64 ,63 ,62 ,61 ,60 ,59 ,58 ,57 ,9 ,5 ,
144, 145, 172, 173, 188, 246, 278, 298

ج

الجاتولي 139 ,72 ,71 ,

الجامفانتس 68 ,

الجرميون ,17 ,12 ,11 ,10 ,9 ,7 ,5 ,3 ,1 , ,21 ,10 ,6 ,5 ,4 ,2 ,
18, 26, 28, 30, 33, 39, 44, 45, 53, 54, 56, 57, 60, 62, 63, 64, 65, 66, 68, 70, 71, 72, 73, 74, 76, 77, 83,40, 44, 57, 58, 61, 62, 64, 65, 68, 69, 70, 75, 76, 77, 85, 113, 114, 115, 119, 122, 124, 125, 131, 135, 157, 164, 166, 167, 172, 174, 177, 178, 180, 181, 185, 186, 208, 212, 213, 215, 219, 221, 223, 254, 278, 280
113, 115, 118, 119, 120, 121, 122, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 134, 135, 137, 138, 139, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 152, 153, 154, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 164, 165, 166, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 173, 174, 179, 180, 181, 184, 185, 187, 188, 191, 192, 193, 194, 197, 198, 200, 201, 202, 203, 205, 206, 207, 208, 210, 211, 212, 213, 215, 216, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 225, 227, 228, 230, 231, 232, 233, 234, 236, 237, 238, 240, 242, 243, 246, 247, 249, 251, 255, 260, 261, 262, 271, 278, 279, 280, 302, 303

د

الدوناتية 257 ,11 ,

ر

الرومان ,122 ,81 ,77 ,75 ,74 ,73 ,71 ,68 ,66 ,12 ,11 ,7 ,6 ,2 ,
146, 165, 170, 182, 185, 188, 209, 210, 211, 212, 213, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 231, 232, 233, 234, 235, 239, 241, 246, 247, 251, 253, 254, 259, 280, 287

الرؤوس المستديرة ,109 ,108 ,104 ,99 ,52 ,50 ,49 ,47 ,27 ,
112, 114, 189, 190, 278, 297

ز

زنانة 259 ,

س

السودانية
, 3, 8, 85, 106, 107, 108, 111, 112, 113, 117, 155, 291

ش

الشعوب المتوسطية 208 ,120 ,112 ,102 ,

ص

الصحراويين 128 ,119 ,59 ,58 ,

ط

الطوارق 281 ,272 ,260 ,139 ,81 ,63 ,50 ,

فهرس القبائل والشعوب

ع

العاترية147 ,115, 103, 100, 98, 97, 96, 95, 36, 8 ,

العثماني 272 ,

ف

الفاروسي71 ,

الفزانية 257 ,116 ,114 ,42 ,

الفلسطينيين 129 ,

الفينيقيون 11, 6, 220. ,219 ,218 ,217 ,208 ,165 ,130 ,126 ,

71, 218, 219, 241

ق

القبائل اللّيبية 257 ,220 ,208 ,57 ,

القرطاجيين 280 ,223 ,221 ,220 ,218 ,164 ,149 ,71 ,

القفصية166 ,115 ,112 ,111 ,110 ,106 ,100 ,50 ,8 ,

ك

الكارخيدونيون 72 ,

الكريتيين 127 ,

ل

اللوطوفاخي 259,69 ,
137, 161 ,

الليبيين 69, 68, 63, 61, 59, 56, 54, 41, 17, 15, 14, 13, 11 ,

72, 74, 77, 118, 120, 122, 126, 127, 128, 136, 137,
145, 147, 172, 177, 180, 189, 191, 193, 195, 206, 208,
211, 214, 215, 216, 218, 219, 221, 224, 225, 229, 243,
250, 259, 288, 289, 292, 303

م

المارماريدي 77 , 208,
الماساجيت 176 ,

المسلمين 266 ,263 ,207 ,

المصريين279 ,205 ,150 ,129 ,64 ,62 ,61 ,59 ,58 ,22 ,

المكاي 220 ,215 ,208 ,166 ,23 ,

الموستيرية 302 ,97 ,96 ,95 ,94 ,8 ,

الموسولام 213 ,210 ,209 ,

ن

النساموني 233, 214, 194, 193, 178, 176, 173, 11 ,
238, 255, 280
41, 149, 164, 173, 176, 189, 194, 195, 208, 213, 214,
215, 232, 233, 234, 235 ,
النوميد 230 ,66 ,11 ,

ه

الهيكسوس 129 ,288 ,147 ,62 ,

و

الوندال 259 ,258 ,257 ,255 ,250 ,170 ,

الوهرانية 166 ,147 ,103 ,100 ,99 ,8 ,

أوسين 188 ,

فهرس الآلهة

فهرس الألهة

أ

أبوللو 190 ,

أتون 190 ,

آمون 189, 173, 149, 129, 128, 122, 72, 71, 30, 6 ,
190, 209, 210, 211, 235

ت

تانيت 283 ,192 ,175 ,

ج

جراما 294 ,191 ,190 ,135 ,125 ,121 ,69 ,10 ,جوبيتر 72 ,

ح

حمّون 189 ,

ز

زيوس 211 ,190 ,

ع

عشتار 192 ,

ه

هامان 192 ,

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات.

شُكر وعِرفان .....

الإهداء .....

قائمة المختصرات .....

مقدمة .....أ

مدخل : الجُغرافية الطبيعية للصحراء الوسطى **28**

أولاً / الأقاليم الجغرافية للصحراء الوسطى: **28**

I. أقسام الصحراء الوسطى: 31

ثانياً / السّمات الجُغرافية لإقليم جرمة. **36**

I. الموقع: 36

II. التضاريس الجغرافية: 38

III. الشبكة المائية.: 41

IV. المناخ والنبات: 44

الفصل الأول : جرمة في المصادر القديمة والأبحاث الآثرية:.....**54**

أولاً / في المصادر القديمة : **54**

I. المصادر المادية :..... 54

1. الفن الصحري.....53

2. المصدر المصري..... **Error! Bookmark not defined.**

3. النقائش الفسيفساء..... 73

II. المصادر الأدبية:..... 77

1. المصدر الإغريقي..... 77

2. المصدر الروماني.....79

3. المصدر العربي 85

ثانياً / الأبحاث الأثرية التنقيبيّة. 89

I. تنقيبات الجمعية الجغرافية الملكية الإيطالية سنة 1934: 89

II. تنقيبات البعثة الفرنسية التونيسية سنة 1949: 92

III. تنقيبات البعثة الليبية سنة 1962: 93

IV. تنقيبات البعثة الأكاديمية الملكية البريطانية سنة 1965: 96

الفصل الثاني : بدايات الاستقرار وظهور المجتمعات البشرية في جرمة. 101

أولاً / مؤشرات تواجد الإنسان في إقليم جرمة خلال العصور الحجرية القديمة: 101

I. العصر الحجري القديم (Plaéolithique): 101

II. العصر الحجري الحديث (Néolithique): 111

ثانياً / الجرميون بين الملامح الزنجية والمتوسطية: 123

I. الجرميون ذوو الملامح الزنجية السُودانية: 123

II. الجرميون ذوو المِلامح القفصية المتوسطية: 126

ثالثا / الجرميون، التَّسمية والأَصل: 132

I. التّسمية : 132

II. أصل الجرميين: 135

الفصل الثالث :النظام السياسي والنشاط الإقتصادي في جرمة.....145

أولا / النظام السياسي: 145

I. تأسيس المملكة: 145

II. نظام الحكم: 147

ثانياً / النشاط الإقتصادي: 151

I. الرعي: 151

II. الزراعة و نظام الري في إقليم جرمة: 161
III. الصناعة: 170
IV. التجارة : 171
الفصل الرابع : التغيرات الإجتماعية والدينية في جرمة. 188
أولاً / الحياة الجماعية: 188
I. الأسرة. 188
II. الفئات الإجتماعية: 191
III. التنظيم السكني: 192
IV. اللباس:. 197
V. الوشم:..... 199
VI. تصفيف الشعر:..... 200
VII. الريشة:..... 202
ثانيا / الحياة الدينية:..... 205
I. المعتقدات الدينية: 205
II. المقابر الجنائزية.: 209
III. شعائر وطقوس الدفن: 218
IV. ديانة اليهودية والمسيحية:..... 219
الفصل الخامس : علاقات جرمة بدول الجوار. 223
أولا / العلاقات الجرمية مع الكيانات السياسية الإقليمية (دول الجوار)..... 223
I. مع القبائل اللّيبية المجاورة:..... 223
II. علاقات جرمة مع المدن الثلاث (Emporiae): 232
III. علاقة الجرميين بالقرطاجيين :..... 234

IV. علاقة الجرميين بالنوميدين 236

ثانيا / العلاقات الجرمية الرومانية 238

I. العلاقات العدائية:..... 238

II. العلاقات السلمية.: 246

ثالثا – منظومة الدفاعية الرومانية في جرمة: 252

I. الحصون (CAESTRA): 252

II. المزارع المحصنة (LIMITANI):..... 266

III. دور شبكة الطرق في الإستراتيجية العسكرية : 267

الفصل السادس : جرمة في العصور القديمة المتأخرة: 272

أولاً / جرمة خلال العهد الوندالي والبيزنطي : 272

I. قبيل العهد الوندالي (فترة الفوضى) : 272

II. جرمة والوندالیين: 274

III. جرمة والبيزنطيين: 276

ثانياً / الفتوحات العربية: 284

I. جرمة مابين الفتح أو الغزو: 284

II. النقد والتقييم لروايتي إبن عبد الحكم والبكري:..... 287

ثالثا / سقوط جرمة :..... 291

I. فرضيات الخاصة بالسقوط المبكر للمملكة جرمة.....289

II. فرضيات الخاصة بالسقوط المتأخر للمملكة جرمة.....295

خاتمة : 302

فهرس المصادر والمراجع والدوريات 309

فهرس الخرائط.....326

فهرس الأشكال 328
فهرس الجداول 332
فهرس الأعلام..... 334
فهرس الأماكن والبلدان 338
فهرس القبائل والشعوب..... 342
فهرس الألهة 345
فهرس الموضوعات. 347

الملخص

إنَّ الحديث عن أخبار الجرميين لا نجده إلا في صفحات قليلة من مؤلفات القدامى مثل هيرودوت (Herodote) وبليني الأكبر (Pline L'ancien) وتاكيتوس (Tacitus) وبطليموس (Ptoléme) وبومبونيوس مِلاَ (Pompius Mela) أما كتَّاب العصور الوسطى ، فيتناولون الجرميين بإشارات مبهمة لم يُعَرِّفوهم من خلالها تعريفاً كاملاً، وعلى هذا الأساس صار الباحثون يولون اهتماما أكبر بالجرميين ومملكتهم التي كانت تعدو حد الرمز والخيال ، فأُرسلت إليها البعثات الأثرية وعلى الرغم من قلة معطياتها من حيث العدد، فقد زودتنا بمعلومات غنيّة جعلتني أعيد تتبع مسألة الاستقرار البشري في إقليم جرمة وما خلفه ذلك الإنسان من تميّز حضاريّ من خلال اهتمامه بتسجيل حياته اليومية عبر محطات الفن الصخري، كما بيّنت الدراسات المتخصصة أنَّ ذلك الإنسان هو نفسه الإنسان الذي سعى إلى تكوين مملكة جرمة في وسط الصحراء كأوّل مدينة صحراوية ليبية أصيلة مستقلة ، سعت إلى توثيق الصلات مع أصحاب مختلف الحضارات القديمة وأعرقها (المصريون ، الفينيقيون الإغريق والرومان).

وبدوره شارك الإنسان الجرمي في مسار الحضارة البشرية فأنتج حضارةً صحراوية بامتياز شاركت في كل الأحداث التي عرفها شمال إفريقيا القديم بقوةٍ وسيطرةٍ وصفتها المصادر الأدبية بأنها مملكة لا يستهان بها.

الكلمات المفتاحية : الصحراء الوسطى ؛ الفن الصخري ؛ الجرميون ؛ هيرودوت ؛ زنككرا ؛ العربات ؛ الطرق الصحراوية.

Abstract:

Talking about the news that we received about the Garamentes peopls can only be found in a few pages of the writings of the ancients, such as Herodots, Pliny the Elder, Tacitus, Ptoléme, and Pompius Méla. As for the writers of the Middle Ages, they deal with the Garamantes. With vague signs, through which they did not fully define them, and on this basis, researchers began to pay more attention to Garamantes and their kingdom, which went beyond symbolism and imagination, and archaeological missions were sent to them despite their few data in terms of numbers. This person left him with a civilizational distinction through his interest in recording his daily life through rock art stations, and specialized studies have shown me that that man is the same person who sought to form the Kingdom of Germa in the middle of the desert as the first independent, authentic Libyan desert city, and he also sought to document ties With various ancient and most prestigious civilizations (Egyptians, Phoenicians, Greeks and Romans)

In turn, the Garamantes human participated in the path of human civilization, producing a desert civilization par excellence. It participated in all the events known to ancient North Africa with power and control that literary sources described as a kingdom that cannot be underestimated..

Key Words: Central Sahara; Rock art; Garamantes ; Herodots; Zinccacra; Horse Chariots; Sahara roads.

الملخص

إنَّ الحديث عن أخبار الجرميين لا نجده إلا في صفحات قليلة من مؤلفات القدامى مثل هيرودوت (Herodote) وبليني الأكبر (Pline L'ancien) وتاكيتوس (Tacitus) وبطليموس (Ptoléme) وبومبونيوس مِلاَ (Pompius Mela) أما كتَّاب العصور الوسطى ، فيتناولون الجرميين بإشارات مبهمة لم يُعَرِّفوهم من خلالها تعريفاً كاملاً، وعلى هذا الأساس صار الباحثون يولون اهتماما أكبر بالجرميين ومملكتهم التي كانت تعدو حد الرمز والخيال ، فأُرسلت إليها البعثات الأثرية وعلى الرغم من قلة معطيا ا من حيث العدد، فقد زودتنا بمعلومات غنيّة جعلتني أعيد تتبع مسألة الاستقرار البشري في إقليم جرمة وما خلفه ذلك الإنسان من تميّز حضاريّ من خلال اهتمامه بتسجيل حياته اليومية عبر محطات الفن الصخري، كما بيّنت الدراسات المتخصصة أنَّ ذلك الإنسان هو نفسه الإنسان الذي سعى إلى تكوين مملكة جرمة في وسط الصحراء كأوّل مدينة صحراوية ليبية أصيلة مستقلة ، سعت إلى توثيق الصلات مع أصحاب مختلف الحضارات القديمة وأعرقها (المصريون ، الفينيقيون الإغريق والرومان). وبدوره شارك الإنسان الجرمي في مسار الحضارة البشرية فأنتج حضارةً صحراوية بامتياز شاركت في كل الأحداث التي عرفها شمال إفريقيا القديم بقوةٍ وسيطرةٍ وصفتها المصادر الأدبية بأ ا مملكة لا يستهان ا

كلمات مفتاحية:

الصحراء الوسطى؛ الفن الصخري ؛ الجرميون ؛ هيرودوت ؛ زنككرا ؛ بومبونيوس ؛ وبليني الأكبر ؛تاكيتوس؛ ؛بطليموس؛ مملكة جرمة ؛الصحراء الليبية.

تاريخ المناقشة 2021/12/02

بتقدير مشرف جدا